أهدى الى جامعة الملك عبد العزيز بجدة هذا العمل المتواضع راجية من الله للجامعة وطلابها دوام ...

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم التاريخ

حورية عبده سلام
مدرسة بقسم التاريخ بكلية الآداب
جامعة القاهرة

علاقات مصر ببلاد المغرب

من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية

رسالة مقدمة من
حوريه عبده عبد المجيد سلام

للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب

إشراف
الاستاذ / الدكتور حسن أحمد محمود
أستاذ التاريخ الاسلامي

١٩٧٤

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

يتناول هذا البحث علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطميــة .

لابراز ماكان لمصر من دور هام في التاريخ السياسي والتكوين البشري والاقتصادي والثقافي لبلاد المغرب . وارتباط البلدين وتأثر كل منهما بالأخرى.

ولقد اخترت هذا الموضوع محاولة القاء الضوء على جوانب العلاقــات المختلفة التي ربطت بين مصر وبلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولــة الفاطميــة .

ولا يخفى صعوبة الخوض في موضوع العلاقات ، فهي من الموضوعات الشاقة المضنية ، تحتاج دائما الى يقظة تامة في قراءة النصوص حتى نتمكن من التقــاط حقيقة أو استنتاج أخرى . ولذلك فقد صادفنا الكثير من الصعاب ، خاصة وأن تاريخ المغرب في الفترة المحددة للدراسة يكتنفه كثير من الاضطــراب والغمــوض .

وكان علــى دائما أن أخوض مهمة المقارنة وتتبع الظواهر والاحــداث السياسية والبشرية والاقتصادية والثقافية في البلدين في وقت واحد ، وأدرس تأثيرها هنا وهناك فأنظر الى مصر بعين والى المغرب بأخرى.

فلم تكن هذه الدراسة ميسرة هينة ، فمادتها مبعثرة مشتتــة مابيــن مصادر تاريخ مصر ، ومصــادر تاريخ المغرب ، وفوق ذلك فاننا نفتقــــد المصادر التاريخية التي تعالج النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بطريقـة مباشرة وكان علينا أن نلتقط ما يفيدنا في دراسة هذه الموضوعات حتى نخرج بصورة — لعلها تكون واضحة — تبين ما كانت عليه العلاقات بين مصر وبــلاد المغــرب في الفترة المحددة للدراســة .

وقد قسمت هذا الموضوع الى أربعة أبواب . تحدثت في البـــاب الأول عن العلاقات السياسية التي ربطت بين مصر وبلاد المغرب فأوضحت أهمية الدور الذى كان لمصر في امداد حركة الفتوحات في بلاد المغــــرب

بالجند والمال والسلاح . كذلك دور مصر خلال عصر الولاة ومساندة ولاة مصر لبلاد المغرب في عهد الامارات المستقلة ، وتأثر مصر بالدعوة الاسماعيلية التي نمت في بلاد المغرب ، وقامت على أساسها الدولة الفاطمية التي شملتها معا وكانت مصر قاعدتها ومركزها .

وأفردت الباب الثاني لدراسة العلاقات البشرية ، فتتبعت استقرار القبائل العربية في مصر ، وكيف هاجرت منها الى افريقية ، ثم تبين استقرار هذه القبائل في بلاد المغرب وعلاقاتها بالقبائل العربية في مصر ثم تأثير هذه الهجرات العربية في المجتمع في مصر وبلاد المغرب ، تلك الهجرات التي كان لها دورا كبيرا في التكوين البشري لشعب المغرب وما تبعه من صلات وعلاقات وتأثيرات متبادلة ، في الفترة المحددة للدراسة .

وخصصت الباب الثالث لدراسة العلاقات الاقتصادية فعرضت لمراكز التجارة في كل من مصر وبلاد المغرب متمثلة في أسواقهما ، وأهم المعروض فيها من منتجات زراعية وصناعية ونظم تلك الأسواق ، ثم قمت بدراسة طرق التجارة البرية والبحرية والسلع المتبادلة بينهما ، والنظم المالية من حيث الاسعار والمكوس والعملة محاولة في ذلك القاء الضوء على ما كان بين مصر وبلاد المغرب من علاقات اقتصادية من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية .

وتناولت في الباب الرابع دراسة العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد المغرب ، التي تتمثل في الأثر الواضح الذى كان لمدرسة الفسطاط في مدرسة القيروان ، والصلات بين المدرستين ، ورحلة علماء كل منهما الى الأخرى ، والتأثيرات المتبادلة بينهما .

وبالنسبة للمصادر هذا البحث فقد استعنت ببعض المخطوطات وكان من أهمها كتاب القاضي عياض ترتيب المدارك اذ أمدنا بمادة وفيرة عن فقهاء المالكية في بلاد المغرب أفادتنا في تتبع الحياة الثقافية وألقت كثيرا من الضوء على ما غمض منها .

كما أفدت من مخطوط القاضي نعمان بن محمد " المجالس والمسايرات" الذى ضمنه آراءه عن الاسماعيلية وما سمعه من الائمة الفاطميين ودعاتهم خاصة الخليفة المعز ، مما اطلعنا على سياسة الفاطميين في نشر المذهب الاسماعيلي ،

والتعرف على كثير من أسرار الدعوة وطرق الدعاة فى نشرها .

ومن المخطوطات التى استعنت بها أيضا كتاب السيرة وأخبار الائمة لأبى زكريا يحيى بن أبى بكر المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى . فقد أمدنا بمعلومات عن تاريخ الخوارج الاباضية وموقفهم تجاه الفاطميين فضلا عن حقائق كثيرة تتعلق بتاريخ المغرب الأوسط فى عهد الدولة الرستمية .

كما أفدت كثيرا بكتب الجغرافيا والرحلات فى دراسة النواحى البشرية والاقتصادية والوقوف على كثير من التفاصيل التى أغفل المؤرخون ذكرها . وكان أهمها كتاب البلدان لليعقوبى الذى يعد أهم كتاب جغرافى عنى بالناحية السكانية فى بلاد المغرب أخذ عنه من كتب بعده من الجغرافيين والرحالة .

كما أفدت من كتاب البكرى " وصف المغرب " بما حواه من مادة وفيرة عند وصفه لمدن المغرب والمسالك اليها وما تضمنه من اشارات تاريخية عن الاحداث السياسية فى افريقية فى عصر الأغالبة .

هذا فضلا عن كتب ابن حوقل وابن خردا ذبة والاصطخرى وما تضمنته من اشارات الى كثير من الحقائق الاقتصادية الهامة .

ومن كتب الطبقات التى اعتمدت عليها كتاب أبى العرب تميم طبقات علماء افريقية وتونس الذى يضم مجموعة من التراجم لعلماء القيروان وتونس استطعنا أن نستشف منها كثيرا من الحقائق التى ألقت الضوء على الحياة العلمية والثقافية فى افريقية فضلا عن اشاراته الهامة للأحداث السياسية التى تعنى بتاريخ افريقية فى الفترة التى عاصرها أبو العرب تميم . وقد اعتمد عليه كتاب الطبقات الذين أتوا بعده ونقلوا عنه كثيرا من الحقائق والمعلومات . ومن بينها كتاب المالكى رياض النفوس ، الذى أفدت منه أيضا بما تضمنه من معلومات تفيد فى دراسة المجتمع فى بلاد المغرب فى فترة تكوينه ـ خلال عرضه لسير العلماء والفقهاء الذين أرّخ لهم .

ورجعت كذلك الى مصادر تاريخ مصر لجمع الحقائق المتعلقة بالأوضاع السياسية والبشرية والاقتصادية والثقافية وكان أهم تلك المصادر كتاب ابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها ، اذ تجمعت لدى ابن عبد الحكم أقدم الروايات التى تتعلق بتاريخ مصر فى فترة الفتح وخلال عصر الولاة . كما أفدت مما أورده من

معلومات قيمة عن فتح بلاد المغرب وتاريخه خلال عصر الولاة ءاذ أتاح له اتصاله بعلماء المغرب وفقهائه أن يقف على كثير من الحقائق الخاصة بتاريخ المغرب ، التى أفدنا منها افادة كبيرة .

وكان كتاب الكندى الولاه والقضاة مصدرا رئيسيا فى تاريخ مصر فقد كان الكندى على حد قول المقريزى حجة ثقة فى معرفة أحوال مصر وأهلها وأعمالها ، وفى تاريخه لولاة مصر الذين تعاقبوا عليها من الفتح الاسلامى حتى وفاة محمد الأخشيد سنة ٣٤٤ هـ أشار الى حقائق كثيرة عن القبائل العربية فى مصر وأنسابهم وعلاقاتهم ونشاطهم وفى تاريخه لقضاة مصر أمدنا بتفاصيل عن مظاهر الحياة فى مصر فى تلك الفترة .

كما أفدت مما أورده المقريزى من معلومات أفادتنى فى التعرف على الاوضاع البشرية والاقتصادية فى مصر فى كتابه المواعظ والاعتبار وفى البيان والاعراب ، فضلا عن الكتب التى اهتم فيها بالأحوال الاقتصادية وهى كتابيه النقود ، واغاثة الأمة .

واعتمدت فى دراسة الجزء الخاص بالطولونين وعلاقاتهم بكتاب البلوى سيرة أحمد بن طولون وابن الداية فى كتابيه المكافأة وسيرة ابن طولون .

وكان كتاب ابن الرقيق القيروانى من أهم المصادر التى أفدت منها لدراسة تاريخ المغرب ويعد كتابه أوفى ما كتب عن افريقية والمغرب واعتمد عليه من تصدى لتاريخ افريقية والمغرب من أمثال ابن عذارى والنويرى وابن خلدون والتجانى وغيرهم . والجزء الذى حفظ لنا من تاريخ ابن الرقيق يقع فى مائة وخمسين صفحة ، وكان لاشتغاله برئاسة ديوان الرسائل فى افريقية ما أتاح له الاطلاع على كثير من الحقائق الخاصة بتاريخ المغرب من الفتح الاسلامى حتى أوائل القرن الخامس لم يبق منها سوى الجزء الذى يؤرخ لفترة قرن وربع من تاريخ افريقيه والمغرب .

كما أفدت من كتاب ابن عذارى " البيان المغرب " الذى ترجع أهميته الى تكامله وشموله وثراء مادته ، فأمدنا بمعلومات وفيرة عن تاريخ افريقية والمغرب كما أوضح جوانب كثيرة عن ثورات الخوارج والدقة التى التزم بها فى اثباته لتواريخ الأحداث المتعلقة بهم .

كذلك استعنت بالمادة الوفيرة التى قدمها ابن خلدون فى كتابه العبر فى دراسة الاوضاع الاجتماعية فى بلاد المغرب وعلاقة العرب بالبربر وما قدمه من مادة نادرة عن القبائل وأنسابها ومذاهبها ، وفى تاريخه لثورات الخوارج وتحليله لأسبابها والغوص وراء أحداثها لمعرفة حقائقها اذ تغلب صفة التحليل والتفسير على كتابات ابن خلدون .

هذا فضلا عن المصادر المختلفة التى أشرت اليها خلال هذا البحث . ومن بينها كتب النقود وما قدمته من أدلة مادية تثبت حقائق الأوضاع الاقتصادية فى مصر وبلاد المغرب وتشير الى التطورات السياسية المختلفة .

وأفدت كذلك مما كتبه المستشرقون من أمثال جوتيه الذى قدم دراسة شاملة للمجتمع المغربى خلال العصر الاسلامى خاصة فى فترة الفتح اذا ما استثنينا مبالغته فى اعتبار أن تاريخ المغرب كله ليس الا صراعا بين طائفتى البربر من البتر والبرانس واعتبار أن كل منهما جنس مستقل بذاته .

كذلك أفدت من كتابات غيره من المستشرقين كبروفنسال ودوزى وكان لكتاب Heyd عن التجارة أهمية لما تضمنه من آراء مفيدة تتعلق بالاوضاع الاقتصادية فى بلاد المغرب ضمنها كتابه : Histoire du commerce du levant au Moyen age.

كذلك أفدت من كتاب أرشيبلد لويس فى دراسة الأحوال الاقتصادية فى بلاد المغرب وطرق التجارة البحرية وتطورها وموقف الاغالبة فى افريقية فى تجارة البحر المتوسط .

وبالنسبة لما كتبه المستشرقون عن مصر أفدت من كتاب G. Wiet وخاصة الجزء الرابع وعنوانه L'Egypte Arabe وكتاب جامع النقوش العربية.

Repertoire chronologique d'Epigraphie Arabe.

تلك كانت أهم المصادر والمراجع التى أفدت منها فضلا عما أشرت اليه خلال هذا البحث .

وبعد لعلى أكون قد وفقت في القاء الضوء على جوانب العلاقات التي ربطت بين مصر وبلاد المغرب بروابط وثيقة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام . ولا يسعني في هذا المقام الا أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير والامتنان لأستاذي الدكتور حسن أحمد محمود الذي كان لارشاده وتوجيهاته الفضل في اتمام هذا البحث ، كما أشكر أساتذتي الذين شاركوا في قراءة هذا البحث وتجشموا مشقة مناقشته .

والله الموفق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الاول

العلاقات السياسية

الفصل الأول ـ علاقات مصر ببلاد المغرب فى عصر الولاة ـ الفتح العربى لبلاد المغرب أثر مصر فى ادارة شئون المغرب فى العصر الأموى ـ أثر مصر فى ادارة شئون المغرب فى العصر العباسى ـ ظهور الامارات المستقلة الأغالبة ـ الرستميون ـ الادارسة والعلاقات بينهم وبين مصر خلال عصر الولاة •
أحمد بن طولون والأغالبه ـ الدعوة الفاطمية فى مصر وبلاد المغرب ـ العلاقات بين الاخشيديين والفاطميين ـ فتح الفاطميين لمصر •

• • • • • • • • • • • • • • • • • • •

• • • • • • • • • •

الفصل الاول

علاقات مصر ببلاد المغرب فى عصر الولاة

١ ـ أثر مصر فى فتوح المغرب :

أرتبط فتح العرب لبلاد المغرب ارتباطا وثيقا بفتح مصر بل يمكننا القول بانه كان استمرارا له وضروة أملتها طبيعة التجاور الجغرافى بينهما • لذا كان من الطبيعى ان يتجه عمرو بن العاص بعد فراغه من فتح مصر سنه ٢١ / سنه ٦٤١ م صوب برقة (١)

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ١٧٠ أن برقة هى أرض انطابلس وأن عمر بن العاص افتتحها عقب فراغه من فتح الفيوم وصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية • ويذكر ياقوت معجم البلدان حـ ١ ص ٣٨٨ أن " برقة اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية واسم مدينتها انطابلس وتفسيره خمس مدن " ويذكر اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٤٠ أن برقة مدينة تقع فى مرج واسع لها كورة عامرة وهى فى بقعة فسيحة وفى المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ نجد ذكر برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال مع يسار وهى ثغر قد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر فى هوية قد احاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحوونه من أمطار فى جباب وهى على جادة مصر • "

على اعتبار انها تجاور "لوبية" و "مراقية "[1] وهما كورتان من كور مصر الغربية ولم يبد اهلها مقاومة للعرب وتصالحوا على جزية يؤدونها . كانوا يبعثون بها الى عمرو بن العاص في الفسطاط كل سنة دون "ان يدخل برقة جاب خراج انما كانوا يبعثون الجزية اذا جاء وقتها"[2] اذ وجدوا في عمرو مخلصا لهم من عسف الحكم البيزنطي[3].

ثم وجه عمرو بن العاص "عقبة بن نافع" لاستكمال الفتح فوصل بجند المسلمين حتى زويلة "وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين"[4] وتقدم العرب لفتح مدينة[5] اطرابلس - Tripolis

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٧٠ ان "لوبيه ومراقية كورتان من كور مصر الغربية ما يشرب من السماء ولا ينالها النيل"

(٢) ابن عبد الحكم . فتوح مصر واخبارها ص ١٧١

(٣) ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ ص ٨ ، ابن الاثير . الكامل جـ ٣ ص ١١

(٤) ابن عبد الحكم . فتوح مصر واختبارها ص ١٧١

"زويلة" احدى مدن فزان القديمة الى الجنوب الشرقي من طرابلس وتختلف عن زويلة افريقية التي اسسها عبيد الله المهدى بالقرب من تونس ،
المقدسي . احسن التقاسيم ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ . ويذكر البلاذرى ان "عمرو بن العاص ارسل الى عمر بن الخطاب كتابا يعلمه انه قد ولى عقبة بن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة وان ما بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم وقد ادى مسلمهم الصدقة واقر معاهدهم بالجزية وانه قد وضع على اهل زويلة ومن بينه ما راى انهم يطيقونه وامر عماله جميعا ان يأخذوا الصدقة من الاغنياء فيردوها في الفقراء ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل اليه بمصر" البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٢٤ .

(٥) كانت مدينة اطرابلس تعرف باسم "اويا" او اوياس" ابن خرداذبه المسالك والممالك ص ٩١ ، ويذكر المقدسي . احسن التقاسيم ص ٢٢٤ اطرابلس بقوله "اطرابلس مدينة كبيرة على البحر سوره بحجارة وجبل لها باب البحر وباب الشرق وباب الجوف وباب الغرب ، شربهم من آبار وماء مطر كثيرة الفواكه والانجاص والتفاح والالبان والعسل " واطرابلس تسمية عربية لكلمة التى اطلقها الرومان عليها وتعنى المدن الثلاث اذ كانوا قد اقاموا في القرن الثالث الميلادى خطا دفاعيا لمواجهة غارات البدو في الصحراء في الجنوب من اويا وقد سموا هذا الخط الدفاعي باسم ليمس تريبوليتانوس ، واطلقوا اسم تريبوليتانوس على المنطقة الواقعة بين خليج قابس وخليج سرت وتضم ثلاث مدن هي . لبده ، واويا وسبرت واصبحت اويا (اطرابلس) مركز الولاية طرابلس في عهد دقلديانوس واحاطوها بسور منيع .

بعد ذلك حيث اطبق جماعة من جند عمرو بن العاص على المدينة بعد ان تمكنوا من فتح ثغرة في حصونها المنيعة ناحية الشمال . فافتتح عمر بن العاص اطرابلس وتقدم نحو مدينة سبرت Sabrata او صبره[1] فافتتحها . كما وجه بسر بن ابي ارطاه لفتح ودان اثناء حصاره لاطرابلس فافتتحها ، وبذلك امن فتوحاته في برقة واطرابلس ضد غارات القبائل المجاورة . ورأى بعد ذلك ان يتوجه لفتح افريقية حيث لم يكن بينها "وبين افريقية الا تسعة ايام"[2] الا ان الخليفة عمر بن الخطاب رفض مكتفيا بما وصل اليه المسلمون من فتوحات . فغادر عمرو بن العاص اطرابلس عائدا الى مصر بعد ان ترك عقبة بن نافع على برقة

وتبنى ولاة مصر من بعده مهمة استكمال الفتوحات في افريقية ، وكانت مصر مركز هذه العمليات فكانت تخرج منها الحملات المتتالية متخذة بشكل غارات[3] خاطفة في اول الامر

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٧٢ "وكان من بسبرت متحصن فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة اطرابلس وانه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم امنوا فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة اطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وامرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سبرت وقد غفلوا وقد فتحوا ابوابهم لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم احد واحتوى عمرو على ما فيها" يذكر المقدسي . احسن التقاسيم ص ٢١٦ صبره او سبرت بانها احدى مدن افريقية "في بادية وهي حصينة وبها نخيل تين شربهم من ماء المطر" . ص ٢٢٤

(٢) يذكر ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٧٢ – ١٧٣ ان عمرو بن العاص ارسل يستأذن عمر في فتح افريقية الا ان الخليفة رفض قائلا له "انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها احد ما بقيت" البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٦٦

(٣) يذكر ابن عبد الحكم ان عمرو بن العاص بعد ان انصرف راجعا من اطرابلس بعد ان رفض عمر طلبه في فتح افريقية "كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون" ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٧٣ ، البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٢٦ .
كما يذكر ابن عبد الحكم ان سلطان "افريقية كان يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليهم ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه وكان سلطانه ما بين اطرابلس الى طنجة" ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٨٣ . ذكر البكري تفصيلات عدة لتفسير تسمية افريقية ص ٢١ من كتابه وصف افريقية البكري . معجم ما استعجم ح ١ ص ١١٦ فيذكر تفسيرات متباينة فمرة يذكر ان السبب في تسميتهم بالافارقة لانتسابهم لأبناء فارق بن مصريم ومرة اخرى لما نسب لعمر بن الخطاب من قوله انها افريقية للمفرقة غادرة مغدور بها" وتمتد من حدود مصر الى المحيط .

يتمكنون بواسطتها من معرفة خطط عدوهم واسلوبه ثم يسددون ضربة قوية منظمة فتتحول هذه الغارات الى فتوح منظمة .

اما عبدالله بن سعد بن ابى سرح والى مصر بعد عمرو بن العاص ، فقد قام بحملات متتالية لفتح افريقية مستعينا بما امده به الخليفة عثمان بن عفان من قوات بقيادة عثمان بن الحارث[١] بن الحكم ، فيها جند من عرب مصر معهم بعض الاقباط[٢] . وتقابل فى برقة مع عقبة[٣] بن نافع الفهرى " ثم ارسل السرايا فى

---

(١) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ٩

ويذكر ابن عبدالحكم . فتوح مصر ص ١٨٤ "كانت مهرة فى غزوة عبدالله بن سعد وحدهم ستمائة رجل وغنث من الازد سبعمائة رجل وميدعان من الازد سبعمائة "

واورد ابن عذارى حديث عثمان بن عفان الى الجند الذاهبة الى مصر "قد استعملت عليكم الحارث بن الحكم حتى تصلوا الى عبدالله بن سعد بن ابى سرح ... واخذت عليه العهد ان يحسن لمحسنك ويتجاوز عن مسيئتكم" .

ابن عذارى حـ ١ ص ٩ ، النويرى . نهاية الارب ص ٢٦٢ ، ٢٦٣

(٢) المالكى . رياض النفوس ص ١١

(٣) ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٣ ص ٤٣

السلاوى . الاستقصا فى اخبار المغرب الاقصى حـ ١ ص ٧٥

آفاق افريقية "فغنموا فى كل وجه ." وواصل المسلمون الزحف حتى وصلوا بلـــدة تموينة وهى الموضع الذى اسست به مدينة القيروان فيما بعد ، ثم تمكنوا مـــن اختراق معسكر الروم قـرب سبيطلـــة Suffekula [1] وقتل القائد البيزنطـى Gregorius الذى تطلق عليه المصادر العربية اسم "جرجير"

وتتعدد الروايات فى ذكـر تفاصيل انتصار العرب على الـــروم فى سبيطلـــة ، فتتابين احيانا ، ويغلب عليها الطابع الاسطـــورى احيانا اخـــرى ، الا ان معظمهـا يشير الى ان عبـد الله [2] بن الزبير هـــو

---

(١) C.H. Diehl :l'afrique Byzantine P. 518

تقع سبيطلة على احد فروع نهر مجرد وسط سهل تونس وهى اعظم مدن السهل الداخلية تبعد عن قرطاجنة بمقدار مائة وخمسين ميلا جنوبا "وكانت كرسى مملكة افريقية فى القديم ولها اثار عظيمة تدل على ذلك.

ابو الفداء . المختصر فى اخبار البشر ص ١٤١ . وذكرها الادريس بقولـــه . "كانت مدينة جرجيس ملك الروم الافارقة وكانت من احسن البلاد منظـــرا واكبرها قطـرا واكثرهـا مياها واعدلهـا هواء واطيبها ثرى ..... ومنهـا الى مدينة القيروان ٧٠ ميلا". الادريس . نزهة المشتاق ص ١١٥ .

(٢) يروى المالكى ان الروم والافارقة "لما سمعوا بوصول عبد الله بن سعد بـــن ابى سرح الى افريقية خرجوا اليـــه ومعهم جرجير فى جمع كثير من الروم ." رياض النفوس ص ١١

الذى تمكن من قتل جرجير (جريجوريس) وان كان ابن عبد الحكم وهو اقدم من كتب عن فتح المغرب لا يشير اليه بصورة قاطعة[١]

اراد عبدالله بن سعد بعد ذلك ان يتوجه لفتح "قرطاجنة"[٢] فتمكن فى طريقة من الاستيلاء على قفصه[٣] ومن مهاجمة حصن "الجم"[٤] Thysdrus حيث تجمعت فلول المنهزمين لكنه عاد الى مصر وطلب من نائبه فيها عقبة بن عامر الجهنى ان يوسل من الاسكندرية سفنا الى اطرابلس لتحمل غنائم المسلمين" ولم يول عليها احدا ولم يتخذ بها قيروانا[٥] . وصالح عبدالله بن سعد الروم واهل البلاد على ان ينصرف من بلادهم[٦] مقابل مبلغ من المال سنة ٢٨ هـ/ ٦٤٧ـ٦٤٨م

وبالتطلع الى احوال مصر السياسية فى هذه الفترة قد نجد تفسيرا لهذا العود السريع لعبد الله بن سعد وتفسير توقف الفتوح تماما فى فترة السنوات الخمس التى تلت عودته من افريقية ـ فمصر ـ قاعدة فتح افريقية ـ قد انشغلت

---

(١) يقول بن عبد الحكم . فتوح مصر والمغرب ص ١٨٣ "فلقيه جرجير فقاتله فقتله الله وكان الذى ولى قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير."

(٢) يذكر ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٨٣ عن قرطاجنة "وكان مستقر سلطان افريقية يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه وكان سلطانه ما بين اطرابلس الى طنجة ." وقد وصفها المؤرخ فى القرن الثانى قبل الميلاد يقوله "انها تشبه ما تكون بالسفينة الراسية لانها قد بنيت فى شبه الجزيرة المحاطة بالبحر من ناحية والبحيرتين من ناحية اخرى مما يجعل وجهتها بحرية اكثر من برية افريقية .
Cibberl and Colette Charles P. Daily life in Carthage P.P. 25-26

(٣) كانت قفصة وعاصمتها Caesarea تمثل القسم الثالث من الاقسام الاربعة التى انقسمت اليها افريقية فى عهد البيزنطيين وهى طرابلس وعاصمتها لمطه Leptis-Magna والمنطقة الداخلية (بيزاسيم) وعاصمتها Thelepte ومرطانية وعاصمتها قسطنطينية وبذلك احاطت الدولة البيزنطية املاكها فى افريقية بهذه الشبكة من الحصون ترابط فى كل منها فرقة يقودها قائد او دوق
Candel: l'afrique de Nord, les Byzantins et las Berberes. avant les invasions Arabes II P.P. 17 - 18

ويذكر ابن حوقل . صورة الارض ص ٩٢ "وقفصة مدينة ... ذات سور ونهر يجرى ولها اجنة وكروم ونخيل ."

(٤) حصن الجم من اعظم حصون افريقية عرف ايام البيزنطيين باسم - Thysdres
Candel : L'afrique de Nord P. 76.

(٥) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٨٤ ـ ١٨٥
المالكى . رياض النفوس ص ١٠

(٦) ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٣ ص ٣٥

باعلان الثورة ضد الخليفة[1] عثمان بن عفان حين انتهز عبد الله بن سبأ فرصة انشغال واليها – عبد الله بن سعد بن ابى سرح بامر افريقية ، فدبر بمساعدة القائمين على الخلافة امر هذه الثورة ، وخرج محمد بن ابى حذيفة على الخليفة عثمان وطرد عقبة بن عامر الجهينى نائب عبد الله بن سعد فى مصر ومنع سعد بن ابى وقاص الذى بعث به الخليفة ليصلح بين الخليفة وبين الثائرين فى مصر من دخول البلاد .

ولهذا يمكننا ان نفسر توقف الفتوحات فى افريقية عقب عودة عبد الله بن سعد بانشغال مصر بتلك الاحداث التى اوضحناها الى ان تولى معاوية بن حديج التجيبى وهو اذ ذاك قائد جند مصر – مهمة استكمال الفتح بعد عبد الله بن سعد ، فخرج مع مصر متقدما حتى وصل الى "قمونية"[2] وهى موضع مدينة القيروان واتخذ لجنده موضعا عند "القرن"[3] يستقرون فيه[4] ثم ارسل عبد الله بن الزبير لتعقب الروم الذين اتجهوا غربا نحو سوسه[5] فتمكن من فتحها بينما ارسل عبد الملك ابن مروان لفتح

---

(١) ابن قتيبة . الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٥ – ٣٨

(٢) يطلق عليها ابن عبد الحكم قونية وحدد مكانها بانه موضع مدينة القيروان فتوح مصر ص ١٩٣ ، بينما يذكرها المالكى . رياض النفوس ص ١٠ على انها قونية ويصفها بانها قيروان افريقية . Caput Varba

(٣) "القرن" موضع جبل عسكر عنده جند معاوية بن حديج . ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ١٩٣ ويذكر ياقوت الحموى . معجم البلدان ج ٧ ص ٦٦ ان القرن تعنى الجبل وهو جبل بافريقية

(٤) اختلف المؤرخون فى تحديد السنة التى قام فيها معاوية بن حديج بفتح افريقية فيذكر ابن عبد الحكم ثلاث غزوات لمعاوية اولاها سنة ٣٤ هـ "قبل قتل عثمان واعطى عثمان مروان الخمس فى تلك الغزوة وهى غزوة لا يعرفها كثير من الناس والثانية سنة اربعين والثالثة سنة خمسين " ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٩٤ الا انه لم يحدثنا الا عن غزوة واحدة تم له فيها الوصول الى قمونية واتخاذ معسكر لجنده عند القرن . وفتح جلولاء بينما لم يشر ابن الاثير . اسد الغابه ج ٣ ص ٣٥ الا لغزوة واحدة حددها بسنة ٤٥ هـ وكذلك البكرى وصف افريقية حدد غزوة معاوية بن حديج سنة ٤١ هـ ، واتفق معه المالكى . رياض النفوس ص ١٣ – ١٥ ولا يمكن قبول رواية ابن عبد الحكم بغزوة معاوية بن حديج سنة ٥٠ ذلك ان والى مصر آنذاك كان مسلمة ابن مخلد الانصارى الذى ولى افريقية لابى المهاجر دينار .

(٥) يذكر المقدسى . احسن التقاسيم ص ٢٢٦ ان سوسة مدينة بحرية "مسورة بالجبل والحجر مشربها من آبار" . ويذكر ابن حوقل . صورة الارض . "واما سوسة فمدينة بين الجزيرة والمهدية طيبة رفهة خصبة على نحر البحر ولها سور حصين وماؤها معين .. وهى احدى فرض البحر ." صورة الارض ص ٧٤

جلولاء(١) Coubulis فتم له ذلك ، كما استطاع رويفع بن ثابت الانصاري فتح جزيرة "جربة"(٢) Meninx وكان معاوية قد خلفه على طرابلس فاستطاع فتح الجزيرة دون عناء كبير ثم عاد سريعا الى طرابلس .

وبذلك انتهى معاوية بن حديج من حملته التى وصلت بالمسلمين الى سهل تونس وعاد الى مصر .

والملاحظ فى هذه الفتوحات انها اتخذت من مصر قاعدة لها ، وتمت على يد ولاتها وقوادها الذين لم يتخذوا لهم فى افريقية - حتى ذلك الوقت - مدينة يستقرون فيها ويديرون منها المناطق التى فتحوها بل كانوا يسرعون بالعودة الى قاعدة الفتح فى الفسطاط .

ومن مصر ايضا انطلقت المرحلة الثانية من مراحل فتح افريقية حين ولى عمرو بن العاص ولاية مصر للمرة الثانية . وقد افاد العرب من تجاربهم السابقة فى الفتوحات وحرصوا الا يقع الاشتباك على طول الساحل حتى يتفادوا خطر الاسطول المعادى مع محاولة التقرب من اهالى البلاد الكارهين للحكم البيزنطى .

فبعث عمرو بن العاص من مصر حملة الى افريقية بقيادة عقبة بن نافع سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م بعد ان استتب له الامر فى البلاد . فبدأ بالنزول فى "مغداش"(٣) حيث

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم روايتين فى هذه الواقعة الاولى ذكر ان معاوية بن حديج هو الذى ارسل عبد الملك بن مروان لفتحها ثم يعود فيقول "ويقال بل غزاها معاوية بن حديج بنفسه فحاصرهم فلم يقدر عليهم فانصرف آيسا منهم وقد جرح عامة اصحابه وقتل منهم ففتحها الله بعده . مما يرجح فى نظرنا ان معاوية بن حديج غزاها بنفسه اول الامر وحين استعصت عليه آزره عبد الملك فاستطاع فتحها .
وجلولاء مدينة صغيرة قديمة بالقرب من القيروان وصفها الادريس بانها مدينة صغيرة عليها سور وبها عين ماء جارية ص ١٢٠ ، ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ١٩٣

(٢) جزيرة جربة تقع على الساحل بالقرب من طرابلس فهى احدى مدنها
C.H. Diehl : l'afrique Byzantine P. 229
وكان البيزنطيون يطلقون عليها اسم - Meninx وهى على حدود افريقية ناحية الشرق

(٣) مدينة تقع الى الغرب من مدينة سرت البكرى . وصف افريقية ص ٧ ذكر انها "تقع على مرحلة من مدينة سرت ."

بلغة نقض اهل "ودان" لعهدهم مع عمرو بن العاص وامتناعهم عن دفع الجزية فنجح في اخضاعهم . ثم تقدم الى "جرمة"[١] واخضعها ثم الى "قصور فزان"[٢] ففتحها حتى وصل الى اعظمها وهو حصن "خاوار"[٣] وانزل جنده في موضع يعرف باسم "ماء فرس"[٤] ثم اتجه لفتح قفصة[٥] ثم فتح مدينة "قصطيلية"[٦] .

---

(١) ذكر ابن عبد الحكم ان جرمة "مدينة فزان العظمى وبينها وبين ودان ثمان ليالي" ص ١٩٤ ويذكر ياقوت . معجم البلدان حـ ٢ ص ٩٢ ان جرمة "اسم قصبة بناحية فزان في جنوبي افريقية لها ذكر في الفتوح .

(٢) قصور فزان . حصون رومانية في مناطق متفرقة من فزان ويذكر ياقوت . معجم البلدان حـ ٣ ص ٨٩٠ ان فزان ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس المغرب وهو في الاقليم الاول وعرضه احدى وعشرون درجة قيل سميت بفزان بن حام بن نوح ع عم بها نخل كثير وتمر كثير ومدينتها زويلة بالسودان .

(٣) يذكر ان عبد الحكم حصن خوار "وهو قصر عظيم على راس المفازة في عورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار" فتوح مصر ص ١٩٥ . ويذكر ياقوت الحموى . معجم البلدان حـ ٢ ص ٣٩٢ ــ ٣٩٤ ان "خاور اكبر مدينة كوره كاوار جنوب فزان افتتحها عقبة بن عامر سنة ٤٧ بعد ممانعة وقتل اهلها وسباهم" ويذكر اليعقوبي . كتاب البلدان ص ٣٤٥ "ووراء زويلة على خمس عشر مرحلة مدينة يقال لها كوار بها قوم من المسلمين من سائر الاحياء اكثرهم بربر" .

(٤) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٩٥ يذكر ان عقبة "اقام بمكان اسمه اليوم ماء فرس ولم يكن به ماء فاصابهم عطش شديد اشفى منه عقبة واصحابه على الموت فصلى عقبة ركعتين ودعا الله ، وجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الارض حتى كشف عن صفاة فانفجر منها الماء .. فسمى لذلك ماء فرس ." .

(٥) يذكر المقدسي ان قفصه "احدى مدن افريقية تجاور قصطيلية ، احسن التقاسيم ص ٢١٦ ــ ٢١٧ ويذكر ياقوت . معجم البلدان حـ ٤ ص ١٥١ انها "بلدة صغيرة في طرف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة ايام ." .

(٦) قصطيلية وردت في ياقوت "انها في بلاد الجريد من ارض الزاب الكبير وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين" وذكر عن البكري ان من مدنها توزر والحمه ونفطه هي امها وهي مدينة كبيرة ." معجم البلدان حـ ٤ ص ٩٧

ثم اراد ان يستقر بجنده فلم ينزل فى الموضع الذى اختاره من قبل معاوية ابن حديج . انما اتخذ موضع القيروان [١] "وكان واديا كثير الشجر كثير القطف .. وامر الناس بالتنقية والخطط ، ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم وركز رمحه وقال هذا قيروانكم" [٢]

وكان انشاء القيروان بداية ظهور ولاية افريقية الاسلامية وغدت القيروان قاعدة عسكرية يستأنف منها القواد فتح بقية بلاد المغرب ، ينتهون اليها بعد عملياتهم الحربية بعد ان كانوا يرجعون مباشرة الى الفسطاط .

---

(١) يذكر ياقوت . معجم البلدان حـ ٤ ص ٢٣ ـ ٢١٣ انها "مدينة عظيمة بافريقية غبرت دهرا وليس بالمغرب مدينة اجل منها الى ان قدمت العرب افريقية ... وهى فى طرف البر وهى اجمة عظيمة وغيضة لا يشقها الحيات من شابك اشجارها واختار هذا الموقع (يقصد عقبه) لبعده من البحر لئلا تطرقها مراكب الروم فتهلكها وهى فى وسط البلاد"

(٢) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٩٦ . وتتعدد روايات المؤرخين عند الحديث عن الظروف التى صاحبت تأسيس القيروان ونشأتها فاحاطوا الموضوع بكثير من الخرافات والاساطير كعادتهم عندما يتناولون الاحاديث عن نشأة المدن فيقول ابن عبد الحكم ان عقبة "ركب والناس معه حتى اتى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تاوى اليه الوحوش والسباع والهوام ثم نادى يا اهل الوادى ارتحلوا رحمكم الله فانا نازلون نادى بذلك ثلاثة ايام فلم يبق من السباع شىء ولا الوحوش والهوام الا خرج". وقد ذكر هذه الرواية ايضا مع بعض الاختلاف ابن عذارى البيان المغرب حـ ١ ص ٢٠ ، ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٣ ص ١٨٤ ، ياقوت معجم البلدان حـ ٤ ص ٤٢٠ ولا يخفى ما فى هذه الروايات من خرافات والامر لا يعدو ان يكون بداية الاستقرار فى المكان مع ما صحبه من ضجيج واشعال النيران ادى بالحيوانات الى الخروج باحثة عن مكان آخر لاستقرارها وهذا شىء طبيعى ويذكر المالكى . انه "كان فى موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية وكان فيه كنيسة وفيها الساريتان الحمراوان اللتان هما اليوم فى المسجد الجامع كانت عليهما حسنيتان مبنيتان اقامتا الى ايام زيادة الله بن الاغلب فهدمهما زيادة الله وحملها الى المسجد الجامع فجعلهما فى المكان الذى هما فيه اليوم . المالكى . رياض النفوس ص ٨ ـ ٩

ولم يكن عقبة بن نافع اول من فكر فى اتخاذ قاعدة عسكرية للمسلمين فى افريقية ، فقد سبقه معاوية بن حديج حين راى ان ينزل بالمسلمين فى الموضع الذى سمى "القرن" وحفر آبارا عند باب تونس فى ناحية الجبل منحرفا نحو الشرق بالقرب من مصلح الجنائز ... وذلك قبل تأسيس القيروان"[١]

ويبدو ان عقبة ترك الموضع الذى كان معاوية بن حديج قد اختاره لانه كان يحرص على ان تكون قاعدة المسلمين فى افريقية بمنأى عن الساحل لتمتنع على الاساطيل البيزنطية ، معللا ذلك بقوله " انى اخاف ان يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر الا وقد علم به"[٢]

فقد درج المسلمون على اختيار عواصم الامصار المفتوحة بعيدا عن السواحل ويبدو ان هذا هو السبب الذى حدا بعقبة الى الاعتراض على المكان الذى اتخذه معاوية بن حديج ، لعدم توافر هذا الشرط فيه ، كما عدل عمرو عن اتخاذ الاسكندرية[٣] عاصمة لمصر ، ومن قبله تحول سعد بن ابى وقاص من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول عقبة بن غزوان" الى البصرة[٤]

---

(١) المالكى . رياض النفوس ص ٦

Caudel : le Permieres invasions arabes de l'Afrique d[illegible]
Nord II. P. 105

(٢) ابن عذارى . البيان المغرب ج ١ ص ١٩

(٣) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٩١

(٤) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٩٠ — ٩١

ولم يكن تاسيس القيروان يعنى استقلال افريقية عن مصر ، فقد ظلت افريقية تابعة لامير مصر ، وظلت مصر مركز الحملات التى خرجت الى افريقية فحين استطاع البربر استرداد القيروان من المسلمين [١] كانت مصر مركز الحملات التى خرجت لاستعادتها ومواصلة الفتح .

وكانت تخرج من بيت مال الفسطاط الاموال اللازمة لاعداد هذه الحملات [٢] فضلا عن مبلغ معين من المال كانت تقدمه مصر سنويا لمساعدة عامل القيروان ولم ينقطع هذا العون السنوى الا عندما استقل الاغالبة بافريقية ١٨٤هـ/ ٨٠٠م وكان مسلمة بن مخلد الانصارى امير مصر اول [٣] وال جمعت له مصر والمغرب سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧م . واطلق الخلفاء الامويون [٤] ايدى الولاة فى مصر

---

(١) ابن الرقيق القيروانى . تاريخ افريقية والمغرب ص ٤٧

(٢) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ٢٢

(٣) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٩٧

البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٧٠

٤) النويرى . نهاية الارب ص ٧٤

فى اعداد الحملات الى افريقية واعطاء الاوامر للقواد باستمرار عملية الفتح .

فحين ولى مصر عبد العزيز بن مروان كتب الى زهير بن قيس الذى كان يتولى شئون برقة "يامره بغزو افريقية"(١) حين هاجم البربر بقيادة كسيلة مدينة "ممس"(٢) ونفذ زهير بن قيس الامر فحل على "باب سالم"(٣) ولم يدخل القيروان ، وهاجم المسلمون كسيلة فى "ممس" لكنه انتصر عليهم ثم نزل القيروان حيث بلغه انتقاض برقة وحشد الروم لجموعهم مما حدا ببعض الجند الى التفكير فى العودة الى مصر وكان على راس هؤلاء الجند "حنش الصنعانى"(٤) الذى خالف زهيرا وعاد الى مصر فتبعه اكثر الجند واضطر زهير الى التراجع الى برقة(٥) وفى ذلك يقول ابو المحاسن " ان حنشا حين هم بالقفول الى مصر تبعه اكثر الناس من العساكر المصرية من جند سعيد حاكم مصر"(٦)

ورغم انشغال الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان بالمشاكل التى صادفته فى اول خلافته الا انه راى ان يعد العدة لاستئناف الفتح فارسل الجند من الشام الى مصر فافرغ عليهم اموالها وجند كثير من جنودها "فوفدت الجيوش على زهير وتسرع الناس معه الى افريقية"(٧) وتمكن زهير من الانتصار والعودة الى القيروان وفى اثناء عودته الى برقة فى طريق تقدمه نحو مصر ، تمكن الروم وكانوا قد حشدوا كل حشودهم على الساحل من الحاق الهزيمة بالمسلمين(٨) وقتل

---

(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٠ ، الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٤٧ ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٤ ص ٤٣

(٢) مدينة "ممس" مدينة بيزنطية قديمة ترد فى بعض المصادر على انها مشهور البكرى . وصف افريقية ص ١٤٦ ، ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٤ ص ٤١ — النويرى . نهاية الارب ص ٧٣ . ولم يرد ذكرها فى ياقوت الا على انها قرية بالمغرب . معجم البلدان حـ ٤ ص ٢٤٢

(٣) لم يحدد المؤرخون موقع "باب سالم" ولكن يبدو انه مكان بظاهر القيروان وذلك الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٥٦

(٤) ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٤ ص ٤٢ ، المالكى . رياض النفوس ص ٩

(٥) ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٤ ص ٤٢ ، المالكى . رياض النفوس ص ٩

(٦) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ١ ص ١٥٩

(٧) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ١٦

(٨) يذكر المالكى . رياض النفوس ص ١٠ " ولما بلغ الروم ان زهيرا خرج الى برقة امكنهم ما يريدون فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة وقوة عظيمة واغاروا عليها فسبوا وقتلوا فوافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبر بخبرهم فامر عسكره ان يمضى على الطريق وعدل هو فى خيل كثيرة من فرسان اصحابه وطمع ان يدرك العدو ليستنقذ منه اسارى المسلمين .

زهير الذى لم يكن قد وضع فى حسابه خطة الروم هذه .

وبذلك انتبه المسلمون الى ضرورة القضاء على الروم فى افريقية ، وابدى الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان اهتماما كبيرا بهذا الامر . وبعث لهذا الغرض احد الرجال للمقربين اليه وهو "حسان بن النعمان" وامره "بالمقام فى مصر فى عسكر عدته اربعون الفا وتركه عده لما يحدث ، فكتب اليه بالنهوض الى افريقية وقال . انى اطلقت يدك فى اموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك من الناس واخرج على جهاد افريقية على بركة الله"[1]

ونستنتج من ذلك ان "حسان بن النعمان" اخذ يعد فى مصر وباموالها العدة لفتح افريقية .

وقد اتخذ المسلمون مما اصاب زهير بن قيس على يد الروم درسا افادوا منه فاتجهوا بتقلهم نحو الثغور الساحلية فى محاولات ناجحة للقضاء على الاسطول البيزنطى والحيلولة بينه وبين احباط مشروعات المسلمين فى افريقية . فاتجه "حسان بن النعمان" الى اطرابلس[2] ففتحها واعادها للمسلمين ثم اتجه الى مدينة قرطاجنة[3] فاسترجعها من ايدى حاميتها البيزنطية .

وتوجه بعد ذلك لاخضاع البربر الذين ثاروا تحت زعامة ملكتهم المسماه الكاهنة والتقى الفريقان عند وادى سكتانه[4] الى الشرق من مدينة بجايه الا انها تمكنت فى اول الامر من الحاق الهزيمة به فتراجع الى برقة ونزل باصحابه " قصورا

---

(١) النويرى . نهاية الارب ص ٧٤

(٢) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٠

(٣) يذكر ياقوت . معجم البلدان ح ٤ ص ٥٧ — ٥٨ اسمها قرطا واضيف اليها جنه لطيبها ونزهتها وحسنها "وكانت مدينة عظيمة شامخة البناء اسوارها من الرخام الابيض وبها من العمد الرخام المتنوع ما لا يحصى ولا يعد وقد بنى المسلمون من رخامها لما خربت عدة مدن وهى على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا ، وتونس عمرت من خراب قرطاجنة .

(٤) ابن عذارى . البيان المغرب ص ٢١ ، يطلق ابن خلدون على هذا الوادى اسم مسكيانة وهو وادى نهرنينى ، يذكر ياقوت . معجم البلدان ح ٣ ص ٥٢١ عن طرابلس انها "ثلاث مدن سماها اليونان طرابليطة وتسمى ايضا مدينة اناس وعليها سور صخر جليل البنيان وهى على شاطئ البحر ومبنى جامعها احسن مبنى وبها اسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود وحولها انبار." معجم البلدان ح ٣ ص ٥٢٢ — ٥٢٣

من خير برقة سميت قصور حسان "(١) ولم يلبث ان اوقع حسان الهزيمة بالكاهنة وقتلهـا ونزل فى الموقع الذى قتلت فيه وسمى باسمها وهو "بئـر الكاهنة "(٢) وبذلك خضـع البربر واسلم كثيرون منهم ، وافاد العرب منهم فى نشر الاسلام والتصدى للروم .

بذلك نجحت حملة حسان "فدانت له افريقية فدون الدواوين ، وصالح من القـى بيده على الخراج ، وكتب الخراج الى عجم افريقية ، وعلى من اقام معهم من البربـر والروم "(٣)

ثم تعرض حسان فى طريق عودته لعدوان الروم عند "رادس" فلم يضعف انمـا تصدى لهم ورابط فى المدينة الى ان امر الخليفة عامله على مصر عبد العزيز بن مـروان "ان يخرق البحر الى تونس (٤) .. وان يجعل بها دار صناعة وان يعمل المراكب ويستكثر منها ويجاهد الروم فى البر والبحر ، وان يغير على سواحل الروم ويشغلهم عن بـلاد الاسلام "(٦) .

وصدع والى مصر لامر الخليفة ، فوجه حمله من جند مصر وبعث بها الى افريقيـة بعد ان امدها بالعدد والسلاح والسفن . وكان المتوقع ان يتوجه حسان بطلبه الـى والى مصر عبد العزيز بن مروان (٦) مباشرة غير ان ابن عبد الحكم يشير الى توتـر العلاقة بين حسان وعبد العزيز بن مروان حتى ان عبد العزيز عزل حسان وامـره بالقدوم عليه "وبعث اليه اربعين رجلا من اشراف اصحابه وامرهم ان يحفظوا جميـع

---

(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٠
الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٥٧ ـ ٥٨

(٢) يروى ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ قصة الكاهنة وولديها وكذلك
الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٥٧ ـ ٦٤

(٣) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٦٤ ، ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ٢٠١

(٤) تونس يذكرها ياقوت بقوله "انها عمرت من انقاض مدينة كبيرة قديمة يقال لهـا قرطاجنة وكان اسم تونس القديم ترشيش وهى على ميلين من قرطاجنة ويحيط بسورها احد وعشرون الف ذراع وهى الان قصبة بلاد افريقية وبينها وبين سفاقس ثلاثة ايام ومائة ميل بينها وبين القيروان ونحوا منه بينها وبين المهدية وليس بها ماء حار"
معجم البلدان ح ١ ص ٨٩٧ .
ويذكر اليعقوبى . كتاب البلدان ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ انها "على ساحل البحـر وبها دار صناعة وهى مدينة عظيمة .. وكان على تونس سور من لبن وطين وكـان سورها مما يلى البحر بالحجارة "ويذكرها ابن حوقل بقوله " .. وهى قديمة ازلية وكان اسمها فى قديم الزمان ترشيش ، فلما احدث فيها المسلمون من البنيـان سميت تونس وهى مصاقبة لقرطاجنة المشهور امرها بالطيب وكثرة الفواكه وحسنها "
صورة الارض ص ٧٥

(٥) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٦٦ .

(٦) يذكر البكرى ان عبد العزيز بن مروان ارسل الى "حسان الف قبطـى =

جميع ما معه "[١] ويفهم من ذلك انه ربما غضب لان حسان اختص نفسه بالغنائم .

وحين طلب حسان فى حملته الثانية على افريقية عزل عامل برقة ، رفض عبد العزيز قائلا "ماكنت لافعل بعد اذ ضيعتها فاستولت عليها الروم ، فقال حسان . اذن ارجع الى امير المؤمنين فقال عبد العزيز ارجع ."[٢]

من ذلك يتبين ان النزاع الذى نشب بين حسان بن النعمان وعبد العزيز بن مروان[٣] هو الذى دفع بحسان الى طلب النجدة من الخليفة مباشرة .

ثم ارسل الخليفة عبد الملك بن مروان الى عبد العزيز ان يوجه الى افريقية موسى بن نصير ، وهو وان كان قد "قطع افريقية عن عبد العزيز "[٤] كما ذكر ابن الرقيق فان ذلك لا يعنى انقطاع صلة والى مصر بشئون افريقية وانما كان موقفا موقتا بسبب سياسة عبد العزيز تجاه حسان بن النعمان .

وبدأ موسى بن نصير بتعقب البربر[٥] ففتح "قلعة زغوان" التى تقع فى المنطقة بين القيروان وتونس حيث كانوا يشكلون هناك خطرا يتهدد القيروان فهزمهم واسر منهم نحوا من عشرة آلاف نفس بعث بهم الى القيروان[٦] وتعقبهم حتى انتهى الى السوس الادنى

= باهله وولده الى ترشيش وامرهم ان يبنى لهم دار صناعة يصنع فيها المراكب ويجاهد الروم فى البر والبحر وان يغار منها على ساحل الروم فيشغلهم بذلك عن مهاجمة القيروان "البكرى . بلاد افريقية والمغرب ص ٣٨

(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٣ ، الرقيق تاريخ افريقية والمغرب ص ٦٦

(٢) يذكر ابن عبد الحكم ان عامل برقة هذا كان يدعى تليد وكان عبدا لدى عبد العزيز ابن مروان وانه "لما ثقل على الناس امامة تليد بهم لانه عبد فبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فارسل الى تليد يعتقه " .
ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٣

(٣) لعل السبب فى هذه الجفوة التى حدثت بينهما هو غضب عبد العزيز بن مروان من استئثار حسان بالغنائم ، فيذكر ابن الرقيق ان حسان بن النعمان "حين علم ما يراد به فعمد الى الجوهر والذهب فجعله فى قرب الماء وطرحه فى العسكر واظهر ما وراء ذلك"
ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٦٦

(٤) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٦٨
ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣

(٥) ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ ص ٤٠

(٦) ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ ص ٤٠

(٧) ذكر ابن قتيبة سياسة موسى بن نصير فى الخطبة التى اوردها فيقول فيها "ان كل من كان قبلى كان يعمد الى العدو الاقصى ويترك عدوا منه ادنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة "ابن قتيبة ص ٦٦ ويذكر ابن عبد الحكم ان موسى بن نصير قد "انتهت خيله الى السوس الادنى فوطئهم وسباهم وادوا اليه الطاعة وولى عليهم واليا ، احسن فيهم السيرة ."فتوح مصر ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣

وعاد موسى بن نصير الى افريقية ونزل القيروان وسير حمله بقيادة بسر بن ابى [١] ارطــاة الى صاحب قلعة مجانة [٢] فتمكن من فتحها وايقاع الهزيمة بحاميتها البيزنطية وعرفت القلعة باسمه فسميت قلعة بسر [٣] ثم بعث موسى "عياش بن اخيل الى قبائل هوارة وزناتــة [٤] فهزمهم واسر اميرهم وبعث الى عبد العزيز بن مروان [٥] ومعه وجوه الاسرى . وكذلــك بعث بجيش لاخضاع صنهاجة [٦] . وبذلك دان له المغرب الاوسط كله . فارسل ابنه مروان الى السوس الاقصى ، واستسلم البربر ودخل معظمهم فى الاسلام [٧] وجعل على طنجة مولاه طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠م وعاد هو الى القيروان بعد ان ترك مع طارق سبعــة عشر رجلا من الفقهاء يعلمون البربر القرآن وشريعة الاسلام . وينبغى ان نذكر هنا ان انتشار الاسلام بين البربر ساعد الى حد كبير على سرعة الانتصارات الحربية . كما ان اعتماد العرب على قاعدة عسكرية قريبة فى افريقية ـ وهى القيروان ـ سهل عملية الاتصال بين القائـــد ومقر القيادة القريب فى القيروان ، وسهل بالتالى الاتصال بالقاعدة الرئيسية لهذه الفتوحات فى مصر ، والتى كانت ترسل الى القيروان الامدادات العسكرية والمالية .

ومن ثم يتضح اهمية الدور الذى كان لمصر فى امداد حركة الفتوحات فى بلاد المغرب بالجند والسلاح لقربها من بلاد المغرب ، وبعد خطوط المواصلات بين الخلافة وبين بــلاد المغرب ، فكانت مصر تسرع بارسال الجند والاموال اذا طلب اليها ذلك فضلا عن دورهـا فى التخطيط لهذه الفتوحات وتوجيهها .

---

(١) يذكره ابن الرقيق على انه بشر . تاريخ افريقية والمغرب ص ٧٠
ويذكر ابن عبد الحكم انه بسر بن ارطاة . فتوح مصر ص ٢٠٥

(٢) مجانة . ذكرها ياقوت . معجم البلدان حـ ٤ ص ٤١٧ انها "بلد بافريقية فتحــه بسر بن ارطاة وهى تسمى قلعة بسر وبها زعفران كثير .. وبينها وبين القيروان خمس مراحل ومعدن المرتك والحديد والرصاص فى جبل من جنوبها وتقلع حجارة للطواحين تحمل الى القيروان وغيرها من مدن المغرب"
ويذكر ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٥ ان موسى "وجه بسر بن ابى ارطاة الى قلعة من مدينة القيروان على ثلاثة ايام فافتتحها وسبى الذرية وغنم الاموال فــال فسميت قلعة بسر فهى لا تعرف الا به الى اليوم ."

(٣) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ٤١

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة

(٥) ابن قتيبه ص ٧٩ ، ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥

(٦) ابن خلدون . العبر حـ ٦ ص ٢٠٣ ـ ١٠٥ فيذكر .
"ان البربر ارتدوا بافريقية المغرب اثنتى عشرة مرة ورضخوا فى كلها للمسلمين ولــم يثبت اسلامهم الا فى ايام موسى بن نصير ."
ابن خلدون العبر حـ ٦ ص ١٠٣

(٧) وطنجة وصفها ابن حوقل بقوله "مدينة ازلية اثارها مبينة واكثر اموال اهلهــا من الزرع حنطة وشعير وحبوب وماؤها مجلوب اليها فى قنى من مكان بعيد لا يعلم اصله ." صورة الارض ص ٨٠

٢ ـ اثر مصر فى ادارة شئون المغرب فى العصر الاموى .

ظل المغرب على صلة وثيقة بمصر طوال عصر الولاة الامويين ، فقد كانت "ولاية افريقية" وهى اول ولاية انشئت فى بلاد المغرب تابعة لمصر رسميا . فكان نفوذ الوالى الاموى فى الفسطاط يمتد الى القيروان ، وكان مسلمة ابن مخلد الانصارى سنة ٤٧هـ سنة ٦٦٧ م اول ولاة مصر الذين حكوا مصر والمغرب معا [١]

وكانت الملامح الرئيسية الغالبة لسياسة الولاة فى بلاد المغرب فى هذا العصر تتسم بمحاولة توطيد الاخوة والتعاون بين العرب وبين البربر اهل البلاد ، فتمثل ذلك اول الامر فى ابقاء العرب على النظام [٢] القبلى الذى اعتاده اهل البلاد والذى لم يكن يختلف عن النظام العربى الذى عهدوه فى بيئتهم القديمة فاختصت كل قبيلة بخطة تستقر فيها محاولين المساواة بين العرب وبين اهل البلاد ، حتى كان عصر يزيد بن عبد الملك الذى انتهج سياسة الشدة على اهل البلاد المفتوحة ، وعدم رفع الجزية عمن اسلم منهم طمعا فى زيادة ايراد بيت المال ، وعزله اسماعيل بن ابى المهاجر وتوليته يزيد بن ابى مسلم سنة ١٠١ هـ/ ٧١٩ م الذى عامل البربر "بشدة الحجاج فى اهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان اصله من اهل الذمة فاسلم .. فانه ردهم الى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار". [٣] فاستاء البربر من هذه المعاملة ودبروا قتل يزيد بن ابى مسلم بالاتفاق [٤] مع حرسه .

---

(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٩٧ ، البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٦٧

(٢) المالكى . رياض النفوس ص ٣٦ ابن كثير . البداية والنهاية حـ ١ ص ١٨٤ـ١٨٥ الدباغ . معالم الايمان حـ ١ ص ٦
G. Marcais : Les Arabes en Berferie P.39-40.
ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ٢٨ ، ٤٣

(٣) الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٥ ص ١٠٣ ، ابن الاثير اسد الغابة حـ ٤ ص ٨٢

(٤) يذكر ابن عبد الحكم ان يزيد بن حاتم "ارستم فى يد الرجل اليمنى اسمه وفى اليسرى حرس فيعرفوا بذلك من غيرهم فانفوا من ذلك ودبر بعضهم الى بعض فى قتله ." فتوح مصر ص ٢٤ (٢)
ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٩٩

واذعن الخليفة الامرى لرغبة البربر واقر على مضض من اختاروه وهو محمد بن يزيد [١] ثم مالبث ان خلعه واقر امير مصر بشر بن صفوان سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م واليا على افريقية [٢] حتى يضمن استتباب نفوذ المسلمين فى البلاد .

ويتضح كذلك دور مصر فى ادارة شئون المغرب السياسية ، فى استعانة الخليفة "هشام بن عبد الملك " بوالى مصر عبيد الله بن الحبحاب فى قمع حركات البربر التى اشتدت فى عهده ، حتى ان ابن عبد الحكم يصفها بقوله انها "كانت اول فتنة البربر بارض افريقية" [٣]

فوجه عبيد الله بن الحبحاب خالد بن ابى حبيب الفهرى الى البربر بطنجة ومعه وجوه اهل افريقية من قريش والانصار حيث قتل خالد وسميت هذه الواقعة بغزوة "الاشراف" [٤] سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م فتحرج موقف عبيد الله بن الحبحاب وعزل فى نفس السنة فاعد الخليفة هشام بن عبد الملك جيشا لاسترجاع النفوذ العربى ، وولى على المغرب بدلا من ابن الحبحاب رجلا قيسيا هو كلثوم بن عياض القشيرى [٥] وسير معه جيشا كثيفا نزل مصر فانضم اليه ثلاثة آلاف من جندها واقام كلثوم على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفارى ويذكر ابن عذارى ان "كلثوم وجه بلجا لئلا يوقع بالبربر فسرى ليلته واوقع بهم عند الصباح فخرجوا اليه عراة فهزموه ووصلوا الى كلثوم " [٦]

وحين يروى ابن الرقيق القيروانى تفاصيل هذه الواقعة نراه يشير الى انقسام العرب الى فريقين حيث يقول [٧] "مال اهل افريقية الى ناحية ومعهم اهل مصر ومال

---

(١) ابن خلدون . العبر جـ ٤ ص ١٨٨

(٢) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢١٥

(٣) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢١٨ ، البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٧٣ ، ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ ص ٥٢

Provencal : Histoire de l'Espagne Musulmane Vol.I. P. 28-29

(٤) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢١٨

(٥) ابن القوطية . تاريخ افتتاح الاندلس ص ١٤ ، اخبار مجموعة ص ٣٠

(٦) ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ ص ٥٧ اذ يذكر عدد الجيش بانه كان الف محارب ويتفق معه فى ذلك ابن القوطية . تاريخ افتتاح الاندلس ص ٤١ ويذكر المقرى ان عدد الجيش كان سبعين الفا . نفح الطيب جـ ٤ ص ١٢ ، ابن خلدون العبر جـ ٤ ص ١٨٩

(٧) ابن الرقيق . تاريخ افريقية ص ١١٣

اهل الشام الى ناحية "[1] ثم سعى بينهما بالصلح . ولا يفوتنا هنا ان نذكر ان غالبية القبائل العربية في مصر كانت من العرب اليمنية[2] ولذا كانت مصر - لقربها - ومجاورتها لبلاد المغرب وللدور الذى اوضحناه فى فتوحها وادارتها قد اثرت فى التكوين السكانى فى افريقية حيث انتقل اليها من مصر كثير من بطون القبائل العربية بها كما سوف نبين فى الباب الثانى من هذا البحث .

"كانت اغلبيته القبائل العربية فى افريقية اذن من اليمنية الذين كانوا يقفون من العرب القيسية موقف التعصب والعداء . ولما كان كلثوم بن عياض[3] قيسيا فقد كان عليه ان يجابه موقف اهل افريقية الذى تسبب هلاكه مع سوء رأى ... وكان صفريا يعبد الله ."[4]

ويستلفت نظرنا هنا فى رواية ابن الرقيق وصفه لكلثوم ابن عياض القشيرى بانه كان صفريا مما يقودنا الى تتبع حركات الخوارج فى بلاد المغرب ، التى اخذت فى الانتشار منذ اواخر القرن الاول الهجرى واوائل القرن الثانى . ولعل اشارة ابن خلدون الى انتشار مبادئ الخوارج بين البربر تبين كيف انتقلت اليهم تلك المبادئ من المشرق الاسلامى اذ كانت بلاد المغرب اهم المناطق التى وجد

---

(١) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١١٣

(٢) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٢٣ ، ١٢٦
الكندى . الولاة والقضاء ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٤٠٢ - ٤٠٣
ابن دقماق . الانتصار حـ ٤ ص ٤

(٣) ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ١٨٩
ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١١٢
ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٢٠ - ٢٢٢

(٤) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١١٢ - ١١٤ ، ابن الاثير سد الغابة حـ ٥ ص ٧٠ . والصفرية احد فرق الخوارج وهم اتباع زياد بن الاصفر وهم اشهر فرق الخوارج واشدهم اذ راوا فى المخالفين لهم انهم خرجوا عن الاسلام وساووا بينهم وبين الكفار . الشهرستانى . الملل والنحل حـ ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٧ ص ٢٤٨ ، البلاذرى . انساب الاشراف حـ ١١ ص ٨٢ - ٨٣ ، الرازى . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٢١ - ١٢٢

Marcais G., la Berberie Musulamne P. 48,

Mercier .Histoire de l'Afique septentrional VOl. I. P. 236-238

فيها دعاة الخوارج ـ لبعدها عن مقر الخلافة فى الشرق ـ فرصة لبهو مبادئهم واستعادة قوتهم . فيذكر ابن خلدون "ولما فشا دين الخارجية فى للعرب وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤوس الخارجية فى احكامهم من اباضية وصفرية وغيرهما"(١)

وقد وجد المسلمون من البربر فى مبادئ الخوارج ـ التى تنص على ان الامامة حق متاح لكل مسلم وليست حكرا للعرب وحدهم ـ تعبيرا عن نزعتهم الاستقلالية(٢) ـ فنمت(٣) شخصية المغرب المستقلة فى ثورة الخوارج التى اشتعلت بالبلاد قبل سقوط الخلافة الاموية بنحو عشر سنوات اى سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م . وظهر ذلك واضحا فى ولاية عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م حيث كان لبعض الدعاة من الشيعة(٤) والخوارج(٥) يد فى تحريك ثورات البربر فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة الاموية تعانى من اشتداد صراع الاحزاب المناوئة لها .

ولابد ان نشير الى ان هذا المد كان يصل الى بلاد المغرب عن طريق مصر التى تأثرت واثرت فى هذه الحركات .

وكانت حركات الخوارج هذه فى مصر صدى لتلك الحركات التى عمت انحاء الدولة الاسلامية فى ذلك الوقت فتأثرت بها واثرت بدورها فى بلاد المغرب ، اذ لاقت آراء الخوارج ميلا من البربر . فحين بلغ هشام بن عبد الملك قتل عامله كلثوم بن عياض واصحابه كما ذكرنا بعث الى افريقية حنظلة بن صفوان وكان عامله على مصر(٦) سنة ١٢٤ هـ / سنة ٧٤١ م . الا ان الامر لم يستتب له فى القيروان اذ سرعان ما هاجمته جموع من البربر يقودها عكاشة الصفرى الخارجى ... "فى عسكر لم يرا اهل افريقية مثله قط من البربر ولا اكثر منه"(٧) من ناحية مجانة(٨) فنزل "القرن" وهو بظاهر القيروان ، بينما حاصرته قوة

---

(١) ابن خلدون . العبر جـ ٧ ص ١١ . كما يذكر .. "فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب فاذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعوا بالعراق وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الاباضية والصفرية . ابن خلدون جـ ٦ ص ١١

Vonderheyden: la Berberic oriental. P. 4 – 5
Marcis, G.: la Berberie Musulman P. 139-140.

(٣) ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ ص ٣٨
دكتور حسن احمد محمود . قيام دولة المرابطين ص ٦٥

Dozg: Spanish jslam. P 85 – 86
Prorencal. E.L. Historire de l'espagne musulmane Vol.I. P.40-42

(٤) ابن الرقيق . تاريخ افريقية ص ١١٤

(٥) ابن الاثير . اسد الغابة جـ ٥ ص ٧٠ والشهرستانى . الملل والنحل جـ ١ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ، الطبرى . تاريخ الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٤٨

(٦) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١١٤ ـ ١١٥

(٧) المصدر السابق ص ١١٥ ابن الاثير جـ ٥ ص ٧٠ ، ابن خلدون . العبر جـ ٧ ص ١٢ النويرى . نهاية الارب جـ ٢٢ ص ١٥ أ ، ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ ص ٦٢

(٨) مدينة تبعد عن القيروان باربع مراحل "وبها معادن الفضة والكحل والحديد والمرتك والرصاص بين جباب وشعاب واهلها قوم يقال لهم السناجرة ويقال لهم السناجرة يقال ان اولهم من سنجار من ديار ربيعة وهم جند للسلطان وبها اصناف من العجم من البربر وغيرهم" اليعقوبى . كتاب البلدان ص ٣٤٩

اخرى من البربر بقيادة عبدالواحد بن يزيد الهوارى من ناحية الجبال ، فراى حنظلة ان يبدأ بقتال عكاشة قبل ان يطبق عليه ، وفعلا استطاع ان يدحرهم ويلحق الهزيمة بقائدهم الخارجي [(١)]، وتمكن حنظلة بن صفوان من ان يلحق الهزيمة ايضا بعبد الواحد بن يزيد الهوارى حين [(٢)] التقيا عند منطقة تدعى "الاصنام" [(٣)] على بعد ثلاثة اميال من القيروان واعد حنظلة لهذه المعركة كل طاقته [(٤)] وهزم الخوارج فى هذه الموقعة وانتهوا الى جلولاء وكان عبدالواحد قد تمكن من اخذ تونس وبويع له بالخلافة فيها [(٥)]

وبذلك كان انتصار حنظلة بن صفوان فى موقعتى "القرن" و "الاصنام" يمثل الجهود التى بذلها ولاة مصر فى توطيد الحكم العربى فى بلاد المغرب ، وانتصارا للخلافة الاموية على اعدائها من الخوارج .

---

(١) يصف ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١١٧ هذه المعركة بقوله "وكانت النساء قد ركبن ظهور البيوت بالقيروان فان راين الغبار سائرا الى الجبل كبرن وسجدن واذا راينه مقبلا صرخن واستغثن فبعث حنظلة البشير بهزيمة البربر وانصرف راجعا الى القيروان خوفا ان يخالفه عبدالواحد اليها ".
وذكر هذه الواقعة ايضا ابن الاثير الكامل حـ ٥ ص ١٧١ ، ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٩٩ ، ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ٦٣ ، المالكى . رياض النفوس حـ ١ ص ١٤٣ – ١٤٤

(٢) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٢٢

(٣) يذكر ابن عبد الحكم انه "لما راى حنظلة ما غشيهم من جموع البربر مع الفزارى وعبد الواحد احتفر على القيروان خندقا وزحف اليهم عبد الواحد وكتب الى حنظلة يامره ان يخلى له القيروان ومن فيه فاسقط فى ايديهم وظنوا انهم سيسبوا حتى ان كان حنظلة ليبعث الرسول منهم ليأتيه بالخبر ... فلقيهم بالاصنام فهزم الله عبدالواحد وجمعه وقتل ومن معه قتل ما يدرى ما هو وهرب من هرب منهم .. فلما فتح لحنظلة عاجل عكاشة الفزارى من ليلته فقاتله بالقرن ولم يكن بلغ عكاشة هزيمة عبد الواحد فهزمه الله ومن معه "فتوح مصر ص ٢٢٢

(٤) يصف الرقيق كيف هيأ حنظلة نفوس جنده وعبأها ضد الخوارج فيقول "واذا بقصاص وقراء من اهل العلم والدين والفقه تفرقوا فينا (يقصد فى صفوف الجند) وحرضوا على الجهاد وذكروا فضله وذكروا مذهب عدونا الخوارج وعظم ما يريدونه بنا من سبى الحريم وسفك الدم وانه ليس ملجأ بعد هذا المقام .. ومشى حنظلة على الصفوف واقبلوا يحرضون الناس ويرغبون فى الجهاد وخرج نساء القيروان فعقدن الالوية واخذن معهن السلاح وعزمن على القتال . فنهض الناس للقتال"
تاريخ افريقية والمغرب ص ١٢٠

(٥) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٢٢ ، ابن عبدالحكم . فتوح مصر ص ٢٢٢ وان كان يذكر ان حنظلة بدأ بحربه لعبد الواحد ثم اعقب ذلك بحربه لعكاشة بالقرن اذ يقول . "ولم يكن بلغ عكاشة هزيمة عبدالواحد فهزمه الله ومن معه ."
ابن عبدالحكم . فتوح مصر ص ٢٢٢

٣ ـ أثر مصر في ادارة شئون المغرب في العصر العباسي .

كان لمصر في العصر العباسي دورها في قمع ثورات الخوارج في بلاد المغرب فقد استعان الخلفاء العباسيون بولاة مصر في قمع تلك الثورات التي كانت تهدد الحكم العباسي في افريقية والمغرب ، والتي اخذت تشتد بانقراض آل حبيب الفهري هناك اذ انتهز الخوارج الاباضية (١) في المناطق التابعة لطرابلس الفرصة وبايعوا ابا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري اماما عليهم سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وامتد نفوذهم حتى المغرب الاوسط ، وتمكن الخوارج الصفرية من اخضاع القيروان بزعامة عبد الملك بن ابي الجعد ودخلها برير " ورفجومه " (٢) فاستباحوها بينما خضع المغرب الاقصى للخوارج ـ الصفرية (٣) وكادت بلاد المغرب تخرج عن طاعة الخلافة العباسية .

وازاء هذا الموقف جعل الخليفة ابو جعفر المنصور والي مصر " محمد بن الاشعث الخزاعي " واليا على مصر وافريقية معا وسير من مصر جيشا بقيادة ابي الاحوص عمر ابن الاحوص لاسترجاع المغرب (٤) مما ادى الى رجوع عبد

---

(١) الخوارج الاباضية احد فرق الخوارج وهم اتباع عبد الله ابن اباض التميمي وهم معتدلون لم يشتطوا في الحكم على مخالفيهم . ويذكر الدرجيني . أن " اول من جاء بطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان افريقية سلمة بن سعيد " طبقات الاباضية حـ ١ ص ٦ ـ ٧ أ ، ابن رستة . الاعلاق النفيسة ص ٧/ ٢ الشهرستاني . الملل والنحل ص ١٢٢ ويرون ان ظهور الاباضية شأنها شأن الصفرية كان عندما خالف عبد الله ابن اباض نافع بن الازرق في تكفيره للقعدة عن القتال متخذين بذلك موقفا معتدلا . الطبري . تاريخ الامم والملوك حـ ٦ ص ٣٢٠ ويرجع الفضل في تنظيم الدعوة الاباضية الى جابر بن زيد ثم الى عبيده مسلم بن ابي كريمة الذي داع صيته وعن طريق داعيته سلمه بن سعيد في اوائل القرن الثاني تمكن من نشر دعوته بين البربر واكتسب مؤيدين له في اقليم طرابلس وجبل نفوسة وتلاه في تنفيذ الدعوة ابو عبد الله محمد ابن عبد الحميد بن مغيطر حيث تم له اكتساب انصار ومؤيدين من بربر نفوسة ثم في بقية القبائل مثل هوارة وزناتة فدان كثير منها بمذهب الخوارج الاباضية الشماخي . السير ص ١٤٣ ـ ١٤٤ الدرجيني . طبقات الاباضية حـ ١ ص ٦ ، ٧ البغدادي . الفرق بين الفرق ص ٨٢ ـ ٨٣

(٢) ابن الاثير . حـ ٤ ص ٢٨١ ، ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٤١ يذكر ذلك بقوله . " ولما حكمت ورفجومه على القيروان قتلوا من كان بها من قريش وساموهم سوء العذاب وربطوا دوابهم في المسجد الجامع وندم الذين اعانوهم ودعوهم اشد ندامة "
السلاوي . الاستقصا حـ ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ . " ورفجومه احد بطون قبائل نفزاوة البربرية . ابن عذاري . البيان المغرب حـ ١ ص ٨٠ ويذكر ابو العرب محمد بن تميم القيرواني . طبقات علماء افريقية وتونس ص ٣٠ ـ ٣١ انه " لما غلبت البربر على القيروان وفد الى الخليفة (المنصور) رجال قال عبد الرحمن فكنت انا فيهم قال فلما صرت اليه قال لي . كيف رايت ما وراء بابنا فقلت له . رايت ظلما فاشيا وامرا قبيحا " وعبد الرحمن هذا هو عبد الرحمن بن زياد بن انعم احد علماء القيروان الذين تولوا منصب القضاء بها الى ان عزله يزيد بن حاتم . ابو العرب تميم . طبقات علماء افريقية ص ٢٩

الاعلى بن السمح المعافرى عن القيروان والتقى بابى الاحوص عند "سرت" وهزمه فتراجع ابو الاحوص عمر بن الاحوص الى مصر (١) فبعث المنصور الى محمد بن الاشعث والى مصر وافريقية ـ بان يتوجه بنفسه لدرء الخطر الماثل فى افريقية ، فاعد من مصر جيشا جهزه باحسن العدد وزوده بخيرة القواد (٢) وتقدم به الى افريقية وعسكر بجنده عند "تاورغا" (٣) ونشب القتال بين الفريقين ودارت الدائرة على "ابى الخطاب عبد الاعلى ابن السمح المعافرى" زعيم الاباضية فقتل (٤) مع آلاف من جنده وتعقب جيش ابن الاشعث فلولهم (٥) التى تراجعت الى "زويلة" و "ودان" فارسل اليهم قائده اسماعيل ابن عكرمه الخزاعى فقضى على كثير منهم . كما استطاع قائده الاخر "المخارق بن غفار" ان يضرب على ايدى الخوارج فى طرابلس (٦) ففرق شملهم .

وادى انتصار محمد بن الاشعث سنة ١٤٤ هـ/ ٧٦١م الى استعادة نفوذ الخلافة العباسية فى البلاد بعد ان سيطر الخوارج الاباضيون على افريقية والمغرب الادنى ما يقرب من اربع سنوات وان كان نفوذهم قد بقى فى المغرب الاوسط والاقصى

= ٣ ابن عذارى . البيان حـ ١ ص٦٠ ، ٦١ ، ابن الخطيب . اعمال الاعلام حـ ٣ ص١٨٣ ـ ١٨٤

= ٤ ابن عذارى . البيان حـ ١ ص٦٠ ـ ٦١ ، ابن الاثير حـ ٤ ص٢٨١
ومن الملاحظ ان ابن الرقيق وابن عبد الحكم لم يوردا ولاية محمد بن الاشعث واحتفظ ابن عذارى بما نقدناه فى ابن الرقيق .

(١) الشماخى . السير ص ١٣٠

(٢) ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير حـ ٥ ص١١٨ حشد ابن الاشعث فى جيشة من القواد العظام ثمانية وعشرين قائدا من بينهم الاغلب بن سالم التميمى والقائد هلال الفارسى والمخارق بن غفار الطائى ، النويرى . نهاية الارب حـ ٢٢ ص١٩ ـ ٢٠أ .

(٣) تاورغا باقليم سرت على مسافة ثمانية ايام من طرابلس . ابن حوقل صورة الارض ص ٧٠ ـ ٧١

(٤) النويرى . نهاية الارب حـ ٢٢ ورقة ١٩
ابن عذارى . البيان حـ ١ ص٨٤
الشماخى . السير ص ١٣٣ ـ ١٣٤
ابو زكريا . السيرة واخبار الائمة ص ١٠ ـ ١١
الدرجينى . طبقات الاباضية حـ ١ ص ١٥ ـ ١٦أ

(٥) ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ١٩٣ ، النويرى . نهاية الارب ورقة ١٩ ، ٢٢
ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص١٤١
ابن عذارى . البيان حـ ١ ص٨٤ ، السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص١١٦

(٦) النويرى . نهاية الارب حـ ٢٢ ص١٩ ـ ٢٠أ
ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ٨٣ ـ ٨٤
ابن الاثير . حـ ٤ ص ٢٨١

الا ان امر افريقية لم يستتب اذ سرعان ما انتقلت اليه مظاهر الصراع بين العصبيــة اليمنية والقيسية فثار على ابن الاشعث – وهو من العرب اليمنية – معظم عسكره الذيـن كانوا من العرب المضرية [(١)] بقيادة هاشم بن الشاحج الذى فر الى تاهرت وجمع لــه جموعا من المغاربة سار بهم الى "تهوده" وتمكن ابن الاشعث من الحاق الهزيمة بهم سنة ١٤٧ هـ / سنة ٧٦٤م . الا ان المضرية سارعت بالانقضاض على ابن الاشعـث واتفقوا على خلعــه وقلدوا ولاية افريقية لعيسى بن موسى بن عجلان الخراسانى [(٢)]

وهكذا اضطربت الامور بافريقية ... ولم يكن الامر فى الواقع الا انعكاســا للاوضاع السياسية القائمة فى مصر فى ذلك الوقت . اذ نجد انه فى امارة حمد بن قحطبه ١٤٣ – ١٤٤ هـ / ٧٦٠ – ٧٦١م من قبل الخليفة العباسى ابو جعفر المنصـور [(٣)] قدم الى مصر "على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن ابى طالب" يدعو لابيه فقد كان ابوه "محمد ابن عبد الله "المعروف بالنفس الذكية ، قد دعا لنفسه سرا فى خلافة المنصور ، ولم يتخذ الوالى العباسى حمد بن قحطبة موقفا حازمــا فى هذه الدعوة مما يوحى بميوله الشيعية ، فاضطر الخليفة ابو جعفر المنصور الـــى عزله وتولية يزيد بن حاتم بن قبيصة [(٤)] ابن المهلب بن ابى صفرة ليقاوم دعوة بنى الحسن بن على التى

---

(١) ابن الاثير . حـ ٤ ص ٢٨٢ ، ابن الابار . الحلة السيراء حـ ١ ص ٦٩ – ٧٠

(٢) ابن الاثير . حـ ٤ ص ٢٨٣
السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص ١١٦
ابن خلدون . العبر حـ ٦ ص ١١٢ – ١١٣

(٣) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٥٠ – ١٥١ ، ويذكر الكندى . الولاة والقضاه انه "قدم الى مصر على بن محمد بن على بن عبد الله بن حسن بن حسن فى امرة حميد بن قحطبة داعية لابيه وعمه فنزل على عسامه بن عمرو المعافــرى فذكر ذلك لصاحب السكة لحميد بن قحطبه وقال . ابعث اليه فخذه فقال حميـد . هذا كذب . ودس عليه فتغيب ثم بعث اليه من الغد فلم يجده فقال لصاحـب السكه . الم اعلمك انه كذب . وكتب بذلك صاحب السكة الى ابى جعفر فعزلــه وسخط عليه ثم صرف حميد عنها فى ذى القعدة سنة اربع واربعين ومائة .
الكندى . الولاة والقضاه ص ١١١

(٤) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٥٠ – ١٥١ ويذكر الكندى . الولاة والقضاه ص ١١١ – ١١٢ "وفى ولايته ظهرت دعوة بنى حسن بن على بمصر وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لعلى بن محمد بن عبد الله بن حسن به عبد الله بن حسن وهو اول علوى قدم مصر واقام بامر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعه بن حبيش الصدفى وكان جدة ربيعة بن حبيش من خاصة على بن ابى طالب رضى الله عنه وشيعته وحضر الدار فاستشار خالد بن سعيد اصحابه الذين بايعوا له وفيهم وجيه بن مصعب ... فاشار عليه وجيه بن مصعب بن الاصبع ان يبيت يزيد بن حاتم فى المعسكر فيضرم عليه نارا ... وقال اهل الديوان ترى ان تحوز بيت المال ..

انتشرت فى مصر لحين بايع كثيرون من اهلها عليا بن محمد .

ونجح يزيد بن حاتم فى هذه المهمة ، وهيمن على الامور فى مصر ، يؤكد بن الرقيق ذلك بقوله . " وولى ابو جعفر يزيد ابن حاتم مصر ... وكان ابو جعفر عالما بالمغرب خائفا عليه وكان لا يبعث اليه الا اهل ثقة من ذوى الرأى الاصيل والخطر الجليل . قال يزيد بن حاتم . لما ولانى المنصور مصر دخلت عليه وكنت لا احجب عنه فقال يا ابا خالد بادر هذا النيل قبل خروج الرايات الصفر واصحاب الرايات البتر (١)

ونتبين من هذه الرواية حرص الخليفة على المبادرة بقمع ثورات الخارجين على الخلافة العباسية من انصار دعوة بنى الحسن ، حتى لا تجد العناصر المناوئة للخلافة فى المغرب من الخوارج الصفرية المؤيدة بقبائل البربر البترية ملجأ قريبا لها فى مصر فتنشغل الخلافة بالتصدى للجانبين معا ، الامر الذى يزيد العبء على الخلافة ويشتت جهودها . وهذا يوضح مدى تأثر المغرب بالحركات السياسية فى مصر ويبين ايضا مدى تأثر مصر بأوضاع الاحزاب السياسية فى بلاد المغرب .

لذلك استعان الخليفة بيزيد (٢) بن حاتم فى اقرار الامور فى بلاد المغرب ، فقدمها (٣) ووصل الى طرابلس ولقيه فيها عمرو بن عثمان ومن معه من الجند " فقتل من البربر خلق كثير "(٤) فتوجهوا الى تونس بينما اتجه فريق آخر نحو الشرق فتتبعهم ودخل يزيد

= وسار خالد بن سعيد فى الذين معه وعليه قباء خز اصفر وعمامة خز صفراء وعمد الى المسجد الجامع فى نصف الليل فانتهبوا بيت المال ثم تغايروا عليه بسيوفهم فلم يصل منهم اليه الا اليسير ... وقتل فى تلك الليلة كلثم بن المنذر الثلبى .. وكان القتلى تلك الليلة من اصحاب خالد ثلاثة عشر رجلا . " الكندى . الولاه والقضاه ص ١١٣ ـ ١١٤ ، المقريزى . الخطط حـ ٢ ص ٣٣٨

(١) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٥١ . ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ٩٤ ، ابن الاثير . حـ ٥ ص ٢٢٢

(٢) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٤٨ ، اليعقوبى . تاريخ اليعقوبى ص ١٢٠ ، البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٧٥ ، ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ٩٤
ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ١٩٥

(٣) كان الخوارج الاباضية بعد هزيمتهم سنة ١٤٤ هـ عقب معركة تاورغا قد اخذوا فى العمل فى تستر وكتمان تحت زعامة يعقوب بن حبيب المعروف بابى حاتم سنة ١٤٥ هـ الى ان قويت شوكتهم فخرجوا على جند طرابلس والوالى العباسى وبطشوا باهل طرابلس ثم دخلوا القيروان فاحرق ابوابها وثلم سورها " ابن خلدون حـ ٤ ص ١٩٣
ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٤٧

(٤) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٤٨

ابن حاتم القيروان "وبث خيوله في طلب الخوارج فقتلهم في كل سهل وجبل "[1]

ومن القيروان بعث يزيد بن حاتم بالمخارق بن غفار الى آخر الزاب فنزل "طبنه" وكان بها عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري الا انه انشق عن ابن حاتم ونزل "كتامه" فكتب يزيد الى المخارق[2] بالمسير اليه فسار حتى نزل بكتامه وضم اليه يزيد قوادا من اهل خراسان واهل الشام ، وظل المخارق محاصرا له ثمانية أشهر فبعث يزيد بالعلاء بن يزيد المهلبي فسار حتى دخل القلعة التي اعتصم بها عبد الرحمن من موضع غير الموضع الذي نزل به المخارق ، ودخل المخارق من الناحية التي كان بها ، فهرب عبد الرحمن وقتل جميع من كان معه واتجه العلاء الى القيروان . والمخارق الى طبنه وهرب البربر من كل ناحية ، فلم تزل البلاد هادئة في ايامه الى ان بلغه خروج ورفجومة فارسل اليهم[3] ابن مجزأة المهلبي واستطاع العلاء بن سعيد[4] ان يهزم البربر فولاه يزيد على طرابلس وولى ابنه محمد على الزاب وكتامة .

وبذلك كان ليزيد بن حاتم الفضل في استقرار[5] الاوضاع السياسية في المغرب والقضاء على ثورات الخوارج التي كادت ان تقضي على نفوذ الخلافة العباسية بعد ان نجح في مثل تلك المهمة في مصر من قبل . وقد كان لوقوف والى مصر اذ ذاك محمد بن عبد الرحمن الى جانب يزيد بن حاتم ودعمه بالاموال والسلاح اكبر الاثر في نجاح مهمته وتمكنه من ارجاع القيروان لسلطان الخلافة العباسية[6] ودرأ خطر حركات الخوارج في افريقية والمغرب الادنى .

---

(١) لما راى ابو حاتم شدة بأس يزيد بن حاتم وجيشه لجأ الى الاعتصام بجبل نفوسه وحفر الاباضيون هناك خندقا وتمكن يزيد بن حاتم من اجتياز الخندق وقتل ابو حاتم ومن معه . الدرجيني . طبقات الاباضية حـ ١ ص ١٨ ، ٢٩ الشماخي . السير ص ١٣٩ — ١٤٠ ، ابن الاثير . حـ ٥ ص ٢٢٣ ، النويري نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢٢ — ٢٣

(٢) ابن الرفيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٦١
ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ١٩٢ — ١٩٣
ابن عذاري . البيان المغرب حـ ١ ص ٩٤ — ٩٥
ابن الاثير . حـ ٥ ص ٢٢٣ — ٢٢٤

(٣) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٦١
الدرجيني . طبقات الاباضية حـ ١ ص ١٨٠ — ١٨١
النويري . نهاية الارب حـ ٢٢ ورقة ٢٢ — ٢٣ أ ، ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ١٩٣
اليعقوبي . تاريخ اليعقوبي ص ١٢ — ١٣

(٤) ابن خلدون . العبر حـ ٦ ص ١١٣

(٥) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٢٣ — ٢٤ ، ابن الرفيق تاريخ افريقية والمغرب ص ١٦٠ — ١٦١ ، البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٧٥

(٦) البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٧٥ ، ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٢٣ — ٢٤
ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٦٠ — ١٦١
ابو زكريا . كتاب السيرة واخبار الائمة ورقة ٩

٤ ـ قيام الامارات المستقلة فى المغرب وعلاقات مصر بها خلال عصر الولاة ؟

شهد العصر العباسى قيام الامارات المستقلة فى الشرق والغرب ، فلم تعد الخلافة العباسية فى ذلك الوقت قادرة على ان توازن [١] بين القوة المركزية فى بغداد وبين القوى اللامركزية النامية فى اقاليم الدولة العباسية نتيجة انتشار الاسلام ومطالبة المسلمين فى الامصار بمزيد من الحقوق والنفوذ .

وبقيت ـ رغم ظهور تلك الامارات المستقلة ـ فكرة الخلافة الاسلامية قائمة ، فكان حكام الامارات المستقلة يعترفون لها بالسيادة العليا ويقدمون الدعاء [٢] للخليفة فى المساجد وينتظرون اعترافه بولايتهم حتى تصبح لها الصفة الشرعية ، فقامت محاولات فى مصر وافريقية للاستقلال عن الخلافة العباسية .

فقد وجد الخوارج فى اسلوب الانفصال عن الدولة العباسية وتكوين امارات مستقلة وسيلة عملية للرد على مقاومة الخلافة لهم فى افريقية ، وهو اسلوب عرفته الامصار الاسلامية الاخرى ويتمثل فى تحقيق الاستقلال الذاتى فى نطاق التبعية الشكلية للخلافة العباسية .

ويذكر المؤرخون [٣] ان امر الخوارج بالمغرب لم ينته باستعادة محمد بن الاشعث للقيروان سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م ولا بجهود يزيد بن حاتم الماثلة ضد الخوارج فقد اصبح سلطان الخلافة العباسية لا يتعدى نهر الزاب ، واستقل المغربين الاوسط والاقصى عن سلطان العباسيين .

والباحث فى احوال مصر السياسية قبيل قيام الدولة الطولونية بها يجد تشابها كبيرا بينها وبين احوال بلاد المغرب قبل قيام دولة الاغالبة فى افريقية والرستميون فى المغرب الاوسط ، والادارسة فى المغرب الاقصى .

فقد قامت فى مصر محاولات للخروج على سلطان الخلافة ظهرت بوادرها منذ ان خرج "دحية بن مصعب بن الاصبغ" فدعى لنفسه فى صعيد مصر [٤] واستقل عن الامير بالفسطاط ابراهيم بن صالح ١٦٥ ـ ١٦٧ هـ / ٧٨١ ـ ٧٨٣ م . وحين عجز

---

(١) دكتور حسن احمد محمود . العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩

(٢) مسكويه . تجارب الامم حـ ٦ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

(٣) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٦٠ ـ ١٦١
ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ٨٣
السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص ١١٤ ـ ١١٥
الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٦ ص ٤٦٠ ـ ٤٦١

(٤) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٥
الكندى . الولاة والقضاه ص ١٩٦ ـ ١٩٨

الوالي عن القضاء عليه عزله الخليفة ، وبعد محاولات متكررة تمكن الوالي العباسي الجديد الفضل بن صالح بن علي ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م من القضاء[1] على حركته رحية واسترجاع الصعيد .

وقد لاقت الدعوة العلوية في مصر ايضا ارضا خصبة ، فقد ظهرت فيها منذ عهد ابي جعفر المنصور ١٣٦ ــ ١٥٨ هـ/ ٧٥٣ ــ ٧٧٤ م فقدم "على بن محمد" يدعو لابيه محمد بن عبدالله المعروف "بالنفس الذكية "وبايعه كثيرون من اهل مصر[2] كما جاء الى مصر خلال هذه الفترة كثيرون من العلويين فرارا من الاضطهاد ، ومنها تطلعوا الى بلاد المغرب حيث وجدوها ارضا ممهدة ، فضلا عن كونها بعيدة عن مركز الخلافة العباسية في بغداد التي دأبت على تعقب الامويين واستئصال شأفتهم[3] مما اضطرهم الى الهرب والاختفاء[4] . وقد عمد الخلفاء العباسيون الى كثرة تغيير الولاة في مصر خشية ان يطمعوا في الاستقلال بالبلاد ، كما استخدموا البريد للتجسس عليهم .

وقد استطاع السرى بن الحكم[5] ، منتهزا فرصة النزاع بين الخليفة الامين والمأمون وما صحب ذلك من اضطراب الامر في بداية[6] عهد المأمون ان يكون لنفسه ولاسرته

---

(١) الكندى . الولاة والقضاة ص ١٩٦ ــ ١٩٨
ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٨٢ ــ ٢٨٥

(٢) الكندى . الولاة والقضاء ص ١٩٧ ــ ١٩٨
المقريزى . الخطط حـ ٢ ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠
ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٨٣ ــ ٢٨٥
ويذكر الكندى . "وفي ولايته (يقصد ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة سنة ١٤٤ هـ) ظهرت دعوة بنى حسن بن على بمصر وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لعلى بن محمد بن عبدالله بن حسن بن عبدالله بن حسن وهو اول علوى قدم مصر ... ، وقام بامر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفى "
الكندى . الولاة ص ١١١

(٣) ابن طباطبا . الفخرى في الاداب السلطانية ص ١٦٠ ــ ١٦١ .
الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٦ ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣
الجهشيارى . كتاب الوزراء والكتاب ص ١٥١

(٤) استطاع عبدالرحمن بن معاوية بن هشام ان يفر الى مصر ومنها الى الاندلس .
ابن الاثير . حـ ٥ ص ١٦١
اليعقوبى . كتاب البلدان حـ ٣ ص ٩٢ ــ ٩٣
ابو المحاسن . النجوم حـ ٢ ص ٤٠

(٥) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥

(٦) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥
الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ١٠ ص ١٣٨ ــ ١٣٩ ، ١٧٤ ــ ١٧٥
ويذكر الكندى تولية جابر بن الاشعث الطائى لمصر من قبل الامين سنة ١٩٥ هـ =

فى مصر حكما شبه مستقل دام عشر سنوات فى الفسطاط والصعيد • بينما استطاع عبد العزيز بن الوزير الجروى ان يستولى على شرق الدلتا ثم على الدلتا كلها وجزءا من الصعيد •

بينما غلبت قبيلتى لخم وجذام على غرب الدلتا والاسكندرية التى تعرضت فى ذلك الوقت لغارات [(١)] الاندلسيين الذين نفاهم الامير الحكم بن هشام سنة ٢٠٠ هـ/ ٨١٥م فتحالفوا مع اللخميين والصوفية فاسقطوا الحكم العباسى عنها وولوا على المدينة احد الصوفيين وهو ابا "عبد الرحمن الصوفى "الى ان تمكن عبد الله بن طاهر قائد المأمون من استرجاع الاسكندرية سنة ٢١٢ هـ/ ٨٢٧م ، وصالح ابن طاهر الاندلسيين على ان يسيرهم من الاسكندرية حيث يريدون فنزلوا جزيرة كريت [(٢)] وظلت الاسكندرية طوال تلك الفترة منفصلة عن بقية مصر •

= فيقول "وكان جابر بن الاشعث لينا محببا الى الناس من العامة والخاصة وخلع محمد الامين اخاه من ولاية العهد وترك الدعاء له على المنابر وعهد محمد الى ابنه موسى الذى يقال له الشديد ودعا له فتكلم الجند بينهم فى خلع محمد غضبا للمأمون فاول من تكلم فيه منهم بمصر محمد بن صغير والسرى ابن الحكم بن يوسف ودنا اهل خراسان فى خلع محمد والعقد للمأمون فبايعهما على ذلك نفر يسير ثم تكلم بذلك من اهل مصر زرعة بن معاوية ابن قحزم الخولانى وابنه الحارث وهاشم بن عبد الله بن حريج ٠٠٠ واقبل السرى بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد ٠٠٠ فكان اول دخوله الى مصر انه كان من جند الليث بن فضل دخلها فى ايام الرشيد وكان قليل الامر فارتفع ذكره بقيامه فى خلع محمد وكتب المأمون الى اشراف اهل مصر يدعوهم الى القيام بدعوته "الكندى • الولاة والقضاه ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ، ١٥١

(١) يذكر الكندى انه "كانت بالاسكندرية مراكب للاندلسيين قد قفلوا من غزوهم فنزلوا الاسكندرية ليبتاعوا ما يصلحهم ٠٠ وكان الامراء لا تمكنهم من دخول الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم ، فلما عزل عمر بن هلال كتب اليه عبد العزيز الجروى يامره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء له بها " ثم يتحدث عن ولاية السرى بن الحكم لمصر سنة ٢٠٠ هـ "فاقبل الاندلسيون الى ابن هلال فكان بلغهم عنه بعض الفساد فامر عمر باخراجهم من الاسكندرية والحاقهم بمراكبهم فاضطغنوا ذلك عليه وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يامرون بالمعروف فيما يزعمون ويعارضون السلطان فترأس عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفى فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتضدوا بلخم ٠٠٠٠ ثم فسد امر لخم والاندلسيين عند مقتل عمر بن هلال وقام بامر لخم رباح بن قرة وسار الى الاندلسيين فحاربهم فانهزمت لخم وظهر الاندلسيون بالاسكندرية عنوة فى ذى الحجة سنة مائتين فولوها ابا عبد الرحمن الصوفى فبلغ من الفساد بالاسكندرية والقتل ما لم يسمع بمثله فعزله الاندلسيون عنها •"

يذكر الكندى • ان عبد الله بن طاهر اتجه الى الاسكندرية فى ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ "وحصرها بضع عشرة ليلة فخرج اليه اهلها باامان وصالح الاندلسيين =

هكذا تحولت مصر الى قطائع مستقلة عن بعضها البعض، والجميع يكادون ان يكونوا مستقلين عن الخلافة العباسية [١] .

وكانت احوال بلاد المغرب فى آخر عصر الولاة اشبه ما تكون باحوال مصر فى تلك الفترة . فثورات الخوارج هناك كانت تشكل خطرا على الخلافة العباسية كما قدمنا ، وكثيرا ما نجح الثوار فى الاستيلاء على القيروان فضلا عن اشتداد الصراع بين العرب القيسية واليمنية ذلك الصراع الذى بدأ منذ الفتح ، وازدادت حدته بقيام الدولة العباسية حين فقد العنصر العربى كله مكان الصدارة التى كانت له من قبل .

وقد ظهرت العناصر الفارسية والخرسانية [٢] واحتلت المراكز العليا فى الادارة وسيطرت عليها ، وقد ثار الجند على محمد بن الاشعث [٣] وارغموه على ترك القيروان ، ونصبوا عيسى ابن موسى بن عجلان الخراسانى رغما عن ارادة الخليفة ابى جعفر المنصور سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥م . وحين اراد "الاغلب ابن سالم استرجاع المغرب الاقصى للخلافة العباسية باءت جهوده بالفشل وقتل سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧م [٤]

كما استطاع عمرو بن حفص والى القيروان ان يمنع هجوم الخوارج الصفرية [٤] على القيروان واستطاع قائده المهنأ بن المخارق بن غفار الطائى من الحاق الهزيمة بهم وبقائدهم "ابو قره الصفرى" [٦] كما تمكن عمر بن حفص من هزيمة

= على ان سيرهم من الاسكندرية حيث اصبوا على الا يخرجوا فى مراكبهم احد من مصر ولا عبدا ولا ابقا فان فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم وتوجهوا اشعث بن طاهر من تفتيش عليهم مراكبهم فوجد فيها جمعا من الذين اشترط عليهم ان لا يخرجوهم فامر ابن طاهر باحراق مراكبهم فسألوه ان يردهم الى شرطهم ففعل وولى على الاسكندرية الياس به اسد وخرجوا بمراكبهم الى كريت" الكندى "الولاه والقضاه ص ١٨٣ ــ ١٨٤

Finlay : History of the Byzantine Empire P. 128

(١) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٧٥

(٢) ابن عذارى . البيان المعرب حـ ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٤ ص ٢٨٣

(٣) ابن عذارى . البيان المعرب حـ ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٤ ص ٢٨٣

(٤) ابن الاثير حـ ٥ ص ٢١٧ ، السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص ١١٦

(٥) ابن خلدون . حـ ٦ ص ١١٢ ، ابن الرقيق ص ١٤٣

(٦) تزعم ابو قرة الصفرى الخوارج الصفرية فى المغربين الاوسط والاقصى بعد خالد بن حميد الزناتى واشترك فى حصار القيروان الى جانب عبد الواحد الهوارى سنة ١٢٤ هـ وهزمه عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣٥ هـ

وذكر ابن خلدون ان ابا قرة هذا ينتسب الى قبيلة مغيلة مرة والى مطماطة مرة اخرى وينسبه بعض المؤرخين الى بنى يفرن . ابن الرقيق ص ١٣٠ ، السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص ١١٦ ، ابن خلدون . العبر حـ ١ ص ١٢٥

عبد الرحمن بن رستم الاباضي .

وكانت الضربة التي وجهها يزيد بن حاتم الى الخوارج الصفرية سنة ١٥٥ هـ/ ٧٧٢ م نهاية لنفوذهم في افريقية والمغرب الادنى [1] وهاجر كثيرون منهم الى سجلماسة التي اتخذوها معقلا لنشاطهم ، كما الحق يزيد بن حاتم [2] الهزيمة بالخوارج الاباضية سنة ١٥٥ هـ/ ٧٧٢ م في افريقية والمغرب الادنى . وانتقل نشاطهم الى المغرب الاوسط حيث استطاع عبد الرحمن بن رستم بمؤازرتهم من تأسيس [3] دولة مستقلة تاهرت سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٨ م . وفي المغرب الاقصى تجمعت القبائل حول ادريس بن عبد الله الذي اسس دولة الادارسة بالمغرب الاقصى سنة ١٧٢ هـ/ ٧٨٨ م

واعتمدت الخلافة العباسية في الحفاظ على وجودها بافريقية بما قام به آل المهلب من جهود . وقنع "روح بن حاتم "عامل الخليفة هارون الرشيد على القيروان — بعلاقة "حسن الجوار" بينه وبين امام [4] تاهرت سنة ١٧١ هـ/ ٧٨٧ م .

وانشغل عامل القيروان — بثورات الجند لقمعها ، وبالانقسامات بين الجند العرب من ناحية وبين الجند الفرس والخراسانيين [5] من ناحية اخرى وبلغ خطرها في ثورة ابن الجارود على الفضل بين روح الذي ولى [6] افريقية سنة ١٧٧ هـ/ ٧٩٣ م

---

(١) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٤٣ ، ابن خلدون . العبر حـ ٦ ص ١١٥ ، ١٣٠ . السلاوي . الاستقصا حـ ١ ص ١١٧ — ١١٨ .

(٢) يذكر ابن الرقيق انه "طلب الاباضية في كل سهل وجبل" تاريخ افريقية والمغرب ص ١٠٩ ، ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ٩٤ فيذكر انه "تهدنت افريقية ليزيد ابن حاتم" ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ١٩٥

Mareois : G. la Berberic Musulmane P.141

( ) الدرجيني . طبقات الاباضية حـ ١ ص ١٨ — ١٩ أ

(٤) يذكر ابن خلدون "وركدت ريح الخوارج من البربر في افريقية وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال ورغب عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت سنة احدى وسبعين في موادعة صاحب القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فوادعه." العبر حـ ٦ ص ١١٣

(٥) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير الكامل حـ ٥ ص ٢٦ ، ٩٤ — ٩٥

(٦) يطلق على ابن الجارود احيانا اسم عبدويه الانباري ، الطبري . تاريخ الامم والملوك حـ ٦ ص ٤٦١ ويذكر ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٨٢ أن نصر بن حبيب الذي ولى افريقية قبل توليه الفضل بن الروح "كان على شرطه يزيد بن حاتم ولايته كلها مصر وافريقية" تاريخ افريقية والمغرب ص ١٨٢

وحنقهم عليه لتعيينه المغيرة بن بشر بن روح ـ ابن اخيه عاملا على تونس لما عرف عنه من سوء المعاملة و "كان غرا لا تجربة له بالامور فاستخف بالجند وسار فيهم بغير سيرة من تقدمهم ووثق ان عمه لا يعزله "(١) . مما اثار نفوس الجند ضده فاجتمعوا على تنحيته والتفوا حول بن الجارود وحاصروا المغيرة بن بشر بدار الامارة ثم كاتبوا الامير الفضل بن روح معلنين سخطهم على المغيرة بقولهم . "انا لم نخرج المغيرة اخراج خلاف عن الطاعة ولكن لاحداث فيها فساد الدولة فول علينا من ترضاه "(٢) فولى عليهم عبد الله بن يزيد المهلبي عاملا على افريقية واشتبك مع جند القيروان قرب تونس في موقعة هزم فيها جند الفضل ، وقتل نائبه الجديد .

وكانت خطة ابن الجارود "التي دبرها مع قائده "محمد بن الفارس"(٣) تستهدف استمالة قادة جند الفضل بافريقية وتحريضهم على الثورة ووعدهم بالولاية (٤).

كما الب ابن الجارود جند خراسان في "باجة" فخرجوا على عاملهم ، وراى الفضل ان يجمع عماله فامرهم بالمسير اليه فيما عدا عامل الزاب "العلاء بن سعيد" وعامل

---

(١) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٨٦
ابن الاثير . الكامل ح ٥ ص ٩٥

(٢) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٧٥ .
الطبري . تاريخ الامم والملوك ح ٦ ص ٤٦١

(٣) ابن الاثير . الكامل ح ٥ ص ١٠٨ ، ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٩٠ ـ ١٩١ يذكر ان محمد بن الفارس اكد لابن الجارود انه "لا راحة لنا فيهم (يقصد آل المهلب) الا بقتلهم واخراجهم بالمكائد والحيل

(٤) يذكر ابن الرقيق نص تلك الكتب بقوله "كان في كتبه اما بعد فانا نظرنا الى ما صنع الفضل في ثغر امير المؤمنين من تهاونه بجنده واستئثاره عليهم بما لم تكن الولاة تصنعه قبله مع وعورة لفظه لهم ، وتركه لكتاب امير المؤمنين في ارزاقهم وسوء سيرته فيهم فيما عهد اليه ولم ينفعنا الا الخروج عليهم ونظرنا فلم نجد احدا بنو اولى بنصيحة امر المؤمنين لبعد صيته وعطفه على جنده منك فراينا ان نجعل انفسنا دونك فان ظفرنا جعلناك لنا واليا وكتبنا الى امير المؤمنين نسأله ولايتك ، وان تكن الاخرى لم يعلم الفضل انا اردناك والسلام . فكان الكتاب اذا جاء احدهم قال . وما علي أن اكتفي هذا الامر ويطمع فيما يكتب اليه به ، فافسد الكتاب جماعة ، ولم يعاجلهم الفضل وامهلهم الى ان دبروا لانفسهم ."

ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٩١

طرابلس "ابو عيينة" ولعل سبب ذلك انهما ظلا على ولائهما له .(١)

حرض الجند الخراسانيون العرب اليمنية على الخروج ضد الفضل متهمين اياه بتفضيله العرب القيسية عليهم فى الاعطيات(٢) ووجه الفضل "عبدالله بن يزيد بن حاتم" لمحاربة ابن الجارود الذى زحف بجنده نحو "طساس"(٣) فانهزم عبد الله ابن يزيد منصرفا الى القيروان فهاجمه فيها ابن الجارود فدخل المدينة عنوة وانتصر عليه ورحل الفضل واصحابه الى "قابس"(٤) فاستدار عليهم وقتلهم .

وبمقتل الفضل بن روح سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤م انتهى نفوذ بنى المهلب(٥) وحين بلغ الامر الخليفة هارون الرشيد وجه يقطين بن موسى "لمحله من دعوتهم ومكانه فى دولته وكبر سنة وحاله عند اهل خراسان"(٦) فقد راى الخليفة ان يوجه اليهم احد الخراسانيين حتى يهدئ من حدة النزاع بين ابن الجارود واتباعه من الجند الخراسانية فارسل هارون الرشيد هرثمة بن اعين(٧) الى افريقية وعينه واليا عليها واسند اليه مهمة قمع حركة ابن الجارود وكان بصحبة هرثمة "يحيى بن موسى . وما ان نزل هرثمة برقة حتى سارع ابن الجارود الى الاعتراف بولايته ودخوله فى طاعة الخليفة واعلن تسليم القيروان(٨) الى يحيى بن موسى فخرج اليها حتى وصل قابس وتسابق العلاء بن سعيد ويحيى للوصول الى القيروان , والا ان العلاء استطاع ان يدخلها قبله فبعث اليهيحيى

---

(١) يذكر ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٩٢ انه نادى فى الجند قائلا "من شهد الامر ، فجعلت انظر الى العدة منهم ياتون فيأخذون اعطياتهم ثم ينشرون السلاح ويخرجون الى ابن الجارود ".

(٢) السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص ١٢١ ، ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ١٠٨ ويذكر ابن الرقيق انه "قدم على الفضل سمدون وابو المغيرة وابو عميله فلما دخلوا عليه امر لكل واحد منهم بخمسمائة درهم فبلغ ذلك من بالقيروان من ابناء خراسان فقال بعضهم لبعض" ويحكم كيف ترضون بهذا ان يقوى الفضل اهل الشام على ابنائنا" تاريخ افريقية والمغرب ص ١٩٢ .

(٣) طساس . لم يذكرها ياقوت فى معجم البلدان ، وذكرها البكرى . المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب لانها مدينة على مرحلة من القيروان .

(٤) الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٦ ص ٤٦٠ — ٤٦١

(٥) ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ١٠٨ ، السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص ١٢١

(٦) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٩٧

(٧) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ١٩٧ ، ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ٩٦

(٨) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ١٠٩ ، ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ٩٦

يطلب اليه "الدخول فى الطاعة وتفريق الجموع"[١] فرحل العلاء بعد ان صرف الجند الى طرابلس وسار فيها حتى وصل الى هرثمة بن اعيد عند اجدابيه[٢] ثم خرج فتوجها الى برقة ثم الى مصر ، وقد كافأ الخليفة هارون الرشيد للجهود التى بذلها[٣] فى قمع حركة ابن الجارود فى افريقية .

هكذا كانت للجهود التى بذلها الامراء المهلبيون الفضل فى الحفاظ على نفوذ الخلافة العباسية فى افريقية ولولاها لادت حركات الجند تلك الى الاستقلال بافريقية وضياع نفوذ الخلافة العباسية بها[٤] .

وانتشرت مثل هذه الاضطرابات فى الفترة التى سبقت قيام دولة الاغالبة .

---

(١) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٢٠١ ويذكر انه هرثمة "امن الناس وسكنهم واحسن اليهم ."
تاريخ افريقية والمغرب ص ٢٠٢ — ٢٠٣

(٢) اجدابيه مدينة فى صحراء الصغا بينها وبين القيروان ستة ايام البكرى ص ٥ ، ياقوت معجم البلدان حـ ١ ص ١٣٢ ويذكر ابن حوقل "مدينة اجدابية بناءها بالطين والاجر وبعضها بالحجارة ولها جامع نظيف ، ويطيف بها من احياء البربر خلق كثير ولها زرع بالبخس وليس بها ولا ببرقة ماء جار .. وهى قريبة من البحر المغربى فترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز "صورة الارض ص ٦٩ — ٧٠

(٣) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٨٩ ، ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ٩٦

(٤) HiHi : History of the arabs P. 45

دولـــة الاغالبـــــة

شهدت افريقية كثيـرا من الثورات ضد ولاة القيروان الامر الذى اضطر الخلافة الـــى ان تولى ابراهيم بن الاغلب حاكم الزاب على افريقية . وكان ابوه الاغلب بن سالم [١] مـــن اصحاب ابى مسلم الخراساني ـ احد قادة الجند فى جيش محمد بن الاشعث بمصـــر اقام بمصر زمنا ثم اشترك فى حملة محمد بن الاشعث التى توجهت الى افريقية لقمع ثـــورات الخوارج هناك ثم ولاه ابن الاشعث بلاد الزاب فاتخذ طبنة مقرا له .

وقد واتت الفرصة ابن الاغلب لتولى افريقية حينما عزل الخليفة هارون الرشيد والـــى افريقية محمد بن مقاتل العكى [٢] لاخفاقه فى ادارة البلاد واغضابه الجند بقطع ارزاقهـــم واساءة [٣] معاملتهم مما ادى الى التفاف جند الشام وخراسان حول عامل افريقية تمام بـــن تيم التميمى وخرجوا عن طاعته ، والحق تمام الهزيمة بجيش العكى سنة ١٨٣ هـ/ ٧٩٩م ونصب نفسه واليا على افريقية بعد معركة دارت رحاها بين الطرفين . فتوجه ابراهيم بـــن الاغلب حاكم الزاب ـ الى القيروان واعلن [٤] تأييده للوالى الشرعى وبعث الى العكـــى ليعود الى القيروان لتولى شئون افريقية [٥] .

وبهذا اعاد ابراهيم بن الاغلب للخلافة العباسية سلطانهـــا المفقود فـــى افريقية [٦] واصبح فى الحقيقة الحاكم الفعلى لولاية افريقية . رغم محاولات الايقاع بينـــه

---

(١) ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص٢٦ ، البلاذرى . فتوح البلدان ص١٧٥

(٢) ابن الابار . الحلة السيراء ص٢٢٣ ، السلاوى . الاستقصا حـ ١ ص١٤٧ ، ابن عذارى البيان حـ ١ ص١١٠ ـ ١١٣ ، الدباغ . معالم الايمان حـ ١ ص٢٠٧ المالكى . رياض النفوس حـ ١ ص١٤٢ ، ١٤٣
Fournel : les Berbers Vol II P. 410-411

(٣) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص٢٠٥
ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص١١٣

(٤) الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص٢٠٦ يذكر انه حين توجه ابراهيم بن الاغلـــب لنصرته خاف على نفسه فجلا عن القيروان وانتقل لتونس لكن ابن الاغلب دخل القيـــروان وخطب فى الناس بان اميرهم هو محمد مقاتل العكى وارسل اليه يطلب منه الرجـــوع الى القيروان " تاريخ افريقية ص٢٠٦

(٥) النويرى . نهاية الارب ص٢٦ ، ويذكر ابن الرقيق ان العكى "اقبل راجعا حـــتى دخل ومن معه من اهل القيروان فلما صار بسوق اليهود وقد اشرف الناس عليـــه من دورهم نادته امرأة من جملة الناس . اشكر ابراهيم فانه الذى رد عليك ملكـــك بافريقية "تاريخ افريقية والمغرب ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ كما يذكر ابن الرقيق حديث ابراهيم بن الاغلب الى اهل القيروان فقال . "اذكروا ماكنتم فيه من الضر .. اذ الدولة عليكم لالكم واستقر قلوبكم خشية الاتباع لا تطمعون فى انصاف ولا يتجاوز هتكم الآفاق فى كل يوم دولة وسراء وعصبية وتحرق ولاغير صاحب ذى خلاف ولا يرعوى ذو خلاف الى طاعـــه فقد عادت عليكم يامن بها خوفكم ويعز بها ذلكم ولست اميركم ولكنى اخذت ثغر امـــير المؤمنين محمد اخذه بالخلاف واميركم محمد بن مقاتل ." ابن الرقيق ص٢١٨ ـ ٢١٩
Fournel : les Berbers Bol II P. 410 - 411

وبين الحكى [1] فاضطر ابن الاغلب الى ان يسير للقاء تمام ، ودخل افريقية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، وقبض على تمام وزعماء الثورة من جند الشام وخراسان .

كما راى ابراهيم بن الاغلب انه لابد لكى يستتب له الامر فى افريقية من كسر شوكة الادارسة العلويين والحيلولة دون تسرب نفوذهم صوب الشرق ، وينسب اليه انه دبر اغتيال [2] ادريس الاول عميد هذه الاسرة الذى كان يطمع فى توحيد المغرب فى ظل دولة علوية [3] واحدة .

ويشير المؤرخون [4] الى ان الخليفة هارون الرشيد عول على اغتيال ادريس ابن عبد الله ، فيذكر ابن عذارى [5] انه اختار لهذا الغرض سليمان بن جرير المعروف " بالشماخ " الذى استطاع التقرب اليه حتى تمكن من دس السم له . ويذكر ابن الابار [6] اشتراك ابراهيم بن الاغلب فى هذه المهمة ، وتيسير الامر للشماخ لتنفيذها .

ويبين ابن خلدون [7] كيف كلف هارون الرشيد ابن الاغلب

---

(١) Fournel : les Berbers Vol II. P. 410 - 411
ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ ، ابن الابار . الحلة السوداء ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥

(٢) تشير المصادر الى ان الرشيد عول على اغتيال ادريس بن عبد الله واختار سليمان بن جرير المعروف بالشماخ فدس له السم .
ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ١٠١ ، البكرى . المغرب ص ١١ ــ ١٢

(٣) Vonderheyden. M., la Berberie Oriental Sous la dynastie des Benou l'aglab P.P. 260 - 261

(٤) ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ١٠٠ ــ ١٠١ ، ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ٦ ــ ٧

(٥) ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ١٠٠ ــ ١٠١

(٦) ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣

(٧) العبر . حـ ٤ ص ٦ ــ ٧ يذكر ابن خلدون ان الخليفة هارون الرشيد ارسل الشماخ الى ابراهيم بن الاغلب ــ الذى لم يكن قد ولى افريقية بعد ــ ليسير له الوصول الى المغرب الاقصى فى حين ذكر ابن الابار انه "لما ولى الرشيد دس الى ادريس من انس به واطمأن اليه وكتب له كتابا الى ابراهيم بن الاغلب عامله على افريقية فاحتال حتى سمه ." وسواء قام ابن الاغلب بهذه المهمة قبل توليته امر افريقية او بعدها فانه يشير الى قوته مع الخلافة العباسية وتيسيره الامر لتنفيذ خططها ضد الادارسة .

بمساعدة الشماخ فى تنفيذ خطته واغتيال ادريس الاول (١).

وبذلك لفت اليه الانظار فى عاصمة الخلافة حيث رات فيه الشخصية التى يمكن الاعتماد عليها فى افريقية فقلدته امارتها (٢) سنة ١٨٤ هـ/ ٨٠٠ م ، اذ كانت الخلافة تحرص على الحفاظ على ما تبقى لها من نفوذ فى افريقية ورات فيه خير معين لها على سياستها .

وحرص ابراهيم بن الاغلب من جهته على ان يظهر بمظهر الوالى المخلص للخلافة ، فعرض على الخليفة أن يقدم لها اتاوة سنوية قدرها اربعين الف دينار كما ابدى استعداده للتنازل عن الاعانة (٣) السنوية التى كانت تقدمها مصر الى افريقية ومقدارها مائة الف دينار . ويبدو انه اراد بهذا ان يضفى على امارته بافريقية كيانا خاصا متميزا . وكان تنازله عن معونة مصر المالية نوعا من اشعار الخلافة ببداية استقلال ولاية افريقية عن مصر . كما يمكن تفسير تقديمه للاتاوة (٤) السنوية حرصه على التمسك بالروابط التقليدية التى تميزت بها العلاقة بين الامصار وقاعدة الخلافة العباسية ببغداد .

اتخذ ابراهيم بن الاغلب مدينة "العباسية" (٥) حاضرة جديدة وكان ذلك اعلانا ببداية عهد جديد ، وقد اختار لها موضعا - يبعد ثلاثة اميال غرب القيروان،

---

(١) ابن الخطيب . اعمال الاعلام حـ ٣ ص ١٧ ، المالكى . رياض النفوس حـ ١ ص ١٥٠ - ١٥١

(٢) ابن الرقيق . تاريخ افريقية والمغرب ص ٢٢١ ، يذكر النويرى انه لما ولى ابراهيم بن الاغلب "انقمع الشر بافريقية وضبط امرها". نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢٧ ، ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٣٥ ، ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ١١٦ البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . ويذكر ابن خلدون انه ابراهيم بن الاغلب تقلد اماره افريقية سنة ١٨٥ هـ ويقول "فاضطلع بامر هذه الولاية واحسن السيرة وقوم القناة وراب الصدع وجمع الكلمة ورضيت الكافة واستقل بولايتها غير منازع." ابن خلدون . العبر حـ ٦ ص ١١٣ . بينما يحددها ابن الابار والنويرى بانها فى عام ١٨٤ هـ . ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٢٧ ، النويرى نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢٠٧

(٣) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ٢٢ ، البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٧٦
ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٧٢ - ١٧٣
ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٢٣ - ٢٥

(٤) ابن الصابى . رسوم دار الخلافة ص ٢٩ - ٣٠
السيوطى . تاريخ الخلفاء ص ٢٨٥

(٥) العباسية تعرف أيضا بالقصر القديم نقل اليها ابراهيم بن الاغلب حرسه وجنده ، ويصفها البكرى بقوله ان بها "المسجد الجامع والحمامات والفنادق والاسواق ولها خمسة ابواب حصينة وداخلها رحبه واسعة تعرف بالميدان ويجاور المدينة بناء يعرف بالرصافة ا المغرب ص ٢٨ ونلاحظ تشبه ابراهيم بن الاغلب بالعباسيين فى اختياره اسم المدينة .

وقد ارتبط قيام دولة الاغالبة فى افريقية بما ساد المغرب الاسلامى من نزعات الاستقلال التى ادت الى انقطاع المغربيين الاوسط والاقصى عن سلطان الخلافة العباسية وكان اقرار الخلافة لقيام اسرة عربية موالية تتمتع بالاستقلال[١] الذاتى فى اطار من الولاء والتبعية لها — حلا لمشاكل الخلافة العباسية فى المغرب وضمانا لبقاء نفوذها الذى كان قد تهدد فى بلاد المغرب بل وفى افريقية نفسها .

وقد واجهت دولة بنى الاغلب فى اول عهدها عدة مشاكل كان على راسها شغب الجند وثوراتهم وقد استعد لها ابراهيم بن الاغلب فعزز جيشه بجند من السودان[٢] ، الا ان ذلك لم يغنه عن الاستعانة بمصر . فظلت مصر تؤازر ولاة افريقية حتى فى تلك المرحلة التى بدأت افريقية فيها تتخذ مظهرا مستقلا .

فاندلعت ثورة الجند ضد ابراهيم بن الاغلب فى افريقية بزعامة "حمديس الكندى"[٣] الا انه تمكن بمساعدة قائده عمران بن مخلد من قتله وتشتيت اتباعه والتنكيل بهم ودخول تونس[٤] .

ثم واجه ابراهيم بن الاغلب ثورة الجند مرة اخرى وانضمامهم لعمران[٥] بن مخلد واعلانهم الخروج عليه وتمكن عمران بن مخلد من الاستيلاء على القيروان ومحاصرة

---

(١) دكتور محمود اسماعيل . الاغالبة . سياستهم الخارجية ص ٥٠
يذكر النويرى . نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢٦ — ٢٧ — ان دولة الاغالبة . "اول دولة قامت بافريقية وجرى عليها اسم الدولة وكان من قبلهم عمالا اذا مات أحدهم او صدر منه ما يوجب العزل عزله من يكون امر المسلمين من الخلفاء فى الدولة الاموية والعباسية فلما قامت هذه الدولة كانت كالمستقلة بالامر وانما كانت ملوكها تراعى اوامر الدولة العباسية وتعرف لها حق الفضل والامر ، وتظهر طاعة مشوبة بمعصية . ولو ارادوا عزل واحد منهم والاستبدال به من غير البيت يخالفوهم ." النويرى نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢٦ — ٢٧

(٢) البلاذرى . فتوح البلدان ص ٢٧٧ ، النويرى . نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢٣
Biquet : Histoire de l'afrique septen P. 25

(٣) ذكره النويرى "حميدس" نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢٧
ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٣٧

(٤) يذكر بن الاثير خروج عمران على ابن الاغلب بدافع الحقد على ما يصل اليه من مكانة نفسه عليها عمران الذى كان يحظى بمكانة فى نفوس الجند . ابن الاثير الكامل حـ ٥ ص ١٠٥

ابراهيم بن الاغلب فى العباسية[١]

كذلك عمت الاضطرابات والفتن بين الجند فى طرابلس واذكتها الخلافات القبلية[٢] بين القيسية واليمنية حتى وصل الامر الى حد تهديد الجند بالانفصال عن الامارة الاغلبية .

وازاء هذا الموقف المضطرب لجأ ابراهيم بن الاغلب الى الخليفة طالبا العون فكلف الخليفة هارون الرشيد امير مصر "احمد بن اسماعيل" ان يعد حملة لمناصرة ابراهيم بن الاغلب ، فسار الجند من مصر الى افريقية لمساعدة ابن الاغلب فى قمع الفتن فى القيروان وفى اخماد ثورة اهل طرابلس[٣] ، التى اذكاها قيام البربر بالثورة على جند المدينة من العرب وتزعمت قبيلة هوارة البربرية هذه الثورة ، وكادت المدينة والقسم الشرقى من الامارة الاغلبية ان تخرج عن سلطان الاغالبة[٤] . لولا تدخل جند مصر ومساعدتهم لابراهيم بن الاغلب فى القضاء على تلك الفتن .

وحين تولى زيادة الله بن الاغلب الامارة سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦م واجه كثيرا من المشاكل المترتبة على ثورات الجند التى كادت ان تعصف بحكمه[٥] ، فقد خرج عليه زياد بن سهل وحاصر "باجة"[٦] سنة ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢م ، ثم خرج عليه عمرو ابن معاوية القيسى واستولى على القصرين[٧] وماحولها كما تمكن "منصور الطنبذى" احد قادة الجند من اشمال

---

(١) ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص١٠٤ ، ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٤٠
يذكر ابن الاثير ان عمران ابن مخلد حاصر ابراهيم بن الاغلب سنة كاملة وحاول اغراء الفقهاء لتأييده .

(٢) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٣ ص١٢٤ — ١٢٥

(٣) ثارت هوارة ضد حكم الاغالبة وساعدهم الخوارج الاباضية على الاستمرار فى الثورة واذكوا نيرانها . الانصارى . المنهل العذب ص٧٤ حتى اصبح القسم الشرقى من ولاية ابن الاغلب وقد كان ان ينفصل عن الامارة الاغلبية ابن خلدون حـ ٤ ص ٤٢٠ — ٤٢١

(٤) ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص١٩٦

(٥) المالكى . رياض النفوس حـ ١ ص ١٩٠ ، الدباغ معالم الايمان حـ ٢ ص٢٦

(٦) ابن عذارى . البيان حـ ١ ص١٢٤ ، النويرى . نهاية الارب حـ ٢٢ ص٢٩
سرعان ما ثار الجند فى عهد زيادة الله بعد ان هدأت الامور نسبيا فى عهد ابى العباس عبد الله ، فما يكاد احد القادة يتمكن من تكوين انصار له حتى يعمد الى الثورة والخروج عن الطاعة . ولذلك لجأ الى الضرب على ايدى هؤلاء القواد والتنكيل بهم . ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص١٢٣ — ١٢٤ .

(٧) ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٥٥ — ٣٤٧

الثورة التي كادت ان تقضى على زيادة الله اذ لحق بجنده الهزيمة ، بينما اعتصم هو بقصره ، وتمكن الطنبذى من السيطرة على افريقية كلها فيما عدا الساحل ومدينة قابس [١] . فارسل له عبد الله بن طاهر والى مصر جيشا مكنه من قمع تلك الثورة التى بلغ من شدتها ان الخليفة المأمون اشار بان [٢] تسلم مقاليد الامور فى افريقية لوالى مصر عبد الله بن طاهر [٣] غير ان زيادة الله لم يوافق على اقتراح المأمون حتى لا تتأكد تبعيته لمصر .

ويمكننا القول بان العلاقات بين مصر وبين الاغالبة فى افريقية قد اخذت طابع المساندة .. مساندة مصر للامراء الاغالبة ومساعدتهم فى توطيد نفوذهم .

كما كانت مصر ملجأ سياسيا [٤] لكثيرين منهم ، فحين هرب الاغلب بن ابراهيم ابن الاغلب ، ومحمد وابراهيم ابني عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب من افريقية بعد موت ابى العباس عبد الله ، خوفا من بطش زيادة الله ، فضلوا الاقامة بمصر آمنين على انفسهم .. ولا يعنى ذلك ان مصر ناصبت الاغالبة العداء بل ظلت تساعدهم فى قمع الثورات والفتن التى كادت ان تودى بحكمهم اكثر من مرة [٥]

وقد ذكر ابن عذارى [٦] ان اعوان زيادة الله طلبوا منه ان يتخلص من عمرو بن معاوية القيسى وولديه ، ولكنه رفض

---

١) ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ١٨٥ ، ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٥٥ ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ١٥٨

٢) ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ١٣٠ يذكر كيف استطاع الطنبذى ان يسيطر على افريقية باستثناء الساحل وقابس حتى ان زيادة الله لم يكن ليقدر الا على الاعتصام بقصره مستلما للاقدار ، نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٣٠ أ ، ابن خلدون حـ ٤ ص ٤٢٣ ، ابن الاثير حـ ٥ ص ١٨٥ ، ويذكر ابن خلدون انه عندما كتب اليه المأمون بالدعاء لعبد الله بن طاهر على منابر افريقية غضب غضبا شديدا وبعث مع رسول الخليفة كيسا به الف دينا مضروبة باسماء بنى ادريس العبر حـ ٤ ص ٤٢٢ ، ابن الخطيب . مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب ص ١٦ — ١٧

(٣) يشير الكندى الى فراغ ابن طاهر من امر ثورة الاسكندرية ليتفرغ بعد ذلك لامر افريقية الكندى الولاة والقضاة ص ١٨٣ — ١٨٤ ، المقريزى . الخطط حـ ١ ص ١٧٣

٤) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ١٢٥ — ١٢٦ ، النويرى . نهاية الارب . حـ ٢٢ ص ٣٢ — ٣٣

٥) الكندى . الولاة والقضاة ص ١٨٣ — ١٨٤ ، ابن عذارى . البيان حـ ١ ص ١٢٥ — ١٢٦ ، المقريزى . الخطط حـ ١ ص ١٧٢ — ١٧٣ ، ابو المحاسن النجوم الزاهرة حـ ٣ ص ١٢٤ — ١٢٥

(٦) ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ١٢٥ — ١٢٦

لانه خشي غضب العرب القيسية عليه في مصر ، ومعنى ذلك ان الاغالبـــة كانوا يحرصون على ان يعكروا صفو العلاقات بينهم وبين مصر .

دولـة بني رسـتم .

كما اسهمت مصر في مؤازرة الاغالبة ومساندتهم في الابقاء على النفـوذ العباسي في افريقية بعد انسلاخ المغربين الاوسط والاقصى نهائيا عـن الخلافـة ــ اسهمت مصر ايضا في مساعدة الخلافة العباسية في محاولتهـا ضد قيام عبد الرحمن بن رستم بالاستقلال بالمغرب الاوسط .

فقد استطاع بنو رستم ان يقيموا بزعامة قائدهم عبد الرحمن بن رستم [١] دولتهم سنة ١٦٠ هـ/ ٦٧٦ م حين ضعف سلطان الخلافة العباسية فـي المغرب . وساعده الخوارج الاباضية على توطيد حكمه في طرابلس ، فاتسـع نفوذه بين قبائل البربر التي دخلت في طاعته وعلى راسها "نفوسه" وبويـع له بزعامة الخوارج الاباضية واتخذ له عاصمة في موقع مدينة تاهرت القديمة[٢]

تطلع ابن رستم لفتح المغرب كله مستندا الى مؤازرة الخوارج . وقد شعرت الخلافة العباسية بخطر قيام ابن رستم في المغرب الاوسط بمساندة الخـوارج له فبادرت بالاستعانة بوالي مصر محمد بن الاشعث[٣] الخزاعي فقلده الخليفة ابو جعفر المنصور ولاية مصر وافريقية . واعدت في مصر الحملات[٤] لقمع تلـك الفتن سنة ١٤٢ هـ/ ٧٠٩ م كما قدمنا واستمرت تخرج من مصر الـــى المغـرب الاوسـط لمقاومة الرستميين الذين تحالفوا مع الخوارج الصفريـة

١) ضمت دولة الرستميين مدينة تاهرت غربا وهي عاصمتها وشرقا جبل نفوسة وجنوبا واحات قسطيلية وبلاد الجريد وقفصه وسرت وقابس
البكري . للمغرب ص ١١٤ ، الاصطخري . المسالك والممالك ص ٣٤
اليعقوبي . ص ٣٤٥ ، الانصاري . تاريخ طرابلس المغرب ص ٤ أ ــ
ابن حوقل . المسالك والممالك ص ٦٨ .
Gautier E.F. Les Siecles obscures du Maghreb P.301-302

٢) وصفها ابن حوقل بقوله . "وتاهرت مدينتان كبيرتان احداهما قديمـة ازلية والاخرى محدثة والقديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي وفيها جامع وفي المحدثة ايضا جامع ولكل امام وخطيب والتجار والتجارة بالمحدثة اكثر صورة الارض ص ٨٦ ، المقدسي . احسن التقاسيم ص ٢٢٨ ، وتاهرت كانت في تلك الفترة عامرة بالخوارج والاباضية ، ابن خلدون حـ ٦ ص ١٢١

٣) ابن عذاري . البيان حـ ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير . اسد الغابة حـ ٤ ص ٢٨١
السلاوي . الاستقصا حـ ١ ص ١١٦ ، ابن الرقيق . تاريخ افريقيـة والمغرب ص ١٥٠ ــ ١٥١

٤) ابن خلدون . العبر حـ ٦ ص ١١١ ، البكري ص ٦٨

فى تلمسان[١] ضد قوات الخلافة ومصر ، مما ادى الى تقوية شوكتهم ، فضلا عن مؤازرة الخوارج فى المغرب وفى المشرق ايضا فى مساندة هذه الدولة لتكون مركزا لهم ومعقلا ينطلقون منه بعد ذلك . ويوضح ابن الاثير[٢] جهود الخلافة المتكررة لاخضاع الخوارج بقوله "كان بين الخوارج والجنود (يقصد العباسيين) من لدن قاتلوا عمرو بن حفص الى انقضاء امرهم ثلاثمائة وسبعون وقعة .

وكان لمؤازرة الخوارج الاباضية لابن رستم فى حصار عمرو بن حفص له فى "طنبة"[٣] سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٨ وهزيمتهم سببا فى عقدهم العزم على انشاء دولة[٤] تشمل اباضية المغرب جميعا . اذ وجدت الخوارج الاباضية فى المغرب فى دولة بنى رستم ملاذا يعتصمون فيه ضد ولاة القيروان .

وقد شهدت المنطقة الواقعة بين طرابلس وجبل نفوسة

---

١) تلمسان يذكرها ياقوت بقوله . "وبعضهم يقول تنمسان بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر احداهما قديمة والاخرى حديثة والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافزرت فيها يسكن الجند واصحاب السلطان واسم القديمة اقادير يسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من ارض مصر ." معجم البلدان حـ ١ ص ٨٧٠ – ٨٧١

٢) ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ٢٤٢

٣) ابن خلدون حـ ٤ ص ١٩٣ نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٢١ . النويرى

٤) يذكر ابن خلدون أن عبد الرحمن بن رستم "لحق باباضية المغرب الاوسط من البرابرة ونزل على لمايه فاجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة "
العبر حـ ٦ ص ١٢١ ، الدرجينى . طبقات الاباضية حـ ١ ص ١٩

وطنبة "هى مدينة الزاب العظمى وهى التى ينزلها الولاه وبها اخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر" اليعقوبى . كتاب البلدان ص ٣٥٠

كثيرا من غارات الخوارج فى المناطق[1] المحيطة بطرابلس التابعة للاغالبة وقيامهم بقيادة افلح بن عبد الوهاب الرستمى باحراق مدينة العباسية سنة ٢٢٧ هـ/ ٨٤١ م[2] ، وقد قوى من مركزهم تحالفهم مع الامويين فى الاندلس[3] ، كما ساعدوا عبد الرحمن الداخل على توطيد نفوذه ، بينما اتسمت علاقتهم بالاغالبة بذلك الطابع العدائى ، وحرص الخلفاء العباسيون على التواطىء مع الخارجين على بنى رستم والعمل على اسقاط امامة تاهرت[4] التى قامت على انقاض نفوذ الخلافة العباسية فى المغرب الاوسط .

دولة الادارسة :

تمكن ادريس بن عبد الله العلوى فى المغرب الاقصى سنة ١٧٢ ـ ٣٧٥هـ/ ٧٨٨ ـ ٩٨٥ م من تأسيس دولة وجد فيها العلويون[5] معقلا يلوذون به من تتبع العباسيين اياهم ، مؤمنين بان صاحب الحق الشرعى فى تولى امور المسلمين هم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة رافعين شعار عدم شرعية الحكومة العباسية .

وكان ادريس مؤسس هذه الدولة قد فر هاربا الى مصر

---

١) كانت منطقة طرابلس مثار كثير من المنازعات بين الاغالبة والرستميين فقد كانت طرابلس تابعة للاغالبة وامتد نفوذ عاملها على بعض بطون هواره الاباضية المنتشرة حولها ، وقد حاول هؤلاء الاباضيون الخروج عن سلطان الاغالبة والدخول فى طاعة بنى رستم فدأبوا على الثورة ضد العامل الاغلبى فى طرابلس وكثيرا ما كانوا يشنون الغارات على المدينة فيقوم عاملها بالتنكيل بهم مما كان يدفعهم الى الاستنجاد باباضية نفوسه الذين قاموا بالهجوم على طرابلس سنة ١٩٦ هـ
المالكى . رياض النفوس حـ ١ ص ١٦ ، ابن الاثير حـ ٦ ص ٦٠
الشماخى . السير ص ١٦٠ ، ابن خلدون . العبر حـ ٦ ص ١٢٢

٢) ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، ٠١
Fournel: les Berbers, Vol I.P. 512-513

٣) ابن سعيد . المغرب فى حلى المغرب حـ ١ ص ٤٨ ، ابن عذارى البيان حـ ٢ ص ١٦١
Provencal E.L. Histoire de l'espagne musulmane Vol I. P. 245

٤) المالكى . رياض النفوس حـ ١ ص ٤٠٩ ، الدرجينى . طبقات الاباضية حـ ١ ص ٣٦ ، الدباغ . معالم الايمان حـ ٢ ص ١٩٢ . فحين ثار نفاث بن نصر ضد افلح بن عبد الوهاب الرستمى هرب الى بغداد وتلقفته الخلافة وحين عاد الى تاهرت كون هناك فرقة عرفت بالنفاثية تنصب الرستميين العداء .

٥) كان خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب المعروف بالنفس الذكية فى الحجاز على ابى جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ مطالبا بحقه فى الخلافة فاستولى على المدينة ثم تغلب على مكة ثم بعث محمد اخاه ابراهيم الى البصرة لنشر دعوة

بعد موقعة فخ التى دارت بين العلويين والعباسيين فيما بين المدينة ومكة حيث قتل فيها كثير من افراد البيت العلوى وذلك حين فشلت المفاوضات بين ابى جعفر المنصور وبين محمد بن عبد الله الذى خرج على العباسيين سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م وبايعه الناس فى المدينة المنورة وعزل واليها العباسى [٢] فاشتبك الفريقان فى معركة قتل فيها محمد بن عبد الله وقبض على اتباعه ومثل بهم ، فثارت ثورة العلويين بالبصرة بزعامة اخيه ابراهيم بن عبد الله وانضم اليه كثير من الزيدية والمعتزلة وتقدموا نحو الكوفة والتقى المنصور بهم قرب الكوفة فهزم ابراهيم [٣] وقتل عند باخمرى سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م وقتل عدد كبير من العلويين مما زاد من اشتعال ثورات العلويين ضد الخلافة العباسية وخاصة فى عهد هارون الرشيد واضطرهم ذلك الى الهرب والاختفاء فى الامصار البعيدة عن مركز الخلافة حيث امكنهم تدعيم انفسهم ثم الخروج مرة ثانية .

= محمد بن عبد الله بن الحسن فى العراق ولما بلغ المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن سير جيشا لمقاتلته قتل فى رمضان سنة ١٤٥ هـ ولم تفت الهزائم المتتالية فى عضد العلويين فسرعان ما خرجوا فى خلافة الهادى بن المهدى بمكة والمدينة بزعامة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسين بن على سنة ١٦٩ هـ وبويع الحسين بالخلافة فى المدينة والتقى فى مكة بالجيش العباسى فى موقعة فخ حيث هزم العلويون ونجح ادريس بن عبد الله عبد الحسن فى الافلات فاستتر بعض الوقت .
ابن الاثير . حـ ٥ ص٢ – ١٠ ، الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٩ ص٢١٢ – ٢١٣ ، ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص٦ – ١٢ ، المقدمة ص٢٠٠

(١) الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ١٠ ص٢٤ – ٣٠ ، ابن الاثير حـ ٥ ص٢ – ٨ ، ادريس . عماد الدين . عيون الاخبار ص٣٤٤ .

(٢) الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٦ ص١٩٥ – ١٩٦ ويذكر الكتب المتبادلة بين المنصور وبين محمد بن عبد الله فيذكر كتاب محمد بن عبد الله الذى قال فيه .. "انا بنو ام رسول الله فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية وبنوا بنته فاطمة فى الاسلام ، وانى اوسط بنى هاشم نسبا واحرصهم على نفسك ومالك .. وانا اولى بالامر منك" وقد كان العباسيون فى نظر العلويين مغتصبين الخلافة كما كان الامويون من قبلهم .

ونجح ادريس فى الافلات من العباسيين وخرج الى مصر مستترا فنزل بها [1] وساعده عامل البريد "واضح مولى صالح بن منصور والى مصر حيث كان من دعاة الشيعة على الوصول الى المغرب الاقصى هو ومولاه راشد حتى وصلا الى مدينة طنجة ثم ارتحلا منها ونزل مدينة [2] "وليلى" وتمكن من نشر دعوته بين المغاربة الحنقين على الخلفاء العباسيين الذين عمدوا الى كسر شوكة" الخوارج فى افريقية ، واستطاع ان يكون امارة مستقلة استمر نفوذها حتى سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥م وكانت الخلافة العباسية ترى فى قيام هذه الدولة خطرا على نفوذها فى افريقية فعهدت الى الاغالبة بوقف توسعهم نحو الشرق [3].

الا ان الاغالبة عجزوا عن القضاء على دولة الادارسة بالحرب فلجأوا الى طرق الخداع فى محاولتهم القضاء عليها واستطاع ابراهيم بن الاغلب ان يتخلص [4]

---

1) ادريس عماد الدين . عيون الاخبار ص ٣٤٤ ، المقدسى . احسن التقاسيم ص ٢٤٣ — ٢٤٤

2) وليلى يذكر ياقوت انها مدينة بالمغرب قرب طنجة "لما دخل ادريس بن عبد الله عبد الحسن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب المغرب ناجيا من وقعة فخ حصل بها فى سنة ١٧٢ فى ايام الرشيد واقام بها الى ان مات مسموما سنة ١٧٤ هـ" معجم البلدان حـ ٤ ص ٩٤٠ — ٩٤١ يذكر ابو المحاسن ان واضح ابن عبد الله المنصورى الذى كان واليا على مصر زمن المهدى سنة ١٦٢ هـ كان معروفا بميوله العلوية . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٤٠
الكندى . الولاة ص ١٣١ يذكر قدوم ادريس بن عبد الله الى مصر" وعلى ابن سليمان عليها فعلم بمكانه رقية سرا فسأله بالله والرحم الاستر عليه فانه خارج الى المغرب فستر عليه واظهر على ابن سليمان أنه تصلح له الخلافة وطمع فيها فسخط عليه هرون فعزله عنها" الكندى . الولاة والقضاه ص ١٣١ — ١٣٤

3) ادريس عماد الدين — عيون الاخبار ص ٣٤٤ — ٣٤٥

4) البكرى . المغرب ص ١٢٠ ، ابن عذارى . البيان المغرب حـ ١ ص ١٠١ ابن خلدون . العبر حـ ٤ ص ١٢ فيذكر ان الرشيد ارسل الى ادريس "مولى من موالى المهدى وانفذه بكتاب الى ابن الاغلب فاجازه" ويبين ارسال الرشيد لكيمان الشماخ لتنفيذ تلك المهمة وساعده ابن الاغلب له على تنفيذها فمعرفته باحوال الادارسة لطول اقامته بافريقية واقاليم الزاب خاصة .
Vonderheyden: la Berberie Orientale P.260

من ادريس الاول .

وفى عهد خلفه ادريس الثاني ، قويت الدولة ، واتخذ لها عاصمة جديدة سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م هى مدينة فاس[١] وفكر فى "غزو افريقية ."[٢]

وفى عهده ، بلغت دولة الادارسة اوج ازدهارها اذ امتد نفوذ الدولة فشمل المغرب الاقصى من السوس الاقصى حتى وهران[٣] ، وبذلك نجح الادارسة فى اقامة دولة ضمت العرب والبربر .

ولا ريب ان الطبيعة الدينية التى نشأت على اساسها الدولة من[٤] الانتساب الى آل البيت ، كان لها اكبر الفضل فى توطيد دعائمها .

والملاحظ ان الاغالبة لم يقوموا بالالتحام مع الادارسة فى حرب سافرة كما حدث مع الرستميين ، رغم انهم ساروا فى اتجاه الخلافة فى عداء الادارسة .

---

١) يذكر ياقوت . معجم البلدان حـ ٣ ص ٨٤٢ انها "مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حاضرة البحر واجمل مدنه قبل ان تختط مراكش ، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين " ويذكر ابن حوقل صورة الارض ص ٨٩ ــ ٩٠ انها "مدينة جليلة يشقها نهر وهى جانبان .. وهى مدينة خصبة مفروشة بالحجارة احدثها ادريس بن ادريس ، فى كل يوم من ايام الصيف يرسل فى اسواقها من نهرها الماء فيغسلها فتبرد الحجارة وجميع ما بها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات والمرافق فزائد على سائر ما قرب منها ."

٢) ابن خلدان . العبر حـ ٤ ص ١٣
ابن الابار . الحلة السيراء ص ٢٣٤

٣) وهران . ذكرها ياقوت بقوله انها "مدينة على البر الاعظم من المغرب بينها وبين تلمسان سرى ليلة وهى مدينة صغيرة على ضفة البحر." وذكر البكرى انها مدينة حصينة ذات مياه سائحة وارحاء ومسجد جامع بناها محمد بن ابن عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين الذين ينجعون موسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبنى مسقن وهم من ازواجه وكانوا من اصحاب القرشى سنة ٢٩٠ فاستوطنوها سبعة اعوام وفى سنة ٢٩٧ زحف اليها قبائل كثيرة يطالبون اهلها باسلام بنى مسقن فخرجوا ليلا هاربين واستجاروا بازواجه وتغلبوا على مدينة وهران ثم عاد اهلها اليها بعد ٢٩٨ هـ وابتدأوا فى بنائها فعادت احسن مما كانت " معجم البلدان حـ ٨ ص ٤٣٦

٤) ادريس عماد الدين . عيون الاخبار ص ٣٤٤ ، ابن خلدون . المقدمة ص ٢٣ ــ ٢٤

ولم تقم مصر بأى جهود ضد دولة الادارسة العلوية فى المغرب الاقصى وذلك بسبب موقف مصر من الدعوة العلوية نفسها ، تلك[1] الدعوة التى ظهرت واضحة فى مصر منذ عهد الخليفة ابى جعفر المنصور حين قدم اليها "على ابن عبد الله ابن الحسن بن على بن ابى طالب" يدعو لابيه وعمه . فنجد والى مصر حميد بن قحطبه ١٤٣ ــ ١٤٤هـ/ ٧٦٠ ــ ٧٦١م لا يتخذ موقفا ايجابيا ضد هذه الدعوة مما حدا بالخليفة الى اتهامه بالتواطؤ مع العلويين وعزله عن ولاية مصر[2] . وكان بمصر عدد كبير من انصار العلويين الذين فروا اليها بعد ما اصابهم على يد القائد العباسى[3] عيسى بن موسى فى المدينة ومقتل محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الذكية ثم مقتل اخيه ابراهيم كما اوضحنا . وقد بايع بعض افراد البيت الاموى

---

١) ادريس عماد الدين . عيون الاخبار ص ٣٤٤ ، ابن خلدون . المقدمة ص ٢٣ ــ ٢٤

٢) المقريزى . الخطط حـ ٢ ص ٦٠ ــ ٦١ ، الكندى . الولاة والقضاه ص ١١١
ويذكر انه "قدم الى مصر على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن عبد الله بن حسن فى امرة حميد بن قحطبه داعية لابيه وعمه فنزل على عسامة ابن عمرو المعافرى فذكر ذلك صاحب السكة لحميد بن قحطبه وقال . ابعث اليه فخذه . فقال حميد . هذا كذب ودس عليه فتغيب ثم بعث اليه من الغد فلم يجده فقال لصاحب السكة الم اعلمك انه كذب ، وكتب بذلك صاحب السكة الى ابى جعفر فعزله وسخط عليه "الكندى الولاة ص ١١١
والعلويين هم اولاد على من فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اعتقد انصار الشيعة انهم وحدهم اهل الخلافة وان الخلفاء ابا بكر وعثمان وعمر وبنوا امية وبنو العباس قد انتزعوا الحق منهم " . الخوارزمى رسائل الخوارزمى ص ١٢٩ ــ ١٣٤ .

٢) الكندى . الولاة والقضاه ص ١١٠ ــ ١١١

٣) يذكر الكندى انه فى ولاية يزيد بن حاتم المهلبى "ظهرت دعوة بنى حسن بن على بمصر وتحكم بها الناس وبايع كثير منهم لعلى بن محمد بن عبد الله بن حسن بن عبد الله بن حسن وهو اول علوى قدم مصر وقام بامر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفى وكان جده ربيعة ابن حبيش من خاصة على بن ابى طالب رضى الله عنه ١١٠ الكندى . الولاه والقضاه ص ١١١ ــ ١١٢ ، ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ المقريزى . الخطط حـ ٢ ص ٣٣٨

فى مصر منهم مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان واخيه منصور وزيد عليا بن محمد [(١)]

وقد اشتد ابو جعفر المنصور فى كسر شوكة العلويين فامر واليه على مصر يزيد بن حاتم سنة ١٤٤ ـ ١٥٢ هـ/ ٧٦١ ـ ٧٦٩م بالشدة تجاه العلويين حيث كانت دعوة "بنى الحسن بن على "قد ظهرت فى مصر وبايع كثير من الناس لعلى ابن محمد . وغدت [(٢)] مصر منذ ذلك الوقت ملجأ يلجأ اليه افراد البيت العلوى وملاذا يلوذون به من تعقب العباسيين . وكانت واقعة "فخ "التى اشرنا اليها [(٣)] حيث قتل الحسين بن على بن الحسن سنة ١٦٩ ـ ١٧٠هـ/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦ م .

تمثل فى تاريخ العلويين ماكان لموقعة كربلاء من قبل . فقد هرب انصاره ومن بينهما يحيى وادريس ابنا عبد الله بن الحسن ابن على فاتجه يحيى نحو بلاد الديلم ، وثار بها وقض مضاجع العباسيين فى الشرق بينما لجأ ادريس [(٤)] الى مصر كما قدمنا ومنها انطلق الى المغرب بمساعدة عامل بريد مصر ، الذى كان من انصار العلويين .

وقد كانت مصر ماوى لكثير من آل البيت الذين لجأوا اليها فرارا من الاضطهادات التى عانوها من الخلفاء العباسيين فى الشرق [(٥)]

وفى عصر الخليفة العباسى المتوكل على الله سنة ٢٣٢ هـ ـ ٨٤٦م ـ/ ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م قام والى مصر اسحاق بن يحيى سنة ٢٣٥ هـ/ ٨٤٩م بامر من الخليفة باخراج العلويين من مصر [(٦)] وترحيلهم الى العراق ومنها وجهوا الى المدينة فى سنة ٢٣٦ هـ/ ٨٥٠م وقد اضطر العلويون الذين

---

(١) الكندى . الولاة والقضاه ص ١١١ ـ ١١٢
ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢

(٢) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢ ، المقريزى الخطط حـ ٢ ص ٣٣٨

(٣) ابن الاثير . الكامل حـ ٥ ص ٢ ـ ١٠ ، الطبرى . تاريخ الامم والملوك حـ ٩ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، ابن خلدون العبر حـ ٤ ص ٦ ـ ١٢

(٤) الكندى . الولاة والقضاه ص ١٣١ ـ ١٣٢

(٥) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٤٠ ، المقريزى . الخطط حـ ٢ ص ٤٤٠ ـ ٤٤١
Combe.Repertoire-Chronologique T.I.P. 127-128

(٦) يذكر الكندى انه "ورد كتاب المتوكل والمنتصر الى اسحاق باخراج الطالبين من مصر الى العراق وفرصة فيهم الاموال ليتحملوا بها فاعطى كل منهم واحد =

بقوا فى مصر الى التستر والاختفاء •

وقد لاقى العلويون فى مصر على يد الوالى يزيد بن عبدالله سنة ٢٤٢هـ الكثير من العنت والاضطهاد (١) وأجبر كثير منهم على مغادرة مصر الى العراق سنه ٢٤٨ هـ / سنه ٨٦٢ م

وتتابعت حركات العلويين فى مصر منذ عهد الخليفه المتوكل العباسى وشدد الخلفاء من بعده على الولاة فى التصدى لتلك الحركات ومقاومتها • واستمرت عملية تشتيت العلويين خارج مصر فى عهد الخليفة المستعين ٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ـ سنه ٨٦٦م مما أدى الى خروج ابن الارقط العلوى سنه ٢٥٢ هـ / سنه ٨٦٦م وانضمامه الى الثورة التى قام بها جابر بن الوليد المدلجى بالاسكندريه (٢) • الا ان العباسيين تمكنوا من الحاق الهزيمة به واخراجه من مصر سنه ٢٥٣ هـ / سنه ٨٦٧م •

= ثلاثين دينارا والمرأة خمسة عشر دينارا وفرقت بينهم الثياب ثم خرجوا من الفسطاط يوم الاثنين لعشر خلون من رجب سنه ست وثلاثين ومائة فقدموا العراق وامروا بالخروج الى المدينة فى شوال سنة ست وثلاثين قال الشاعر : فان تك يااسحق غبت فلم تجب ∴ الينا وسفر الموت ليس يؤوب الكندى : الولاه والقضاه ص ١٩٨ • ويذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٧١٢ انه أمر باخراج الأشراف العلويين من مصر •

(١) يذكر الكندى انه " ظهر يزيد سنه ٢٤٨ على رجل يقال له محمد بن على بن على بن الحسين بن ابى طالب يعرف بابى حدرى بويع له فبعث يزيد الى الموضع الذى حكم فيه فأخذه فاقر وأقر على جمع الناس بايعوه فأخذ بعضهم فضربوا بالسياط ثم أخرج بالعلوى هو وجمع من آل أبى طالب الى العراق فى شهر رمضان سنة ثمان واربعين ومائتين الولاه والقضاه ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ • ابو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٣٠٩ ويذكر الكندى ص ٢٠٤ انه ورد " كتاب المنتصر الى يزيد بن عبدالله بأن لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من اطرافها وان يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد وان كانت بينه وبين احد من الطالبين خصومه قبل قول خصمه فيه " •

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهره حـ ٢ ص ٢١٤ • المقريزى : الخطط حـ ٢ =

وفى ولاية أزجور التركى على مصر سنه ٢٥٤ هـ / ٨٦٨م خرج بالصعيد أحد العلويين يدعى (١) أحمد بن ابراهيم بن طباطبا الذى يعرف باسم " بغا الاكبر " الا أن والى مصر تمكن من اللحاق به وهزيمته مما اضطره الى الفرار .

هكذا شهدت مصر خلال عصر الولاة كثيرا من حركات العلويين وخروجهم على سلطة ولاتها . ورأينا كيف تشدد الخلفاء العباسيون منذ عهد المتوكل بصفة خاصة فى قمع حركات العلويين فى مصر ، ونفذ الولاة العباسيون سياسة الخلافة فى الضرب على ايدى العلويين .

لذا لم تقم مصر بجهود ضد دولة الادارسة العلوية فى المغرب الأقصى لانشغال ولاتها باخماد حركات العلويين فى مصر . وانشغال الخلافة العباسية بمشاكلها فى الشرق .

وقد ناصب الاغالبة (٢) دولة الأدارسة العداء ، لانها كانت تشكل خطرا يهدد كيانهم من ناحية وتمشيا مع سياسة الخلافة العباسية (٣) من ناحية أخرى ، وان لم يقم الأمراء الأغالبة ضد الأدارسة بأى عمل حربى ، وانما اكتفوا بالدس والوقيعة بينهم أسلوبا للقضاء عليهم والحيلولة دون امتداد نفوذهم .

= ص ٣٣٩ . الكندى : الولاء والقضاء ص ٢٠٥-٢٠٦ يذكر انه " خرج جابر بن الوليد المدلجي بأرض الاسكندريه سنة ٢٥٢ هـ ... ولحق به عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب الذى يقال له ابن الأرقط .. ودافع سلفق التركى بمن فى صبا وشباس من اصحاب جابر فقتلهم ثم استأمن عبد الله بن أحمد بن الأرقط العلوى .. وبعث به مزاحم الى العراق .. فهرب عبد الله بن الأرقط .. ثم ظفر به بعد ذلك فحبس . " الكندى : الولاء والقضاء ص ٢٠٦-٢٠٨ .

(١) المقريزى : الخطط ٢ ص ٣٣٩ ويذكر الكندى انه " خرج فى امره أزجور رجل من العلويين يقال له بغا الأكبر .. " الولاه والقضاه ص ٢١١ .

(٢) Vonderheyden : La Berberie Orientate P.260

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ ص ٩٩ ، ١٦٠

الفصل الثانى

٢ـ علاقات الطولونيين والأخشيديين ببلاد المغرب

الطولونيـــون :

كان ظهور أحمد بن طولون فى مصر انعكاسا للأوضاع التى عمت الأمصار الاسلامية فى العصر العباسى الثانى حيث لم تعد الخلافـــة العباسية قادرة على الموازنة بين سلطانها على الأمصار ونحو الحركـات القومية الاستقلاليـــة فى تلك الأمصـــار •

وقد قـدم بن طولون مصر سنة ٢٥٤ هـ / سنة ٨٦٨م واليـا على الصلاة [١] من قبل باكبـاك " صاحب اقطاع مصر بينما كان أحمـد بن المدبر على خراج مصر ،واسحاق بن دينار على الاسكندريـه ،وأحمد بن عيسى الصعيدى على برقـــة •

وقـد استطاع أحمـد بن طولون أن يكون [٢] أميرا على مصـــر كلها بما فى ذلك الاسكندرية وبرقـة ، وأن يكون جيشا وأن يؤســـس عاصمة [٣] لـه ، وأن يضـم لنفسه ادارة الخراج فى البلاد • واستقـــل ولايـة مصر تحت سلطان الخلافة العباسية الاسمى •

---

(١) الكندى : الولاء والقضاه ص ٢١٤ ــ ٢١٥ •
البلوى : سيره أحمد بن طولون ص ٢٧٨ ــ ٢٨٠ •

(٢) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٢٧٨ ــ ٢٨٠ •
ابو المحاسن : النجوم الزاهره حـ ١ ص ٣٠٦ــ٣٠٧ •

(٣) اسس احمد بن طولون القطائع سنه ٢٥٦ هـ/سنه ٨٦٩م ، البلوى : سيرة احمد ابن طولون ص٥٣ ، ٣٢٧ ،الكندى : الولاة والقضاه ص ٢١٥ ، ابن دقماق : الانتصار حـ ٤ ص ١٢١

Wiet: L'egypte arabe P.109.

ولكى تتضح لنا طبيعة العلاقات بين الطولونيين والأغالبة يجب علينا ان نشير الى مانشب على حدودها من فتن ، وماقام به أحمد بن طولون من قمع لتلك الفتن التى قامت على حدود برقة الغربية ، حين ثار [1] المفرج بن سالم على ابن الأغلب واستولى على عدة حصون فى المنطقة الواقعة الى الغرب من برقة ،وطلب الدخول فى طاعة أحمد بن طولون ،فما كان من أحمد بن طولون الا أن جهز جيشا بقيادة غلامه لؤلؤ لتأمين حدود برقة التى كانت تتبع مصر اذ ذاك ، فنجح فى قمع الفتنة سنة ٢٦١ هـ / سنه ٨٧٤م .

ونستبعد ماذهب اليه بعض المؤرخين [2] من اعتبار هذه الواقعة دليل سوء العلاقات بين الطولونيين والأغالبة ، فعلى افتراض صحة الرواية القائلة بأن هذا الثائر أراد الدخول فى طاعة أحمد بن طولون فان الأمر يبدو أنه مجرد ذريعة اتخذها الثائر المفرج بن سالم لخروجه ضد الأغالبة .. ولم تكن ظاهرة الخروج والثورات ضد الأغالبة بالشئ الغريب فمصر طالما قامت بمساعدة [3] الأمراء الأغالبة فى قمع تلك الفتن والثورات . وليس بالضرورة أن يكون هذا الثائر قد قام بهذه الفتنة ــ حقيقة ــ بقصد الدخول فى طاعة ابن طولون .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٦٤ ،ابن عذارى : البيان حـ١ ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ،ابن الاثير : الكامل حـ ٥ ص١٩٢ــ١٩٦ ، النويرى : نهاية الارب حـ ٢٢ ص ٣١ــ٣٢ ، ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص ٤٢٠ــ٤٢١ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٦٤

Fournel: Les Berberes Vol I P.56.

Zaki Hassan : Les Tulunides P.70.

(٣) الانصارى : المنهل العذب ص ٧٤ ،

ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص ٤٢٠ــ٤٢١ ،

ابن الاثير : الكامل حـ ٥ ص ١٩٦ــ١٩٧،

المالكى : رياض النفوس حـ ١ ص ١٦١ ،

الدباغ : معالم الايمان حـ ٢ ص ٢٥ــ٢٦ .

واذا كان ابن طولون قد أراد أن يؤمن حدود بلاده ، بقمع الفتن التي ثارت في برقة ، فلا يعني ذلك تحرشه بالاغالبة ، وانما كان هدفه استتباب الامن على حدود دولته .

كما أن محاولة ابنه العباس [1] الوصول الى افريقية لاتمثل سياسة عامة انتهجها الطولونيون تجاه الأغالبة ، بل هي حادثة فرديه تمت في غيبته أحمد بن طولون وضد ارادته .

فحين استخلف أحمد بن طولون ابنه العباس [2] على مصر ، وجعل أحمد بن محمد الواسطي كاتبه عونا للعباس ومرشدا أثناء خروجه الى الشام سنه ٢٦٤ هـ / سنه ٨٧٧م استطاعت الجماعة المقربة للعباس . وكان على رأسهم جعفر بن جدار وأحمد بن المؤمل ومحمد بن سهل أن تحرضه على الخروج عن طاعة أبيه والاستقلال بمصر ، فقبض العباس على الواسطي وأيمن الاسود وهما من أتباع أحمد بن طولون المخلصين ، واتجه بجيشه من القطائع نحو الاسكندرية ومنها الى برقة [3] .

وعندما علم أحمد بن طولون بفعلته هذه عاد مسرعا الى الفسطاط ، وأرسل اليه وفدا على رأسه قاضي مصر بكار بن قتيبة بدعوة الى الرجوع ، الا ان رفاقه خوفوه عقاب والده وزينوا له الاستمرار في خطته ، فتقدم نحو

---

(١) البلوى : سيره أحمد بن طولون ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ ،
ابن الداية : المكافأة ص ٥٩ـ٦٠ ، القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٠٥ ، ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص ٤٣١ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ٢١ المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ١١٤ ، البارونى : الازهار الرياضية ص ٢٥٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب حـ ١ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٣) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ ، ابن الدايه : المكافأة ص ٥٩ـ٦٠ ، ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، ابن عذارى البيان حـ ١ ص ١٥٦ـ١٥٧ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ٢١ ، المقريزى الخطط حـ ٢ ص ١١٤ .

افريقيه • وكتب العباس [1] الى ابراهيم بن الأغلب يخبره بأنه انما قدم افريقيه بناء على طلب الخليفة العباسى المعتمد زاعما أنه كتب اليه تقليدا بولاية افريقية • وطلب العباس من ابراهيم بن الأغلب الدخول فى طاعته • وسار العباس سنه ٢٦٦ ﻫ / سنه ٨٧٩م حتى وصل مدينة لبده [2] وقبض على عاملها الاغلبى ثم أرسل تهديدا مماثلا الى زعيم الخوارج الاباضيه " الياس بن منصور " • فتقدم بجيش اشترك مع الحملة التى أرسلها ابراهيم بن الأغلب لعامله على طرابلس • فاطبق الجيشان على العباس فقتل أكثر من كان معه وغنموا ماكان لديهم من سلاح [3] وخيل وعتاد وتمكن العباس من الفرار الى برقة حيث كان فى انتظاره جيش أحمد بن طولون الذى تمكن من أسر العباس وهزيمة

---

(١) يذكر الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٢٢ ان كتاب المعتمد ورد عليه بتقليده افريقيه ويأمره بالدعاء له بها ويخبره انه سائر اليه فمضى العباس متوجها الى افريقية فى جمادى الاول سنه ست وستين ومائتين • فنزل لبدة فخرج اليه عاملها واهلها فتلقوه واكرموه فأمر العباس بنهبها فنهبت واهلها على غرة فقتلت رجالهم وفضحت نساؤهم وبلغ الخبر الياس بن منصور النفوسى وهو يومئذ رأس الاباضية ومعث ابراهيم بن احمد بن الاغلب بغلام له يقال له بلاغ الى محمد بن قرهب عامله على طرابلس فى جمع كثير من أهل افريقية فأطبق الجيشان على العباس فباشر العباس يومئذ الحرب بنفسه • الولاه والقضاه ص ٢٢١ـ٢٢٢ • البارونى : مختصر تاريخ الاباضية ص ٣٩ •

(٢) الكندى : الولاه ص ٢٢٢ • ابن سعيد : المغرب ص ١٢١ لبده يذكرها ياقوت على انها مدينة بين برقة وافريقيه وقيل بن طرابلس وجبل نفوسه وهو حصن من بنيان الاول بالحجر والاجر " معجم البلدان ﺟ ٤ ص ٣٤٥ـ٣٤٦ ابن عذارى : البيان ﺟ ١ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ م • ابن الاثير : الكامل ﺟ ٦ ص ٢١ ابن الدايه : سيره احمد بن طولون ص ٦ • الطبرى : ﺟ ١١ ص ٢٤٣

(٣) يبالغ Vonder heyden فى بيان الغنائم التى حصل عليها الاغالبة عند هزيمتهم للعباس حيث ذكر ان جزءا كبيرا من ثروة مصر انتقل الى افريقية واعتبرها سببا فيما مكن عليه حال الاغالبة فى أخريات دولتهم من سعة •

Vonderheyden : La Berberie Orientate P.249-250.

اعوانه . وجيء بالعباس الى الفسطاط[1] سنه ٢٦٨ هـ / سنه ٨٨١م ومن ذلك يتضح أن غزو افريقية لم يكن جزءا من سياسة الدولة الطولونية ، وأنه تم دون علم أحمد بن طولون ، وأن الأمر لايعدو أن يكون خروجا من أعداء أحمد بن طولون والبطانة التى التفت حول ابنه العباس.

وان ماذكره[2] " Muir " من محاربة أحمد بن طولون لابراهيم بن أحمد الأغلبي ليس صحيحا لانه لم يحدث أى اشتباك حربى بين أحمد بن طولون وبين ابراهيم بن الأغلب . فأحمد بن طولون كان مشغولا بتوطيد حكمه فى مصر ، وتصفية علاقاته مع الخلافة العباسية ولم يكن ليزيد اعباءه بالدخول فى حرب مع الأغالبة ، كذلك كان الحال عند الأغالبة . رغم ماذكره المؤرخون[3] عن الحملة التى اتجهت من افريقية صوب مصر واختلافهم فى تفسير اسبابها ودوافعها . فانه من الاستحالة التصور امكان احتفاظ الاغالبة بمصر لانفسهم لو تمكنوا من غزوها . فمصر رغم استقلال الطولونيين بها كانت من الناحية الاسمية احدى الولايات العباسية وقد كان الأغالبة حريصين على الولاء للخلافة العباسية[4] .

---

(١) البلوى : سيره أحمد بن طولون ص ٢٥٤ ــ ٢٦٣ .
ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص ٣٢ .
ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١٥٧
ويذكر الكندى أن ابن طولون " عقد لابراهيم بن بلبرد على جيش وبعث الى برقه وذلك فى شهر رمضان سنه سبع وستين فأقام ابراهيم فيما بين برقة والاسكندرية ثم اجمع ابن طولون على النهوض بنفسه الى برقه فاستمد لذلك وخرج فى عسكر عظيم فزعموا ان عسكره ذلك كان مضموما على مائة ألف ... وهرب أحمد بن محمد الواسطى من يدى العباس فأتى سكندرية فلقى أحمد بن طولون بها وهو عازم على المسير الى برقة فصغر امر العباس عنده فعقد ابن طولون لنبار على بعض الجيش ... ومضوا يريدون برقه . " الولاه والقضاه ص ٢٢٣ .

(٢) Muir : The caliphate . P. 548.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب حـ ١ ص ١٧٣ .
القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٢ ص ٢٥٩ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام =

٢ ـ الدعوة الفاطمية فى مصر والمغـــرب :

ظهرت الدعوة العلويه فى مصر واضحة منذ عهد الخليفة ابى جعفر المنصور ، فقد قدم الى مصر عبدالله بن الحسن بن على ابن أبى طالب يدعو لأبيه وعمه سنه ١٤٣ ـ ١٤٤ هـ / ٧٦٠ ـ ٧٦١ م . ورأينا موقف والى مصر العباس حميد بن قحطبه من هذه الدعوة وكيف لم يتخذ موقفـا ايجابيا ضدها مما دعا الخليفة المنصور الى اتهامه بالتواطئ مع العلويين وعزله عن ولاية مصـر (١) .

وكان بمصر عدد كبير من أنصار العلويين الذين فروا اليها بعد ما أصابهم على يد القائد العباس عيسى بن موسى فى المدينة ومقتل محمد بن عبدالله المعروف " بالنفس الذكية " (٢) (كما ذكرنا) .

وكان نتيجة لما أصاب العلويين من اضطهاد على يد العباسيين (٣) أن لجأو الى نشر دعوتهم سرا . ولهذا اتخذ دعاه الشيعة من الاسماعيلية بوجه خاص خطة الدعوة السريه حتى يتمكنوا من نشر المذهب الاسماعيلى . والتمسوا اماكن يتخذونها ملاذا لهم الى أن تقوى دعائم دعوتهم . وكانت مصر وافريقية أحد هذه الميادين لبعدهما عن مركز الدولة العباسيـة

= حـ ٣ ص ١٢٩ . البارونى : الازهار الرياضية حـ ٢ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
الدرجينى : طبقات الاباضية حـ ١ ص ٣٩ ، ابو زكريا : كتاب السيره واخبار الائمة ص ٣٣ .

= يذكر النويرى انه " لما قامت هذه الدولة كانت كالمستقله بالامر وانما كانت ملوكها تراعى اوامر الدولة العباسيه وتعرف لها حق الفضل والامر . نهايـة الارب حـ ٢٢ ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ١١٠ ـ ١١١ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٥ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣

(٢) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ٣٣٨ ، الطبرى حـ ٩ ص ٢١١ ـ ٢١٢ وقتل ايضا اخاه ابراهيم سنه ١٤٥ هـ فى موقعه باخمرا فيما بين الكوفة وواسط وفى عهد الهادى خرج الحسين بن على بن الحسن بن على بالمدينه سنه ١٦٩ هـ . وهزمه العباسيين فى موقعه فخ ـ فى طريق مكه وتمكن من الهرب بعد شليحيى بن عبد الله الذى اتجه الى الديلم وادريس الذى اتجه الى مصر ومنها الى المغرب . واسس دولة الادارسة هناك كما قدمنا .

(٣) بعد موت زيد بن على بن الحسين انقسم الشيعة الزيديون الى عدة طوائف =

فى الشرق بعد أن فشلت الجهود التى بذلها الشيعيون لتأسيس خلافة علويه بالشام (١) .

وكان قيام دولة الادارسة فى المغرب الأقصى أول نجاح حقيقى للعلويين فى بلاد المغرب . ومن ثم أصبحت بلاد المغرب أرضا ممهدة للدعوة الاسماعيلية .

وكان أشهر دعاتها " ميمون القداح (٢) " الذى وضع اساس المذهب الاسماعيلى وحمل ابنه عبدالله لواء الدعوة من بعده (٣) . واتخذ مدينة الأهواز مركز النشر الدعوة الاسماعيليه (٤) .

وقد شهدت مصر قدوم دعاة المذهب الاسماعيلى واستتارهم بها . ففى عصر الخليفة المأمون قدم الى مصر القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن الحسن بن على بن ابى طالب . واتخذ من مصر مركزا لنشر الدعوة

= وانضم فريق كبير منهم الى الطائفة الاماميه انصار جعفر الصادق والامام حسب معتقدات الاماميه يكتسب حقه فى الامامه بطريق الوراثه عن على باعتباره خليفة النبى شرعا . ويعتبر الامام فوق ذلك وريث النبى (ص) عن فاطمه وقد انقسموا الى طائفتين بعد موت جعفر الصادق الـــــى : الاماميه وقد اطلق عليهم بعد ذلك اسم الاثنا عشريه وقالوا بامامه موسى بن جعفر الصادق . والاسماعيلية وقالوا بامامة اسماعيل بن جعفر وحولوا امامة اسماعيل بعد وفاته الى ابنه محمد واطلق عليهم فيما بعد السبعية . المسعودى : التنبيه والاشراف حـ٨ ص٢٢٢ـ ٢٢٣ . النويرى : نهايه الأرب حـ ٢٦ ص ٢٢ـ٢٣ . المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ١٨١ .

(١) اتخذ الاسماعيليه مدينة سلميه من أعمال حماه بالشام مركزا لنشر هذه الدعوه وكانوا يبعثون منها الدعاه الى الاقطار الاسلامية ومن أشهر ميمون القداح الذى وضع دعامة المذهب الاسماعيلى ومهد الدعوه لابنه عبدالله بن ميمون الذى اتخذ الاهواز مركزا لدعوته ثم فر منها الى البصره ومنها الى سلميه . المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٢ وقد خلفه ابنه أحمد وكان يلقب بأبى الشلعلع واتخذ من سلميه مركزا لدعوته وبعث ابن حوشب لنشر الدعوة فى بلاد اليمن كما بعث ابا عبدالله الشيعى الى اليمن قبل رحيله الى بلاد المغرب المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٣٤٨ ، النويرى : نهاية الأرب حـ٢٦ ص ٢٤ ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٢٩٤ .

(٢) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٦ ص ٢٢ـ٢٣ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١١ـ١٢ .

مدة عشر سنوات وحين وصلت أخباره الى الخليفة المأمون شدد فى طلبه فاظطر الى الخروج من مصر ومنها الى الحجاز[1] .

وقدم الى مصر كثيرون من دعاة الاسماعيلية منذ أن تولى أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى[2] مهمة نشر الدعوة فى اليمن سنه ٢٦٨ هـ / سنه ٨٨١م وشب منها الدعاة الى مصر والمغرب. وحرص الامام الحسين بن احمد على[3] نشر دعوته فى بلاد المغرب . وكانت بلاد المغرب مهيأة لتقبل الدعوة ، فقد مهد لها دعاة الاسماعيلية من قبل أبي عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد سنه ١٤٥ هـ/ سنه ٧٦٢ م

---

(١) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية عن كتاب يحيى بن سعيد المتوفى سنه ٣٦٠ هـ " الافاده فى تاريخ الائمة السادة على مذهب الزيدية " وقد روى يحيى بن سعيد عن خادم القاسم بمصر انه " ضاقت بالامام القاسم المسالك واشتد الطلب ونحن مختفون معه خلف حانوت اسكاف .. فنودى نداء يبلغنا صوته : برئت الذمه ممن آوى القاسم بن ابراهيم وممن لايدل عليه . ومن دل عليه فله ألف دينار .. ومن البر كذا وكذا ... والاسكاف مطرق يسمع ويعمل لايرفع صوته فلما جاءنا قلنا له : اما ارتعت ؟ قال : من لى إ ما ارتياعى منهم ولو قرضت بالمقاريض بعد ارضاء رسول الله حتى فى وقايتى لولده بنفسى . " يحيى بن سعيد :الافاه فى تاريخ الائمة السادة مخطوط بمكتبه ليدن ص ٣٤ـ٣٥ .

(٢) يذكر ابن خلدون ان ابن حوشب تمكن من اتخاذ حصن له فى جنوب صنعاء واعد جيشا تغلب به على صنعاء وكثير من ارجاء اليمن . العبر حـ٤ ص ٣١ـ٣٢ .

(٣) يذكر ادريس عماد الدين : عيون الاخبار ص ٣٩٥ انه " قام الامام التركى الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد فأقام الدعوة ونشرها وبث العلوم لشيعته وأشهرها واقام الدلائل وابان الرسائل وبث دعاته فى الأقطار واقام دين الحق لذوى الاستبصار فانتشرت دعوته ودعاته وكذا المستجيبون له وظهرت فى الأفاق آياته وبشر بظهور المهدى ودنو ايامه ووعد بالفرج اولياءه .. واشتد طلب بنى العباس له وامنعوا فى ان يعرفوا خبره اذا انتشرت الدعوه بكذره وخافوا فساد امرهم لقوة ظهور أمره فستر الدعاه اسمه " .

وهما الحلواني وأبا سفيان[1] .

وتقدم ابو عبدالله الشيعي بتكليف من ابن حوشب داعي دعاة الاسماعيلية في اليمن نحو المغرب . ومر في طريقة بمصر ورحل عنها الى المغرب[2] . حيث نزل في كتامة[3] وأحسن اليه أهلها الذين كانوا قد تتلمذوا على يد دعاة الاسماعيلية من قبل[4] واتخذ في "فج الأخبار" في ايكجان الواقعة بين طنجة وفاس دار هجرة .

وأرسل ابو عبدالله الشيعي الى عبيد الله بن الامام الحسين بن أحمد ـ وهو بسلمية ـ وفدا من رجال كتامة يدعوه للقدوم الى بلاد المغرب[5].

---

(١) ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ١٢٧ ، الاستبصار : ص٢٠١ـ٢٠٢
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٧٤ـ٧٥ .
يذكر المقريزي أن ابن حوشب حين عهد الى ابي عبدالله الشيعي القيام بالدعوة الاسماعيلية في المغرب قال له " ان أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وابو سفيان فبادر فانها موطأة ممهدة لك . " اتعاظ الحنفا ص٧٤ـ٧٥
ابن عذارى : البيان حـ ١ ص١٨٧ـ١٨٨ .

(٢) خرج ابو عبدالله الشيعي من اليمن الى مكة حيث اتصل بحجاج كتامة واجتمع بهم واخذوا يترددون عليه وصحبوه الى مصر بعد ان اجتمعوا على محبته وتقديرهم لعلمه وحبه لال البيت وسألوه عن حاجته بمصر فقال انه ليس له بها حاجه سوى طلب العلم فقالوا له : فأما اذا كنت تقصد هذا فان بلادنا انفع لك واطوع لامرك ونحن أعرف بحقك" فأجابهم الى المسير معهم . المقريزي اتعاظ الحنفا ص٧٤ـ٧٥ ، ادريس عماد الدين : عيون الاخبار ص٤٠١ـ٤٠٢

(٣) على مقربه من مدينة قسنطينية وقد نزل في فج الاخبار في جبل ايكجان في ارض كتامه واتخذها دار هجره . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٧٦ـ٧٧ ، البكرى : ص ٦٣ . Gautier : Les Siecles. P.317-318.

(٤) تهافت اهل كتامه على استضافته فسألهم اين فج الاخبار فدلوه عليه فقصده ونزل به وقال لهم " هذا فج الاخبار وما سمي الا بكم ولقد جاء في الاثار للمهدى هجرة ينبو بها عن الاوطان ينصره فيها الاخبار من أهل ذلك الزمان ... انا صاحب البذر الذى اخبر به ابو سفيان الحلواني " . ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص٣٦ ، ابن الاثير حـ٨ ص٤١ ، المقريزي : الخطط حـ٢ ص١٠ ، ١٦٥ .
ادريس عماد الدين : عيون الاخبار ص٤٠٢ .

(٥) المقريزي : الواعظ حـ ٢ ص ١١ .

وقدم عبيد الله المهدى الى مصر ورحب به دعاة الشيعة فى مصر وعلى رأسهم داعيته المعروف [1] " بأبى على " وأكرم " ابن عياش " وبقية أنصار الدعاة الاسماعيلية وقادة عبيد الله المهدى وتستروا عليه رغم مابذله الخليفه المكتفى العباسى من جهود فى تعقب [2] عبيد الله والتشدد للقبض عليه • حتى أنه رصدت مكافآت سخيه لمن يقبض عليه أو يرشد عنه وشدد على والى مصر – محمد بن سليمان – بعد أن قضى على آخر أمراء الطولونيين بها سنه ٢٩٢ هـ فى تعقب عبيد الله •

غير أن المعونه التى قد قدمها أنصار عبيد الله المهدى له فى مصر حالت دون ذلك • حتى أن الوالى نفسه " محمد بن سليمان الكاتب [3] لم يكن جادا فى القبض على المهدى واكتفى بالتهم على بعض غلمانه • مما أدى بالخليفة الى خلعه وتولية عيسى النوشرى سنه ٢٩٢ هـ / سنه ٩٠٤ م

الا أن أنصار الاسماعيلية [4] بمصر نبهوا المهدى الى خطر العباسيين

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٨٣ •

(٢) كان المهدى على صلة بداعية فى مصر ابا على الذى رأى ألا ينزله عنده ولا عند من يشار اليه بشىء من أمرنا وان ينزله عند من يثق به فأنزله عند ابن عياش •
اليمانى : سيرة جعفر الحاجب ص ١١٣

(٣) يذكر المقريزى " ان الامام المهدى صلى يوما الصبح فى الجامع العتيق بمصر تحت اللوح الاخضر ومعه ابو على الداعى فلما خرجا من الباب ضرب رجل بيده على كم الامام وقال له : قد جعلت لى عشرة آلاف دينار فقال له : وكيف ذلك؟ قال لانك الرجل المطلوب فضحك المهدى ثم ضرب بيده على الرجل الذى ضرب بيده الى كمه ودخل معه الى صدر الجامع وقال له عليك عهد الله وغليظ ميثاقه اننى اذا جمعت بينك وبين الرجل الذى تطلبه كان لى عليك ولصديقى هذا خمسه آلاف دينار • ثم أخذ بيده واتى به الى حلقه قد اجتمع الناس فيها وادخله من جانبها وفارقه فخرج من الجانب الاخر ولم يلتقيا الى هذه الساعة" كما يذكر نقلا عن الداعى نفسه " كنت يوما قائما على الجسر بمصر مع الامام المهدى الى ان سمعت الأجراس والنداء عليه ألا برئت الذمة من رجل آوى رجلا صفته كذا وكذا •• ومن أتى به فله عشرة آلاف دينارا •• فقال المهدى : ياأبا على المقام بعد هذا عجز • ثم ركب الجسر وسرت معه وسألته ان ارحل معه الى بلاد المغرب • " المقريزى : المقفى الكبير ص ٢١٨ • د • حسن ابراهيم حسن : عبيد الله المهدى ص ١٣١ •

(٤) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٣٢٧ •

وتعقبهم له ،وسهلوا له التستر حتى خرج من مصر الى المغرب فى ولاية " عيسى النوشرى " [1]

وفى بلاد المغرب كان عبدالله الشيعى قد نجح فى نشر الدعوة الاسماعيلية ،وانضمت اليه كثير من القبائل وأتنعهم " بطاعة الامام المعصوم من أهل البيت [2] عبيد الله المهدى .

الاخشيديـــــون :

كان للاضطرابات التى سادت افريقية فى أواخر عصر الأغالبة أثـــر كبير فى نجاح الدعوة الفاطمية فى بلاد المغرب . وقد بلغت تلـــك [3] الاضطرابات الذروة فى عهد زيادة الله الثالث الأغلبى سنـــــه ٢٩٠هـ / ٩٠٢م حتى أصبح من العسير السيطرة على أطراف الدولة فنجد عامـــل طرابلس اليسع بن مدرار يسمح لعبيد الله المهدى بالمرور الى المغـــرب [4] بينما انتشرت الدعوة الشيعية بين وزرائه وعماله وكان بعضهم على صلـــة قويه بأبى عبدالله الشيعى حيث كانوا [5] يتلقون منه الأوامر ويطلعونه علــى أحوال الدولـــة .

---

(١) يذكر ابن الاثير انه حينما القى النوشرى القبض عليه وهو فى طريقه الى بـــلاد المغرب تمكن من الافلات بعد ان دفع مبلغا من المال فيقول فى تعليـــل اطلاق سراحه " لما أخذ منه " ابن الأثير : الكامل حـ٨ ص١٣ . ولم يذكـر الكندى شيئا فى ولاية النوشرى عن خروج المهدى .الولاه والقضاه ص٢٥٨ـ ٢٦٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب حـ ١ ص ١٧١ـ١٧٢ .

(٣) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١٨٠ـ١٨٣ ،ابن الاثير : الكامـــل : حـ ٦ ص ١٢٣ .

(٤) ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ١٢٩ـ١٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١٢٧ـ١٢٨ .

وقد كان الأمير الأغلبي ــ ابراهيم بن أحمد ــ قد تنبه من قبل الى خطر دعوة أبي عبدالله الشيعي الا ان الخيانة التي دبت في صفوف الأغالبة مكنت أبي عبد الله الشيعي سنه ٢٨٩ هـ من النجاح في اقتحام مدينة " ميله "[١] بعد أن أرشده بعض من أهلها على مناطق الضعف في حصونها • وأصبح من السهل بعد ذلك على أبي عبدالله الشيعي الهجوم على افريقيــة[٢]

وفي عهد زيادة الله الثالث تمكن أبو عبدالله الشيعي من الاستيلاء على مدينة " سطيف "[٣] وتجمع المصادر على أنه اتصل ببعض كبار رجال الدولة الاغلبيه ووعدوه بالتأييد[٤] • وأعد زياده الله جيشا لمواجهة أبي عبدالله الشيعي بقياده ابراهيم بن حبشي والتقيا بالقرب من قسنطينــة[٥]

---

(١) النويري : نهاية الأرب حـ ٢٦ ص ٢٩ ، ابن الاثير : الكامل حـ٦ ص ١٢٨ ، ابن خلدون : العبر حـ ٣ ص ٣٦ •
ويذكر اليعقوبي ان ميلة مدينة في منطقة الزاب " عامره محصنة لم يليها وال قط ولها حصن دون حصن فيه رجل من بني سليم يقال له موسى بن العباس بن عبدالصمد من قبل ابن الاغلب وسواحل البحر تقرب من هذه المدينة • " اليعقوبي كتاب البلدان ص ٣٥١ •

(٢) Vonderheyden : La Berberic Orientate P.292-293.

(٣) النويري : نهاية الأرب حـ ٢٦ ص ٢٩ ، ويذكر ياقوت انها مدينة في جبال كتامه بين تاهرت والقيروان • " معجم البلدان حـ ٥ ص ٨٢ •

(٤) المقريزي : الخطط حـ ٢ ص ١٧ ، اتعاظ الحنفاص • ٨ ، ابن الاثيــــر الكامل حـ ٦ ص ١٢٨ •

(٥) ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ،
النويري : نهاية الأرب حـ ٢٦ ص ٢٩ ـ ٣٠ •
مدينة سطيف يذكر ابن حوقل سطيف فيقول " ومدينه سطيف كثيرة الخير تقارب ميلهواسيله وتصاقب القسطنطينيه ••• وكتامه التي بهذه الناحيـــة متشيعون • " ابن حوقل ــ صوره الارض ص ٩٣ •

حيث هزم جيش الأغالبه [١] .

واتجه أبو عبدالله الشيعي سنه ٢٩٣ هـ / سنه ٩٠٥م نحو مدينة طبنة ، واستسلمت له المدينة ثم فتح بلزمة [٢] . وكان لسياسته تجاه أهل افريقية أثر كبير في اقبالهم على دعوته ودخولهم في طاعته [٣] ، حتى أن أهل مدينة "باغايه" [٤] كتبوا اليه يعربون عن رغبتهم في الدخول في طاعته [٥] .

---

(١) يذكر ابن خلدون أن القائد الاغلبي ظل ستة أشهر ينتظر قدوم ابو عبدالله الشيعي اليه الا أن أبي عبدالله الشيعي آثر التريث وكان يبعث بطلائعه للتعرف على أحوال الجيش الاغلبي الى أن التقيا عند بلدة بلزمه . ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٣٦٣ . ويذكر النويرى مبلغ تحمس الشيعه وشعورهم بقرب تحقق آمالهم بعد النصر الذى أحرزوه فيقول " فشرقت أنفسهم وتحققت آمالهم وصح عندهم ماكان الشيعى يعدهم " نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٢٩ـ٣٠ ب .

(٢) بلزمه ذكرها ابن حوقل بقوله " ومدينة بلزمه حصن لطيف فيه رجال جلد وله مار جاء وهو فى وسط محصى عليه سور تراب ، وزروعهم تسقى بمائهم وهو بلد محدث للعرب ." صوره الارض ص ٩١ ويذكر عن طبنة انها مدينه قديمة عظيمة كبيرة البساتين " ص ٨٥ .

(٣) ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ١٨٧ـ١٨٨ ، ١٩٢ .

(٤) باغايه يذكر ابن حوقل باغاى ويقول " هى مدينة كبيره عليها سور أزلى من حجاره ولها ربض عليه سور والاسواق فيه وكانت الاسواق قديما فى المدينة فنقلت ولها ماء جار ." صوره الارض ص ٨٤
اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥٠ .

(٥) يذكر ابن عذارى انه بعد فتح بلزمه عمل أبو عبد الله الشيعى على التخفيف عن أهل افريقية " فرفض جباية العشور عينا ، ولم يقبل الخراج من المسلمين فى الوقت الذى أخذ فيه الجزيه والصدقه مالا عملا بتعاليم الشريعة . "
البيان المغرب جـ ١ ص ١٩٢ ، ١٩٥ ،
ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢٩ـ١٣٠ .

وأعد بعد ذلك العدة[1] لدخول القيروان ذاتها ، والتقى بجيش الأغالبة في مدينة الأربس[2] — على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان سنة ٢٩٦هـ سنه ٩٠٨م وهزم جيش الاغالبه ودخل أبو عبدالله الشيعى بجيشه الى القيروان[3] وفر زيادة الله الى رقادة[4] فتعقبه جيش الشيعه بها ، وأعطى أبو عبدالله أهل القيروان الأمان بعد أن خرجو يهنئونه[5] بالفتح .

وخرجت افريقية من يد الأغالبـــة .

وتمكن أبو عبدالله الشيعى من اطلاق سراح الامام أبى عبيد اللــه المهدى فى سجلماسه بعد أن هرب أميرها فزال سلطان بنى مدرار فــى سجلماسة كما زال سلطان الرستميين فى تاهرت وقامت الدولة الفاطمية فــى افريقية والمغرب جميعه[6]

---

(١) ابن الأثير : الكامل حـ ٦ ص ١٣١ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٤٠ــ٤١ .

(٢) الاربس مدينة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام ذكر البكرى أنها مســوره لها ربض كبير يعرف ببلد العنبر واليها سار ابراهيم بن الاغلـــب حين خرج من القيروان سنه ٢٩٦ . " ياقوت حـ ١ ص ١٧٠ــ١٧١ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٦ ص ٢٩ــ٣٠ أ ،
ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ١٣٢ .

(٤) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٢٠٢ــ٢٠٤ ابن خلدون : العبر حـ ٣ ص ٣٦٤ .

(٥) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١٨٥ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ١٣٢

(٦) اتخذ المهدى عاصمة له جنوب القيروان كما أمر ببناء مدينة بجوارهـا سماها زويلة حول بينهما ميدانا فسيحا . وصف البكرى المهديه فقال انها محاطه بالبحر من ثلاث جهات وكان لها بابين من الحديــد زنة كل باب منهما ألف قنطار وطوله ثلاثون شبرا نقشت عليهما صــور بعض الحيوانات وكان بها ثلاثة وستون صهريجا . "
البكرى : المغرب ص ٢٩ــ٣١ .

ولم يجد زيادة الله الثالث أمامه الا اللجوء الى مصر عسى أن تساعده[1] الخلافة فى استرجاع افريقية ،واستمرارا لدور مصر فى مساندة ولاة افريقية طلب الخليفة المقتدر الى " عيسى النوشرى " الذى ولى مصر من قبل الخلافة العباسية بعد القضاء على آخر نفوذ الطولونيين بمصر[2] ــ طلب منه الخليفة اعداد حملة لمساعدة زيادة الله فى استرداد افريقية . الا أن ظروف الخلافة فى ذلك الوقت وما كانت تجابهه من مشاكل لم تكن لتسمح بوضع هذه الفكرة موضع التنفيذ . بينما وجه ولاة مصر طاقتهم لدفع خطر الفاطميين .

فأعد والى مصر من قبل الخليفة المقتدر أبو منصور تكين[3] سنه ٢٩٧هـ/ سنه ٩٠٩م لهذا الغرض جيشا عقد لواءه لابى النمر أحمد بن صالح . وولاه برقة . واستشعر ابو عبيد الله المهدى فى افريقية هذا الخطر فبعث جيشا بقيادة حباسة بن يوسف الكتامى . وتمكن حباسة عن طريق الايقاع بين أحمد بن صالح عامل برقة وقائد جيشها وبين خير المنصورى الذى بعثه والى مصر بدلا من أحمد بن صالح ــ من هزيمتهما والاستيلاء على برقة[4] .

---

(١) الكندى : الولاة ص ٢٦٧ يذكر أنه " لما هزم زيادة الله بن عبدالله بن ابراهيم بن الأغلب بافريقية وزال سلطانه فأقبل الى مصر ونزل الجيزة فى شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائة ومنعه النوشرى من العبور الى الفسطاط الا أن يعبر وحده ثم أذن له فدخل الفسطاط ليلا . "

(٢) ابن أبى دينار : المؤنس ص ٥١ .

(٣) الكندى : الولاه ص ٢٦٨ .

(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٦٧ـ٢٦٨ فيذكر أن محمد بن طاهر صاحب شرطة مصر " تقدم الى تكين فى الجد فى أمر المغرب والاحتراس منه فعقد لابى النمر بن صالح على برقة وبعثه بجيش فيه جمع كثير فسار اليها أبو النمر فدخلها واشتد سلطانه بها وفرض بها فروضا من البربر وغيرهم وخرج منها حتى بلغ سرت وحسن أمره فى ولايته فبعث اليه صاحب توزن بحباسة بن يوسف رجل من البربر من كتامه فكان موافقا له قد انتصف كل واحد منهما وامتنع عن صاحبه وهزم تكين على صرف أبى النمر عما يتولاه ببرقة وعقد عليها لخير المنصورى وبلغ حباسة خبره فبعث الى ابى النمر وهو موافقه : ماالذى يحملك على حربنا وانت ـ

ويبين " الكندى " أن أبى النمر بن صالح كان قد استطاع أن يصل بجيشه الى سرت وأن لقاءه بالجيش الفاطمى بقيادة حباسة تم عندهـا ، وأن قرار والى مصر بعزله جاء " وهو موافقه " فاستغله حباسه فى كسر شوكته " فانصرف أبو النمر الى برقة وتبعه حباسة." (١)

وكان انتصار الفاطميين فى برقة وافعالهم على التقدم نحو مصر (٢) فقد كانت مصر محط انظار الخلفاء الفاطميين لأهمية موقعها حربيا وسياسيا بالنسبة لنشر الدعوة الفاطمية ،وأنه كان لولاة مصر الولاية على الشام والحجاز أيضا ، والاستيلاء على مصر يفتح أمامهم الطريق الى حاضرة الخلافة العباسية ببغداد نفسها . هذا فضلا عن وفرة موارد مصر الاقتصادية وثروتها .

وتعاقبت الحملات لفتح مصر ، فوجه المهدى جيشا من برقة بقيادة ابنه أبى القاسم سنه ٣٠١هـ / سنه ٩١٣م الى الاسكندرية (٣)، الا انه لم يتمكن من التقدم الى مصر فعاد الى برقة (٤)

= معزول . فانصرف ابو النمر الى برقة وتبعه حباسة ثم رحل أبو النمر من برقة يريد مصر ونزل حباسة عليها وخرج حيز المنصورى الى برقة ومعه عبد العزيز بن كليب الجرسى فوقع بينهما تشاجر فنفس كل واحد منهما الولايه على صاحبه وتجافيا فظفر بهما حباسه وهزمهما جميعا . "

(١) الكندى : الولاه ص ٢٦٨ .

(٢) يذكر الكندى أن تكين كتب الى صاحب افريقية كتابا على لسان أمير المؤمنين المقتدر يدعوه فيه الى الطاعة والتمسك بها وجمع وجوه أهل مصر نقرأه عليهم وانفذه اليهم وذلك فى سنه ٣٠٠ هـ . "
الولاه والقضاه ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٦٩ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٩٨ ، ابن الأثير : الكامل حـ ٨ ص ٣٠

وقد عاود المهدي محاولة فتح مصر سنه ٣٠٢ هـ / سنه ٩١٤م وتمكن جيشه من فتح الاسكندريه[1] بقيادة حباسة ، وسرعان ماأتت الامدادات العسكرية إلى والى مصر " تكين " من الخليفة العباس المقتدر ، بقيادة مؤنس الخادم ، فانتصر العباسيون على الجيش الفاطمى قرب الجيزة ، واشترك فى هذه المعركة عدد كبير[2] من أهل مصر وعزل مؤنس الخادم[3] " تكين " عن مصر وتولى هو أمورها الى أن بعث الخليفة المقتدر بذكا " الاعور "[4] واليا على مصر .

واهتم الوالى الجديد بتعقب اتباع الفاطميين[4] فى مصر وأمر بالقبض على كثيرين منهم ، الا أن الفاطميين تمكنوا من اقتحام الاسكندرية واستولى عليها

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٧٣ ، الكندى : الولاة ص ٢٧٠ .

(٢) يذكر الكندى " فخرج الناس خروجا لم ير مثله قط فى الاجتماع والنشاط وحسن البصيره واتاهم حباسه فى جيشه يومئذ فيما بين الظهر والعصر فألتقوا وكثرت القتلى منهم وقتلت رجالة حباسه كلهم ثم من الله وله الحمد بهزيمتهم ومنح أهل مصر . اكتافهم ومضوا على وجوههم هاربين ورأوا من اجتماع الناس ونصر الله مالم يسمع بمثله ومضى جمع من الرعيه فاتبعوهم وعبروا خلفهم خليج بوصه واختلط الظلام فخرج عليهم كمين حباسة بعد المغرب فانقطع طائفة منهم فقتل منهم يرحمهم الله نحوا من عشرة آلاف الولاة والقضاه ص ٢٧٠ .

(٣) يذكر الكندى : " وأقبل مؤنس الخادم من العراق فى جيوشه فدخلها .. ومعه جمع من الأمراء سارهم ونزل الحمراء (احدى خطط الفسطاط) ولقى الناس من جنده كلفا كرهوا .. فصرف تكين عن صلاتها يوم الخميس لأربع عشره ليلة خلت من ذى القعدة سنة اثنين وثلثمائة صرفه مؤنس عنها وأمره بالخروج ." الولاه والقضاه ص ٢٧٣ .

(٤) الكندى : الولاة ص ٢٧٣ يذكر ذلك بقوله " وتتبع ذكا كل من يوسا اليه بكاتبة صاحب افريقية فسجن كثيرا منهم وقطع ايدى قوم وأرجلهم ."

القائد الفاطمي أبو القاسم بن المهدي[1] ، واحتل الفاطميون الفيوم والاشمونين وجزءا كبيرا من مصر الوسطى والصعيد . وأعد ذكا " الاعور " العدة في الفسطاط[2] وخرج بجيشه الى الجيزة واتخذ خندقا حول جنده وبنى حصنا على الجسر الغربي للجيزة الا انه توفى قبل أن يلتقي بجيش الفاطميين . وولى تكين مصر للمرة الثانيه من قبل الخليفة المقتدر ، ودارت معركة بحرية بينه وبين الفاطميين عند رشيد سنه ٣٠٧ هـ / سنه ٩١٩م انتصر فيها العباسيون[3] . الا أن ذلك لم يفت في عضد الجيش الفاطمي الذي كان يسيطر على الفيوم ومصر الوسطى . وتوالت امدادات الخلافة الى مصر لاجبار الفاطميين على الانسحاب منها الى أن استطاعت الجيوش العباسية بقيادة مؤنس الخادم من الحاق[4] الهزيمة بالفاطميين واضطر القائم بن المهدي الى التقهقر نحو برقة سنه ٣٠٨هـ / سنه ٩٢٠م .

---

(١) ابو المحاسن : النجوم حـ ٣ ص ١٨٦ـ١٨٧ ، الطبري : تاريخ الامم والملوك حـ ١٢ ص ٤٢ـ٤٣ ، الكندي : الولاه والقضاه ٢٧٥ـ٢٧٦

(٢) يذكر الكندي . وجد ذكا في أمر الحرب وأمر ببناء الحصن على الجسر الغربي للجيزة ملاصق مسجد همدان واحتفر خندقا خندق به على عسكره وعلى الجيزه . " الولاه والقضاه ص ٢٧٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل حـ ٨ ص ٣٩ ، ابن خلدون : العبر حـ ٤ ص ٣١٢ ويذكر الكندي : الولاه والقضاه ص ٢٧٦ـ٢٧٧ " ونزل الجيزه وحفر خندقا ثانيا واقبلت مراكب صاحب افريقية قاصده الاسكندرية عليها سليمان الخادم فبعث ثمل الخادم صاحب مراكب طرسوس تأتي في مراكبه الى رشيد تلتقي سليمان الخادم فاقتتلوا وبعث الله الريح على مراكب سليمان فالقتها الى البرنتكسرت وأخذ من فيها اخذا باليد وأسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا .. فأمر تكين بتمييز الاسارى فأطلق اهل القيروان وطرابلس وبرقه وصقليه وميز كتامه وزويله ناحيه ثم أذن للناس في قتلهم فقتلهم الجند والرعيه كانت عدة القتلى سبعمائة او نحو ذلك ودخل ثمل الفسطاط ومعه سليمان نطيف به مقيدا ورؤساء المراكب وهم مائة وسبعة عشر . "

(٤) الكندي : الولاه ص ٢٧٧ـ٢٨٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهره حـ ٣ ص ٢٠٢ـ٢٠٣ ويذكر الكندي " وسار مؤنس وتكين في عسكرهما وعلى =

وانتهز الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدى فرصة الاضطرابات التي نشبت في مقر الخلافة العباسية في بغداد عقب وفاة الخليفة المقتدر فأرسل حملة لمعاودة فتح مصر سنه ٣٢١ هـ / سنه ٩٣٣م بقيادة " حبش[1] بن أحمد المغربي " وكانت أمور مصر في غاية الاضطراب . فلم يكد محمد بن طغج الاخشيد يتولى مصر حتى عزله الخليفة العباسي القاهر وولاها لاحمد بن كيغلغ ولم يكن قد مضى على ولاية محمد بن طغج الا اثنين وثلاثين[2] يوما . بينما ادعى محمد بن تكين أن الخليفة العباسي الجديد الراضي الذى أعقب الخليفة القاهر قد ولاه على مصر . وانقسمت البلاد على نفسها الى فريقين[3] احدهما يقف مع ابن تكين والآخر وراء ابن كيغلغ ونشب القتال بين الفريقين وانتصر ابن كيغلغ الا ان الخليفة العباسي الراضي ولى محمد بن طغج الاخشيد على مصر للمرة الثانية[4] سنه ٣٢٣هـ/ سنه ٩٣٤م وكان الجيش الفاطمي في ذلك الوقت بقيادة " حبش بن أحمد " قد دخل الفسطاط . وحين دخل محمد بن طغج المدينة أجبر جيش

= مقدمتهما جنى الصفواني فدخلوا مدينة الفيوم ومضى ابن صاحب افريقية الى تهنست وافنى ثم مضى هاربا الى برقة . " ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(١) الكندى : الولاة والقضاه ص ٢٨٢-٢٨٤ .
ابن سعيد : المغرب ص ١٢-١٣ .

(٢) يذكر الكندى : أنه " وليها أبو بكر محمد بن طغج من قبل القاهر بالله على صلاتها .. ودعى له بها وهو اذ ذاك مقيم بدمشق فكانت ولايته عليها اثنين وثلاثين يوما ولم يدخلها ثم وليها أحمد بن كيغلغ ولايته الثانية عليها من قبل القاهر بالله . " الولاه والقضاه ص٢٨١-٢٨٢

(٣) الكندى : الولاه والقضاة ص ٢٨٥ .

(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص٢٨٣-٢٨٦ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٢٩ . أطلق على محمد بن طغج لقب الاخشيد بعد أن طلب ذلك من الخليفة فورد بالكتاب بالزياده في اسم الامير محمد بن طغج فلقب بالاخشيد ودعى له بذلك على المنبر في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة . من قبل الخليفة الراضي .
الكندى : الولاه ص ٢٨٨ .

الفاطميين على الخروج منها ، كما أوقع الهزيمة بجنود ابن كيغلغ والماذرائيين الذين كانوا يسيطرون من قبل على البلاد سيطرة فعليه . وتوجه الجيش الفاطمى الى الاسكندريه — حيث لحق به أعداء محمد بن طغج الاخشيد من جنود كيغلغ والماذرائيين — ومنها تقدموا نحو الرمادة حيث كاتبوا القائم بأمر الله الفاطمى داعين اياه بالتوجه لفتح مصر مبدين استعدادهم لمؤازرته[1] والقائم بأمر الله هذا هو أبو القاسم بن عبيد الله المهدى الذى خلف أباه بعد وفاته . أرسل أبو القاسم جيشا الى الاسكندرية سنه ٣٢٤ هـ / سنه ٩٣٥ م حيث انضم اليه عدد من الشيعه من أهل مصر مما يبين مدى تأثير الدعوة الفاطمية على عدد غير قليل من أهل البلاد . وتصدت للجيش الفاطمى بقيادة "حبشى" قوات الاخشيد التى خرجت الى الاسكندرية بقيادة الحسن بن طغج وصالح بن نافع " والتقيا بالجيش الفاطمى وقائديه "بعيش" وأبو تازرت الكتامى "[2] فى المنطقة مابين " تروجه " وأبلق ، وانتصر جيش الاخشيد ودخل الحسن بن طغج وصالح ابن نافع الى الاسكندرية واضطر " حبشى " الى الانسحاب بجيشه الى برقة[3]

---

(١) الكندى : الولاه ص ٢٨٧ " ولقوا حبشى واجمعوا على اللحاق ببرقة فساروا اليها وكتبوا الى صاحب افريقيه يستأذنونه فى الدخول الى عمله ويسألونه ان يبعث اليهم بجيش يأخذون به مصر فانهم يعلمون وجوه الحرب وكيف الوصول اليها . " .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٨٧—٢٨٨ ،
ابن سعيد : المغرب ص ٢٤—٢٦ .
تروجه وأبلق قريتين من قرى البحيرة .

(٣) يذكر الكندى ان الحسن بن طغج وصالح بن نافع " نزلوا الجيزة ومعهم الاسارى فطيف بالاسارى وهم مائة رجل واربعه رجال وأربعة آخرين من وجوههم قد افردوا عن اولئك فيهم رئيس يقال له علم المجنون فسجنوا ولم يقتلوا . " الولاه والقضاه ص ٢٨٨ .

وازاء تلك الهزائم المتواليه التى منى بها الجيش الفاطمى رأى الخليفة القائم بأمر الله الفاطمى أن يلجأ الى المفاوضة فأرسل الى الاخشيد يعرض عليه الدخول[1] فى طاعته ، منوها بسوء معاملة الخليفة العباسى له وقلة قدره عنده .

ولكن الاخشيد رفض الاستجابة لهذا الطلب ، وماطل فى الرد على الخليفة الفاطمى ، رغم تدهور العلاقة بين الاخشيد والخليفة العباسى حين[2] بلغه أنه بعث بابن رائق من الشام الى مصر لخلعة وتولية مصر لمحمد بن رائق .

---

(١) يذكر ابن سعيد : المغرب ص ٢٥ـ٢٦ هذا الخطاب فيقول " قد خاطبتك أعزك الله فى كتابى المشتمل على هذه الرقعة بمالم يجز لى فى عقد الدين ، وماجرى به الرسم من سياسة انصار يستجلبون وضمنت رقعتى مالم يطلع عليه أحد من كتابى وذوى المكانه عندى ، وأرجو أن تردك صحة عزيمتك وحسن رأيك الى مادعوك اليه ، فقد شهد الله على ميلى لك وايثارى لك ورغبتى فى مشاطرتك ماحوته يمينى واحتوى عليه ملكى ، وليس يتوجه لك العذر فى التخلف عن اجابتى لانك قد استفرغت مجهودك فى مناصحة قوم لايرون احسانك ولايشكرون اخلاصك يخلفون وعدك ويخفرون ذمتك ، لم يعتقد منك أحد حسن المكافأة ولا جميل المجازاة . وليس ينبغى لك أن تعدل عن منهج من نصحك وايثار من آثرك الى من يجهل بونمك ويضيع حسن سعيك ، وأنا أعلم أن طول العاده فى طاعتهم قد كره اليك العدول عنهم ، فان لم تجد من نفسك معونة على اتباع الحق ولزوم الصدق فانى أرضى منك المودة والامر والطاعة حتى تقيمنى مقام رئيس من أهلك تسكن اليه فى أمرك وتعول عليه بمثل ذلك ، واذا تدبرت هذا الامر علمت أن الذى يحملنى على التطاطى لك وقبول الميسور منك انما هو الرغبة فيك . وانت حقيق بحسن مجازاتى على مابذلته ، والله يريك حسن الاختيار فى جميع امرك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . " ابن سعيد المغرب ص ٢٥ـ٢٦ .

(٢) الكندى : الولاه ٢٨٩ . ويذكر ابن سعيد أن الاخشيد فكر فى الدعوة للخليفة الفاطمى فى خطبة الجمعة لكن بعض خاصته نصحوه بالعدول =

وقد اتبع " كافور " الذى أمسك بزمام الأمور فى مصر بعد وفاة محمد بن طغج الاخشيد سنه ٣٣٤ هـ / سنه ٩٤٥م سياسة المهادنة مع الفاطميين فـ " كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ـ وكذا يذعن بالطاعة لبنى العباس ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء ." (١) الا أن الخليفة المعز الفاطمى عاد لسياسة الفتح العسكرى لمصر بعد أن كانت الاشتباكات قد توقفت طوال خلافة المنصور بن القائم بالله الفاطمى لانشغاله بقمع الثورة التى قامت ضده فى بلاد المغرب (٢) .

سارت جيوش المعز الفاطمى نحو مصر ووصلت الى الواحات واستطاع كافور ان يعد جيشا أوقف تقدم الفاطميين الى مصر وتراجعوا الى افريقية (٣) .

= عن هذه الفكره فيقول ان عمر بن الحسن الخطيب دعاه الاخشيد فقال " اذا كان يوم الجمعة فأتم الدعوة لابى القاسم صاحب المغرب واسقط الدعوة للراضى حتى يعلم محمد بن طغج ... فقلت كما يأمر الاخشيد فغدوت اليه ثانيه واستأذنته وقلت لعله يرجع فقال : نعم فلم أزل على هذا ثلاثة أيام الى يوم الخميس ، فاتهمت أن يكون أبو الحسن محمد بن عبدالوهاب وكان رجلا جزلا جيد الرأى شيعيا ـ قد حسن له هذا الرأى " الا ان الحسين محمد بن عبدالوهاب هذا استطاع أن يقنع الاخشيد بالعدول معللا ذلك بقوله : " اذا علمت هذا كاتبه من مصر من يكره هذا وكتب بذلك الى العراق فان كان الراضى لم يقلده . قلده وانفذ اليه الاموال والعساكر وصيرت له شيعه وخاصة ولكن دع هذا الى وقت آخر . " ابن سعيد : كتاب المغرب ص ٢٦ـ٢٧ .

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهره حـ ٤ ص ٦ .

(٢) هددت ثورة أبى يزيد بن مخلد كيداد " الذى قوى امره واستولى على بجاية وسرمجنة وهزم قبيلة كتامه ودخل سبيبة واستولى على الاربس وشارف على المهديه فرأى الخليفة القائم الاستنجاد بشيخ صنهاجه زيرى بن مناد وساعد الفاطميين ذلك الانقسام الذى دب فى صفوف ابى يزيد فخرج كثير من رجاله وانضموا الى جيوش القائم ولم يبق معه الا قبيلتى هوارة وبنو كملان فارتد عن المهديه ولم ينجح فى الاستيلاء على القيروان وسلطه منهزما ..." .
ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ١٥٠ـ١٥٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٤٥ـ٥٣
المراكشى : المعجب فى تلخيص المغرب ص ٢٥٧ـ٢٥٨ .

(٣) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ٢٦ـ٢٧ .

واذا كانت جيوش المعز قد عجزت فى تلك الفترة عن فتح مصر الا أن دعاة الفاطميين نجحوا[1] فى نشر الدعوة الفاطمية بين أهل مصر وأتت ثمارها فى هذه الفترة حتى أننا نجد دعاة الفاطميين استطاعوا ان يأخذوا[2] البيعة للمعز من كثير من أهل مصر خاصتهم وعامتهم فضلا عن كثير من قادة جند الاخشيديين . وقد ساعدهم على ذلك اضطراب الاحوال فى البلاد عقب وفاة كافور . فقد قام جعفر بن الفضل بن الفرات بالقبض على طائفة من كبار[3] رجال الدولة وصادر اموالهم ،وكان من بينهم يعقوب بن كلس الذى تمكن من الهروب ولجأ الى المعز فى المغرب . فضلا عما منيت به البلاد من أزمات اقتصادية الأمر الذى حدا بالكثيرين من رجال الدولة الى الكتابة[4] للمعز معلنين رغبتهم فى الدخول فى طاعته مستحثين اياه على فتح مصر .

---

(١) يذكر ابن الزيات ارتفاع مكانة العلويين فى مصر فى عصر الاخشيديين " فكانو يخاطبون الواحد منهم بالشريف" وكان للعلويين نقيب فى الفسطاط يعينه الوالى وكانت وساطة العلويين وشفاعتهم تجد قبولا لدى الامراء الاخشيديين وانه ولى نقابة العلويين فى الفسطاط زمن كافور الشاعر ابو القاسم أحمد بن اسماعيل طباطبا . الكواكب السيارة ص٥٩ـ٦٤ .

(٢) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص٢٧ يذكر المقريزى أن دعاة المعز فى مصر كانوا يقولون " اذا زال الحجر الاسود ملك مولانا المعز لدين الله الارض كلها وبيننا وبينكم الحجر الاسود ـ يعنون كافورا الاخشيد . "
اتعاظ الحنفا ص١٣٨ . ، ابو المحاسن : النجوم حـ ٢ ص٤٤٣ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان : حـ ١ ص١٣٧ـ١٣٨ .

(٤) يذكر المقريزى : اتعاظ الحنفا ص٦٠ـ٦١ ان المعز جمع عدة شيوخ من شيوخ كتامه وأخبرهم بقوله " انى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب ،أجيب عنها بخطى ،وانى لا اشتغل بشئ من ملاذ الدنيا الا بما صان أرواحكم وعمر بلادكم وقمع اعداءكم ، فافعلوا ياشيوخ فى خلوتكم مثلما افعله .. وتحننوا الى من وراءكم ممن لايصل الى كتحننى عليكم . "
ويشير المقريزى الى أن المعز أرسل الى دعاته فى مصر عقب موت كافور أعلاما أمرهم أن يفرقوها على أتباعهم من الجند ليرفعوها عند وصول جنده الى مصر . المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٤٧ .

أعد المعز لدين الله الفاطمى جيشا لفتح مصر فى ربيع الثانى سنه ٣٥٨ هـ / سنه ٩٦٨م بقيادة جوهر عقب وفاة كافور [١] ، وتقدم الجيش نحو الاسكندرية فسارع جعفر بن الفرات بتشكيل وفد من كبار رجال الدولة من بينهم أبو جعفر مسلم الحسينى وأبو اسماعيل الرسى والقاضى أبو الطاهر الذهلى [٢] " فخرجوا الى جوهر وكلموه فى الأمان ." فأعطاهم جوهر " عهد أمان " [٣] الى أهل مصر بين فيه أنه استجاب لرغبتهم وأعطاهم هذا الكتاب الذى يتضمن الأمان على انفسهم واموالهم وبلادهم . بين فيه جوهر أن جيوش الفاطميين انما قدمت لحمايتهم " اذ تخطفتكم الايدى واستطال عليكم المستذل " ووعدهم باصلاح أحوالهم الاقتصادية وضمان حرية عقيدتهم .

وتقدم جوهر بجيشه الى الجيزة [٤] واشتبك مع بعض الجند الذين رفضوا الأمان الذى أعطاهم اياه جوهر — وكان على رأسهم نحرير شويزان الا أن جوهر

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٣٨ ، الكندى : الولاة والقضاه ص ٥٨٤

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٥٨٤ .

(٣) يذكر المقريزى نص الكتاب وهو : " هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ، صلوات الله عليه لجماعة أهل مصر الساكنين بها من أهلها ومن غيرهم أنه قد ورد من سألتمو الترسل والاجتماع معى وهم : أبو جعفر مسلم الشريف وأبو اسماعيل الرسى وأبو الطيب الهاشمى وأبو جعفر أحمد بن نصر والقاضى وذكروا عنكم انكم التمستم كتابا يشتمل على امانكم فى أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم فعرفتهم ماتقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين وحسن نظره لكم فلتحمدوا الله على ما أولاكم وتشكروه على ماحماكم وتدأبوا فيما يلزمكم وتسارعوا الى الطاعة العاصمة لكم العائدة بالسعادة عليكم وبالسلامة لكم وهو أنه — لم يكن اخراجه للعساكر المنصوره والجيوش المظفرة الا لما فيه اعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم اذ قد تخطفتكم الايدى واستطال عليكم المستذل واطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم فى هذه السنه والتغلب عليه وأسر من فيه والاحتواء على نعمكم واموالكم حسب مافعله فى غيركم من أهل بلدان المشرق وتأكد عزمه فعالجه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — باخراج العساكر بالمنصورة وبادر بانفاده الجيوش المظفره دونكم ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان =

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٥٤ ، الكندى : الولاة ص ٥٨٤ .

تمكن من الحاق الهزيمة بهم . فخرج ابن الفرات وكبار رجال الدولة لاستقبال جوهر فى الجيزة (١) . ودخل جوهر الفسطاط فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨م . وشرع فى بناء مدينة جديدة شمال الفسطاط فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ / سنه ٩٦٨م لتكون مقرا للخلافة الفاطمية ومركز لنشر دعوتها الدينية (٢) اطلق جوهر على العاصمة الجديدة اسم المعزية نسبة الى الخليفة المعز الفاطمى وحين قدم المعز لدين الله الفاطمى الى مصر سنه ٣٦٢ هـ/سنه ٩٧٢م اطلق عليها اسم القاهرة (٣) . واصبحت عاصمة الخلافة الفاطمية .

= المشرق الذى عمهم الخزى وشملتهم الذله .... وآثر اقامة الحج الذى تمطل .. اذ لا يأمنون على انفسهم ولا على أموالهم مع لعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات وقطع عبث العابثين بها .. ثم تجويد السكة وصرفها الى العيار الذى عليه السكة الميمونة المنصوريه المباركة وقطع الغش منها .. وما أوعز به مولانا الى عبده من نشر العدل وبسط الحق وحسم الظلم وقطع العدوان .. وان اجريكم فى المواريث على كتاب الله وسنه نبيه واضع ماكان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها .. وان اتقدم فى رم مساجدكم .. وغير ماذكره مولانا مما ضمنه كتابه هذا عماذكره من ترسل عنكم من انكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها فى كتاب امانكم فذكرتها اجابة لكم اذ كان الاسلام سنة واحدة وشريعة متبعة وهى اقامتكم على مذهبكم ... ولكم على أمان الله التام العام فى أنفسكم واموالكم واهاليكم ... ولكم على الوفاء بما التزمته واعطيتكم اياه ... وتكونون بين يدى =

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص١٥٦ـ١٥٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ٢ ص ١٣٤ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص١٥٨ ويذكر ان اسم القاهرة مأخوذ من قول المعز وهو يودع جوهر قبل خروجه لفتح مصر بقوله : " والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر .. ولينزلن فى خرابات ابن طولون ويبنى مدينة تسمى القاهرة ، تقهر الدنيا ."

المقريزى : اتعاظ الحنفا ص١٦٦ .

وبذلك يتضح من تتبع العلاقات السياسية بين مصر وبلاد المغـــرب، مدى الارتباط بينهما ، والدور الهام الذى كان لمصر فى فتح المغـرب ، وادارة شئونه خلال عصرى الامويين والعباسيين • وساندة مصر لبلاد المغرب فى عصـر الامارات المستقلة ، وتأثر مصر بالدعوة الفاطمية التى نمت فى بلاد المغرب وقامت على اساسها الدولة الفاطمية التى شملتها معا وكانت مصر قاعدتها ومركزها •

= الى ان أعبر الجسر وانزل فى المناخ المبارك وتحفظون وتحافظون على الطاعة وتثابرون عليها وتسارعون الى فرضها ولاتخزلون وليا لمولانا وسيدنا امـــير المؤمنين صلوات الله عليه وتلزمون ماأمرتم به •• كتب جوهر الامان بخطـــه فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائـــة •"

المقريزى : اتعاظ الحنفا ص١٤٨ـ١٥٣ •

الباب الثاني

العلاقات البشرية بين مصر وبلاد المغرب

(الهجرات المتبادلة)

....

لكي يتضح لنا طبيعة العلاقات البشرية التي ربطت بلاد المغرب بمصر منذ بداية الفتوحات الاسلاميه ، كان علينا أن نتتبع استقرار القبائل العربيه في مصر وكيف هاجرت منها الى افريقيه ؟ ثم نتحدث عن استقرار هذه القبائل في بلاد المغرب ، وعلاقاتها بالقبائل العربيه في مصر ، ثم تأثير هذه الهجرات العربيه في المجتمع في مصر وبلاد المغرب .

* * * *

الفصل الأول

١ـ استقرار القبائل العربيه في مصر حتى نهاية عصر الولاة :

كانت معظم القبائل العربيه التي شاركت في فتح مصر واستقرت بها عقب الفتح من العرب القحطانيه (١) .

(١) تنتسب القبائل العربيه التي عاشت في جنوب شبه الجزيرة العربيه والتي تتكون من العرب العاربه او الحقيقيين الى قحطان باعتباره جدها الأعلى وكان ذلك القسم الجنوبي ينقسم بدوره الى قسمين عظيمين هما :
كهلان وحمير ثم ينقسم هذين القسمين الى اقسام اصغر فتتفرع كهلان الى فرعين رئيسيين :
مالك وعريب ، وتتكون من عدة قبائل اولها الأزد ببطونها المختلفه وبنو عمرو بن الغوث ببطونها ايضا ، اما عريب فتنقسم الى اربعة افرع ـ مرة ومذحج وطيء والاشعر
السمعاني : الأنساب ص ٢٨٨ أ .

وكانت قبائل عرب أكثر القبائل القحطانيه (١) عددا فى مصر ، ونجد أن القبائل العدنانيه (٢) التى شاركت فى الفتح أقل عددا من القبائل القحطانيه وكانت قريش تمثل الغالبيه العددية من هذه القبائل .

وقد احتفظ العرب بطابعهم القبلى فاستقروا فى مصر على شكل قبائل ، اتخذت كل منها خطة قائمة بذاتها سواء فى ذلك من استقر منهم فى العاصمة – الفسطاط – أو فى غيرها من مدن مصر .

ثم أخذ العرب بعد ذلك يفدون على مصر أفواجا ويذكر ابن عبد الحكم أنه " كان بين القبائل فضاء من القبيل الى القبيل ، كما مدت الامداد فى زمن عثمان بن عفان وما بعد ذلك وكثر الناس – وسع كل قوم لبنى أبيهم حتى كثر البنيان والتأم " (٣)

ونبين فيما يلى القبائل التى استقرت فى مصر منذ الفتح :

أولا : القبائل القحطانيه :

تبين لنا المصادر أن القبائل التى استقرت فى مصر منذ الفتح هى قبائل بنى سبأ وهى من القبائل القحطانية ، حيث كانت لهم خطة ومسجد فى الفسطاط (٤)

---

(١) النويرى : نهاية الأدب ص ٧٨ – ٨٠ .

(٢) يطلق اسم العرب العدنانيه على القبائل العربيه التى عاشت فى شمال شبه الجزيرة العربية وينتسبون الى عدنان باعتباره جدها الأعلى وينقسم العرب العدنانيه الى فرعين كبيرين هما : مضر وربيعه وتنقسم مضر بدورهـا الى قسمين كبيرين هما قبائل خندف وقيس وتنقسم خندف أيضا الى قسمين هما : بنو مدركة بنو طابخه ، وتشتمل قيس على ثلاثة أقسام كبيره هى : سعد وجديله وخصفه . السمعانى : الأنساب ص ٥٣٣ أ . يذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص " عقد له على اربعة آلاف رجل كلهم من عك " يقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة ثلثهم غافق "
فتوح مصر ص ٥٦ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٨ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٤ .

وقبائل الأزد [١] التى شاركت فى فتح مصر . وازداد عدد الأزد بتولية أحد أبنائها وهو يزيد بن حاتم ولاية مصر ١٤٤ – ١٥٢ هـ ٧٦١ – ٧٦٩ م فجاء معه عدد من أفراد قبيلته [٢] .

واستقر فى مصر من بطونها " الأنصار " وهم قبائل من الأوس والخزرج الذين شهدوا فتح مصر .

ومن بطون الأزد التى استقرت فى مصر منذ الفتح أيضا قبيلة خزاعه [٣] . وكانت قليلة العدد فى أول الأمر بحيث لم تتخذ لها خطة خاصة فانضمت مع غيرها من القبائل ذات العدد القليل وعرفوا باسم أهل الرايه [٤] . وقد ازداد عددها منذ أواسط القرن الثانى حين تولى مصر أحد أفرادها [٥] وهو محمد بن الأشعث سنه ١٤١ – ١٤٣ هـ / ٧٥٨ – ٧٦٠ م .

كما استقر بمصر من بطون الأزد أيضا قبيلة " الحجر " واتخذت الجيزه [٦] لها مستقرا وانتقل بعض بطونها جنوبا الى الصعيد حيث استقروا فى منطقة طما [٧] .

---

(١) كان أفراد قبيلة الأزد يتمتعون بسمعه طيبه فيذكر ابن عبد الحكم أن معاوية كتب الى مسلمة بن مخلد والى مصر ٤٧ – ٦٢ هـ ألا تولى عملك الا ازدى أوحضرمى فانهم أهل الأمانه .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٥
Combe. E.T.J. Sauvaget: Repert oire chvorol ogique d'rpigraphi Arabe . I.p.p. 64, 187 , 294

(٢) الكندى : الولاة والقضاه ص ١١٣

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٣ ، يذكر الطبرى وصية عمر للأنصار بقوله : " واوصى الخليفه من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم وان يعفو عن سيئهم " .
الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ ٣ ص ٢٦٤ – ٢٦٥

(٤) هم مجموعة من القبائل العربيه التى اشتركت فى الفتح لم يكن لكل منها من العدد ما يسمح بأن تستقل بخطة خاصة فرأى عمرو بن العاص أن يجمعهم معا وجعل لهم راية هى رايته فعرفوا بأهل الرايه وهم قبائل : قريش والأنصار وخزاعة واسلم وغفار ومزينه وأشجع وجهينه وثقيف ودوس وعبس وسجل عمرو بن العاص اسمهم فى الديوان على هذا الوضع . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٨ ، ١١٦ – ١١٧ ، ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ٣ .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٠٨ – ١٠٩
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٤٧

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٩ ، ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ١٢٦ ،
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٧) الكندى : الولاة ص ١٧١ .

ومن بطون الأزد التي استقرت في مصر كذلك قبيلة " عك " حيث كان لهم دور كبير في فتح مصر ، وكانوا يشكلون جزءا كبيرا من جيش الفتح .(١)

وقد اتخذت " غافق " أحد بطون " عك " خطة كبيرة لها في الفسطاط .(٢)

وتثبت شواهد القبور استمرار وجودهم بمصر حتى القرن الثالث الهجرى .(٣)

كما أننا نجد من بطون الأزد التي استقرت في مصر واختطت في الفسطاط بطن " سلامان " وكان معظمهم من أنصار بني أميه .(٤)

ومن بطونها أيضا التي استقرت في مصر قبائل " غنث " (٥)

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٦ ان جيش عمرو " كله من عك " ولعله بهذه المبالغة يقصد ابراز كثرة افراد قبيلة عك حيث كانوا يشكلون جانبا كبيرا من جيش الفتح .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢١ - ١٢٢ وقد عرف عن عك وغافق فيما بعد موالاتهما للعلويين وعدائهما للأمويين والمروانيين - فحاربت غافق مع محمد بن ابى بكر سنه ٣٨ هـ ضد جيوش معاوية التي وجهها بقيادة عمرو لانتزاع مصر من سلطان على وحين هزم ابن أبي بكر لجأ الى خطة غافق واختبأ في دار أحد ابنائها . وظلت غافق محتفظه بميولها تلك التي جعلتها تتخذ موقفا عدائيا من الأمويين ولذلك اختار العراقيون الذين نفاهم زياد ٤٥ - ٥٣ هـ - اللجوء الى مصر والنزول في خطة غافق في الفسطاط ، ولما ولى ابن جحدم مصر سنه ٦٤ هـ من قبل ابن الزبير انضمت اليه غافق استمرارا منها في سياستها المعاديه للأمويين ووقفت معه ضد مروان بن الحكم سنه ٦٥ هـ .
الكندى : الولاه ص ٢٨ ، ٤٤ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ٣٨٥ ، ٤٢١ ، ٤٤٥ .

(٣) Combe: Rep. chro. IPp.p. 56,110,141,272

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٦ . كان سعد بن مالك وهو احد أفراد قبيلة " سلامان " من شيعة عثمان وقد اعتزل ابن ابى حذيفه عندما ثار بمصر وظل محافظا على اتجاهه هذا وتأييده لبني أميه ، حين استولى ابن جحدم على مصر سنه ٦٤ هـ تظاهر بموالاته له بينما كان يؤيد الأمويين .
الكندى : الولاة والقضاه ص ١٥ ، ٤٢ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٩ - ١٢٠

ثم ازداد بعد ذلك عدد أفراد شعب الأزد في مصر بقدوم أعداد كبيرة منهم بصحبة الولاة الخزاعيين (١) الذين تولوا مصر ، كما استقر بمصر منذ الفتح من قبائل مالك القحطانيه (٢) ، قبيلة " همدان " التى كان لها دور عظيم في فتح مصر سجله لها عمرو بالفخر (٣) وقد استقرت بالجيزة واختطت بها •

كما شهدت كنده وهي (٤) أحد بطون قبائل عدى القحطانيه فتح مصر واستقرت بها أيضا ، ومن بطونها " السكون " و " الحديجيون " من ذرية معاويه بن حديج (٥)

كما كانت " تجيب " وهي احدى بطون " السكون " تشكل جانبا مهما من جيش الفتح (٦) وكان لها دور كبير في اقتحام حصن بابليون ، واستقرت

---

(١) الكندى : الولاة ص ١٥ ، ٤٢ •

(٢) تنقسم قبائل عريب الى اربعة افرع وهي : مره مذحج وطي والأشعريون

(٣) تنقسم [illegible] الى فرعين هما : عدى ومالك
السمعاني : الانساب ص ٤٨٩ أ

(٤) كنده احدى قبائل عدى القحطانيه • الأنساب ص ٤٨٩ أ •

(٥) كان الحديجيون من اعوان بني امية تولى كثير منهم المناصب الهامه في ادارة مصر وقضائها وقد وصف ابن عبد الحكم مهارتهم الحربيه بقوله " وكان ولد معاوية بن حديج ليست لسروجهم ركب انما يثبون على الخيل وثبا " فتوح مصر ص ١٤٣ -
وقد تمكن عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج بعد توليه امارة مصر سنه ١٥٢ هـ - ١٥٥ هـ من اخماد الحركة العلويه التى تزعمها خالد بن سعيد الصدفي في الفسطاط سنه ١٤٥ هـ •

الكندى : الولاة ص ٨١ - ٩٨ •

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣٨ ،
السمعاني : الانساب ص ١٠٣ •

(٧) تثبت شواهد القبور استمرار تجيب بمصر خلال القرن الثالث بكثرة :
Combe: Rep. chro. I.p.p. 126 - 127, 137, 169 - 170, 209, 231, II P.P. 87 , 89, 124, 155

في مصر ثم اتجه بعضها واستقر في الاسكندريه حيث ظهر من افرادها هناك " عياض بن غنم " (١) الذي تولى امور الاسكندريه سنه ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ومنهم بن ابي ارطأه الذي تحالف مع المهاجرين ابي الشنى التجيبي لاغتيال قره بن شريك (٢) سنه ٩١ هـ / سنه ٧٠٩ م .

ومن بطون تجيب التي استقرت في مصر واختطت في الفسطاط منذ الفتح " بنو سعد " (٣) وآل ... ن بن سعد واشتهر منهم كنانه بن بشر سنه ٣٦ هـ / سنه ٦٥٦ م حيث كان رأس الشيعه الاول في مصر (٤) . وكذلك " بنو سوم " واشهرهم " قيسبه بن كلثوم " (٥) الذي تنازل عن خطته لبناء المسجد الجامع . وتثبت شواهد القبور استمرار وجود قبائل تجيب وبطونها في مصر خلال القرن الثالث .

كما استقرت في مصر منذ الفتح قبيلة لخم وهي احدى قبائل عرب القحطانيه وشاركت في جيش الفتح باعداد كبيرة حيث قدمت مع عمرو أثناء مروره على جبل " الحلال " (٦) الواقع قرب العريش في طريقه الى مصر . وقد استقر جزء كبير منهم في الاسكندريه .

---

(١) ابو المحاسن : النجوم ج ١ ص ٢٠٨

(٢) يذكر الكندي هذه الثورة التي قامت في الاسكندريه ضد قره ابن شريك بقوله " وكانت عدتهم نحو من مائة فعقدوا لابن ابي الشنى عليهم عند مناره الاسكندريه والقرب منهم رجل يكنى ابا سليمان فبلغ قره ما عزموا عليه فأتى بهم قبل أن يتفرقوا فأمر بحبسهم في اسفل مناره الاسكندريه واحضر قره وجوه الجند وأحضرهم فسألهم فأقروا فقتلهم قره " . الكندي : الولاه والقضاه ص ٦٤

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٢

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٢ ، ١٢٥ ، الكندي : الولاه ص ١٧ ـ ٢٠ يذكر أن كنانه بن بشر احد القواد الستة للجيش الذي سيره ابن ابي حذيفه الى عثمان سنه ٣٥ هـ

(٥) المقريزي : الخطط ج ٤ ص ٥٠

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٨

وقد تميزت قبيلة لخم بميولها [١] العلوية .

وكان موسى بن نصير احد موالي لخم حيث اقام بمصر زمنا قبل أن يتوجه لفتح المغرب [٢] .

كما استقرت جذام وهي احدى بطون عدى في مصر منذ الفتح [٣] ، واستقر بعض منهم في خطة لخم [٤] ، كما كان بعضهم الآخر في " اللفيف " [٥] وهم مجموعة من القبائل العربيه خرجت من الفسطاط وراء عمرو بن العاص حين ذهب لقتال البيزنطيين في الاسكندريه تشد ازره فسموا اللفيف لالتفافهم حوله . ويبدو انه ثارت بعض المنازعات بينهم وبين القبائل الأخرى مما ادى الى اختصامهم الى الله بن سعد أمير مصر فحولهم الى عثمان بن قيس ليقضي بينهم [٦]

كما شهدت قبيلة المعافر فتح مصر واستقرت بها منذ الفتح - وهي احدى القسمين الكبيرين لقبائل مالك القحطانيه واختطوا بالفسطاط ، وأقام جانب [٧] منهم في الاسكندريه وكانوا يتحركون سنويا الى مرتبعهم في اتريب وسخا [٨] في

---

(١) الكندي : الولاه ص ١٦ ، ١٩ ، ٤٣ - ٤٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٠٣ - ٢٠٤

(٣) المقريزي : البيان والاعراب ص ٢٧ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٩ .

(٥) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٩٥

Ency. Islam. I.P. 105 , III P.P. 11 - 12

(٦) الكندى : الولاه والقضاه ص ٣٠٢

(٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ١١٨ - ١٣٢ ويذكر الكندى أن ان جذام كان لها دور في تحريض عبد العزيز الجروى على الثورات التي قام بها في مصر في الفتره مابين عام ١٩١ - ٢٠٥ هـ
كما انهم اشتركوا في الفتن التي شهدتها الاسكندريه منذ سنه ١٩٦ هـ
الولاة والقضاه ص ١٩٤ .

(٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٧ .

E. Amelneau : la Geographie de Egypte a l'Epoque Copte P? 482 , 483

Combe: Rep. chro. I P.P. 58 , II P.P. 64 - 65

الدلتا ، وقد ظلوا بمصر طوال القرنين الثاني والثالث (١) كما اختطت خولان وهي من مالك أيضا في الفسطاط منذ الفتح ، واستقر بعضهم في صعيد مصر (٢) وتدل شواهد القبور على استمرار وجودهم بها حتى القرن الثالث (٣) .

كما استقرت بمصر منذ الفتح قبائل من " مذحج " (٤) التي تشمل الفرع الكبير الثاني من قبائل عرب القحطانية (٥) ومن بطونها التي اشتركت في الفتح واستقرت في الفسطاط قبيلة مراد ثم انتقلت الى " اتريب " (٦) قرب منتصف القرن الثاني وتحفل شواهد القبور (٧) بذكر كثير من أسماء رجالها خلال القرنين الثاني والثالث.
ومن بطونها التي استقرت في مصر أيضا قبائل رضا وزوف وعبس وغطيف

---

(١) Combe: Rep. chro. IP.P. 58 , II P.P. 64 , 65

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٧
(٣) Combe: Rep. chro. I P.P. 59 , 72 , 86 , 123 , 168 - 170.
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦
(٥) السمعاني : الانساب ص ٥١٧ أ ، ب
(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦ ، ١٤٢ ؛
الكندي : الولاه ص ٣٦٥
(٧) Combe: Rep. chro. I P.P. 51,73-74, 127, 128,
II P.P. 48 - 49, 62, 144 , 337

ووعلان وتدول وسلهم (١) كما استقر " الاشعريون " فى مصر وهم الفرع الثالث من قبائل عريب القحطانيه وقد شهدوا الفتح واستقروا بالفسطاط مع خطة (٢) المعافر واختلطوا بهم واقترن اسمهم معهم فى الديوان (٣) .

اما قبائل " طى " وهى الفرع الرابع من قبائل عريب فقد استقرت فى مصر فى اواسط القرن الثانى فقد قدمت (٤) بعد أن ولى مصر حميد بن قحطبه الطائى سنه ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م " فدخلها فى عشرين ألفا

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٣ ـ ١٢٦ ، ١٤٢ ،
ابن دقمقاق : الانتصار ج٤ ص ٣٥
" تدول " أحد بطون قبيلة مراد من مذحج أحد فرعى قبائل عريب القحطانيه • شهد احد أفرادها وهو عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل على بن ابى طالب ـ شهد فتح مصر وكانت له خطتين فى الفسطاط ومسجد عرف باسمه بها •
ابن دقماق : الانتصار ج٤ ص٦
" سلهم " يذكر ابن عبد الحكم خطتهم عن حديثه عن خطة الصدف بقوله : " واختطت الصدف قبلى مهرة فمضوا بخطتهم حتى برزوا بطرف منها فلقوا حضرموت دون الصحراء ولقوا مايلى القبله بنى سعد من تجيب ولقوا آل ايدعان بن سعد ولقوا بطرف منها سلهما من مراد كما يشير الى خطتهم حيث يتحدث عن خطة تجيب لواجهة شرقى سلهم
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٢ ـ ١٢٣
السمعانى : الانساب ص ٢٨١ أ •

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦

(٣) السمعانى : الانساب ص ٣٥٥ ب ،

ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦ •

(٤) الكندى : الولاه ص ١١٠

من الجند "(١).

وتدل شواهد القبور على استمرار وجودهم بمصر خلال القرن الثالث الهجرى (٢).

كما استقرت بمصر قبيلة قضاعه وهى من القبائل القحطانيه التى شهدت الفتح واختطت فى الفسطاط (٣) . ويذكر ابن عبد الحكم (٤) أن عمر بن الخطاب حول قبيلة " بلى " التى كانت تمثل ثلث قضاعه بالشام الى مصر . الا انه رغم ذلك لم يكن لها من العدد مايسمح بأن يفرد لها سجلا خاصا فى الديوان فوزعت فى القبائل فكانت " مهره " وهى احدى بطونها مسجله فى ديوان كنده و " تنوخ " فى الأزد وجهينة فى اهل الراية . وظلت على هذا الوضع الى اوائل القرن الثانى حين تولى مصر احد ابنائها وهو بشر بن صفوان الكلبى سنه ١٠٢ هـ / سنه ٧٢٠ م فاستخرج (٥) بطون قضاعه من القبائل الملحقة بها وجعلهم دعوة منفصله فى الديوان .

وكانت قبيلة مهرة كثيرة العدد فى مصر وتدل شواهد القبور على استمرار وجودهم بمصر خلال القرن الثالث الهجرى (٦)

ومن بطون قضاعه ايضا التى استقرت فى مصر منذ الفتح قبيله " بلى "

---

(١) الكندى : الولاه ص ١١٠

(٢) Combe: Rep. chro. I P. 186 , II P. 68

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦ ، ١٤٢ ويذكر الكندى عددا من شخصيات طى البارزين فى مصر مثل يزيد بن عمران صاحب بريد مصر سنه ١٧٤ هـ ووالى مصر جابر بن الاشعث وهو الآخر من طى ولى مصر سنه ١٩٥ هـ ومعلى بن المعلى الطائى والشاعر الذى اشتهر فيما بعد " أبى تمام " . الكندى : الولاه ص ١٥٢ ، ١٥٥ – ١٥٦ ، ١٧٠ – ١٧٨ ، ص ٤١٤ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٦ .

(٥) الكندى : الولاه ص ٧٠ – ٧١

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٧٧ ، ١٨٤ .

(٧) Combe: Rep. chro. I P.P. 102 - 146 .

فقد استقر جانب منها فى الفسطاط والآخر شرقى اسوان كما هاجر فريق منهـــا الى " الرمادة " من لوبيه (١) مع آخرين من قبلتى جهينه وبنى مدلـــج كما سنبيــين .

كما استقر بمصر من قضاعة ايضا قبيلـة " تنوخ " منذ الفتح (٢) واختطـوا بالفسطاط مع اللفيف (٣) . وكذلك استقرت " خشين " وهى احـــدى بطون قضاعـة منذ الفتح واختطت فى الفسطاط وانضمت الى لخم فى الديـــوان حتى استخرجت سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م فى (٤) التدوين الرابع الـــذى تم فى عهد بشر بن صفوان . كما استقرت بمصر منذ الفتح قبيلة جهينـة ، وهـى من قضاعـه ايضا ، وكانوا قليلى العدد فـى بادىء الأمر فاختطوا مع أهـــل الرايـه فى الفسطاط (٥) وظلـوا كذلك حتى اعادة تدويـن الديوان (٦) سنــة ١٠٢ هـ / سنه ٧٢٠ م وقد انتقلوا تدريجيـا نحو صعيد مصـر .

كما استقر فى الفسطاط منذ الفتح قبائـل من الحضارمـة الذين يشكلـــون احد اقســام قبائـل اليمـيـة القحطانيـه .
ويبدو انهم لم يكونوا كثيرى العدد فى اول الأمــر اذ لم ينفردوا بخطة خاصـــة فى الفسطاط وانما اقاموا مع تجيب ثم ازداد عددهم (٧) فى آخـر خلافــــــه عثمان حين قـدم منهم مائةالـى مصر فاتخذوا لهم خطة مستقلـة فى الفسطـاط

---

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ١٢١ ـ ١٢٣
يذكر ابن عبد الحكم الدور الذى كان لبلـى فى فتح مصر وفى ضرب حصـــن بابليـون بقولـه :
يوم لهمدان ويوم للصدف ... المنجنيق فى بلى تختلف
ثم يقول ان عمرا " انما يقصد راية بلـى فيمايزعمون "
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٢ . Incy. is. I.p. 618
(٢) يذكر السمعانى ان تنوخ ليست قبيلة واحدة بل عدة قبائل اجتمعوا قديمـــا بالبحرين وتحالفوا واقاموا هناك . الانساب ص ١١٠ أ
(٣) ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٤ .
(٤) الكندى : الولاه ص ٧١ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٤ .
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصـر ص ٩٨ .
(٦) الكندى : الولاه والقضـاه ص ٧١ .
(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٣ .

واتسعت خططهم " حتى اصحروا وتحول اليهم من اراد التحول من كان منهم بتجيب • " (١)

وتثبت شواهد القبور وجود الحضارمة بمصر خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين (٢)

كما استقرت قبائل الصدف (٣) فى مصر منذ الفتح والحقوا بسجل كنده فى الديوان واختطوا بالفسطاط •

وتحفل شواهد القبور بأسماء كثيرين من رجالهم • (٤)

كما استقر بمصر من قبائل الهميسع ايضا قبيلة " يافع " والكلاع وشيبان (٥) وظلوا بمصر حتى القرن الثالث • (٦)

هذا عن القبائل القحطانيه التى استقرت بمصر ـ نشير بعد ذلك الى القبائل العدنانيه التى استقرت بالبلاد •

ثانيا : القبائل العدنانيه :

استقر بالفسطاط منذ الفتح قبائل من مضر وهى احد القسمين الكبيرين

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٣ • ويذكر الكندى انه تولى كثير منهم القضاء فى مصر وبرقه • الكندى : الولاه والقضاه ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ •

(٢) Combe. : Rep. chro. II p.P 42 , 43 , 63 , 64 , 104 , 179 , II p.p 59 - 89

(٣) قبائل الصدف احد قبائل الهميسع الحميريه القحطانيه ويذكر السمعانى اختلاط كنده والصدف فى بلاد حضرموت بالاضافه الى اختلاطهم مع الحضارمه سكان البلاد الأصليين • الانساب ص ٤٨٩ أ • ويذكر ابن دقماق أن " الصدف بطن من كنده ينسبون اليوم الى حضرموت • " الانتصار ج ٤ ص ٤ • ويذكر ابن عبد الحكم انضمام الصدف فى الديوان الى كنده • فتوح مصر ص ١٢٢ •

(٤) Combe: Rep. chro. Ip.p. 43,140,141, IIp.p.11- 13, 37, 67, 105

ويذكر الكندى : الولاه والقضاه ص ١١١ ـ ١١٢ • ان ربيعة بن حبيش احد افراد الصدف فى مصر كان من خاصة على بن ابى طالب وحضر مقتل عثمان ثم وقف فى صف ابن جحدم سنه ٦٥ هـ وقد عرف عن الصدف فى مصر ميولهم المذهبيه المتطرفه

(٥) استقرت يافع فى الجيزه وعدها ابن عبد الحكم من بين قبائل همدان التى استقرت فى الجيزه • كما اختطت قبيلة الكلاع فى الفسطاط منذ الفتح

ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦ ـ ١٢٩ • ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٤ •

(٦) ويذكر الكندى عن قبائل الهميسع الحميريه وقد ولى احد افرادها وهو عبد السلام بن عبد الله بن هبيره برقه سنه ١٤٨ هـ • الكندى : الولاه ص ١١٦ •

للقبائل العدنانيه منها قبيله " هذيل "(١) التى اتخذت لها خطة فى الفسطاط منذ الفتح • وقبيلـه "كنانه" ومن بطونها قبيلة قريش (٢) التى استقرت بالفسطاط منذ الفتح وظلت بها حتى القرن الثالث الهجرى (٣) وكانت نسبه كبيرة من ولاه مصر خلال القرون الثلاثه الأولى ينتسبون الى قريش •

ومن بطون قريش التى استقرت بمصر قبيلـه "بنى سهم" (٤) وهى قبيلـه التى ينتسب اليها عمرو بن العاص • وبنو جمح (٥).

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٧ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٥ •

(٢) النويرى : نهاية الأرب ص ٢٣٠ •

(٣) جروهمان : اوراق البردى العربيه ج ١ ص ٧٤ ويذكر ابن عبد الحكم ص ١٩٤ – ١٩٩ من بطون كنانة التى استقرت فى مصر قبيلة فهى التى شهدت الفتح وبرز من افرادها اسره بنو يافع بن عبد قيس حيث شهد عميدها فتح مصر وكان لابنه عقبه دور كبير فى فتح المغرب كما كانت قبيلة قريش قليلة العدد فى أول الأمر حتى انهم انضموا الى خطة اهل الرايه فى الفسطاط الا انه منذ عهد عثمان بن عفان قدم منهم عدد كبير الى مصر فهاجروا مع الولاه الأمويين ويذكر الطبرى ان عمر بن الخطاب قد منع رجال قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان الا باذن وأجل وعلل ذلك بقوله • " الا أن قريش يريدون ان يتخذوا مال الله معونات دون عباده الا فاما وابن الخطاب حى فلا فانى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها ان يتهافتوا فى النار • "

الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٢٧

ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، الولاه : ص ١٠ – ١٤ •

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٨ ،

المقريزى : البيان ص ٣٨ •

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٨ ، يذكر أن خطتهم فى الفسطاط كانت بجوار دار عمرو بن العاص •

وبنو خارجة (١) بن حذافة فسه وبنو زهره (٢) والزبيريون (٣) .

وشهد النصف الثاني من القرن الأول الهجرى هجرة عدد كبير من القبائل المدنانيه الى مصر وخاصة بنو اميه احد بطون قريش ، ولعل اشارة عبد العزيز ابن مروان الذى تولى مصر سنه ٦٥ هـ / ٦٨٤ م وطلبه من الخليفه أن يرسل اليه عددا منهم ـ لشد ازره فاستجاب الخليفه له مما يؤكد قدوم اعداد كبيرة من بني اميه الى مصر فى ذلك الوقت (٤) .
كما استقر بمصر بنو هاشم من علويين وجعافره وعباسيين وقد ظهر العلويون بمصر قرب منتصف القرن الثاني عندما ظهرت دعوة بني الحسن عام (٥) ١٤٤ ـ ١٤٥ هـ / ٧٦١ ـ ٧٦٢ م

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم ان خارجة بن حذافة نفسه شهد الفتح وكان من اوائل العرب الذين اقاموا مع المصريين صلات اجتماعيه فتزوج من قبطيه من سلطيس (سلطيس حاليا مركز دمنهور " ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٨٤ ،
الكندى : الولاه ص ١٨٤ .

(٢) اشتركو فى الفتح وتبين شواهد القبور انتقال بعض افراد بني زهره الى الصعيد . Rep. chro. R. 144 - 145
ويذكرهم المقريزي بقوله " ممن كان بالصعيد من قريش " البيان والاعراب ص ٣٦ .

(٣) استقر بالفسطاط من بطون قريش الزبيرين بني اسد بن عبد العزى وأقاموا فى صعيد مصر فى البهنسا والاشمونين .
المقريزى : البيان ص ٣٦ ، ٣٧ وقد شهد الزبيرين العوام وعبد الله بن الزبير فتح مصر وكان عبد الله بن الزبير فى غزوه عبد الله بن سعد الى افريقيه سنه ٢٧ هـ .
ابو المحاسن : النجوم جـ١ ص ٢٥ ، ٨٥

(٤) يذكر الكندى : الولاه ص ٧٦ ـ ٧٧ ان عبد الله بن مروان قال : " يا امير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به احد من بني أبى "

(٥) الكندى : الولاه ص ١١١ ـ ١١٥ ،
ابو المحاسن : النجوم جـ ٢ ص ١ ـ ٣ .

وقد غدت مصر منذ ذلك الوقت مأوى يلجأ اليها العلويون [١] وتثبت شواهد القبور استمرار وجود الحسينيين بمصر حتى القرن الثالث [٢] .

وكان اول قدوم الحسينيين الى مصر فى عهد زيد بن على الامام [٣] سنه ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م . وتبين شواهد القبور وجود بعض ابناء بنى الحسين حتى القرن الثالث [٤]

ومن الهاشميين الذين استقروا ايضا [٥] فى مصر العباسيون وكان أول من دخل مصر منهم عبد الله بن عباس بن عبد المطلب [٦] . ثم أعقب ذلك دخول كثيرين منهم الى مصر عقب سقوط الدولة الأموية حين الحق صالح بن على أول ولاة مصر من العباسيين - " ألفى مقاتل بأهلها " [٧] .

---

(١) لجأ الى مصر ادريس بن عبد الله بعد فشل محاولات العلويين فى مكة سنه ١٦٩ هـ واستقر بها فتره ثم اتجه الى المغرب ، الكندى الولاه ص ١٣١ وقد اتجهت السيده نفيسه بنت الحسن بن زيد الى مصر وتوفيت بها سنه ٢٠٨ هـ ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، المقريزى المخطط جـ ٤ ص ٣١٣ ، وفى سنه ٢٥٣ اعلن ابن الصوفى العلوى الثورة ضد العباسيين وخرج بغا الاكبر بالصعيد سنه ٢٥٤ هـ واستطاع بغا الأصغر ان يشعل الثورة فيما بين الاسكندريه وبرقه وامتدت آثار الثورة الى الصعيد حيث قتل هناك . الكندى : الولاه ص ١١ .

(٢) Combe: Rep. chro. IP. 128 , II p. 205

(٣) الكندى : الولاه ص ٨١ .

(٤) Combe: Rep. chro.: IIp.P 35 , 63 , 175 , 187 , 188

(٥) هم بنو جعفر الطيار بن ابى طالب وقد استقرت بعض بطونهم فى الاشمونيين المقريزى : البيان ص ٣٢ .

(٦) الكندى : الولاه ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٧) الكندى : الولاه ص ١٠٣ .

ومن بطون كنانة التى استقرت فى مصر ـ قبائل بنى مدلج (١) وغفار (٢) وتميم (٣) .

اما عن القبائل القيسيه فقد استقرت منذ الفتح باعداد بسيطه تمثلت فى قبائل " فهم " عدوان " وأشجع " وعبس " وثقيف (٤) وازداد عدد افراد قيس فى مصر منذ اوائل القرن الثانى (٥) .

واستقر من بنى ربيعه فى مصر قبائل غنذه وبنى شيبان وبنى حنيفه (٦) .

تلك كانت القبائل العربيه التى استقرت فى مصر منذ الفتح حتى نهاية عصر الولاة ومن العرض السابق يتضح كيف ان غالبيتها كانت من العرب القحطانيين .

---

(١) شهد بنو مدلج الفتح كما شاركوا عمرو فى حملته لفتح افريقيه سنه ٢٣٠ هـ ، وأقاموا فى محرتنا وهى من محافظة البحيرة واقام جانب كبير منهم فى الاسكندريه ومنها انطلقوا فى هجرة نحو الغرب فيذكر اليعقوبى انه " على الطريق من مصر الى المغرب منازل لبنى مدلج فى البرية بعضها على الساحل وبعضها بالقرب من الساحل " اليعقوبى : البلدان ص ١٢٨ ، ١٣١ .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٥ ـ ١٧١ .

(٢) احد بطون كنانه شهد فتح مصر واختطت بالفسطاط ابن عبد الحكم ص ٩٨ ،
ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ١٥ .

(٣) تميم احدى قبائل بنى طانجة الذين يمثلون القسم الثانى من قبائل خندف المدنانيه ، وقد بدأ ظهورهم بمصر مع جيوش الدوله العباسيه سنه ١٣٢ هـ .
الكندى : الولاه ص ٩٩ ، ابو المحاسن : النجوم جـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤) اشتركت هذه القبائل فى فتح مصر واختطت بالفسطاط . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤٣ ، ١١١ فيذكر انهم كانوا بين اهل الرايه .

(٥) يذكر الكندى انه حين طلب ابن الحجاب من هشام بن عبد الملك الموافقه على انتقال عدد من قيس الى مصر قدم فى ذلك الوقت اربعمائه اهل بيت وذلك حين ارسل اليه يقول : " ما أرى لقيهما فيها حظا الا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب اليه هشام ان امير المؤمنين اثال للمبقاء قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكره وانى قد متعلى مصر فلم ارلهم فيها حظا الا ابياتا من فهم وعدوان وفيها كور ليس فيها احد وليس يضر اهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهى بلبيس فان رأى امير المؤمنين ان ينزلها هذا الحى فليفعل فكتب اليه هشام : أنت وذلك " الكندى ص ٧٦ ، ٧٧ المقريزى : البيان ص ٥٠ ـ ٥١
وقد استمرت هجرة قيس الى مصر حتى بلغوا عند وفاة هشام سنه ١٢٥ هـ اربعمائة اهل بيت كما قدم عدد كبير منهم حين تولى مصر الوالى القيس الحويزه بن سهيل الباهلى سنه ١٢٨ ـ ١٣١ هـ وبلغ عددهم فى عهد الخليفه مروان بن محمد سنه ١٣٢ هـ ثلاثة آلاف وعند منتصف القرن الثانى خمسة آلاف الكندى : الولاه ص ٧٦

(٦) ابن عبد الحكم ص ١١٦ ، الكندى ص ٩٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٠
السمعانى : الانساب ص ٤٠٦

الفصـــل الثانـــــى

٢ـ بداية هجرات العـرب الى افريقيــــــــه

وكما كانت مصر مركزا لحركة الفتوح العربيه فى افريقيه ، كانت ايضا منطلقا لهجرات القبائـل العربيـــة اليهــا . اذ لم تكن الفتـوح العربيـه مجرد حمـلات عسكرية انما تضمنت هجرات كبيرة العدد لكثير من القبائـل العربيـه الـــــى افريقيـــه .

قام عمرو بن العاص بفتح برقـه (١) Cyrenaique بعد فراغه من فتح مصر تأمينا لحدود البلاد . فقد كانت منطقه " برقـــه " و " طرابلس " Tripolitane على علاقة قوية بمصر حتى أن بعـض قبائلهـا كان يعد من قبط مصر " فيزعم نسابه البربر أن سدراته ولواتـــه ومزاتـه من القبـط . (٢)

مما يدل على مدى الارتباط بين غربى مصر ومنطقـه برقـه التى كانت تجـــاور " لوبيـه " " ومراقيـه " وهما كورتان من كور مصـر الغربيه . وكانــت المناطق الممتده من مصر الى برقـه تسكنها قبيلـه لواته البترية ، التى سارعـت بالخضـوع للعرب فصالحهـم عمرو على الجزية وقدارهـا ثلاثة عشر ألف دينــار كانو يحملونهـا (٣) الى مصر بأنفسهـم اذ " لم يكن يدخل برقه يومئــذ جابى خـراج انما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتهـا . " (٤)

ثم اعقب ذلك فتح طرابلس (٥) بقيادة عقبـه بن نافـــع الفهـــرى

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٧٠

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١٦

(٣) يذكر ابن عبد الحكم : ان لوبيه ومراقيه من كور مصر الغربية مما يشرب مـــن السماء ولا ينالها النيل . فتوح مصر ص ١٧٠ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٧٠ ـ ١٧١

البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٢٤ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧٥

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٧٣ .

ولا شك أن جند عقبه في هذه الحمله كانوا من العرب الذين اشتركوا من قبل في فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وكان معظمهم من العرب القحطانيين .

فنجد منهم شعب الأزد ومنهم الأوس والخزرج وغفث وتجيب وقد كان لتجيب دور كبير في فتح مصر ، وأنجهت بعد استقرارها بمصر الى الاشتراك (١) في فتوح افريقيه واستقرت بجبل برقه الغربي (٢) مع غيرها من بطون العرب القحطانيه التي أشرنا اليها ويبدو أن استقرار بعض بطونها في غرب مصر - في الاسكندريه - قد سهل لها الهجره والانتقال الى برقه (٣) والاقامه فيها .

كما هاجر بعض من قبيلة لخم - وهي من قبائل عدي القحطانيه - الى برقه . وكانت قد شاركت في فتح مصر واختطت بها واستقرت بعض بطونها في الاسكندريه وهاجرت منها غربا الى جبل برقه الشرقي (٤) .

وكذلك انتقلت من مصر قبيله الصدف (٥) - القحطانيه التي شاركت في فتح

---

(١) الكندي : الولاه والقضاه ص ٤٤ .
ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٧٦ - ٧٧

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ١٣٢

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٨ .

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ١٣٢

(٥) من قبائل الهميسع الحميريه القحطانيه شاركت في فتح مصر واختطت بالفسطاط
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٢ - ١٢٣ يذكر خطتهم بالفسطاط بقوله واختطت الصدف قبلي مهرة فخطوا بخطتهم حتى برزوا بطرف منها فلقوا حضرموت دون الصحراء ولقوا مايلي القبلة بني سعد من تجيب ولقوا آل ايدعان بن سعد ولقوا بطارف منها سلمها من مراد ثم لقوا حضرموت حالوا بينهم وبين الصحراء ... ولم يزل بالبلد منهم قوم لهم شرف وسخاء كان منهم ابن سليك الصدفي " .

مصر واستقرت بها باعداد كبيره ، وانتقلت الى جبل برقه الشرقى[1] مع غيرها من القبائل القحطانيه[2] . ويبدو أنه لميولهم العلوية التى اشتهروا بها احتاطوا المقام فى هذه المنطقه ، ذلك أنه من المعروف أن عميد الصدف فى مصر ربيعه بن[3] حيث كان من خاصة على وحضر مقتل عثمان ثم وقف فى صف ابن جحدم سنه ٦٥ هـ / ٦٨٤م وفيها بعد شجع خالد بن سعيد بن ربيعه دعوة بنى الحسن سنه ١٤٤ ـ ١٤٥ هـ / ٧٦١ ـ ٧٦٢م ، وضم اليه بقايا العناصر الأمويه المعاديه للعباسية وقد مكنهم صاحب[4] شرطة الفسطاط من الهرب فاتخذوا من وطنهم هذا فى افريقيا ملاذا . ويبين ابن خلكان[5] كثرة عدد افراد هذه القبيله فى مصر وافريقيه بقوله : " اكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب .

كما انتقل من مصر بعض جماعات من قبيله جهينه وهى احدى بطون قضاعه القحطانيه[6] وأقاموا مع بلى وبنى مدلج فى الرمادة من عمل اوبيه (٧) . فى مطلع القرن الثانى حين قدمت اعداد كبيرة منهم الى مصر

---

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ص١٣٢

(٢) Combe : Rep. chro. IP.P. 43 , 164 , 182 , 212
214 , 256 : 286

(٣) اليعقوبى : كتاب البلدان ص١٣٢ ، الكندى : الولاه ص١١١ ، ١١٢ .

(٤) الكندى : الولاه : ص١١١ ـ ١١٥

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص٥٥٠ .

(٦) شاركت جهينه فى فتح مصر كما ذكرنا وكانوا قليلى العدد فى بادىء الأمر اذ كانوا بين اهل الراية الى ان قدمت جماعات كثيرة منهم فى اوائل القرن الثانى اذا اصبح لهم دعوة منفرده فى الديوان عند اعادة التدوين سنه ١٠٦ هـ .
ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ٩٨ .
الكندى : الولاه ص ٧١ .

(٧) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ٩٨ ٪

ان يسجل النسابون تحركهم نحو النوبة والى غربى مصر عند " لوبيه ".(١)

كما انتقل كثير من افراد قبيلة بلى (٢) القحطانيه من مصر - التى استقروا فيها منذ الفتح - للاقامه فى " الرمادة " (٣) (٤) من لوبيه (٥) مع غيرهم من قبائل بنى مدلج وجهينه.

واستقرت فى افريقيه من القبائل القحطانيه ايضا قبائل الأوس والخزرج التى اشتركت فى فتح (٦) مصر واستقرت بها ثم شاركت فى الحملات العتاليه لفتح افريقيه ، فخرجوا فى حملة عبد الله بن سعد بأعداد كبيرة ، كما شاركوا فى حملة معاويه بن حديج سنه ٣٤ هـ / سنه ٦٥٤ م واستقرت بعض بطونهم فى افريقيه عقب هذه الحملات (٧) .ويدلل ابن عبد الحكم على كثرة عدد من اشترك منهم فى هذه الحملات بقوله " غزونا افريقيه مع ابن حديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير." (٨)

---

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ١٢١ - ١٢٢

(٢) بلى احدى بطون قضاعة الحميرية القحطانيه . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٦ ، المقريزى : البيان ص ٣٠

(٣) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ١٢١ - ١٢٣

(٤) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٥) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٣ . وتبين شواهد القبور استمرار وجودهم فى مصر خلال القرن الثالث الهجرى . Combe: Rep. chron. I.P.P. 132, 155, 156, 205, 206

(٧) Julien : Histoire de l'Afrique du Nord. P. I. Z. 14

(٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٣

كما انتقلت قبائل من غنث وميدعان [1] من مصر التى كانت قد استقرت بها منذ الفتح [2] الى المنطقه ما بين برقه وزويله واشتركوا فى الحمله التى اتجهت لفتح افريقيه سنه ٢٧ هـ / ٦٤٧ م بقيادة شريك بن سمى [3].

كما كان ولاه مصر يجدون فى افريقيه متنفسا للقبائل العربيه التى استقرت فى مصر اذا ما حدث بينها من النزاع ما يوجب الفصل بينهما ، مثلما حدث من نزاع بين قبيله جذام [4] وبعض القبائل الاخرى المجاوره لها فى مصر ، حتى أنهم احتكموا لعبد الله بن سعد والى مصر فعهد الى عثمان ابن قيس ليقضى بينهما وأعقب ذلك تحول بعض بطونهم نحو الغرب حيث استقروا فى جبل برقه الشرقى [5] والغربى .

ومن القبائل العدنانيه التى انتقلت من مصر الى افريقية قبائل " بنى مدلج " [6] وهى أحد فروع قبائل كنانه العدنانيه . وكانوا قد استقروا فى غربى مصر منذ الفتح فى خربتا وفى الاسكندريه [7] ، ومنها انطلقوا نحو المغرب واشتركوا مع عمرو بن العاص فى فتح طرابلس سنه ٢٣ هـ / ٦٤٣ م .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٩ ـ ١٢٠

(٢) غنث وميدعان من قبائل الأزد القحطانيه وقد ظهرت فى مصر منذ الفتح وكان منهم عمر بن صالح القائد قبائل اللفيف الى الاسكندريه .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٩ ـ ١٢٠

(٣) المصدر السابق ص ١٨٤

(٤) " جذام " احد بطون عدى القحطانيه التى استقرت فى مصر منذ الفتح وانضم بعضهم الى خطة لخم والبعض الآخر الى اللفيف .
المتريزى : البيان والاعراب ص ٢٧ .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص ٣٠٢

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٥

(٧) المصدر السابق ص ١٧١ .

ويذكر اليعقوبي [١] انه " على الطريق من مصر الى المغرب منازل لبني مدلج بعضها على الساحل وبعضها بالقرب من الساحل ."
واقام كثيرون منهم في قرى كورتى " لوبيه " [٢] " ومراقيه " كما استقر بعضهم في الرمادة [٣] .
كما هاجر من مصر الى افريقيه فرع آخر من قبائل كنانه العدنانيه متمثلا في قبيلته " فهر " [٤] وذلك منذ ان اضطلع عقبه بن نافع بمهمة الفتوح في افريقيه [٥] . وكان عميد الفهريين في مصر - نافع بن عبد قيس -

---

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ١٢٨ ، ١٣١
(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ١٢٨ - ١٣١
(٣) المصدر السابق ص ١٢٨ - ١٣١
الرمادة : يذكر ياقوت ج ٤ ص ٢٨١ " الرمادة بلدة لطيفة بين برقه والاسكندريه قريبة من البحر لها سور ومسجد جامع وبساتين فيها انواع الثمار وهي قريبة من برقة " ويذكر عن لوبية انها " مدينه بين الاسكندريه وبرقه وقال ابو الريحان البيروني كان اليونانيون يقسمون المعموره بأقسام ثلاثه تصير ارض مصر مجتمعة لها مما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبيه وحدها بحر اوقيانوس المحيط الاخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف من جانب الشرق وهذا كله يسمى لوبيه والقسم الآخر اسمه اورفى والآخر آسيا " ياقوت ج ٧ ص ٣٤١ . مراقيه " اذا قصد القاصد من الاسكندريه الى افريقيه فأول بلد يلقاه مراقيه ثم لوبيه ." ياقوت ج ٨ ص ٦ .
(٤) السمعاني : الانساب ص ٤٩٧ ب ،
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٤ - ١٩٩
الكندي : الولاه ص ٣٢ - ٣٣
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٤ - ١٩٩ ،
الكندي : الولاه ص ٣٢ - ٣٣

قد شهد فتح مصر ونزلت جماعات من فهر بالاسكندريه [١] مما سهل لهما عملية الانتقال الى افريقيه •

هكذا كانت بداية هجرات القبائل العربيه من مصر الى افريقيه ، وكان معظمها كما رأينا من الجماعه القحطانيه مما يعكس صورة لأوضاع القبائل العربية التى استقرت فى مصر •

•••••

(١) ابن دقماق : الانتصار ج٤ ص ١١ ـ ١٢ •

(الفصل الثالث)

استقرار العرب في المغرب

كانت لانشاء مدينة القيروان اثر كبير في استقرار العرب في بلاد المغرب .

فقد رأى عقبة بن نافع ضرورة ايجاد قاعدة عربية في افريقية تنطلق منها الفتوحات وتكون مركزا للمسلمين جندهم وأموالهم (١) . فبعد تقدم الفتوحات الاسلامية غربا في افريقية لم تعد " برقة وزويلة " لبعدهما تصلحان قاعدة للعمليات الحربية العربية . كما لم تكن (القرن) وهي ذلك الموضع الذى اتخذه من قبل معاوية بن حديج - تصلح لأن تكون قاعدة اسلامية دائمة لقربها من ساحل البحر . فقد حرص

---

(١) ابن الأثير : اسد الغابة ج ٣ ص ٢٣١ ،
Caudel : les premicres invasions arabes del' Afrique du Nord II PP. 104- 106 .
ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١٤ ، يذكر ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٨ " زويله - بلدان احدهما زويله السودان مقابل اجدابيه في البر بين بلاد السودان وافريقيه قال البكري وزويله مدينة غير مسوره في وسط الصحراء وهي اول حدود بلاد السودان فيها جامع وحمام واسواق تجتمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق قاصدهم وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالابل - ولما فتح عمرو برقه بعث عقبه بن نافع حتى بلغ زويله وصار مابين برقه وزويله للمسلمين .
وبزويله قبر دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور قال بكر بن حماد :
الموت غادر دعبلا بزويله ... في ارض برقه احمد بن خصيب
وبين زويله ومدينته اجدابيه اربعة عشر مرحلة ولأهل زويله حكمه في احتراس بلدهم وذلك ان الذى عليه نوبه الاحتراس منهم يعمد الى دابه فيسير حزمه كبيره من جريد النخل ينال سعفها الارض ثم يدور بها حوالى المدينه فاذا اصبح من الغد ركبت ذلك المحترس ومن تبعه على جمال السروج وداروا على المدينه فان رأوا اثرا خارجا من المدينه اتبعوه حتى يدركوه أين ما توجه لصا كان او عبدا او غير ذلك .. وزويله من اطرابلس بين المغرب والقبلة ويجلب من زويلة الرقيق الى ناحية افريقيه وما هنالك ومبايعاتهم بثياب قصار حمر . " معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢٨ - ٤١٩ .

عقبه بن نافع أن تكون عاصمة المسلمين فى افريقيه مدينه برية بعيده عن البحر ، وقد عبر عقبه عن ذلك بقوله : " انى اخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدرك بها صاحب البحر الا وقد علم به ". (١)

وقد كانت هذه سياسة درج المسلمون عليها فى اختيار عواصم الأمصار المفتوحه بحيث تكون بعيده عن السواحل ، فحين اراد عمرو أن يستقر بالاسكندريه " ورأى بيوتها مفروغا منها هم أن يسكنها ". (٢) الا أن الخليفه عمر بن الخطاب كتب اليه قائلا : " انى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ". (٣) ولنفس هذا السبب تحول سعد بن ابى وقاص من مدائن كسرى الى الكوفه ، كما تحول عتبة بن غزوان الى البصرة. (٤)

ويذكر ابن عبد الحكم أن عقبه " ركب والناس معه حتى اتى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الشجر كثير القطف .. وأمر الناس بالتنقيه والخطط ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم وركز رمحه وقال : هذا قيروانكم ". (٥)

---

(١) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٩

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩١

(٣) المصدر السابق نفس الصفحه .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩١

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٦ يذكر ابن عبد الحكم ان موضع القيروان " كان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى اليها الوحوش والسباع والهوام ثم نادى عقبه بنافع على صوته يا اهل الوادى ارتحلوا رحمكم الله فانا نازلون نادى بذلك ثلاثة ايام فلم يبق من السباع شىء ولا الوحوش والهوام الا خرج" وتحوى هذه القصه بعض ما حاط بتأسيس القيروان من اساطير كغيرها من المدن الاسلاميه ، وان الامر لا يعدو ان المنطقه التى اختارها عقبه موضعا للقيروان كان واديا كثير الاشجار يحوى بطبيعة الحال الحيوانات والوحوش التى ازعجها ضجيج جيش عقبة وما صاحب نزول الجند من اشعال النار ومن الطبيعى أن تخرج هاربه .

واستقرت القبائل العربية في القيروان واتخذت كل منها خطة نزلت بهـا فاختطت " قريش وسائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان ". (١)

وإذا تتبعنا استقرار القبائل العربيه في افريقية نجد أن الجماعه القحطانيه كانت تشكل الغالبيه العظمى من العرب ، فقد استقرت قبائل بني مدلج (٢) في المنطقه المتاخمه لحدود مصر الغربيه " بعضها على الساحل وبعضهـا بالقرب من الساحل منها المنزل المعروف بالطاحونه والمنزل المعروف بالكنائس والمنزل المعروف بجب العوسج ". (٣)

كما استقرت قبائل بلى " وجهينه " وبني مدلج " في الرقاده وهـي أول منازل البربر " (٤).

وعند الجبلين اللذين يحيطان بمدينة برقة استقرت قبائل عربيـة عنـد الجبل الشرقي وهي قبائل من الأزد ولخم وجذام والصدف (٥) من العـرب القحطانيه . وعند الجبل الغربي " استقرقوم من غسان وقوم من جـذام والأزد وتجيـب ". (٦)

---

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٤٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٢

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٤٢

(٥) المصدر السابق ص ٣٤٣

(٦) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٤٣ وقد وصف اليعقوبي هذان الجبلان بقوله " وفي هذين الجبلين عيون جاريه واشجار وثمار وحصون وآبار للروم قديمه ". وقد كان يسكن اقليم برقه بـ ون من بـ ر لواته وذكر اليعقوبي أن من اشهر مدن برقه مدينتي برنيق وأجدابيه ويذكر أن " أجدابيـة احدى مدن برقه " وهي مدينة عليها حصن " ومن برنيق اليها مرحلتـان ومن برقه اليها اربع مراحل واهلها قوم من البربر من زناره ولواهله وسوسـه وسوسه وتحلاله .. ولها اقاليم وسواحل على البحر المالح على مقدار ستـه اميال من المدينه ترسو به المراكب وهي آخر ديار لواته "

كتاب البلدان ص ٣٤٤ .

وقد أسس المسلمون فى مدينة اجدابية (١) وهى احدى مدن برقة "مسجداً جامعاً وأسواق قائمة." (٢)

وفيما يلى القيروان بمرحلة جهة المغرب أستقر العرب فى موضع يسمى "الجزيرة" وحددهم اليعقوبى بأنهم من "رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب."

وفى مدينة "سطفورة" (٤) على بعد مرحلتين من القيروان استقرت قبائل من قريش وقضاعة (٥).

---

(١) اجدابيه : يذكر ياقوت انها "بلد بين برقه وطرابلس الغرب بينه وبين زويله نحو شهر سيرا على ما يقول ابن حوقل وقال ابو عبيده البكرى اجدابيه مدينه كبيره فى صحراء ارضها صفا وآبارها منقوره فى الصفا طيبة الماء بها عين ماء عذب وبها بساتين لطاف ونخل يسير وليس بها من الاشجار الا الاراك وبها جامع حسن البناء .. وأهلها ذو يسار وأكثرهم أنباط وبها نبذ من صرحاء لواته ولها مرسى على البحر يعرف بالمادور له ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانيه عشر ميلا وليس لأجدابيه لدورهم سقوف خشب انما هى اقباء طوب لكثرة رياحها .. وهى راضيه الاسعار كثيرة الثمر .. وبين غربيها وجنوبها مدينه أوجله وهى من اعمالها .. وأجدابيه فى الاقليم الرابع وعرضها سبع وثلاثون درجة وهى من فتوح عمرو بن العاص فتحها مع برقه صلحا على خمسة آلاف دينار واسلم كثير من بربرها معجم البلدان ج ١ ص ١٢١ – ١٢٢ .

(٢) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٤٤

(٣) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٤٨

(٤) سطفوره : ذكرها ياقوت فى معجم البلدان بقوله " بلد من نواحى افريقية " ج ٥ ص ٢٥٦ ، وذكر اليعقوبى انها على بعد مرحلتين من القيروان . كتاب البلدان ص ٣٤٨ .

(٥) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٤٩ .

وفى مدينه تونس (١) التى اسسها حسان بن النعمان لتؤمن الفتـــوح العربيه ضد اغارات البيزنطيين من الساحل (٢) . استقرت قبائــل من تجيب (٣) وغيرها من بطون العرب .

وعلى بعد ثلاث مراحل من القيروان استقرت بعض قبائل من بنى هاشم فى مدينة "باجه" (٤) كما استقرفى "مجانه" (٥) على بعد أربع مراحل من القيروان "قوم من ربيعة يقال لهم السناجره" (٦) كما استقرت "بطبنه" (٧) عاصمــة منطقـــة

---

(١) تونس : يذكرها ياقوت جـ٢ ص ٤٣٢ بقوله : "مدينه كبيرة محدثــه بافريقيه على ساحل بحر الروم عمرت من انقاض مدينه كبيره قديمه بالقــرب منها يقال لها قرطاجنه وكان اسم تونس فى القديم ترشيش وهى علــى ميلين من قرطاجنه .. مائه ميل بينها وبين القيروان وليس بها ماء جــار انما شربهم من آبار .

(٢) التيجانى : رحلة التيجانى ص ٢٢ أ

(٣) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٤٩

(٤) يذكر اليعقوبى "كتاب البلدان" ص ٣٤٩ أن باجه "مدينة كبيرة عليهــا سور قديم" ويذكر ياقوت انها "مدينة كثيرة الانهار .. على جبل يقـال لها عين شمس .. وحصنها ازلى مبنى بالصخر الجليل .. وتسمى باجــه هذه هرى افريقيه لريع زرعها وكثرة انواعه فيها ورخصه فيها .. ولهــا نهر من جهة المشرق يجئ من جهة الجنوب الى القبلـه على ثلاثـــة اميال منها . وحولها بساتين عظيمه" معجم البلدان جـ٢ ص ٢٥-٢٦ .

(٥) يذكر ياقوت ان مجانه "بلد بافريقيه فتحه بسر بن ارطأه وهى تسمى قلعــة بسر وبها زعفران كثير ومعادن حديد وفضه وبينها وبين القيروان خمــس مراحل وتقلع حجاره للطواحين تحمل الى القيروان وغيرها من مدن المغرب جـ ٧ ص ٣٨٦ .

(٦) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٤٩ .

(٧) يذكر اليعقوبى : انها "مدينه الزاب العظمى .. وهى التى ينزلهــا الولاه . " كتاب البلدان ص ٣٥٠ .

الـزاب (١) على بعد عشر مراحل من القيروان • قبائل من قريش (٢) ، وفي باغاية (٣) احدى مدن الزاب يذكر اليعقوبي انه " استقر بهـا قبائل من الجند وعجم من اهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم حولها قوم من البربر من هوارة " (٤) ولعل قبائل الجند التي يشير اليها اليعقوبي هي القبائل العربيه التي شاركت في الفتح واستقرت بعده في هذه المنطقه •

وفي مدينة ميله (٥) استقرت بعض قبائل العرب من بني سليم •

---

(١) يذكر ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص٣٦٤ " الزاب الكبير منه بسكره وتوزر وقسنطينة وطولقه تقصه ونقراوه وخطه وبادس وبقرب فاس على البحر مدينة يقال لها بادس والزاب ايضا كوره صغيره يقال لها ريغ " كلمة بربرية ، معناها السبخة فمن كان منها يقال له الريغي والزاب ايضا كوره عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البحر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئه بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليه • "

(٢) استقرت قبائل من قريش في طبنة وهي عاصمة اقليم الزاب فيذكر اليعقوبي " ومدينة الزاب العظمى هي طبنة وهي التي ينزلها الولاه وبها اخلاط من قريش والعرب والجند • " كتاب البلدان ص ٣٥٠

(٣) باغاية : " مدينة كبيرة في اقصى افريقية بين مجانه وقسطنطينيه الهواء " ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤١ •

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٥٠ •

(٥) يذكر اليعقوبي أن ميلة مدينة في منطقة الزاب " عامره محصنة لم يليها والي قط ولها حصن فيه رجل من بني سليم يقال له موسى بن العباس بن عبد الصمد من قبل ابن الأغلب وساحل البحر تقرب من هذه المدينه • " ويتحدث عن اقليم الزاب بقوله :

" وهذا البلد كله عامر كثير الأشجار والثمار وهم في جبال وعيون "

اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٥١ •

واستقرت بمدينة " سطيف " (١) قبائل من بنى اسد بن خزيمه • (٢)
ومن اعمال الزاب ايضا مدينة بلزمه التى شهدت استقرار بنو تميم • (٣)
كما استقر العرب فى مدينة نقاوس (٤) من اعمال الزاب ولم يحدد
اليعقوبى اسماء القبائل بل اكتفى بقوله " بهاقوم من الجند وحواليها
البربر " والراجح أن الجند يقصد بهم العرب من سلالة الفاتحين

كما استقر فى مدينة " مقرة " (٥) الواقعة وراء طبنه عاصمة
الزاب قبائل من بنى تميم احد فروع قبائل بنى سعد القحطانيه يقال
لهم " بنو الصمامه " (٦).

ومما يلى الزاب عربا استقر فى مدينة "متيجه " (٧) استقرت احدى بطون

---

(١) " سطيف " يذكر ياقوت انها مدينه فى جبال كتامه بين تاهرت والقيروان
من ارض البربر ببلاد المغرب وهى صغيرة والا انها ذات مزارع وغشب
عظيم " ج ٥ ص ٨٢ •
(٢) اليعقوبى : البلدان ص ٣٥١ •
(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٥١
(٤) نقاوس مدينة " كثيرة العمارة والشجر والثمر " •
اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥١
(٥) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥١
مقرة • يذكر ياقوت : انها مدينه بالمغرب فى بر البربر قريبه من قلعة
بنى حماد بينهاوبين طبنه ثمانيه فراسخ • معجم البلدان ج ٨ ص ١٢٥
(٦) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥١ •
(٧) متيجه " بلد واسع فيه عدة مدن وحصون وهو بلد زرع وعماره بين هذا
البلدوبين حصن مصادف بن جرنيل مسيره ثلاثه ايام مما يلى البحر
" اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥٢ •
ويذكر ياقوت انها " بلد فى اواخر افريقيه وهى بلد جليل قديم وهى اكثر
تلك البلاد كتانا ومنها يحمل وفيها عيون سا وطواحين " • معجم
البلدان ج ٧ ص ٣٨٢ •

العرب من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب يدعون بنو محمد بن جعفر (١)
كما استقر بطن آخر منهم في مدينة "مدكره" (٢) وهم ابناء محمد بن
سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، الذي استقروا ايضا
في مدينة "الخضراء" (٣) ، ويذكر اليعقوبي كثرة عددهم بقوله :
"وعددهم كثير حتى ان البلد يعرف بهم وينسب اليهم" (٤) كذلك
استقر هذا الفرع من القبائل العربية في مدينة "سوق ابراهيم" (٥)
الواقعة على الساحل على حدود مدينة "تاهرت" (٦) .

وحين فتح موسى بن نصير طنجة نزلها مع قبائل من بلي ولخم
ويذكر اليعقوبي انه " اول من نزلها واختط فيها للمسلمين " (٧)

---

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٥٢

(٢) مدكره مدينه من اعمال الزاب تلي حصن مسلة بن جرثيل الذي يبعد عن مدينه متيجة بمسيرة ثلاثة ايام اليعقوبي ص ٣٥٢ .

(٣) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٥٣

(٤) المصدر السابق ص ٣٥٣

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٥٣

(٦) تاهرت " يذكر ياقوت ج ٢ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ " اسم المدينتين متقابلتين بأقصى المغرب قال لاحداهما تاهرت القديمه وللأخرى تاهرت المحدثه بينهما وبين المسيله ست مراحل وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد وهي كثرة الانداء والضباب .. في الاقليم الرابع ... وهي مدينه جليلة كانت قديما تسمى عراق المغرب .. مدينه مسوره لها اربعة ابواب .. ولها قصبه مشرفة على السوق . وتاهرت الحديثه على بعد خمسة اميال من تاهرت القديمه . "

(٧) البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٢٧٢ .

كما يذكر انه " فيما بعد تاهرت نحو الغرب مملكة رجل يقال له صالح بن سعيد يدعى انه من حمير "(١) مما يوضح استقرار بعض بطون حمير في هذه المنطقه التى يصفها اليعقوبى بقوله : ومملكة صالح بن سعيد الحميرى مسيرة عشرة ايام في عمارات وحصون وقرى ومنازل وزرع وضرع وخصب وآخر مملكة مدينة يقال لها مرحامه على جبل تحتها انهار وأوديه وعمارات ثم يصير منها الى مملكة بنى ادريس بن ادريس "(٢).

هكذا كان استقرار العرب في بلاد المغرب .

على شكل قبائل كما رأينا فقد احتفظ العرب بنظامهم القبلى الذى درجوا عليه في بلادهم ونقلوه الى الأمصار التى فتحوها . وأثرت هذه العصبيات القبليه في تاريخ مصر كما اثرت في تاريخ المغرب .

ففى مصر ظل العرب المقيمين بها متمسكين بالانتساب الى قبائلهم خلال القرنين الأول والثانى الهجريين وتوضح شواهد القبور التى كشفت حديثا كيف ان اسم المتوفى كان يتبعه اسم قبيلته (٣) وبدت عدة مظاهر اجتماعيه متأثرة بالسلوك القبلى الذى تغلغل في وجدان العربى من اهمها التحالف او ارتباط قبيلتين او اكثر في حمل مسئولياتهما وحل مشاكلهما كتحالف قبيلتى ابى سالم المعافرى وجيشان (٤) . وكثيرا ما كانت تجير القبيله او احد افرادها شخصا آخر مثلما حدث حين أجار كريب بن أبرهه سيد حمير الخليفه مروان بن الحكم سنه ٦٥ هـ / ٦٨٤ م عندما ثار عليه المصريون فأرادوا قتله انتقاما للأكدر بن حمام سيد لخم .(٥)

---

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥٦

(٢) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥٧

(٣) Wiet : Precs de l' histoire d' egypte .T.II PP . B6- 137 .

(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص ٣٥٣

(٥) الكندى : الولاه ص ٤٦ .

وفى افريقيه تم تحالف قبيلتى " بلى " وبنى مدلج " الذين انتقلت بعض بطونهم من مصر الى الهبادة فى مطلع القرن الثانى . (١) وكذلك تحالفت قبيلتى " غنث " و " ميدعان " وهما قبيلتان من قبائل الازد الذين انتقلتا من مصر واستقرتا فى المنطقه الواقعه ما بين برقه وزويله (٢) . كذلك تحالفت قبائل الصدف المعروفه بميولها العلويه مع بعض بطون الامويين حين استقروا معا عند جبل برقه الشرقى . (٣)
وكان موقف القبائل العربيه فى مصر وبلاد المغرب من الثورات والحركات السياسيه المختلفه ، مظهرا بارزا من مظاهر العصبيه القبليه . وكانت هذه المواقف تؤثر تأثيرا واضحا فى الحياة العامه .

ففى مصر نجد بعض القبائل قد اشتركت فى حركة ابن ابى حذيفه المعاديه لعثمان سنه (٤) ٣٥ - ٣٦ هـ / ٦٥٥ - ٦٥٦ م وبعضها الآخر وقف مع العثمانيين بزعامة معاوية بن حديج السكونى ، كما أيد فريقا لعلويين وفريق آخر حركة الخوارج سنه ٦٤ هـ / ٦٨٣ م . وفى آخر العصر الأموى ١٢٧ - ١٢٨ هـ / ٧٤٤ - ٧٤٥ م نادت بعض القبائل بخلع مروان بن محمد ثم ايدت الدعوة العباسيه .

هذا فضلا عن تأثر العرب المقيمين بمصر بعصبيتهم القبليه حتى ان الولاة كانوا يولون اهتمامهم لأفراد قبيلتهم التى انحدروا منها ، فقد اوصى والى مصر قيس بن سعد الأنصارى ذو الأصل القحطانى خليفته محمد بن ابى بكر القرشى سنه ٣٧ هـ / ٦٥٧ م بأن يعامل قومه المضريين معامله طيبه فقال : " وانظر هذا الحى من مضر فأنت أولى بهم منى

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٨ ، اليعقوبى كتاب البلدان ص ١٢١ - ١٢٢
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٩ - ١٢٠
(٣) الكندى : الولاه ص ١١١ - ١١٢
(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص ٤٦ ، ٢٧ ، ٣٤٦

فأنس لهم جناحك وترب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك " (١) .

وقد بلغ من قوة العصبية بين العرب في مصر في القرن الثاني الهجري أن القاضي توبة بن نمير سنه ١١٥ - ١٢٠ هـ / ٧٣٣ - ٧٣٧ م كان لا يقبل شهادة مضرى على يماني ولا يماني على مضرى (٢) .

وفي بلاد المغرب نجد صورة مماثلة لما كان عليه التعصب القبلي بين العرب في مصر . فقد حفل تاريخ المغرب بتعصب القبائل القحطانيه التي كانت تشكل غالبية العرب كما كان الحال في مصر - للولاة القحطانيين ومعاداتها للعدنانيين .

فقد ايدت القبائل القحطانيه موسى بن نصير خلال ولايته الى أن تولى افريقيه محمد بن يزيد وهو قيسي من قبل الخليفه سليمان بن عبد الملك قام بتتبع عمال موسى بن نصير من القحطانيين (٣) والتنكيل بهم . ثم علا شأن العرب القحطانيين بعد تولية يزيد بن ابي مسلم سنه ١٠١ - ١٠٣ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٢ م . فانتقم من الوالي السابق وانصاره من العرب العدنانيه (٤) ، الذين لاقوا كثيرا من الاضطهاد على يد سلفه القحطاني بشر بن صفوان الذى بالغ في التنكيل بالعرب العدنانيه وظل الأمر على هذا الوضع حتى تولى افريقية عبيده بن عبد الرحمن القيسي من قبل الخليفه هشام بن عبد الملك فانتقم (٥) من عمال بشر بن صفوان وانصارهم من العرب القحطانيه ، واستمر ذلك حتى

---

(١) الكندى : الولاه ص ٢٧

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٣٤٦

(٣) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٨ ،
اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى جـ ٣ ص ٢٥٥ .

(٤) ابن الابار : الحله السيراء ص ٣٣٦

(٥) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٠٥ - ١٠٦ .

عهد عبيد الله بن الحجاب سنه ١١٦ هـ / ٧٣٥ م حيث لقى العرب القحطانيين صنوف التعنت والتنكيل (١) .

وظلت القبائل العربية عرضة لبطش الولاه الذين يتولون أمور افريقية فيناصر كل منهم ابناء قبيلته ويناصب الآخرين العداء . فحين عين الخليفه هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض القشيرى وهو من العرب العدنانيه لاقى القحطانيون على يديه كثيراً من التعنت . (٢) وقد اثرت هذه الانقسامات فى الأحداث السياسية . فحين بعث الخليفه هشام بن عبد الملك مع كلثوم هذا جيشا كبيرا لاسترجاع النفوذ الأموى فى افريقيه ضد ثورات الخوارج الصفريه . اقام كلثوم على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفارى ووجه جيشه لقتال الخوارج . وحين يتحدث ابن الرقيق عن هذه الواقعه يذكر انقسام العرب الى فريقين حيث " مال أهل افريقيه الى ناحية ومعهم اهل مصر ومال أهل الشام الى ناحية " (٣) كما تبين المصادر (٤) مدى تعسف كلثوم وبلج وهم من العرب العدنانيه فى معاملة عرب المغرب من الجماعة القحطانيه . وكان زعيمهم فى ذلك الوقت حبيب بن أبى عبيده . فقد رفض كلثوم النزول بالقيروان ونزل على مقربة منها فى بلده تدعى سبيبه وأمر اهل القيروان باخلاء منازلهم لجنده فاستجاروا بحبيب بن أبى عبيده القحطانى وكان بتلمسان فبعث الى كلثوم يطلب منه الرحيل عن البلاد فاعتذر له كلثوم عن مسلكه وتوجه اليه بتلمسان

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٣
(٢) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٤
(٣) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١١٣
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٥
ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٢
ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٨٩

ليشتركوا جميعا فى قتال الخوارج .
الا أن الخلافات سرعان ما ثارت من جديد لتعنت بلج وسوء معاملته لحبيب حتى كادت الحرب تنشب بين الفريقين بل اقتتلا ثم تصالحا على مضض (١) .

....

هكذا كان استقرار القبائل العربية فى بلاد المغرب وتلك كانت النزعات والعصبيات القبلية التى أثرت فى تاريخ بلاد المغرب ، كما أثرت العصبية القبلية بين العرب فى مصر فى تاريخ مصر أيضا . فالتشابه كبير بين مواقف القبائل العربية وتعصبها القبلى فى مصر وبلاد المغرب وتأثيرها على الأحداث السياسية فى البلدين . ونوضح بعد ذلك نتائج هجرات تلك القبائل العربية واستقرارها فى مصر وبلاد المغرب .

-.-.-

---

(١) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٢
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٥
ابن خلدون : العبر ج٤ ص ١٨٩

أثر العرب فى احداث ثورات الخوارج :

كانت الملامح الرئيسيه الغالبة لسياسة الولاة الأمويين فى بلاد المغرب تتسم بمحاولة توطيد الأخوة بين العرب والبربر .
وتمثل ذلك أول الأمر فى ابقاء العرب (١) على النظام القبلى الذى اعتاده اهل البلاد محاولين المساواة بينهم وبين العرب ، فقد استعان عقبة بن نافع بالمسلمين من البربر فى حملته سنه ٥٠ هـ فيذكر النويرى (٢) أن عقبة أخذ " ممن أسلم من البربر وضمهم الى الجيش الوارد عليه " .

كما أشرك حسان بن النعمان البربر فى جيشه الذى توجه به لفتح افريقيه فيذكر المالكى (٣) أنه " أخرجهم مع العرب يفتحون افريقيه ويقتلون الروم ومن كفر من البربر فمن ذلك صارت الخطط للبربر بافريقية فكان يقسم الفئ بينهم والأرض حسنت طاعتهم فدانت له افريقيه وبون الدواوين " (٤) .

وقد ادت هذه السياسة الى دخول كثيرين من البربر فى الاسلام حيث وجدوا ما ينشدون من حرية ومساواة وهم كشعب محارب قوى لم يكن

---

(١) المالكى : رياض النفوس ج١ ص ٢٦ ، ابن كثير : البدايه والنهايه ج ٩ ص ١٨٤ ــ ١٨٥ ، الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٦ ، ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٢٨ ، ٤٣
G.Marcais ; les Grabes en Berbetie . P. 39 - 40.

(٢) النويرى : نهاية الأرب ص ٦٨أ

(٣) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٣٦

(٤) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٣٦

ليرضى عنهما بديلا . وهذا يفسر ايضا تلك الثورات التى قاموا بهـا اذا ماأساء الولاة معاملتهم وبرزوا عليهم العرب ، مما حدا بهم الى اعتناق مبادئ الخوارج التى تنادى بالعدل والمساواه [1] وعدم شرعية احتكار العرب للزعامه وحدهم .

ولعل اشارة [2] ابن خلدون الى انتشار مبادئ الخوارج بين البربر تبين كيف كان لبعض الدعاة من الشيعه [3] والخوارج يد فى تحريك ثورات البربر ، وكيف انتقلت اليهم تلك المبادئ من المشرق الاسلامى اذ كانت بلاد المغرب اهم المناطق التى وجد فيها دعاة الخوارج فرصة لنمو مبادئهم لتطرفها عن مقر الخلافة فى الشرق . فيذكر ابن خلدون " ولما فشا دين الخارجيه فى العرب ، وغلبهم الخلفاء بالشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصيه ، وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤوس الخارجيه فى احكامهم من اباضية وصفرية وغيرهما " [4] .

فتتالت ثورات البربر ضد سياسة يزيد بن عبدالملك الذى تحيز للعرب ، وتشدد فى معاملة البربر وتمثل ذلك فى عدم رفع الجزيه عمن أسلم منهم [5] ، طمعا فى زيادة ايراد بيت المال .

---

(١) ابن الاثير : جـ ٥ ص ٧٠ ، الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٤٨

G.Marcais: la Brebetie Musulmane et l' orient au Moyenage / P. 41- 42 .

Vonderheyden, M.: La Berberie Orientale P. 3- 5 .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ١١

(٣) ابن الاثير : جـ ٥ ص ٧٠ ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٤٨

الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١٨٤ ـ ١٨٥

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ١١

(٥) الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ ٥ ص ١٠٣

ابن الاثير : جـ ٤ ص ١٨٢ ،

ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ٩٩

ونفذ واليه على أفريقيه يزيد بن ابي مسلم سنه ١٠١ هـ / سنه ٧١٩ م سياسته فعامل البربر " بشدة الحجاج في اهل الاسلام الذين سكنوا الأمصار من كان اصله من اهل الذمة فأسلم فانه ردهم الى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار " (١)

وكان قتل يزيد بن (٢) ابي مسلم تعبيرا عن احتجاج البربر ضد سياسة التفرقه بينهم وبين العرب.

وكانت موقعة " الاشراف " وما اصاب العرب فيها حيث استحالوا الى " ثلث مقتول وثلث مهزوم وثلث مأسور " (٣) تمثل مدى ما اعتمل في نفوس البربر من الثورة ضد العرب في ولاية عبيد الله بن الحبحاب وصفها ابن عبد الحكم بقوله انها " كانت اول فتنة البربر بأرض افريقيه " (٤) تلك الفتنة التي انتهت بمقتل كثير من العرب من قريش والأنصار وغيرهما. فأعد الخليفة هشام بن عبد الملك جيشا لاسترجاع نفوذ العرب ، وولى على العرب بدلا من ابن الحبحاب احد العرب القيسين هو كلثوم بن عياض القشيرى (٥) وسير معه جيشا كثيفا . وانقسم العرب الى فريقين

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ٥ ص١٠٣ ، ابن الاثير : جـ٤ ص١٨٢

(٢) يذكر ابن عبد الحكم ان يزيد بن ابي مسلم خطب في الناس قائلا " اني أن اصبحت صالحا وشمت حرسي في ايديهم كما تصنع الروم فأشم في يد الرجل اليمنى اسمه وفي اليسرى حرسي فيعرفوا بذلك من غيرهم فانفقوا من ذلك ودب بعضهم الى بعض في قتله ." ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٢١٤ .

(٣) أخبار مجموعة لمجهول ص٣٤

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٢١٨ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص٢٧٣ ابن عذارى : البيان جـ١ ص٥٢

Pravencal: Histoire de l' Espagne Musulmane vol. I.P. 28- 29 .

(٥) اخبار مجموعة ص٣٠ ، ابن القوطيه تاريخ افتتاح الأندلس ص١٤ .

مال " أهل افريقيه الى ناحية ومعهم اهل مصر ومال اهل الشام الى ناحيه ." (١) ولما كان كلثوم بن عياض قيسيا فقد كان عليه أن يجابه العرب اليمنيه وبقية اهل افريقيه (٢) . وحين بلغ هشام بن عبدالملك قتلهم لعامله كلثوم بن عياض ، بعث بحنظله بن صفوان الكلبي وهو من العرب اليمنيه ليوقف ثورة البربر التي سرعان ما هاجمته بقيادة عكاشة الصفرى الخارجي وعبد الواحد بن يزيد الهوارى " في عسكر لم ير أهل افريقية مثله من البربر ولا اكثر منه " (٣) وانتصر حنظله بن صفوان على الخوارج في موقعتي القرن والاصنام . (٤) .

وبلغت ثورات الخوارج في العصر العباسي اوجها فبايع الخوارج الاباضيه (٥) في المناطق التابعة لطرابلس ابا الخطاب عبدالاعلى بن السمح

---

(١) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٥٧ ، ابن قوطيه : تاريخ افتتاح الاندلس ص ٤١ ، المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٢ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٨٩ ، ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١١٣ .

(٢) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١١٢ـ ١١٤ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٧٠

(٣) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه ص ١١٥ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٢٧٠ ،
ابن خلدون ج ٧ ص ١٢ ، النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ١٥ ،
ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٦٢

(٤) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٢٠ ـ ١٢٢ ،
ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ٢٢٢

(٥) الدرجيني : طبقات الاباضيه ج ١ ص ٦ ـ ٧ أ ،
ابن رسته : الاعلاق النفيسه ص ٢١٧ ،
الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٢ ، الشماخي .
الشماخي السير ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ،
البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٨٢ ـ ٨٣

المعافرى سنه ١٤٠ هـ ، ٧٥٧ م واستد نفوذهم حتى شمل المغرب الأوسط . بينما تمكن الخوارج الصفريه من اخضاع القيروان بزعامة عبد الملك بن ابى الجعد واستباح بربر ورفجومه [1] المدينه وخضع المغرب الاقصى لنفوذ الخوارج الصفريه وكادت ثورات الخوارج ان تؤدى بالحكم العباسى فى البلاد ولعل اشارة ابن الرقيق الى هذه الواقعه بقوله : " ولما حكمت ورفجومه على القيروان قتلوا من كان بها من قريش وساموهم سوء العذاب وربطوا دوابهم فى المسجد الجامع ، وندم الذين أعانوهم ودعوهم اشد ندامه " [2] تدل على مدى الاستياء الذى ساد البربر فى ذلك الوقت ضد العرب عامة والقرشيين خاصة ، وذلك بسبب سياسة التشدد على اهل البلاد واختلاف اسلوب معاملتهم عن ذلك الذى اعتادوه من الفاتحين الأول وولاتهم ، وقد عبر عن ذلك أبو العرب [3] ابن تميم صاحب كتاب الطبقات حين يتحدث عن قدوم وفد من علماء القيروان عقب تغلب البربر عليها فسأل المنصور احدهم : " كيف رأيت ماوراء بابنا

---

(١) ورفجومة احد بطون قبائل نفزاده البربريه ،
ابن الاثير جـ ٤ ص ٢٨١ ،
ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ١٤١

(٢) ابن الرقيق ص ١٤١ ، ابن الاثير جـ ٤ ص ٢٨١

(٣) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص ١٠١ - ١٠٢ ،
يذكر " لما غلبت البربر على القيروان وفد الى الخليفه رجال قال عبد الرحمن (يقصد عبد الرحمن بن زياد احد علماء افريقيه وقضاتها) فكنت أنا فيهم قال : كيف رأيت ما وراء بابنا فقلت له رأيت ظلما فاشيا وامرا قبيحا فقال ابو جعفر : العله فيما بعد من بابى فقلت له كلما قربت من بابك استفحل الامر وغلب . "

فقلت لـه : رأيت ظلما فاشيا وأمرا قبيحا ." (١)

وازاء هذا الموقف بعث الخليفه المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي (٢) الذي استطاع ان يلحق الهزيمه (٣) بالخوارج ، وسرعان ما نشب الصراع بين العرب اليمنيه والقيسيه اذ ثار على ابن الاشعث وهو من العرب اليمنيه ، معظم الجند العدنانيين بقيادة "هاشم بن الشاحج" (٤) الذي استطاع أن يحشد الى صفه جموعا من البربر سار بهم الى تهوده وتمكن ابن الاشعث من الانتصار عليه سنه ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م . الا أن العرب العدنانيه (المضريه) سارعت بالثورة عليه وخلعه وقلدوا ولاية افريقية لاحد قادة الجند الخراسانيين هو عيسى بن موسى الخراساني (٥) وسرعان ما اعاد الخوارج نشاطهم في تلمسان حيث كانت مركزا لثورة ابي قره اليفرني سنه ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م وتمكنوا من استرداد طرابلس مرة اخرى وحاصروا القيروان وقتلوا واليها العربي (٦) ،

---

(١) ابو العرب محمد بن احمد بن تميم القيرواني : طبقات علماء افريقيه ص١٠١–١٠٢

(٢) ابن عذاري : البيان ج ١ ص ٦٠–٦١ ابن الاثير ج ٤ ص ٢٨١ ،
ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : نهاية الارب ورقه ١٩ ، ٢٢
ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : نهاية الارب ص١٩–٢٢ ،
ابن عذاري : البيان ج ١ ص ٨٣–٨٤ ،
السلاوي، الاستقصا ج ١ ص ١١٦ ،
ابن الاثير : ج ٤ ص ٢٨١ .

(٤) ابن الاثير : ج ٤ ص ٢٨٢ ، ابن الابار : الحله السيراء ج ١ ص٦٩–٧٠

(٥) ابن الاثير : ج ٤ ص ٢٨٣ ، السلاوي : الاستقصا ج ١ ص ١١٦ ،
ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١٢ – ١١٣

(٦) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٤٧ – ١٤٨ ،
اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ص ١٢٠ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٠ ،
ابن عذاري : البيان ج ١ ص ٩٤
ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١٢ – ١١٣

عمرو بن حفص سنه ١٥٤ هـ - ٧٧١ م ، وتمكنت الخلافه من قمع تلك الفتنه بفضل جهود يزيد بن حاتم " فقتل من البربر خلق كثير ". (١)

وهكذا ادت سياسة التعصب للعرب والتفرقه بينهم وبين البربر في المعامله الى اشتعال ثوراتهم والى اعتناقهم لمبادىء الخوارج التي وجدوا فيها تحقيقا لذاتهم بما تدعوا اليه من مساواة وعدل وثورة على أئمه الجور (٢) وقد اشار ابن خلدون الى ذلك بقوله " أن الخارجيه حين رسخت في البربر عروق من غراسها تطاول البربر الى الفتك بأمير العرب ". (٣) وقد كان رؤوس تلك الثورات كلهم من البربر - فيما عدا ابو الخطاب المعافري واستمرت ثوراتهم قرابة نصف قرن الى أن تمكنوا من تحقيق غايتهم باقامة دول مستقله اتخذت طابعا قوميا بعيدا عن نفوذ العرب كانت احداها دولة بني مدرار الصفريه في سجلماسه (٤) سنه ١٤٠ هـ/٧٥٧م بزعامه " ابو القاسم سمكو بن واسول المكناسي ، والأخرى دوله بني رستم الاباضيه (٥) في تاهرت سنه ١٦١ هـ / ٧٧٨ م .

---

(١) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٤٨

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١١١

(٤) ابن عذاري : البيان جـ ١ ص ٢١٥ ، ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٣٠ ، السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١١٢

اتخذ بربر مكناسه من سجلماسه عاصمة لهم جمعت شمل الخوارج الصفريه ذلك لأنها تقع في اقليم تافيللت الصحراوي حيث يصعب الوصول اليه فهو نهاية الموصلين من الجنوب والغرب. وانضم اليهم بربر صنهاجه وزناته وزنوج السودان واهل الربض الأندلسيين .

ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٢٩

دكتور حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٣١ ،

المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٣١ ، البكري : المغرب ص ١٤٨-١٤٩

(٥) الدرجيني : طبقات الاباضيه جـ ١ ص ٩ ، الشماخي : السير ص ١٣٨-١٣٩ .

فكان قيام تلك الدول بمثابة رد فعل على للخروج عن نفوذ العرب .

أثر العرب في احداث عصر الاغالبة :

كان قيام دولة الاغالبة سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م في ظل الولاء للخلافة العباسية ، ضرورة للحفاظ على نفوذ العرب في افريقيه وللحيلولة دون امتداد نفوذ دول البربر التي قامت في بلاد المغرب .

وقد ارتبط قيام دولة الاغالبة بفتن الجند العرب وثورا تهم على عامل القيروان بدافع العصبية القبلية بين العرب اليمنيه والمدنانيه ، وثورات الجند الخراسانيين ضدهم واستغلالهم ذلك العداء القبلي ، والاستفادة منه بالانضمام الى جانب احدهم ضد الآخر .

فقد ظهرت العناصر الفارسيه والخراسانيه (١) في بلاد المغرب بقدوم اعداد كبيرة منهم مع الحملات التي كانت تأتي من قبل الخلافة وكانت اول تلك الفتن التي تزعمها الجند الخراسانيون ضد العرب ، تلك الثورة التي اطاحت بولاية محمد بن الاشعث الخزاعي بعد انتصاره (٢) على الخوارج سنة ١٤٤ هـ/ ٧٦١ م واعادته لنفوذ الخلافة العباسية على افريقيه والمغرب الأدنى ، فاستغل الجند الخراسانيون اضطرام نيران العصبية بين العرب اليمنية والمدنانيه ، حين ثار على ابن الاشعث

---

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٥٠

ابن عذاري : البيان جـ ١ ص ٧٨ – ٧٩

(٢) النويري : نهاية الأرب جـ ٢٢ ص ١٩ – ٢٠ ،

ابن عذاري : البيان جـ ١ ص ٨٣ – ٨٤ ،

ابن الاثير : جـ ٤ ص ٢٨١ .

وهو من العرب اليمنيه - معظم عسكره الذين كانوا من العرب المدنانيه بقيادة هاشم بن الشاصح فخلعوا (١) ابن الاشعث وقلدوا ولايـة افريقيه لعيسى بن موسى بن عجلان الخراساني ، سنه ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م ٠

وسادت الانشقاقات بين الجند العرب (٢) والجند الفرس والخراسانيين وبلغ خطورها في ثوره ابن الجارود (٣) على الفضل بن روح الذي ولـى افريقيه سنه ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م وحنقهم عليه لتعيينه المغيره بن بشر بن روح - ابن أخيه عاملا على تونس ويعلل ابن الرقيق ذلك بقوله " كان غرا لا تجربـة له بالأمور فاستخف بالجند وسار فيهم بغير سيرة من تقدمهم ووثـق أن عمه لا يعزله ٠" (٤) مما اثار نفوس الجند ضده فاجتمعوا على تنحيتـه والتفوا حول ابن الجارود وحاصروا المغيره بن بشر بدار الاماره ثم كاتبـوا الأمير الفضل بن روح معلنين سخطهم على المغيره مبررين خروجهم " لاحداث فيها فساد الدوله (٥) فولى عليهم عبد الله بن يزيد المهلبي عاملا علـى افريقيه واشتبك مع جند القيروان قرب تونس في موقعه هزم فيها جند الفضـل وقتل نائبـه ٠ وكانت خطة ابن الجارود التي دبرها مع زميلـه

---

(١) ابن الاثير ج٤ ص ٢٨٣ ، السلادى : الاستقصا ج ١ ص ١١٦ ،
ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١٢ - ١١٣ ٠

(٢) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٢٦ و ٤ ٩ - ٩٥

(٣) الطـبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٦١ ، ابن الرقيق : تاريخ افريقيه ص ١٨٢ ٠

(٤) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٨٦ ،
ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٩٥ ٠

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٧٥ ،
الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٦١ ،
ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٨٧ - ١٨٨

محمد بن (١) الفارسي تستهدف استمالة قادة جند الفضل بافريقية وتحريضهم على الثورة ووعدهم بالولاية " (٢) ولم يعاجلهم الفضل وأمهلهم الى ان دبروا لأنفسهم " . كما الب ابن الجارود جند خراسان في " باجه " فخرجوا على عاملهم ، وحرض الجند الخراسانيون العرب اليمنيه على الخروج ضد الفضل متهمين اياه بتفضيله العرب القيسية عليهم في الاعطيات . (٣)

وتمكن ابن الجارود من دخول القيروان وقتل الفضل واصحابه سنه ١٧٨ هـ/ ٧٩٤ م - وحين بلغ الأمر الخليفه هارون الرشيد وجه اليهم يقطين بن موسى الخراساني " لمحله من دعوتهم ومكانه في دولته وكبر سنه وحالته عند اهل خراسان " (٤) فقد رأى الخليفه أن يوجه اليهم أحد الخراسانيين لعله يهدئ من ثورتهم . وعين الخليفه الرشيد " هرثمه بن أعين " واليا (٥) على افريقيه وكان بصحبته يحيى بن موسى ، واسند اليه مهمة قمع حركة ابن الجارود ، التي كادت أن تقضي على نفوذ

---

(١) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٩١ ويورد ذكر تلك الكتب التي كان يبعث بها ابن الجارود الى رؤساء الجند مرغبا للدخول في طاعته .

(٢) ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٩١

(٣) ابن الاثير : جـ ٥ ص ١٠٨ ، ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٩٢ ، السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٢٢

(٤) السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٢٢

(٥) ابن الاثير : جـ ٥ ص ٩٦ ، ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٩٧

الخلافه العباسيه في افريقيه . واستغل هرثمه الانقسام الذى دب في صفوف ابن الجارود حين خرج (١) عليه العلاء بن سعيد والي منطقة الزاب وانصرف مع جموع من البربر للاستيلاء على القيروان ، فأسرع ابن الجارود يعلن تسليم القيروان (٢) ، ورحل عنها العلاء بعد أن انصرف الجند الى طرابلس (٣) .

أمام هذه الظروف التي واجهت الخلافه العباسيه في افريقيه رأت الخلافه أن تولي ابراهيم بن الأغلب – حاكم منطقه الزاب – على افريقيه وهو عربي ينتسب الى قبيله تميم وكان الاختيار موفقا فضلا عن كونه من قبيلة تميم التي عرف عنها الولاء للعباسيين ، منذ أن شاركت في القضاء على الخلافه الأمويه كان ابوه من اصحاب ابي مسلم الخراساني (٤) ومن خاصته فكأنه بذلك جمع بين الولاء للخلافه ورضا الخراسانيين . بعد أن استطاع أن يقضي على الثورة التي عمت افريقيه ضد واليها محمد بن مقاتل العكي بسبب غضب الجند الخراسانيين لقطعه ارزاقهم واساءة معاملتهم (٥) . فأعلنوا عليه الثوره وخلعوه ونصبوا تمام

---

(١) ابن الاثير : جـ ٥ ص ٩٦ ،

ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٩٧

Hitti : Itis tory of the Avabs P.45 .

(٢) ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ١٠٩ ، ابن الاثير : جـ ٥ ص ٩٦ .

(٣) ابو المحاسن : النجوم جـ ٢ ص ٨٩ ، ابن الاثير : جـ ٥ ص ٩٦ .

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٦ ،

البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٧٥

(٥) ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ١١٣ ،

ابن الرقيق : ص ٢٠٥

بن تميم التيمي ،الذي الحق الهزيمه بجيش العكي سنه ١٨٣هـ/ ٧٩٩م ونصب نفسه واليا على افريقيه سنه ١٨٣ هـ / ٧٩٩م فتوجه ابراهيم بن الاغلب ـ وكان وقتذاك حاكما على الزاب الى القيروا ن واعلن تأييده للوالي الشرعي فبعث الى العكي [1] ليتسلم مها م ولايته على القيروان • وقبض على تمام وزعماء الثورة من قادة الجند الخراسانيين فاعاد بذلك سلطان الخلافه العباسيه المفقود في افريقيه ،واصبح الحاكم الفعلي لها •

وقد واجهت ابراهيم بن الاغلب مشاكل النزاع بين العرب اليمنيه [2] والعدنانيه ، فخرج عليه الجند تحت زعامة عمران بن مخلد سنه ١٩٤ هـ/ ٨٠٩م وتمكنوا من الاستيلاء على القيروان •

كما عم النزاع بين الجند العرب في طرابلس [3] وقام البربر سنه ١٩٦ هـ/ ٨١١م بزعامة قبيلة هواره في اشعال تلك الثورة وبلغ من شدتها ان كادت طرابلس والجزء الشرقي من الدوله أن يخرجا عن سلطان الاغالبه بعد أن مد عبدالوهاب بن رستم الثائرين من هوارة بالمساعده والتأييد [4]

---

(١) النويري : نهاية الأرب ص ٢٦ ،
ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص٢٠٦ ـ ٢٠٧
Fournel : les Berbers vol II. P.410-411.

(٢) ابن الأثير : جـ ٥ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ،
ابن الابار : الحلة السيراء ص ٢٤٠

(٣) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ ،
الانصاري : المنهل العذب ص ٧٤

(٤) الدباغ : معالم الايمان جـ ١ ص ٢٦ ـ ٢٧

وواجه زيادة الله بن الأغلب سنه ٢٠١ هـ / ٨١٦ كثيرا من المشاكل المترتبه على ثورات الجند العرب والخراسانيين تلك الثورات التي كادت أن تعصف بحكمه (١) ، فقد خرج عليه زياد بن سهل وكادت مدينه باجه أن تخضع لقواته سنه ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢م ، وكذلك ثورة عمرو بن معاوية القيسي (٢) . الا أن زيادة الله اشتد في قمع تلك الثورات ونكل بعمرو بن معاويه القيسي مما ادى الى اثارة العرب القيسيه عليه بزعامة منصور الطنبذي (٣) الذي ساعد في اذكاء نيران تلك الثورة التي جعلت افريقيه " نارا تتقد " (٤) وكادت تقضي على زيادة الله اذ تمكن من السيطره على افريقيه كلها فيما عدا الساحل ومدينه قابس (٥) ولولا تدخل والي مصر عبد الله بن طاهر لخرجت البلاد عن طاعة الأغالبه (٦) . وقد أسفرت ثورات العرب القيسيه عدا ابراهيم بن احمد

---

(١) ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٢٣ ،
النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٢٩ ، ابن الأبار :
الحلة السيراء : ص ٢٤٦ – ٢٤٧

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ١٨٥ .

(٣) ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٣٠

(٤) النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٣٠

(٥) ابن الاثير : ج ٥ ص ١٨٥ ،
ابن الأبار : الحله السيراء ص ٢٥٥ ،
ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٥٨

(٦) ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٣٠ ،
النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ١٣٠ ،
ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٤٢٢ – ٤٢٣ ،
ابن الاثير : ج ٥ ص ١٨٥ ، ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب ص ١٦ – ١٧ .

الاغلبي في بلزمه سنه ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م عن قتل عدد كبير منهم مما اشعل ثورة العرب القيسيه في باجه وقموده واقليم الجزيره والاربس (١) ثم ثار بنو تميم بتونس فوجه اليهم ابراهيم بن احمد ميمون الحبشي سنه ٢٨١هـ / ٨٩٤ م بجيش تمكن من قتل عدد كبير منهم (٢) .

وهكذا شهد تاريخ الاغالبه كثيرا من ثورات الجند العرب ونزاعهم مع الجند الخراسانيين الذين وفدوا الى البلاد مع تلك الحملات التي كانت تبعث بها الخلافه العباسيه .

....

---

(١) يذكر ابن عذارى : ان ابراهيم بن احمد انزل سبعمائه من العرب القيسيه ووضعهم في دور ليس لها سوى منفذ واحد واجهز عليهم وقتلهم البيان : ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٧٣

الفصل الرابع

أثر هجرات العرب واستقرارهم في مصر والمغرب

اختلط العرب منذ البدايه بأهل البلاد في مصر وبلاد المغرب وأثروا بدينهم ولغتهم في اهل البلاد من المصريين والمغار به نتيجة لهذا الاختلاط .

وقد بدأ هذا الاختلاط بانتقال العرب من المدن التي استقروا فيها الى قرى الريف للارتباع فاختلطوا بأهله . فقد كانت حركة الارتباع تتم حسب نظام مرسوم اذ جاء في خطبة لعمرو بن العاص عقب فتح مصر واختلاط العرب بها " (١) فحى لكم على بركة الله الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافة وصيده واربعوا خيلكم واسمنوها وصونوها وأكرموها .. فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم واستوصوا بمن جاور تموه من القبط خيرا .. فاذا يبس العود وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن فحى على فسطاطكم ." (٢) .

فكان الوالي اذا جاء الربيع يصدر أمرا كتابيا يحدد فيه

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٢ ،
السيوطي : حسن المحاضرة جـ ١ ص ٧٣
ويذكر ابن عبد الحكم ان عمر بن الخطاب " امر معاوية ان يخرج الى امراء الاجناد يتقدمون الى الرعية ان عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون ."

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤٠ - ١٤١ ،
ابو المحاسن : النجوم الزاهره جـ ١ ص ٧٣ .

القرية التي تذهب اليها القبيلة (١) ، فيذكر ابن عبد الحكم :
" وكان اذا جاء وقت الربيع واللبن وكتب الى كل قوم بربيعهم ولبنهم الى حيث احبوا " فكانت القبائل المتجاوره تشترك في مرتبعات واحده وقد يكون للقبيلة اكثر من مكان ترتبع فيه اذا كانت كبيرة العدد . (٢)
" وكان بعض هذه القبائل ربما جاوز بعضا في الربيع ولا يوقع معرفه ذلك على احد " .

وكان موسم الارتباع هذا يستمر حوالي ثلاثة اشهر فهو يبدأ عادة آخر الشتاء وينتهي في اوائل الصيف .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤١ يذكر انه " كانت القرى التي يأخذ فيها عظمهم منوف ودسبندس واهناس وطما وكانت هذيل تأخذ في بنا وبوصير وكانت عدوان تأخذ في بوصير وقرى عسك التي تأخذ فيها عظمهم بوصير ومنف ودسبندس واتريب . وكانت بلي تأخذ في منف وطرابيه . وكانت فهم تأخذ في اتريب وعين شمس ومنوف وكانت مهرة تأخذ في تنا وتمي وكانت الصدف تأخذ في الفيوم وكانت تجيب تأخذ في تمي وسطه ودسيم ، وكانت لخم تأخذ في الفيوم وطرابيه وقربيط وكانت جذام تأخذ في طرابيه وقربيط وكانت حضرموت تأخذ في ببا وعين شمس واتريب وكانت مراد تأخذ في منف والفيوم ومعهم عبس بن زوف . وكانت حمير تأخذ في بوصير وقرى اهناس وكانت خولان تأخذ في قرى اهناس والبهنسا والقيس . وآل وعلة يأخذون في سقط من بوصير . وآل ابرهه يأخذون في منف وغفار واسلم يأخذون مع وائل من جزام وسعد في بسطه وقربيط وطرابيه وآل يسار بن ضنه في اتريب وكانت المعافر تأخذ في اتريب وسخا ومنوف وكانت طائفه من تجيب ومراد يأخذون باليد قون "

ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤١ - ١٤٢

كان فرصة كبيرة للاتصال والاحتكاك بين العرب واهل البلاد من المصريين • فكان يتم بالتدريج فى هذه الهجرة السنوية الداخلية تبادل الصلات والمؤثرات بين العرب والمصريين • واحتفظ العرب بالعطاء الذى كان يصرف لهم من بيت المال •

فقد كان العرب الى عهد الخليفة المعتصم ٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ ـ ٤١ م يأخذون العطاء من بيت المال • (١) ويبدو أن الولاه قد راعوا أن يكون العطاء مجزيا بحيث يغنى العرب عن الاشتغال بحرف اخرى والتفرغ للجهاد (٢) •

والمرجح أن العطاء كان يصرف للجند سنويا اذ يذكر الماوردى (٣) ان الخليفه مروان بن محمد قطع العطاء عن الجند سنة فكتب اليهم يعتذر ويقول : " انما انا حبست عنكم العطاء فى السنه لعدو حضرنى فاحتجت فيه اليكم بعطاء السنه الماضيه وعطاء هذه السنة فكلوا هنيئا مريئا واعوذ بالله ان اكون انا الذى يجرى الله قطع العطاء على يديه (٤)

وكان الحد الاعلى من العطاء ـ يدعى " شرف العطاء " ومقداره الفين وخمسمائة درهم (٥) ـ يخصص لاهل الايام والفتوح الاولى ولا يورث كما كان لنساء العرب عطاء يبلغ مائتى درهم لكل امراة • (٦) كما

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٦١

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٧٠

(٣) الماوردى : الأحكام السلطانيه ص ١٩٥ ـ ١٩٦

(٤) الكندى : الولاه ص ١٩٤

(٥) الاصفهانى : الاغانى ج ٩ ص ١٦٤ ، ج ١٩ ص ١٥٢ ،
البلاذرى : انساب الاشراف ج ٤ ص ٧٤٩ مخطوط •

(٦) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٢ ،
الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٤١٣ ، ٢٩٢٩ •

خصص للأطفال دون السابعه عشرة ، مائة درهم سنويا تدفع عند الفطام (١) وكان هذا المبلغ يورث الى ان انكر الخليفه عمر بن عبد العزيز لوراثة وقال : " اقطع الوراثه واعم الفريضه ." (٢) الا انه خشى ان يستن به فى قطع الوراثة ولا يستن به فى عموم الفريضه فترك الأمر كما كان (٣) كما قرر ان يختار ولدا واحدا من اولاد المستحقين للعطاء عن طريق الاقتراع ليعطى المائه درهم وليرث مكان ابيه فى العطاء . (٤)

وحين ولى المعتصم الخلافه ارسل الى والى مصر كيدر بن نصر ٢١٦ ـ ٢١٩ هـ/ ٨٣١ـ٨٣٤ م يأمره " باسقاط من فى الديوان من العرب وقطع اعطياتهم فتم ذلك ." (٥)

والواقع ان الخلفاء العباسيين تخلوا عن العنصر العربى منذ البدايه واساءوا الظن بهم على اعتبار انهم انصار الأمويين وقربوا اليهم الفرس واستعانوا بهم فى تكوين الدولة العباسيه على انقاض الأمويين الذين اتبعوا من قبل سياسة التعصب للعنصر العربى مما اثار المسلمين من غير العرب وانتهى الأمر بحدوث ذلك الانقلاب الذى ازال سلطان العرب ومد النفوذ الفارسى منذ قيام الدوله العباسيه حتى ولى المعتصم الخلافه فاستعان بعنصر ثالث هو العنصر التركى ، واهمل العرب اهمالا حدا

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ،
ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٢١٢ ، ج ٦ ص ٢١٩
(٢) ابن سلام : الأموال ص ٢٣٦ ـ ٢٤١
(٣) المصدر السابق نفس الصفحات .
(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٧ .
(٥) الكندى : الولاه ص ١٩٣ .
ابو المحاسن : النجوم ج ٢ ص ٢٢٣ ،
المقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٤ .

به الى الأمر باسقاط العطاء عنهم .

ولم يكن لهذا الأمر رد فعل عنيف عند العرب وذلك بسبب اختلاط الدماء وغرق العصبيه (١) . فعندما ثار لذلك يحى بن الوزير الجروى لم يشترك معه من العرب سوى خمسمائه رجل انتهت ثورتهم بأسر زعيمهم فى سنه ٢١٩ هـ / ٨٣٤م فتفرق عنه اصحابه .(٢) ولم يكترث العرب بتلك الثورة ولا بضياع امتيازاتهم الطبقيه اذ لم تعد مصالحهم مجرد مصالح عسكريه سياسيه ، وانما اصبحت مصالح اجتماعيه واقتصاديه ترتبط بوطنهم الجديد . فقد تحول العرب بعد اقل من قرنين من الفتح الى مواطنين مدنيين يمارسون الأعمال المدنيه لاختلاطهم واندماجهم مع اهل البلاد ، بينما كان عمر بن الخطاب من قبل قد رسم لهم سياسة مخالفة تماما حيث كان يرى ان يظلوا مجرد جنود .(٣) .

وباسقاط العطاء عن العرب ازداد اختلاطهم باهل البلاد بالتزاوج والاشتغال بالزراعه والصناعه والتجاره يتضح (٤) مدى الاندماج

---

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص١٩٣ ،
ابو المحاسن : النجوم جـ ٢ ص٢٢٣ ، المقريزى : الخطط جـ١ ص٩٤
(٢) يذكر الكندى : انه عندما قسط كيدر العطاء عن العرب ثار يحيى ابن الوزير الجروى فى جمع من لخم وجذام وقال : هذا امر لا نقوم فى افضل منه لانه منعنا حقنا وفيئنا ولكن لم يتبعه اكثر من خمسمائه رجل ومات كيدر فى ربيع الآخر سنه ٢١٩ "
الكندى : الولاه ص١٩٣ - ١٩٤
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص١٦٢ .
(٤) المقريزى : البيان والاعراب ص٥٠ ، ٥١ ، الخطط جـ ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ ،

C.H.Becker : rncy of Islam vol . II P.6, wiet : Precis de d'Histoire d'Egypte . T. II PP. 136-137 .

بين العرب والمصريين ، مما كان له اكبر الاثر في انتشار الاسلام واللغه العربيه بين المصريين (١).

واذا كانت وثائق البردي (٢) تدل على ان دواوين الحكومه كانت تستخدم اللغه العربيه واليونانيه معا حتى القرن الثالث الهجري رغم تعريب الدواوين رسميا سنه ٨٧ هـ / ٧٠٥ م — فان ذلك لا ينفي معرفة اللغه العربيه لدى المصريين لاختلاط العرب بهم . وان الامر بتعريب الدواوين رسميا سنه ٨٧ هـ / ٧٠٥ م وان ساعد على انتشار اللغه العربيه بعد ذلك ، لم يكن ليتأتى الا اذا كان المصريون على المام بهذه اللغه ، لانهم كانوا يقومون بجانب كبير من العمل في تلك الدواوين .

وبذلك نتج عن اختلاط العرب بالمصريين انتشار اللغه العربيه والاسلام وتثبت شواهد القبور انه خلال القرن الثالث الهجري تخلى العرب عن التمسك بالانتساب لقبائلهم فأصبح اسم المتوفى يتبع باسم الجهة او الاقليم الذي يعيش فيه بعد ان كان ينتسب الى

---

(١) يذكر ساويرس : سير الآباء البطاركه ج ١ ص ١٦٤ انه " كان بمصر صبي مسلم اسمه رجا فحشد جماعة واخذ المملكه وكان حفص الوالي الأول ساعدا لها فأمر حفص ان يصلي كل من بمصر ونواحيها بصلوات السنه وكل من تخلى عن دينه ويصير مسلما يخلا له الخراج الذي هو الجزيه لانها كانت على الناس كلهم ولأجل هذه الخصله اضل الشيطان خلايق كثيره فخلوا دينهم ومنهم من اكتتب وصار من العسكرية وان الأب ابناسيس اسقف وسيم اذا قوم اردتكسين من اراخنه مصر حضروا عنده وهم حزانا وقالوا له يا ابانا صلي علينا واجتهد فقد احصينا من انتقل الى الاسلام من اخوتنا بني المعموديه من مصر واعمالها فكانوا اربعين وعشرين الف انسان . "

(٢) جروهمان : اوراق البردي العربيه ج ١ وثيقه رقم ٤٨ ،

C H. Becker : Ency. of Islam vol. Z.P. 2, 7 .

قبيلته خلال القرنين الأولين للهجره . (١)

وقد كان لمسجد عمرو بن العاص في الفسطاط اثر كبير في نشر الثقافة العربيه وقواعد الاسلام وفقهه وحديثه .

ففي مسجد عمرو بن العاص قام كثيرون من التابعين بعقد حلقات تفسير القرآن الكريم ، ورواية الحديث بعد ان قام بهذا الدور من قبل الصحابه الذين شاركوا في فتح مصر . (٢) وكان اول من اقرأ القرآن الكريم بمصر ابو اميه عبيده بن محمد المعافري عن رواية نافع .

ولعل اشارة المقدسي ووصفه لجامع عمرو حين زار مصر في القرن الرابع خير ما يبين الدور الكبير الذى كان لهذا المسجد في نشر الاسلام في مصر وما اضطلع به كمصدر اشعاع للثقافة العربيه . فيصف المقدسي جامع عمرو بقوله : " انه اعمر موضع بمصر .. وهذا الجامع ابدا بين العشائين غاص بحلق الفقهاء وأئمه القراء واهل الأدب والحكمه ... ولا نرى اجل من مجالس القراء به " (٣) .

ولم يكن جامع عمرو هو المسجد الوحيد في مصر فقد كان هناك جامع العسكر وجامع ابن طولون ، فضلا عن المساجد (٤) الخاصه التى كانت في خطط

---

(١) Wiet : Precis de l' hIstoire d' Egypte T.2. PP 136- 137 .

(٢) المقريزي : الخطط ج ٤ ص ١٤٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٧٨ .

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ١٣٢ – ١٣٥ يذكر عدة مساجد في أنشأتها القبائل المختلفه في خططها كان اولها مسجد في اصل حصن الروم كان يسمى مسجد القلعه ، ومسجد بادي الذى كان يقع في خطة قبيلة غافق ومسجد ابراهيم القراط – وشير الكندى : الولاه والقضاه ص ٤٦٩ الى مسجد عند سفح المقطم يسمى مسجد محموده .

القبائل وكانت لهما آثارهما في نشر الاسلام وتفقيه الناس في امور الدين .

ولم يكن الأمر في بلاد المغرب ليختلف كثيرا عما كان عليه في مصر فقد أخذ العرب منذ ان استقروا في بلاد المغرب بسياسة التقرب لأهالي البلاد من البربر وكان لتأسيس القيروان سنه ٥٥ هـ / ٧٦٥ م اثر كبير في دخول كثير من البربر في الاسلام وعلى حد قول ابن عذارى " ثبت الاسلام بهما " (١)

كما كانت سياسة ابي المهاجر خليفة عقبه تسير في نفس الاتجاه فقد تودد الى اهالي البلاد واتخذ منهم جندا ، وأخذ في تعليمهم القرآن الكريم واصول الفقه ، فقام ثلاثة عشر (٢) فقيها من كبار التابعين بتعليم البربر (٣) مبادئ الاسلام .

ولقد كان من السهل على العرب أن يتفهموا طبيعة اهل البلاد (من البربر) التي لم تكن تختلف كثيرا عن طبيعتهم . فطابع البداوة الذي يغلب على بلاد المغرب لم يكن يختلف كثيرا عما عرفه العرب في بلادهم (٤) من حيث النظام القبلي وما يتبعه من تعصب لرابطة الدم ومنافسه وصراع (٥) . حتى اننا نجد نسابه العرب يقسمون قبائل

---

(١) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٤٣

(٢) المالكي : رياض النفوس ص ٣٦ .

(٣) الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٦ .

(٤) G.Marcais : les arabes en Berberie P.39-40 .

(٥) ابن خلدون : المقدمه ص ١٢١ .

البربر الى قسمين اطلقوا على احدهما اسم قبائل البتر وعلى الآخر (١) قبائل البرانس ونسبوهما الى جدا على مشترك ٠ ثم قسموا كل قسم الى عده فروع وبطون مختلفه ٠ وهذا التقسيم يشبه تماما تقسيم نسابه

---

(١) يذكر ابن خلدون : ان البربر " يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب بادغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بر وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد ٠ " ابن خلدون ج ٦ ص ٨٩ ٠ كما عدد ابن خلدون اسماء قبائل البتر وفروعها وبطونها المنتشره في جبل يقع جنوب طرابلس عرف باسمها فذكر اهم قبائلها وهي : زناته وزواغة -زوداه - نفزه - لواته - مزاته - نفوسه - وطماطمه مطغره - مديونه - صدينه - وتنتشر قبائلهم في سلسلة من الوديان تبدأ من طرابلس الى مدينة تازا وينتشرون في اقاليم النخيل والمراعي المتده من غدامس الى السوس الأقصى وتنزل قبائل زناته في المغرب الأوسط وفي الصحراء الواقعة جنوب تونس وفي سفوح الهضاب ويبين امتيازهم بالروح الحربيه والشجاعه ابن خلدون ج ٦ ص ٨٩ - ١٠١ ٠ ويذكر عن البرانس انهم " من اوفر قبائل البربر وهو اكثر اهل المغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من اقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس انهم الثلث من اول البربر ٠٠ وانهم من ولد صنهاج وهو صناك الا ان العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج وهو عند نسابه العرب من بطون البرانس من ولد برنس بن بر " ج ٦ ص ١٥٢ ٠ كما يذكر ان قبيلة صنهاجه تنقسم الى عدد هائل من القبائل يبلغ خمسين قبيله تنتشر في اقليم الجزائر بين المسيله وتتوى وميله وتسيطر على ذلك الطريق الموصل الى موريتانيا تما استقرت بطون اخرى في منطقه اطلس الوسطى من تازا حتى الواحات الواقعه على اطراف الصحراء وتتوغل غربا حتى طنجه ٠ ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٨٩ ٠ ص ١٥٢ - ١٥٣ ٠

Gautier E.F: les siecles obscurs du Maghreb . P.114 -119

اطلق الرومان لفظ Barbari على اهالي البلاد ولم يفطنوا الى تقسيمهم على اساس النظام القبلي بل كانوا يقسمون المجتمع تقسيما جغرافيا فذكروا أن النسامون Nasamons

العرب لا ٔنفسهم الى قسمين كبيرين هما : عدنان وقحطان اللـــــذان
ينقسمـــان بدورهما الى عدة فروع وبطون •

وقد عمل المسلمون منذ بدايه فتحهم للمغرب على نشر الاسلام والتقـــرب
لأهل البلاد بل تحالفوا معهم واستعانوا بهم فى اكمال الفتح • اذ استعان
العرب بأهل البلاد من البربر فى استكمال الفتح فى بلاد المغرب •

وكان المسجد القيروان نفس الدور الذى اضطلع به مسجد عمرو بن العـــاص
فى مصـــر ، ومسجد القيروان اول مساجد المغرب الاسلامى ، والنمـــوذج
الذى احتذت به سائر المساجد فى بلاد المغرب منذ ان اختطه عقبه ابن نافـــع
سنه ٥٠ هـ / ٦٧٠ م • وقد كان من بناؤه بسيطا فـــى بـــادى •

= والبسيل Psylles يقطنون برقه Cyrenaique
وطرابلس Tripolitane وان الكرمانت Caramantes
يعيشون عيشة بدوية فى الصحراء وال Makyles
والماكس Maxyes على الساحل التونسى والمســولان
Musulans والنوميدين Numides
فى المغرب الشرقى والكتـــــول Catules علـــى
حدود الصحراء والهضاب المرتفعه ويعيش المور Maures
فى المغرب الأوسط والأقصى •

René Basset : Fncy. of Islam vol. III P. 501-502

الأمر ثم الحقت به الزيادات بعد ذلك وتتابعت (١) ـ وكان لهذا المسجد دورا كبيرا في تفقيه المسلمين في امور دينهم : فقهه ـ وشريعته وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم واحاديثه . مما كان له اكبر الاثر في انتشار الاسلام بين اهل البلاد .

---

(١) كان اول الزيادات التى لحقت بالمسجد الجامع التجديدات التى قام بها حسان بن النعمان ٧٩ ـ ٨٤ هـ / ٦٩٤ ـ ٦٩٨ م فزاد في عدد اروقته ثم زاده بشر بن صفوان سنه ١٠٣/١٠٩ هـ فوسع بيت الصلاه وبنى له مئذنه في منتصف جداره الشمالي داخل الصحن ، كما جدده يزيد بن حاتم بناء المسجد سنه ١٥٧ هـ وحسن من زخارفه ، وحين تولى زيادة الله بن ابراهيم هدم اجزاء كثيرة من المسجد واعاد بناءها كما انشأ محرابا جديدا من الرخام الأبيض ثم زاد ابراهيم بن احمد سنه ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م في طول المسجد وبنى القبه المعروفه بباب البهو على مدخل البلاط الأوسط وبنى المجنبات التى تدور حول الصحن .
الدباغ : معالم الايمان جـ ١ ص ١٢٠ ،
البكرى : ص ٢٢ ، ٤٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ ص ٩٥ .
ويذكر البكرى ان زيادة الله اراد هدم المحراب فيقل له : ان من تقدمك توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبه بن نافع ومن كان معه فألح في هدمه لئلا يكون في الجامع اثر لغيره حتى قال له بعض البناه : انا ادخله بين حائطين ولا يظهر في الجامع اثر لغيرك فاستصوب ذلك وفعله ولم يمسسه بسوء وبنى المحراب الجديد بالرخام الأبيض . " البكرى ص ٢٣
ويتضح من هذه الروايه مدى الاحترام والتبجيل اللذان كانا لمسجد القيروان اول مسجد في بلاد المغرب . كما يذكر ابن عذارى اهتمام زيادة الله بمسجد القيروان بقوله عن زيادة الله .
ما ابالي ماقدمت عليه يوم القيامه وفي صحيفتي اربع حسنات : بنياني المسجد الجامع بالقيروان وبنياني قنطره ابي الربيع وبنياتي حصن مدينه سوسه وتوليتي احمد بن ابي محرز قاضي افريقيه .
ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ١٣٨

ولعل أول اشاره عن اسلام البربر ما ذكره ابن الاثير من اسلام جماعه من البربر اثناء تخطيط عقبه لمدينة القيروان فيذكر ابن الاثير " فرآه قبيل من البربر فأسلموا ." (١) مما يبين اختلاط العرب بأهل البلاد من البربر واحتكاكهم بهم الامر الذى ادى الى اعتناق البربر الاسلام فى هذه الفترة المبكره من دخول المسلمين افريقيه .

واستعان عقبة بن نافع بهؤلاء المسلمين من البربر فى حملته سنه ٥٠هـ/ م فيذكر النويرى (٢) ان عقبه اخذ من اسلم من البربر وضمهم الى الجيش الوارد عليه . "

كما كان لسياسة حسان بن النعمان تجاه البربر واستعانته بهم ومساواته لهم بالعرب فى الحقوق اثر كبير فى اسلام عدد كبير منهم ويذكر المالكى أن البربر " اجابوه واسلموا فعقد لولدى الكاهنه بعد اسلامها لكل واحد منهما على سته الاف فارس من البربر واليا عليهم وأخرجهم مع العرب يفتحون افريقيه ويقتلون الروم ومن كفر من البربر ، فمن ذلك صارت الخطط للبربر بافريقيه فكان يقسم الفئ بينهم والارض وحسنت طاعتهم فدانت له افريقيه ودون الدواوين ." (٣) وهكذا اشرك حسان بن النعمان البربر مع جند العرب فى الفتوحات ، كما قسم الخطط بينهم فوزعها على قبائلهم ، وساوى بينهم وبين العرب فى اقتسام (٤) الفئ والغنيمه وقد شجعت هذه السياسه البربر على الدخول فى الاسلام حيث وجدوا ما ينشدون من حرية ومساواة وهم كشعب محارب قوى لم يكن ليرضى عنهما بديلا وكان اقراره لما بأيدى البربر من اراضى واعتباره ان ارض افريقيه كانت

---

(١) ابن الاثير : أسد الغابه جـ ٣ ص ١٨٤

(٢) النويرى : نهاية الأرب ص ٦٨ أ

(٣) المالكى : رياض النفوس ص ١١

(٤) المالكى : رياض النفوس ص ١١

نتحت صلحا ـ ذا اثر كبير فى ازدياد حركة التقارب بين العرب والبربر والاختلاط والاندماج .

وهذا يفسر ايضا تلك الثورات التى قام بها البربر ضد العرب حيث شعروا بفقدانهم الحريه واساواة اذا ما اساء الولاة معاملتهم او ترفعوا عنهم ساعدا بالبربر لاعتناق مبادىء الخوارج التى تنادى بالعدل والمساواه والرجوع بالاسلام الى اصوله الاولى . (١)

ولقد كان لسياسة الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز واسقاطه الجزيه التى كان قد فرضها الولاة السابقين على من اسلم من اهالى البلاد اثرها البعيد فى اسلام كثيرين من البربر فيذكر ابن عبد الحكم أن واليه على افريقيه اسماعيل بن عبيد الله " سنه ١٠٠ هـ / ٧١٨ م دعا من بقى من البربر الى دين الاسلام " (٢) ويذكر ابن عذارى انه " لم يزل حريصا على دعاء البربر للاسلام حتى تم دينهم على يديه " (٣) وانه " هو الذى علم افريقيه الحلال والحرام " (٤) وتبع انتشار الاسلام بين البربر انتشار اللغه العربيه وآدابها فتذكر كتب الطبقات ظهور كثير من علماء افريقيه وطلبهم الاستزاده (٥) من العلم فاتجهوا الى مصر وغيرها من مدن الشرق الاسلامى .

هكذا ادى الاختلاط بين العرب وبين اهل البلاد من البربر الى انتشار الاسلام واللغه العربيه كما اندمج العرب بأهل البلاد وارتبطوا معهم بروابط من العمل والجهاد التزاوج والتجاور الى مدى بعيد اذ يذكر

---

(١) Marrcis, G: la Berberi Musulmane et l'orient en Moyenage P.41 . .
Vonderheyden , M: la Bebberie Orientale P.3 - 5 .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢١٣

(٣) البيان المغرب جـ ١ ص ٣٤

(٤) السلاوى : الاستقصا ص ٤٦

(٥) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص ٧٩ وما بعدها .

ابن خلدون : " واندرج العرب اهل العمايه فى القهر ولم يراجعوا احوال البداوة لبعدها ولا تذكروا عهد الانساب لدروسها فدثروا وتلاشوا ". (١)

ولعل قول ابن خلدون " دثروا وتلاشوا " اشارة واضحة الى امتزاج العرب بأهل البلاد حتى ضاعت انسابهم " فقطعوا فى البلاد ودخلوا بين الناس ". (٢)

ويبدوا ان الامتزاج بين العرب والبربر بلغ من القوه بمرور الوقت ما حدا بالمؤرخين العرب الى القول بنسبه قبيلة صنهاجه البرنسيه الى قبائل حمير العربيه حيث اصبح من العسير الاحتفاظ بالانساب صريحة بعد ذلك الاختلاط الذى حدث بين العرب وبين البربر . ونستبعد نتيجة لذلك ما ذكره Gautier من أن انتساب صنهاجه الى حمير يرجع الى تأثيرات فينيقيه وفدت على العرب على اعتبار ان الحميريين هم فينيقيو البحر الأحمر ، وان خضوع القبائل البرنسيه لمؤثرات فينيقيه قديمه جعلتها تربط بين صنهاجه وبين الحميريين .

ويؤيد هذا الامتزاج الذى تم بين العرب وبين البربر قول ابن خلدون عن قبائل البربر أنهم قد " نسوا رطانه الأعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعارهم واحوالهم وفنيت عصبيا تهم " (٤) .

فمن الثابت ان العرب لم يتقوقعوا داخل مدنهم التى اسسوها بل انتشروا

---

(١) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٣

(٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ٣

(٣) Gautier : les siecles obscurs du Maghreb P.122.

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٠٣ ــ ١٠٤ .

في انحاء المغرب واختلطوا بأهله . ولعلنا نجد وصفا مماثلا لما ذكره ابن خلدون عن بلاد المغرب فيما ذكره المقريزي عن اختلاط العرب بالمصريين بقوله عن العرب في مصر أنه " قد اباد هم الدهر " (١) بهذه الاشارة وان كانت تعني فترة متأخرة نسبيا الا انها في مضمونها تشير الى ظاهرة اختلاط العرب وامتزاجهم بأهل البلاد سواء في مصر أو في بلاد المغرب التي اخذت تتضح منذ البدايه . فقد تحول العرب بعد أقل من قرنين من الفتوحات الى مواطنين مدنيين اختلطوا بأهالي البلاد وامتزجوا بهم .

ويجدر بنا ان نشير الى ظاهرة المولدين التي نتجت عن الامتزاج بين العرب والبربر بالتزاوج . ففي مصر اختلط العرب بالقبط عن طريق التزاوج ونشأ جيل من المولدين وكذلك الحال في بلاد المغرب والملاحظ انه خلال عصر الدوله الأمويه كان الرجال من العرب فقط الذين يتزوجون بنساء البربر في المغرب ونساء القبط في مصر ، اذ كان العرب يأنفون من تزويج بناتهم الى الاعاجم . كما تعرض المولدون في ذلك العصر الى سوء معاملة العرب لهم فكانوا يسمون " الهجين " ولعل ذلك يرجع الى تعصب الأمويين للعرب ، بل كان الولاه الأمويين يولون اهتمامهم لأفراد قبيلتهم التي انحدروا منها ، بل لقد بلغ من قوة العصبيه بين العرب ان القاضي توبه بن نمير سنه ١١٥ - ١٢٠ هـ/ ٧٣٣ - ٧٣٧ م في مصر كان لا يقبل شهادة مضري على يماني ولا يماني على مضري (٢) . ونجد صورة مماثلة في بلاد المغرب لما كان عليه التعصب

---

(١) المقريزي : البيان والاعراب ص ١٨ .

(٢) الكندي : الولاه ص ٢٧ ، ٣٤٦ . وقد ظل العرب في مصر يتمسكون بالانتساب الى قبائلهم حتى القرن الثالث فكان اسم المتوفى يتبع باسم قبيلته

Wiet : Precis de L'histoire d'Egypte T.II P P. 136-137.

القبلي في مصر فقد ايدت القبائل القحطانية موسى بن نصير خلال ولايته الى ان تولى افريقيه محمد بن يزيد وهو قيسي من قبل الخليفه سليمان بن عبد الملك ، فقام بتتبع انصار موسى بن نصير من القحطانيين والتنكيل بهم . والشواهد على هذه العصبيات عديدة وقد سبقت الاشارة اليها .(١)

وبقيام الدولة العباسية التي اعتمدت على المسلمين من الفرس والخراسانيين في ظهورها وقوتها ، بدأ العرب يفقدون امتيازاتهم السياسيه والاقتصاديه مما فتح الطريق امام المولدين للظهور ، وتزوجت نساء العرب من الموالي المسلمين ، واضطردت هذه الظاهرة في النمو ، بينما تقلص نفوذ العرب بعد فقدانهم امتيازاتهم كطبقه متميزه في عهد الخليفه المعتصم الذي اسقط عنهم العطاء . وتحول العرب الى مواطنين مدنيين يمارسون الزراعه وغيرها من الاعمال التي ادت الى اختلاطهم واندماجهم بأهل البلاد بالتزاوج الامر الذي اصبح بعده من العسير احتفاظ عرب الجيل الرابع بصفات اجدادهم عرب الجيل الاول من حيث نقاء العنصر والعصبية فنجد ابن خلدون يتحدث عنهم بقوله " الطبقه الرابعه من العرب المستعجمه .. "(٢) وقد اثر العرب في المجتمع في مصر وفي بلاد المغرب فأدخلوا كثيرا من التقاليد الاجتماعيه التي لم تكن معروفه لديهم من قبل ، كالاحتفال بالاعياد الاسلاميه الدينيه ، ومشاركة الحكومه للناس في الاحتفال بها وفي الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى ، والاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ، الذي حرص الخلفاء العباسيون على الاحتفال به منذ بداية القرن الرابع الهجري بعد أن كان ذلك بدعة في نظر المتمسكين بالعادات الاسلاميه

---

(١) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الاندلس ص ٣٨ ،
اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٢٥٥ ،
ابن الآبار : الحله السيراء ص ٣٣٦
(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢

الأولى (١) كما كان الاحتفال برؤية هلال شهر رمضان يمثل جانبـا هاما من الاحتفالات الاسلاميه فكان قاضي قضاة المدينة يخرج لرؤيـة الهلال محاطا بمظاهر العظمة والأبهة ٠ (٢) وقد تأثر الولاة في مصـر وانفرد بعضهم بتحولا لخلافـه العباسيه الى حياة الترف ومظاهر العظمـة التي تمثلت في فخامته قصورهم ومجالسهم ٠ فكان قصر ابن طـولون في القطائع تقليدا لأساليب العراقيه (٣) التي شاعت في سامرا وفـي بغداد ، فهناك تشابه كبير بينه وبين قصر الخليفه المتوكل الذي التزم فيه اسلوبا يسمى الاسلوب الحيرى " نسبة الى الحيره حيث تشيد مقدمـه القصر او ثلاثة اجزاء منه متوسطها الباب الأكبر والى جانبه البابـان الصغيران وكان الميدان الذي خصصه للعب الصوالجه تقليد للميـدان الموجود في سامرا (٤) ٠

---

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٦ ، ٣٤٦

متز : الحضارة الاسلاميه ج ٢ ص ٢١٨ ، دكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلاميه في الشرق ص ١٩٠

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٣٧٠ يذكر انه " خرج عبد اللـه بن لهيعه في نفر من اهل المسجد تعرضوا بالمصلي فطلبوا الهـلال فكانوا يطلبونه بالجيزه فمواطن القضاه حضر في طلب الهـلال ٠٠ ثم كان القضاه على ذلك حتى كان ابن ابي الليث في طلبه في أصـل المقطم " ٠

(٣) البلوى : سيره احمد بن طولون ص ٥٥ ،

اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٢٦٦ ، دكتور حسن محمود : حضارة مصر الاسلاميه في العصر الطولوني ص ١٩٤ ٠

(٤) ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ١٢١ - ١٢٢ ،

اليعقوبى : البلدان ص ٢٢٦ ٠

كما أسس ابراهيم ابن الاغلب من قبل مدينة العباسيه " القصـــر القديم " تقليدا للأسلوب الذى جرى عليه الخلفاء العباسيين فـــى اتخاذهم القصور خارج عواصمهم . وكان يتوسط المدينه ميدان فسيـــح أقيم تجاهه قصر الرصافه .(١) (٢)

ولقد كان لانتشار الاسلام في مصر وبلاد المغرب اثره في تغيير النظـم الاجتماعيه الخاصه بالزواج والطلاق والميراث وآداب السلوك والعلاقـات الاجتماعيه وفقا لما دعت الشريعه الاسلاميه . فكان عقد الزواج (٣) يسجل فيه اسم الزوج والزوجه كاملين واسماء الشهود ومقدار الصداق المعجل منه والمؤخر وتوصيات بحسن الصحبه والامر بامساك بمعروف أو تسريـــح باحسان . واعتبرت الشريعه الاسلاميه الطفل الذى يولد للمسلم مـــن امته يكون حرا (٤) ولا يجوز للرجل أن يبيع الأمة ام الولد ، ولهــا أن تأخذ حريتها بعد موت زوجها . كما جرت العادة منذ عصر الاســلام الأول ان يطلق على العبد اسم فتى وعلى الأمه " فتاة " .

---

(١) ابن عذارى : البيان جـ١ ص ١١٧ ،
اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٨

(٢) البكرى : المغرب ص ٢٥ ، ابن عذارى : البيان جـ١ ص ١٢٣

(٣) جروهمان اوراق البردى العربيه جـ ١ ص ٧٣ ، ٨٨-٨٩ يتضح ذلك من عقد الزواج رقم ١٥٩ المؤرخ بسنه ٢٥٩ هـ ، والعقد رقم ١٢١ المؤرخ بسنة ٢٧١ هـ : جـ ١ ص ٨٨ - ٨٩ والطريف ان هذا العقد يتضمن اشتراطا من قبل الزوجه بأن يكون لها حق طلاق اى امرأة يتزوجها الزوج بعد غاوبأى جارية يتخذها بعد زواجها - مما يوضح ان المرأة كانت فى نهاية القرن الثالث واوائل القرن الرابـــع تتمتع بتقدير واحترام فى مجتمعها .

(٤) الكندى : الولاه ص ٣٣٨ .

وقد اثرت التقاليد العباسيه — بالمؤثرات الايرانيه — على اساليب الزى فى مصر وبلاد المغرب فانتشرت القلنسوة الطويلة كثير من اشكال الازياء الفارسية فكان الشعراء يلبسون والمقطعات والاوديه السود (١) ويذكر المسعودى (٢) أن المعتصم اعاد لبس القلانس تشبيها بملوك الاعاجم فلبسها الناس وسميت المعتصميات . بعد أن كان الرشيد قد اعترض عليها لطولها . (٣) وكان للكتاب زى خاص اذ يلبسون الدراريع (٤) وهى ثياب مشقوقة من الصدر .

وكانت تعقد فى قصور الخلفاء مجالس العلماء والادباء للمناظرة والمناقشة (٥) وقد قلدهم الولاه فى ذلك وتنافسوا فى الاهتمام بتلك المجالس ، فضلا عن مجالس التى كان يحضرها الموسيقيون والشعراء والادباء وقد اهتم — فى مصر ، والموسيقى وكذلك الاخشيديون (٦) ، وكذلك عرفت تلك المجالس فى القيروان فى عهد الاغالبه .

---

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ٤٦٠ — ٤٦١ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٤ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣١٩ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٨ ص ٣٠٢ ، ج ٦ ص ٣٤٥ الكندى : الولاه ص ٤٦٠ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢

(٤) مسكويه : تجارب الامم ج ٦ ص ٣٠٨

(٥) الجاحظ : كتاب التاج ص ٣٧ — ٣٨ حيث يذكر تقسيم الرشيد المغنيين الى فئات حسب اجادتهم للغناء .

(٦) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٧ — ١٥٩ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣١٧

هجرات البربر صوب الشرق :

وقد كان لـ لبربر هجرات صوب الشرق نحو مصر فيذكر ابن خلدون انه " فيما بين الاسكندريه ومصر قبائل رحالة يتنقلون فى نواحى البحيرة هنالك ويعمرون ارضها بالسكنى والفلح ويخرجون فى المشاتى الى نواحى العقبه وبرقة من مزاية وهوارة وزنارة احدى بطون لواته " (١)

وبهذا يتضح انتقال بعض قبائل البربر من لواته وهوارة الى مصر واقامتهم فى المنطقه الواقعه مابين الاسكندريه ومصر فى اجزاء من البحيرة حيث اشتغلوا بالزراعه ، فاذا ما حل الشتاء كانوا يتركون مستقرهم هذا الى العقبه وبرقة ليعودوا اليه ثانيه . وكان يختلط بهم اخلاط (٢) من العرب والبربر لا يحصون " ومما يثبت استقرارهم وارتباطهم بأرض مصر ما كانوا يدفعونه من خراج حيث " .. يعمرون الأرض بالفلاحه ويقومون بالخراج للسلطان " (٣) .

ويحدثنا ابن حزم ان هدراته ولواته ومزاته قد عدها نسابه البربر من القبط وهو ما يخطئه ابن خلدون (٤) ولعل مرد هذا الالتباس الذى وقع فيه النسابه يرجع الى تبادل الهجرات بين اهل مصر وبين البربر حتى اصبح من العسير على النسابه معرفة اصول تلك القبائل وعلى اية حال فان ذلك يدل على ان هناك هجرات سابقه لـ لبربر الى مصر منذ وقت مبكر .

---

(١) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٥

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٥

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٥

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١٦

ثم شهدت مصر هجرة اعداد كبيرة من التتار بعد وفدت اليها واستقرت بها في القرن الرابع الهجرى - (العاشر الميلادى) - وذلك بدخول الفاطميين مصر ، واتخاذهم القاهرة (١) عاصمة للخلافة الفاطميه .

فبعد ان تم للفاطميين فتح مصر ، رأى جوهر القائد ان يبدأ بتأسيس عاصمة جديدة ، تكون مقرا للخلافة الفاطميه . فوضع أساس المدينه الجديده شمالى الفسطاط في ١٧ شعبان ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م ، وكان أولا ما اختط (٢) بها

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٦٢ ، الخطط جـ ١ ص ٢٧٣
وضع القائد جوهر اساس المدينه في ١٧ شعبان سنه ٣٥٨ هـ شمال الفسطاط ويذكر المقريزى ان اسم القاهرة مأخوذ من قول المعز " والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ... وليدخلن في خرابات ابن طولون ويبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا ." كما ذكر ان المعز لدين الله لما قدم مصر في اواخر عام ٣٦٢ هـ ورأى ان لا ساحل لها قال يا جوهر فاتتك عمارتها هاهنا ." واشار الى المقس وهى موضع قريبة ام دنين شمالى الفسطاط . المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٧٤ ،
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٧٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٤٨ .

(٢) ابو المحاسن : النجوم جـ ٤ ص ٣٧ كان هذا القصر يسمى القصر الشرقى الكبير ويطلق على القصر الذى بناه العزيز بعد ذلك القصر الغربى الصغير ومن ابواب القصر الشرقى الكبير باب الذهب الذى تعلو منظره يشرف عليها الخليفه في الاعياد وباب البحر الزمرد وباب الريح وباب العيد وباب قصر الشوك .
وباب الديلم وباب الزعفران وباب الزهومه ."
ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ٥٦ - ٥٧ ،
القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٤٩ .

القصر الذى بناه الخليفه المعز لدين الله ، وسور المدينه بسور كبير أنشأ به اربعة ابواب (١) ، ثم وضع اساس المسجد الجامع (٢) وسط المدينه وسماها المنصورية تيمنا باسم المنصور والد الخليفه المعز وقد ظلت تعرف بهذا الاسم حتى قدوم المعز اليها سنه ٣٦٢ هـ/ ٩٧٢ م فسماها القاهرة .

وقد اختطت القبائل المعزيه (٣) التى قدمت مع جيش جوهر وفى صحبه المعز حول القصر الذى وضع اساسه جوهر ، فاختطت " زويلة " الحارة المعروفه باسمها ، واختط اهل برقه حارة عرفت باسمهم ، واختطت قبيلة كتامه (٤) فيما بين حارة .

---

(١) كان حد القاهرة من الشمال باب النصر ومن الجنوب باب زويلة ومن الشرق باب البرقيه والمحروق وغربا باب السعادة ومايليه حتى شاطئ النيل ."
المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٦٢

(٢) وضع جوهر فى الليلة التاليه لاتخاذه موقع المدينه الجديده اساس القصر الذى بناه للخليفه المعز وعرف هذا القصر باسم القصر الشرقى الكبير ثم اقام حول المدينه وللقصر سورا كبيرا .
ابو المحاسن : النجوم ج ٤ ص ٤٦ - ٤٧ .
المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٧٩ .

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٧٩ .

(٤) ايدت كتامه حركه الدعاه الاسماعيليه منذ عهد الداعيين الحلوانى وابو سفيان وهما اول حملة الاسماعيلية فى المغرب وحين التقى ابو عبد الله الشيعى بحجاج كتامه فى مكه فسألوه بأن يأذن بزيارتهم لما رأوا من علمه وعقله فأجابهم الى ذلك فأخذوا يترددون عليه واصطحبهم الى مصر ثم دعوه الى بلادهم فسار معهم الى ارض كتامه فترك فى جبل ايكجان بأرضهم وسماه فج الاختيار واتخذه مركز دعوته وانضم اليه كثير من القبائل وذكر ابن سعيد " واستقام له امر البربر وعامة كتامة ." يحيى بن سعيد : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ٢٠٨ .

الباطلية [١] وحارة البرقية ، وهي القبيلة التي تشكل كبار رجال الدولة الفاطمية باعتبارها صاحبة الفضل في مناصرة الدعوة الفاطمية وتأييدها منذ نشأتها [٢] وظلت محتفظة بمركزها هذا طول خلافة المعز ، ثم اخذ نفوذها في التقلص بعد وفاته ، وفقدت مركز الصدارة - في خلافة ابنه العزيز [٣] بالله سنة ٣٦٥ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م الذي اتخذ من الديلم والاتراك خاصة له .

وفي خلافة الحاكم بأمر الله [٤] ٣٨٦هـ / ٩٩٦م ثار الكتاميون وطالبوا الخليفة بعزل عيسى بن نسطورس واسناد مهام الوزارة الى زعيمهم ابي محمد الحسن بن عمار . ولم يجد الحاكم بأمر الله بدا من الاذعان لطلبهم فأسند

---

(١) سميت حارة الباطلية بهذا الاسم لما يقال من ان جماعة اتت المعز وقد قسم العطاء في الناس ولم يأتهم شيئا فقالوا انحن على باطل ؟ فسموا الباطلية وسمي البرقية نسبة الى اهل برقة الذين اختطوا بها .
القلقشندي : صبح الاعشى ج٣ ص٣٥٧ - ٣٥٨

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٣٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٢ ، البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦٣ .
وقبيلة كتامة من قبائل البرانس . وكانت كتامة وصنهاجة من البرانس اشد جنود الفاطميين اخلاصا .

(٣) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٣٦ - ٣٧

(٤) يحيى بن سعيد : التاريخ المجموع ص ١٨٤ ،
ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٥٣ ،
ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١١٠ .

مهام الوزارة الى ابن عمار سنه ٣٨١ هـ / ٩٩١ م الذى بالغ فى الانحياز (١) الى ابناء كتامه فخصهم بالمناصب العليا ، واسقط ما كان للاتراك من امتيازات ماليه ، مما ادى الى ازدياد نفوذ كتامه وغيرها من قبائل المغاربه (٢) ، واشتبكوا فى عدة معارك مع الاتراك الذين كانوا يشكلون قوتها وزنها فى الدولة منذ ان اعتمد عليهم الخليفه العزيز سنه ٣٦٥هـ ٩٧٥م واتخذ منهم خاصته وغدوا يمثلون عنصرا هاما فى الجيش (٣) الفاطمى .

وانتهت تلك المعارك بهزيمة كتامة والمغاربه ، وتولى برجوان التركى (٤) مهام الوزارة بعد مقتل ابن عمار سنه ٣٩٠ هـ / ٩٩٩م وأهمل شأن الكتاميين وفقدوا ما كان لهم من نفوذ وامتيازات بعد أن كانوا وجوه الدوله وعصب الخلافه الفاطميه .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٤ ،
المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٦
(٢) يذكر المقريزى : انه بلغ من نفوذ ابن عمار انه الزم الناس بالترجل له وازدادت جرأة المغاربه فعاثوا فسادا فى طرقات القاهرة ونهبوا المتاجر واشتبكوا فى معارك مع الاتراك . الخطط ج ٢ ص ٣٦ ،
ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٥٥
(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٨١
(٤) يحيى بن سعيد : التاريخ المجموع يذكر ان ابن عمار بقى مختفيا فى دارة بالقاهرة . ص ١٨١ .

البـــاب الثالـــث

العلاقـــــات الاقتصاديـــــة

الفصـــل الاول

اسواق مصر والمغرب من الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطميـــة — السوق المصرى — الحاصلات الزراعية — التجارة — الصناعة — نظمها — السوق المغربى : الحاصلات الزراعية — التجارة — الصناعة — نظمها

الفصـــل الثانى

طرق التجارة ومسالكها — الطرق البرية — الطرق البحرية •

الفصل الثالث

السلع المتبادلة •

الفصل الرابـــع

النظم الماليـــة — الاسعار — المكوس — العملـــــة

. . . .

سنعرض فى هذا الباب لمراكز التجارة فى كل من مصر وبلاد المغرب متمثلة فـــى اسواقهما ، واهم المعروض بكل منها من منتجات زراعيـــة ، وصناعية ، ونظم تلك الاســـواق ، ونتبع ذلك بدراسة طرق التجارة البرية والبحريـــة بين مصر وبلاد المغرب ، والسلـــع المتبادلـــة بينهما ، والنظم المالية من حيث الاسعار ، والمكوس ، والعملـــة المتداولـــة ، محاولين بذلك القـــاء الضوء على ماكان بين مصر وبلاد المغـــرب من علاقـــات اقتصاديـــة من الفتح العربى حتى قيام الدولـــة الفاطميـــة •

. . .

الفصـــل الاول

اسواق مصر والمغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطميـة

سنعرض اولا للاسواق المصرية واهم معروضاتها الزراعية والصناعية وانواع التجارة بهـا ، واهنظمها ثم نتبع ذلك بالحديث عن الاسواق المغربية .

أ) الاسواق المصريـة :

كان اهم اسواق مصر سوق مدينة الفسطاط ، اذ كان لموقع المدينة على نهر النيـل وتوسطها بين الوجهين القبلي والبحرى ، اثره في ان تزخر اسواقها [1] بالمنتجات المختلفـة التي ترد اليها .

وقد عرفت الفسطاط نظام الاسواق المتخصصة اما بحسب انواع السلع " كسـوق الزياتين " و " سوق العطارين " [2] ، او بحسب جنسية التجار ، فتسمى باسماء بعـض الجنسيات التي استقرت بالمدينة للتجارة مثل سوق المغاربة لوجود عدد من تجار المغـرب به ، وسويقـة العراقيين نسبة الى وجود كثير من [٢] العراقيين بها . وسـوق بربر [3] الذى يشير الكندى الى انه سمى بهذا الاسم لنزول قوم من البربر على " كعب بن ضنـه " الذى ولى قضاء الفسطاط من قبل " عمر بن الخطاب " فنسب الموضع اليهم وهو امر يدل على قدوم كثير من تجار المغرب للتجارة في الفسطاط منذ تأسيسها .

ومن اقدم اسواق الفسطاط " سوق وردان " و " سوق الحمام " [4] اللذان كانـا يتوسطان دور مسلمة بن مخلد ودور بنى وردان .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، ابن فضل الله العمرى : المسالـك والممالك ج ١ ص ٣٤ " .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، الكندى : الولاة والقضاة ص ٥٦١ ، المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٩٨ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٣٣ .

(٣) الكندى : الولاة والقضـاة ص ٣٠٥ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٣٣ .

ومن اشهر اسواقها واكثرها ازدهارا " سوق القناديل "[١] الذى يقع على الجانب الشمالى لمسجد عمرو بن العاص ، وقد ظل عامرا حتى زار مصر الرحالة ناصر خسرو[٢] فى القرن الخامس الهجرى ـ الحادى عشر الميلادى ، فوصفه بقوله " كانت تباع فيه جميع السلع " لايعرف سوق قبله فى اى بلد فيه كل مافى العالم من طرائف " ويصف ماكان مجتمعا فيه من صنوف الفاكهة والرياحين والورود ، فيقول : " وكل من يفكر كيف تجتمع هذه الاشياء التى بعضها خريفى وبعضها ربيعى وبعضها صيفى وبعضها شتوى لايصدق ."

ومن بين معروضات اسواق الفسطاط ايضا دهن البلسان[٣] المستخرج من نبات البلسان الذى كان يزرع بالقرب من الفسطاط ويستخدم فى علاج بعض الامراض .

كذلك اشتهر احد اسواق الفسطاط المسمى " دار الانماط "[٤] يبيع الاقمشة التى كانت تصنع فى الفسطاط ، او التى كانت ترد اليها من مدن مصر التى اشتهرت بصناعة النسيج ، ويذكر ابن عبد ربه ان " القماش الذى يصنع بمصر هو قماش الكتان الابيض الذى لاتلوين فيه حتى كان يقال فى العصر الاموى ان الاقمشة المصرية كالغشاء على البيض " [٥]

---

(١) سمى سوق القناديل لوقوعه فى الزقاق المعروف فى الفسطاط بزقاق القناديل ، ويذكر ابن عبد الحكم انه سمى كذلك لان " القناديل كانت توضع على ابواب دور الاشراف التى بالزقاق " ويذكر ابن دقماق ان سبب تسمية الزقاق بهذا الاسم لنه " كان برسمه قنديل على باب عمرو ."

ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١١ ـ ١١٢ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ١٣

ـ المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٩ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٥٩ ـ ٦٠ يذكر انه رأى فى يوم واحد هذه الفواكه والرياحين : الورد الاحمر والنيلوفر والنرجس والنارنج والليمون والتفاح والياسمين والبطيخ وتجلب الحاجيات لمدينة مصر من جميع البلاد .

(٣) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٢ ، البغدادى : الامور المشاهدة ص ١٤ ـ ١٥

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٣٧ ـ ٤٠

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٤٦ ، كان العرب يطلقون على مصانع النسيج " دور الطراز " والطراز لفظ مشتق من الفارسية (ترازيدان) وكان يعنى فى اول امره الكتابة الزخرفية التى توجد على الاقمشة ثم اتسع مدلوله واصبح يطلق على الكتابة على الورق والنسيج والمكان الذى تصنع فيه المنسوجات ، وكانت المنسوجات التى يطرز عليها توصف بانها معلمة او علامة فيذكر ابن عبد ربه قول هاشم بن الحسن " رأيت على حسن البصرى قميصا بحافته علامة اهداه له مسلمة ابن عبد الملك " العقد الفريد ج ١ ص ١٥٣ . وكانت دار الطراز الرئيسية فى الفسطاط يشرف عليها " ناظر الطراز "

والى جانب هذا النوع من الكتان كانت تعرض بدار الانماط الاقمشة الحريرية • وانواع من المنسوجات منها مايعرف بالقباطى • وهو ذلك النوع من النسيج الذى ازدهر على يد القبط وظل العرب يطلقون عليه اسم " القباطى " (١) ويتميز بنوع خاص من اللحمات ذات ثقوب دقيقة عند حدود الزخرفة • وقد تطورت زخرفة هذا النوع من النسيج ففى القرن الثالث الهجرى اخذت الكتابات الكوفية التى كانت تطرز عليه اشكالا زخرفية متنوعة فكانت تنتهى حروف بعضها بأنصاف مراوح نخلية فضلا عن الخيوط الذهبية التى كانت تنسج معها • (٢) •

ومنذ العصر الطولونى بدأت مسحة طولونية تأخذ طابعها على المنسوجات المصرية • تتمثل فى التحوير فى الرسوم الآدمية والحيوانية • وان بقيت بعض تقاليد النساجين القبط فى الاحتفاظ بموضوعات الزخرفة الساسانية كالدوائر المتماسة والحيوانات المتقابلة • (٣)

= و يشرف على دور الطراز فى الاقاليم موظفون يرأسهم المتوكل بطراز الاقليم " وهم يتبعون ناظر الطراز فى الفسطاط • جروهمان : اوراق البردى العربية جـ٢ ص ١٥٣ •

(١) اطلق على النسيج المصنوع فى مصر " القباطى " • نظرا لقيام القبط بتلك الصناعة فى اوائل العصر الاسلامى ثم اصبح يستخدم كرمز لطريقة معينة استخدمت فى صناعة النسيج المزخرف ذو اللحمات غير المعتدة ذا ثقوب دقيقة عند حدود الزخرفة " •

ـ د • سعاد ماهر : المنسوجات المصرية فى عصر الانتقال ص ٥٠ •

(٢) الازرقى : اخبار مكة ص ١٣٧ ، ١٦٨ • ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ ص ٩٨ • جروهمان : اوراق البردى العربية جـ ٢ ص ١٢٢ •

(٣) زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ص ٨٨ • كانت دار الطراز فى الفسطاط تنتج ثياب الخلفاء وكبار رجال الدولة وتنقش عليها اسماؤهم وقد اجمع علماء الاثار اعتمادا على ماذكرته المصادر التاريخية وماعثروا عليه من اثار على ان مصانع الطراز فى العصر الاسلامى نشأت فى عهد الدولة الاموية وقد عثر على اجزاء من الاقمشة التى كانت تصدرها دار الطراز بالفسطاط للخلفاء وتنقش عليها اسماءهم وفى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة قطع من نسيج الصوف ترجع للقرن الثالث الهجرى من بينها القطعة رقم ٩٠٥٠ التى نسجت بطريقة القباطى كما عثر على قطعة من نسيج الكتان عليها شريط من الكتابة المطرزة من الحرير نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله محمد الامام المستعين " اى انها ترجع لعام ٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ/ ٨٦٢ ـ ٨٦٦ م • كما عثر على قطعة صنعت للخليفة المعتز بالله مؤرخة بسنة ٢٥٤ هـ ، ٨٦٨ م • دليل المتحف •

كما عمرت أسواق الفسطاط بكثير من المصنوعات الزجاجية والخزفية . فكانت الاوانى الفخارية من بين معروضات سوق القناديل وتميزت بالاتقان والشفافية " بحيث اذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل وتصنع من الفخار الكؤوس والاقداح والاطباق وغيرها وهم يلونونها بحيث تشبه الاباقلمون فتظهر بلون مختلف فى كل جهة تكون بها " (١) .

وفى عهد الطولونيين بلغت المصنوعات الخزفية غاية الدقة والبراعة وعرف الخزف ذو البريق المعدنى ، وهو ذلك النوع من الخزف الذى اشتهرت به مصر وبلغ ذروته فى العصر الفاطمى . (٢)

وحفلت الاسواق بالمصنوعات المعدنية خلال العصر الطولونى فكانت تعرض فى أسواق القطائع المصنوعات الذهبية والنحاسية من اوان واثاث ثمين وتحف مطعمة بالمعادن النفيسة .

ولعلنا نجد فى جهاز " قطر الندى " ابنة خمارويه مايشير الى رواج مثل هذه الصناعات فقد تضمن هذا الجهاز " دكة اربع قطع ذهب عليها قبة من ذهب مشبك فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من جوهر لا يعرف له قيمة ،

= الاسلامى رقم ٨٧٢٢ كما عثر على قطعة اخرى ترجع لسنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م تحت رقم ١٤٨٩٠ دليل المتحف الاسلامى ، وترجح د . سعاد ماهر ان يكون اول خليفة ظهر فى عهده الطراز على النسيج هو الوليد بن عبد الملك مستدلة بالقطعة المؤرخة بسنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م الموجودة بالمتحف الاسلامى (رقم ٤٢) وتبين ان اسلوب زخرفة هذه القطعة ذا طابع قبطى مما يؤكد انها من صناعة مصر وكانت تكتب بالاغريقية " المنسوجات المصرية فى عهد الانتقال ص ٨٣ ، ويؤيد ذلك ما ذكره البيهقى اذ قال رواية عن الكسائى " دخلت مرة فى حضرة الرشيد وكان جالسا فى الايوان وامامه مبلغ كبير من نقود .. وسألنى هل تعرف من الذى انشأ الكتابة على الذهب والفضة ؟ فقلت : عبد الملك بن مروان ، فقال : وما السبب الذى دعا لهذا العمل ، فقلت له : لا ادرى ، فقال : ان القرطاس ينتمى للاغريق ومعظم المصريين مسيحيون وطراز القرطاس كان بالطراز الاغريقى الاب والابن والروح القدس وقد استمرت كذلك فى اوائل العصر الاسلامى حتى عهد عبد الملك ، فاستاء من هذه الكتابة على الورق وهى تحمل فى الثياب والاوانى التى تصنع بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها وعلى ذلك فقد امر بارسال خطاب الى عبد العزيز بن مروان والى مصر وامره بالغاء الطراز من على الملابس والستور وامره ان تكون الاختام التى يستعملها الصناع على الورق " الله يعلم ان لا اله الا الله وحده " . (البيهقى : المحاسن والمساوئ ص ٤١٨ ـ ٤٩٩ ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ ٢ ص ٦٩٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤١ .

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٦٠

(٢) ديماند : الفنون الاسلامية ص ٢٣١ ، يوجد بمتحف الفن الاسلامى آنية من الزجاج

ومائة هاون من الذهب" (١) .

ولعل اشارة " ابو المحاسن " * (٢) الى السرعة التى تم بها تكوين هذا الجهاز ورخص سعره مايدل على توافر هذه المصنوعات وازدهارها فى الاسواق اذ يذكر انه " لايعرف اليوم فى اسواق القاهرة تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد فى الحال ولو بعد شهر الا ان يعلى بعملها . " (٣)

فقد اهتم الطولونيون بتنظيم حملات متتابعة لاستخراج المعادن من بلاد النوبة والبجه حيث مواطن الذهب (٤) والنحاس والمعادن النفيسة كالزمرد (٥)

وفى عهد الاخشيديين كان " وادى العلاقى " (٦) مركز استخراج الذهب واتخذت بعض قبائل من ربيعة التنقيب عنه حرفة لها مستعينة ببعض العبيد

---

* ذات مقبضين من زجاج ملون ترجع الى العصر الاموى دليل المتحف الاسلامى رقم ١٢/ ١٤٩٦٣ ص ١٨ كما يوجد ايضا ختم زجاجى باسم عبيد الله بن الحبحاب مؤرخ عام ١١٠ هـ دليل المتحف الاسلامى ص ١٨ وقد عثر فى اطلال مدينة الفسطاط على زجاجات وقوارير واكواب للاستعمال المنزلى ولحفظ الزيوت والعطور بلغت من التنوع فى اشكالها وانواعها مايصعب معه حصرها وبعض هذه الاكواب والقوارير والسلاطين ذا لون ارجوانى فاتح عليه زخرفة من الخيوط البيضاء المتعرجة البارزة كتعريجات المرمر بلون الاناء الاصلى .

(١) ابو المحاسن / النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٠ ــ ٦١ .
الادريسى / نزهة المشتاق ص ٨

(٢) ابو المحاسن / النجوم ج ٣ ص ٦٠ ــ ٦١

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة . ويذكر انه "لماطلب فيها الف تكة من اثمان عشرة دنانير قدر عليها فى ايسر وقت باهون سعر ولو طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها" ابو المحاسن النجوم ج ٣ ص ٦٠ ــ ٦١ .

(٤) يذكر الاصطخرى ان الذهب كان الى الجنوب من اسوان بمساحة خمسة عشر يوما . المسالك والممالك ص ٤٢ ، كما كان الزمرد يستخرج من جنوب مصر على مسيرة سبعة ايام من صعيد مصر وهو الجبل الوحيد الذى به معدن الزمرد فى المملكة الاسلامية"
ــ المسعودى / مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣ ــ ٤٤ .
ــ كما يذكر الاصطخرى أن معدن الزبرجد كان يستخرج من جهة مصر جنوبى النيل ــ المسالك ص ٤٠

(٥) يذكر اليعقوبى ان الزمرد (وكان يسمى ... الطك) كان على ثمان مراحل من مدينة قفط وفيه جبلان يقال لاحدهما العروس وللاخر الخصوم فيهما معادن الزمرد " وكانت مناجم الذهب والزمرد فى المنطقة الواقعة بين مدينتى قفط والاقصر .
ــ اليعقوبى / كتاب البلدان ص ٣٣٢

(٦) الادريسى / نزهة المشتاق ص ٨ .

والسودانيين فى عمليات [١] الحفر والتنقيب •

ومن أشهر معروضات أسواق الفسطاط والقطائع أيضا المصنوعات الخشبية ،فقد ذاعت شهرة مصر فى صناعة الاثاث والحفر الدقيق على الخشب خاصة بطريقة الحفر المائل أو " المشطوف " وهو أسلوب عباسى دخل مصر وأصبح شائعا زمن الطولونيين [٢] وتطور على ايدى الصناع المصريين فأصبح الحفر أكثر عمقا والزخرفة أكثر تجسيما • وقد ظلت هذه الطريقة متبعة فى صناعة الخشب فى مصر خلال عصر الاخشيديين •

وكانت تعرض بأسواق الفسطاط فى القرن الرابع الهجرى أنواع من الحصر تشبه النوع الذى أشتهرت به ايران فضلا عن المصنوعات الجلدية المختلفة • [٣]

والى جانب هذه الاسواق كان بالفسطاط قيساريات وهى أسواق مسقوفه تعلو دكاكينها بوائك وقد تخصص بعضها — كما كان الحال فى الاسواق فى الاتجار بانواع

---

(١) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٤ يذكر " من أراد المعادن معادن البتر خرج من أسوان الى موضع يقال له الضيقة ثم وادى العلاقى ••• ووادى العلاقى كالمدينة العظيمة به خلق من الناس واخلاط من العرب والعجم أصحاب المطالب وبها أسواق وتجارات وشربهم من آبار ••• واكثر من بالعلاقى قوم من ربيعة من بنى حنيفه من أهل اليمامة انتقلوا اليها بالعيالات والذرية ووادى العلاقى وماحواليه معادن البتر ••• لكل قوم من التجار عبيد سودان يعملون فى الحفر •
اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٤ •

(٢) كانت الزخرفة التقليدية فى الحفر هى أن توزع على أقسام مستطيلة ومربعه داخل اطار خال من الزخرفة وفى المتحف الاسلامى بالقاهرة مجموعة ضخمة من الاخشاب الطولونية المحفورة تشمل على أبواب وأسقف وأفاريز وقطع أثاث مدهون بعضها بالوان زاهية دليل متحف الفن الاسلامى بالقاهرة • وقد شهد الفن خلال العصر الطولونى مرحلة انتقال من الطراز القبطى الى الطراز الاسلامى البحت • كما تأثرت كثير من مظاهر الحضارة الطولونية بالفن العراقى وخاصة فى سامرا فالخشب الطولونى الموجود فى دار الاثار العربية وبعض المتاحف الاوربية بزخارفة المحفورة يشبه الى حد كبير الطراز المتبع فى سامرا ويتمثل فى الحفر المنحوت الجوانب والمزخرف ببعضة فروع وخطوط حلزونية تغطى الارضية كلها يتجلى فيها الابداع والبراعة النادرة ويغطى التربيعة الخشبية رسم تخطيطى أو زخرفة نباتية تحيط بها أشرطة من أقراص صغيرة محفورة أو فروع محفورة أو فروع مستديره أو مربعات أو مستطيلات •
د • زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ص ١٣–١٦ أبو المحاسن النجوم حـ ٣ ص ٦٠ – ٦١ ، د • زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ص ٩٤ •
J.D. Weill : Catalogue du Museé Arabe pp. 60-61.
فى دار الاثار العربية لوح خشبى مكسور كتب عليه مايشير الى تسجيل احد الافراد الملكية عقارية صنعت وزخرفت بهذه الطريقة يرجع تاريخها الى العصر الاخشيدى

(٣) المقدسى : المسالك والممالك ص ٢٠٣ ، ٤٤١–٤٤٢ •

معينة من البضائع مثل قيسارية هشام بن عبد الملك التى كان يباع فيها البز الفسطاطى [١]
كما تخصصت القيسارية التى بناها عبد العزيز ابن مروان فى بيع البز أيضا [٢] وكذا
قيسارية الحبال ويبدو أنها قد تخصصت فى تجارة الحبال وما شابهها من لوازم المقادين
وقيسارية الكباش التى تخصصت فى بيع وشراء الكباش وغيرها من سائر المواشى [٣] وقيسارية
البز " التى أنشأها الاخشيد [٤] فى سوق الحمام فى الفسطاط •

وبالاضافة الى تلك الاسواق والقيساريات ، كانت هناك على طول الطرق
الرئيسية فى مدينة الفسطاط محلات تجارية تشبه الوكالات كان لبعضها أدوار عليا
خصصت لسكنى التجار الوافدين [٥]

والى جانب أسواق الفسطاط تلك كان بانحاء مصر أسواق أخرى اهمها أسواق
الاسكندرية اذ كان لموقع المدينة على البحر المتوسط وشهرتها القديمة أثرا كبيرا فى
انتعاش أسواقها بمختلف السلع الواردة اليها من الشرق والغرب فضلا عن المعروض بها من
منتجاتها ومنتجات القرى المحيطة بها •

وكان أهم معروضات أسواق الاسكندرية نوع من الاقمشة الحريرية

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣٦ •
(٢) الكندى : الولادة والقضاة ص ٧٤ ، ابن دقماق : الانتصار حـ ٣ ص ٣٧ـ٣٨
(٣) الكندى : الولاة والقضاه ص ٥٦٢ ، يمكن أن نستنتج من رواية ابن دقماق أن بعض القيساريات كان يشتمل على اكثر من باب بل كان لبعضها ستة أبواب موزعة حسب اتجاهاتها فى الجنوب والشمال والشرق والغرب مما يدل على اتساعها ويذكر ان بعض القيساريات كان يشتمل على حمامات مثل قيسارية أبى مره " فى خطة كعب بن عدى والتى اشتراها عبد العزيز بن مروان فيقول " وكان بها حمام معروف باسم " أبى مرة " به تمثال من الزجاج على هيئة أمرأة سماها العامة قيسارية أبى مرة نسبة الى التمثال الذى كان على باب الحمام " ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ٣٨ـ٣٩
(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ٥٦٢ ، ابن دقماق : الانتصار حـ ٤ ص ٣٨ ـ ٣٩
(٥) اسفرت الحفريات التى أجريت فى اطلال مدينة الفسطاط عن كشف أبنية ترجع لمصر العباسيين والطولونيين تلقى كثيرا من الضوء على تخطيط بعض الاسواق والقيساريات فقد تضمنت الدور قاعات كانت تتخذ كمحال تجارية ذات فتحات على الطريق تعلوها عقود وكانت تلك المحال تقع فى الغالب شمالى الدار ومن الممكن أعتبار تلك الادوار العليا أماكن خصصت لسكنى التجار الوافدين •" على بهجت : حفريات الفسطاط ص ٥٣ ـ ٥٤ ، ابن دقماق : الانتصار : حـ ٤ ص ٣٧ـ ٤٠ •

المطرزة يصفها المسعودي بأنها " مرقومة بألوان شتى ." ويذكر المقريزى أن " الثياب المنسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمل الى آفاق الارض ومايباع فيها من ثياب شرب كل زنه درهم بدرهم فضة ، ومايدخل فى الطراز فيباع بوزنه مرات عديدة .[١]

و " ثياب الشرب " هذه نوع من الاقمشة ذات أطراف مطرزة قصت بطريقة هندسية منتظمة ، كان بعضها ينسج بخيوط مذهبة .

كما اشتهرت أسواق الاسكندرية بتجارة البهار حتى كان باب المدينة الجنوبى يسمى باب البهار[٢] ربما لمجاورته " لسوق تخصص فى تجارة البهار " .

كما كان يعرض الزيتون[٣] بأسواق الاسكندرية اذ كان شجر الزيتون يزرع فى نواحيها كما كانت تعرض بأسواق المدينة الاسماك والفاكهة[٤] .

وكان بالقرب من الاسكندرية مجمع خشب الصنوبر الذى يأتيها من الاندلس فى موضع يسمى " حصون التينات " .[٥]

ومن أسواق مصر أيضا سوق مدينة تنيس[٦] الذى تميز بعرض انواع من الثياب الرقيقة التى أشتهرت المدينة بانتاجها من الكتان تعرف بالقصب " مهلهلة النسج كأنها[٧] المنخل " وثياب الشرب ونوع من الحلل يسمى " الحلل التنيسية " يصفها المقدسى بقوله : " ليس فى جميع مافى الارض مايدانيهافى القيمة والحسن والترف والدقة وربما بلغت الحلة من ثيابها مائتى دينار اذا كان فيها ذهب . وقد يبلغ مالا ذهب

---

(١) المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ١٦٢ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٢٩٣

(٢) G. Wiet : L' Egypte Arabe. P. 39

(٣) المقدس : المسالك والممالك ص ١٩٧ .

(٤) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٤٣ اذ يقول " وتصدر منها فاكهة كثيرة لمصر "

(٥) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٦٣ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان حـ ١ ص ٨٩ يذكر تنيس بقوله أنها مدينة بالقرب من دمياط : طولها من الجنوب الى الشمال ثلاثة آلاف ذراع ومائتى ذراع وعرضها من الشرق الى الغرب ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وثمانين وكان لها تسعة عشر بابا مصفحا وعدة مساجد وأسواق .

(٧) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٥٢ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ص ١٧٦ .

فيه مائة دينار . " وحين زارها ناصر خسرو (١) ، وجد بها نسيجا دقيقا من القصب (٢) الملون وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار " ويبدو أنها عرفت هذا النوع من اذ يصف اليعقوبي (٣) عديدا من أنواع الثياب التي اشتهرت تنيس بصناعتها وذخرت به أسواقها (٤) .

كما اشتهرت تنيس بانتاج الالات الحديدية كالمقارض والسكاكين وغيرها وكانت تبعث ببعض انتاجها الى الاسواق الاخرى (٥) .

كما اشتهرت اسواق مدينة " سطا " بنوع من الثياب عرف " بالشروب الشطوية " (٦) ثم نجد أسواق مدينة دمياط عامرة بألوان المنسوجات الكتانية من ثياب الشروب غير الملونة ، كما تعرض بها ثياب القصب المطرزة (٧) كما اشتهرت باستخراج زيت الياسمين (٨) كما اننا نجد سوقا اخرى بمدينة " بوره " (٩) وهي من أعمال دمياط اشتهرت بصناعة الورق . كما كان هناك سوق آخر للورق في مدينة " وسيمة " (١٠) وهي من اعمال رشيد ـ التي اشتهرت بصناعته ، تلك الصناعة التي عرفت في مصر منذ القدم ، وازدهرت في القرون الثلاثة الاولى للهجرة (١١) .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣

(٢) هذا النوع من القماش يسمى " أبا قلمون " ناصر خسرو : سفرنامه ص ٣٨

(٣) ناصر خسرو : سفرنا ص ٣٨ .

(٤) اليعقوبي : البلدان ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨

(٥) يذكر انواع الثياب " الرفمية الصفاق والرقاق من الديبقي والقصب ، والبرود والمخمل والوشي . " اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

(٦) ناصر خسرو : سفرنا من ص ٤٠ يصف مقراضا رآه في الفسطاط من صنع تنيس بانه يفتح اذا رفع مسماره ويقص اذا أنزل . " .

(٧) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ ، الادريسي : صفة المغرب ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ، شطا الان قرية تتبع مركز فارسكور محافظة الدقهلية . د . سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ٢٤ ، المقريزي : الخطط حـ ١ ص ١٧٧ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٦٠٢ ـ ٦٠٣

(٨) اليعقوبي : البلدان ص ٣٣٨ مدينة شطا تقع على ساحل البحر بالقرب من دمياط

(٩) اليعقوبي : البلدان ص ٣٣٨ ، البغدادي : الامور المشاهده ص ٣٢ .

(١٠) بوره حصن على ساحل البحر من عمل دمياط ـ اليعقوبي : البلدان ص ٣٣٨ . ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٣٠٢ وبوره من توابع تل اشنيك مركز بلبيس محافظة الشرقية وتعرف اليوم باسم عزبة العويشة الواقعة بحوض التل : القاموس الجغرافي ص ٣٤ .

(١١) وسيمة بالقرب من فرع رشيد اشتهرت بصناعة القراطيس . اليعقوبي : البلدان ص ٣٣٨ .

(١٢) يذكر ابن الفقيه أن لاهل مصر القراطيس التي لا يشركهم فيها أحدا . " مختصر كتاب البلدان ص ٦٦ .

كما كان أهم مركز لصناعة الحرير وتسويقه يقع فى مدينة ديبق [١] وبلغ من جودته أن نسب اليها فسمى الحرير الديبقى . [٢]

وتميزت قرية " بشمور " - من اعمال دمياط بانتاج نوع من القمح بصفه اليعقوبى " بالقمح اليوسفى المجزع وبأنواع ممتازه من الكباشى . [٣]

واشتهرت مدينة " أتريب " بالعسل الجيد الذى يجلب من احدى القرى التابعة لها وهى " بنها " . [٤]

وكانت مدن الدلتا تزخر بمنتجات القرى [٥] المجاورة لها من الحاصلات الزراعية من حبوب وغلال وخضر وكتان .... وكان النطروق يستخرج من بلده صغيرة من أعمال

---

(١) G.wiet : Precis de L'Histoire d'Egypte T.2P.147.

يذكر ياقوت أن مدينة دمياط بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائقة ... ومن ظريف أمر دمياط وتنيس أن الحاكة بها الذين يعملون هذه الثياب الرفيعة تبط فى عرف تعرف بالمعامل يستأجرها الحاكة لعمل الثياب الشرب فلا تكاد تنجب الا بها فان عمل بها ثوب وبقى منه شبر ونقل الى هذه المعامل علم بذلك السمسار المتباع للثوب فينقص من ثمنه لاختلاف جوهر الثوب عليه ... والشرب لا يشارك تنيس فى شئ من عملها ويبلغ الثوب الابيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائه دينار . " معجم البلدان حـ ٤ ص ٨٦ .

(٢) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٧ .

Combe: E: Repertoire chronolog ique d'Epigraphi Arabe. T. I P. 28-29.

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٢ ، ياقوت حـ ٢ ص ١٩٠ - ١٩١
اندثرت مدينة ديبق ومكانها الان يعرف تبل دبقو أو ديجو " بالقرب من شاطى بحيرة المنزلة فى الشمال الشرقى لناحية صان الحجر بمركز فاقوس محافظة الشرقية على بعد ٥٥٠٠ متر من صان الحجر . القاموس الجغرافى ص ٢٤٣ .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٢ ياقوت حـ ٤ ص ١٩٠ - ١٩١ - وكان موقع بشمور يشمل منطقة الاراضى الزراعية التى تقع بين فرع النيل الشرقى (دمياط) وبين البحر الصغير بمحافظة الدقهلية بين قريتين محله انشاق وقرية السرور بمركز فارسكور وفى المسافة الواقعة على البحر الصغير بين قريتين القباب الكبرى وقرية برمبال القديمة بمركز دكرنس ويدل على موقع مشمور حوض البشمور باراضى ناحية دكرنس . القاموس الجغرافى ص ٣١ - ٣٢ .

(٤) يذكر اليعقوبى ان مدينة أتريب بها كوره واسعة وبها القرية المعروفة بنها التى بها المسل الموصوف . " البلدان ص ٣٣٧ وأتريب اسمها القديم وهى تحتفظ بهذا الاسم منذ ١٩٤٢ بعد أن نصلت عن بنها ويدل على موقعها التلول التى باحواض ارتيب الواقعة فى الجهة الشمالية من بندر بنها . محمد رمزى القاموس الجغرافى ص ١١

(٥) يذكر اليعقوبى كور الحوف التى تشمل اتريب وعين شمس وتتو بسطة وطرابية وقربيط وصان وابليل . البلدان ص ٣٣٧ .

البحيرة تسمى " الطرانه " يذكر القلقشندي [١] أنه " لايعلم فى الدنيا بقعة صغيرة يستغل منها اكثر مما يستغل بها فانها نحو مائة فدان تغل نحو مائة ألف دينار فى كل سنة وكان استخراجه مباحا للناس حتى أحتكر بيعه أحمد ابن المدبر نائب مصر من قبل أحمد بن طولون .

ومن بين أسواق مصر أيضا سوق مدينة [٢] الفيوم الذى كانت تعرض فيه منتجات مدينة الفيوم والقرى المحيطة بها وكان القمح على رأس هذه المنتجات اذ تميزت الفيوم بانتاج نوع جيد منه [٣] وكذلك كان بالفيوم اكبر مزارع للكتان ، كما تخصصت فى صناعة الخيش ، وزراعة الورد واستخراج مائه .

واشتهرت مدينة " طحا " بانتاج القمح [٤] والذرة ، واشتهر

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٦٠ يذكر أنه كان ينفق على كل قنطار منه درهمان وثمن كل قنطار بمصر والاسكندرية يصل الى سبعين درهما لكثرة الطلب عليه " وأن المادة المستقرة أنه متى أتفق من الديوان فى المربان عن أجره حموله عشرة آلاف قنطار ألزما بحمل خمسة عشر ألف قنطار حسابا عن كل قنطار ونصف واكثر مصروفه فى نفقة الغزاة ." الطرانه يذكر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ص ٣١١ أنها اندثرت ويدل على مكانها ملاحة الطرانه الواقعة جنوبى أرض ناحية البرنوجى بمركز دمنهور بالبحيرة .

(٢) الفيوم يذكرها ياقوت بقوله : " ... ولاية غربية بينها وبين الفسطاط اربعة أيام بينهما مفازة مسيرة يومين وهى فى منخفض الارض ... وقيل بنى بالفيوم ثلثمائة وستون قرية وأن كل قرية تكفى أهل مصر يوما واحدا وعمل على أن مصر اذا لم يزد النيل اكتفى أهلها بما يحصل من زراعتها ... وزرعت بمدة النخيل والبساتين فصارت اكثر ولايتها كالحديقة ثم بعد تطاول السنين واخلاف الحسرة تغيرت تلك القوانين باختلاف الولاه المتملكين فهى اليوم على العشر مما كانت عليه فيما بلغنى " ياقوت : معجم جـ ٦ ص ٤١٤ ـ ٤١٦ . والاسم القبطى للفيوم هو ومنها أخذ العرب كلمتهم وأضافوا اليها ادارة التعريف القاموس الجغرافى حـ ٣ ص ٩٦ .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣١ .
Grohmanu : Arabic Papyri VI p.207 .

(٤) طحا : يذكر اليعقوبى اى بمدينة طحا القمح الموصوف والكيزان التى يسميها أهل مصر البواقيل " والملاحظ أن ولاة مصر اهتموا منذ الفتح بثروة مصر الزراعية عامة والقمح بصفة خاصة فقد كانت دار الخلافه تعتمد على انتاج مصر من القمح الذى كان يصل اليها منه مقرارا كل سنة ، فعنى الولاه باصلاح الاراضى وحفر الترع واقامة

صعيد مصر بانتاج قصب السكر وصناعة السكر (١)

وكانت أسواق مدينة أسيوط تذخر بنوع من الفرش تسمى " القرمز " وهى تشبه تلك الابسطة الارمينية الشهيرة (٢) وكانت الفرش القرمز تصنع من الصوف ويذكر الثعالبى أن الصوف الارمنى أجود أنواع الصوف بعد صوف مصر . (٣)

كما اشتهرت مدينة القيس (٤) بصناعة الثياب الصوفية وأكسيه عرفت باسم " المرعز " وهى من الصوف الرقيق تمتاز بلينها وتدفئتها . وأنواع خاصة من الثياب امتازت بجودتها فسميت الثياب القيسية . (٥)

= الجسور والقناطر فيذكر ابن عبد الحكم كانت فريضة مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها مائه الف وعشرون ألفا معهم الطور والمساحى والاداة يتعقبون ذلك لا يدعون شتاء ولا صيفا " لما يذكر أن عمر كتب الى عمرو " أن الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام وقد ألقى فى روعى لما احببت من الرفق ، باهل الحرمين والتوسعة عليهم جين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل فى البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام الى المدينة . " .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥١ ، ١٦٣ . وهى كما قال ياقوت " طحا كورة بمصر شمال الصعيد فى عربى النيل " . معجم البلدان لياقوت حـ ٦ ص ٣٠ .
وطحا تعرف اليوم باسم " كفر سليمان " من نواحى مركز شبين بالغربية . القاموس الجغرافى ص ٣١٠ . وحاليا تتبع محافظة كفر الشيخ .

(١) السيوطى : حسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٩٢ . وتذكره أوراق البردى من بين المزروعات التى اختص بها الصعيد .
Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library vol. IV P. 10-11
وقد اهتم قرة بن شريك بزراعته فزرع بركة الحبش (فى ظاهر الفسطاط) بالقصب الكندى : الولاه ص ٦٥ .
(٢) اليعقوبى .
(٣) اليعقوبى البلدان ص ٣٣١ (٣) الثعالبى : لطائف المعارف ص ١٢٨ .
(٤) القيس : يذكر ياقوت أنها بعد الجيزة غربى النيل وهى قرية وليست كوره بلغ دخل السلطان منها خمسة عشر ألف دينار عن المداثى ٢٢٦ هـ والقيس الان قرية بمحافظة المينا مركز بنى مزار . سنة ٢٢٦ هـ " معجم البلدان حـ ٧ ص ١٩٦ .
(٥) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣١ .

كما اشتهرت مدينة البهنسا بعمل " الستور البهنسية " ويذكر المقريزى انه " اذا صنع بها شىء من الصوف أو القطن كتب عليه اسم المتخذ له . [١]

كما كانت اسواق " الاشمونين " وأخميم " واهناس " بوصير تعرض منتجات الحرير والكتان [٢]. واشتهرت مدينة طما بصناعة الاكسية الصوفية . وقد كان لشهرة قرى الصعيد بتربية المواشى والغنم أثره فى أزدهار صناعة الصوف به وكذلك المصنوعات الجلدية [٣] كما اشتهرت أسواقها بتجارة الدواب وخاصة الحمير فقد اختصت بنوع يسمى " الحمر السلاقية " [٤]

كما كانت مدينتا اسنا واخميم عامرتان بالنخيل والزروع وكانت باسواقهما أنواع التمور والخضر والحبوب [٥].

واشتهرت مدينة قفط بصناعة الصابون الجيد [٦] . كما اشتهرت الواحات بزراعة شجر النيله لاستخراج مادة " النيلة " المستخدمة فى تلوين الملابس

---

(١) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٢٣٧ ويذكر ياقوت أن البهنسا مدينة بمصر من الصعيد الادنى غربى النيل وتضاف اليها كورة كبيره وليست على ضفة النيل وهى عامرة كبيرة كثيرة المدجل " . معجم البلدان حـ ٢ ص ٣١٦ . والاشمونين كورة من كور الصعيد الادنى غربى النيل ذات بساتين ونخل كثير . " اخميم " بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد واهناس كوره فى الصعيد الادنى . " ياقوت: معجم البلدان حـ ١ ص ٢٦١ ، ١٥٣ ، ٣٢٩ .

(٢) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣١ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٥٣ . بوصير احدى ثلاث قرى بكورة الاشمونين " ياقوت حـ ٢ ص ٣٠٦ ويذكر ان هناك ثلاث قرى أخرى تعرف فى مصر بهذا الاسم وهى بوصير السدر وبوصير بنا وبوصير قوريدس .

(٣) الادريسى : نزهة المشتاق ص ٤٦ .

(٤) يذكر الاصطخرى شهرة الصعيد بهذه الدواب وخاصة الحمر السلاقية المسالك والممالك ص ٤٢ نسبة الى احدى القرى ، المقريزى : الخطط ص ٣٠٦ .

(٥) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٢ / اسنا مدينة مصرية قديمة بالصعيد الاعلى اسمها القبطى " اسنى " وتحمل اسم اسنا حتى الان.

(٦) عبد اللطيف البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٩٨ .

باللون الازرق وكانت تمد بها بقية مدن مصر التى اشتهرت بصناعة النسيج والاقمشة •
كما اشتهرت بانتاج الشب الذى[1] يستخرج منه الصبغ الاحمر •

تلك كانت اهم اسواق مدن مصر وما اشتملت عليه من منتجات بقى أن نشير الى
نظم الاسواق •

نظم الاسواق فى مصر :-

عرفت مصر نظام الاسواق المتخصصة فى الاتجار بسلع معينة ، وقد رأينا فى أسواق الفسطاط[2] امثلة عديدة لذلك • وفى اشارة ابن عبد الحكم[3] الى الاسواق التى عفتها الفسطاط منذ تأسيسها نستطيع أن نتبين أن أكثر الاسواق ازدهارا القريبة من المسجد الجامع حيث يكثر الناس ، وتكثر حركة البيع والشراء[4] والواقع أن العرب نقلوا معهم صورة الاسواق العربية التى عرفوها الى الامصار الجديدة ، فلم تكن لتلك الاسواق - فى البداية - أسوار تحددها وانما تركوها دون بناء • وقد ذكر عمر بن الخطاب أن " الاسواق على سنة المساجد من سبق الى مقعد فهو له حتى يقوم منه الى بيته ويفرغ من بيعه[5] والراجح أنه كانت بهذه الاسواق خيام تقى الناس والبضائع حراره الشمس فى الصيف والمطر والبرد فى الشتاء ثم عقدت بعد ذلك بالحجارة وسقفت •

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٥٩ •
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٠-١٠١ ، ابن فضل الله العمرى : المسالك حـ ١ ص ٩٤ ، الكندى : الولاه والقضاه ص ٥٦٩ ، ابن دقماق : الانتصار حـ ٤ ص ٣٧-٤٠ •
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٩-١١١ يذكر أن سوق القناديل وهو أشهر أسواق الفسطاط كان يقع على الجانب الشمالى لمسجد عمرو كما يذكر اليعقوبى أن الاسواق محيطة بالمسجد الجامع فى الجانب الشرقى للنيل : البلدان ص ٣٣١ ويذكر ان دقماق انه الى جوار المسجد " سويقه دار فرج الواقعة فيما بين رحبه دار جوهر وباب مسجد عمرو ••• وسويقه مسجد عبد الله جنوب الطريق المؤدى الى المسجد الجامع ان دقماق : الانتصار حـ ٤ ص ٣٣ ٨٦
(٤) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣١ •
(٥) الطبرى : تاريخ الامم والملوك حـ ٣ ص ١٤٩ •
ابن الاثير : الكامل حـ ٢ ص ٤١٢ •

ويبدو اهتمام المسلمين بالاسواق فى تخطيط مدينة القطائع حيث أفرد احمد بن طولون قطائع خاصة [1] لاصحاب الحرف والتجارات كان منها سوق العياريين يجمع فيه البزازين والعطارين ، وسوق القيامة يجمع فيه الجزارين والبقالين والشوائين ، وسوق الطباخين يجمع فيه الصيارفه والخبازين وأصحاب الحلواء . [2]

والى جانب الاسواق المكشوفة كانت هناك القيساريات وهى أسواق مسقوفه تعلو دكاكينها بوائك وقد ذكر ابن عبد الحكم عدد منها فى مدينة الفسطاط [3] وكان بعضها يشتمل على أكثر من باب كان لبعضها ستة أبواب موزعة حسب اتجاهاتها فى الجنوب والشرق والغرب [4] .

وكانت الاسواق جميعا تخضع لرقابة موظف خاص يدعى " العامل على السوق " الذى يتمتع ببعض السلطات القضائية والتنفيذية [5] ويزود

---

(١) البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٥٤
Wiet : L' Egypt Arabe. 109.
ابن دقماق : الانتصار حـ ٤ ص ١٢١ .

(٢) البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٥٤ . كان هذا التخطيط تقليدا للاساليب العراقية ولمدينة سامرا التى أنشأها المعتصم بصفة خاصة ، وقد التزم نفس الاسلوب فى تقسيم الاسواق وافراد القطائع لاصحاب الحرف فعرفت المدينة لذلك باسم القطائع .
ابن دقماق : الانتصار حـ ٤ ص ١٢١ .
Wiet : L'Egypte Arabe P. 109-110

(٣) يذكر ابن عبد الحكم قيسارية العسل التى كانت تقع بجوار المسجد الجامع وكانت تشغل موضع منبره الذى هدمه قره بن شريك . وتخصص بعضها فى بيع انواع معينة من السلع مثل قيسارية هشام بن عبد الملك الذى كان يباع فيها البز الفسطاطى كما بنى فى عهد عمر بن عبد العزيز عدد قيساريات منها قيسارية البز التى بناها فى خطة بلى وقد تخصصت ايضا فى بيع البز كما بنى قيساريه الحبال وقيسارية الكباش التى تخصصت فى بيع وشراء الكباش وغيرها من سائر المواشى . وكذلك قيسارية البز التى أنشأها الاخشيد ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣٦ ، الكندى : الولاه ص ٧٤ ، ٥٦٢ .

(٤) كانت قيسارية ابن ميسر بسوق وردان ذات أبواب خمسة أثنان فى شرقيها واثنان فى شمالها والخامس فى غربيها . ابن دقماق الانتصار حـ ٤ ص ٣٧ ـ ٤٠

(٥) يذكر ابن سعد : الطبقات الكبير أن هذه الوظيفة كانت موجودة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب حـ ٥ ص ١٣٠ .

بعض الاعوان لمساعدته على القيام بواجباته [١] وأهمها : مراقبة الاوزان والمكاييل ، وجمع ضريبة السوق [٢] اذ كان تفرض على الاسواق ضرائب تزيد وتنقص حسب حالة البلاد الاقتصادية من جهة وتشدد الحكام من جهة أخرى ، ويذكر ابو المحاسن [٣] ان " مصعب الذى تولى مصر فى خلافة المهدى سنة ١٦٧ هـ / سنة ٧٨٣ هو الذى رتب دراهم على أهل الاسواق وعلى الدواب . "

ويبدو أن وظيفة العامل على السوق هذه كانت الاصل فى وظيفة المحتسب [٤] التى ورد ذكرها لاول مرة فى تاريخ الاسلام فى عهد ابن هبيره حوالى عام سنة ١٠٣ هـ / سنة ٧٢١ م حيث كان مهدى بن عبد الرحمن ثم اياس بن معاوية محتسبين فى واسط . [٥]

---

(١) الاصفهانى : الاغانى حـ ٧ ص ١٠٨

(٢) الماوردى / الاحكام السلطانية ص ٤٦٥ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم حـ ٢ ص ٥٤ وهو الوالى موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمى . زمابور : معجم الانساب حـ ١ ص ٤٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ ٧ قسم ٢ ص ٦٥ ، ويذكر المقريزى انه " كان فى كل سوق من أسواق مصر على أرباب كل صنعة من البضائع عريف يتولى أمرهم . " اغاثة الامة بكشف الغمة ص ١٤ .

(٥) البلاذرى: أنساب الاشراف حـ ٨ ص ٢٩٠ كما يذكر أبن سعد : الطبقات الكبرى حـ ٣ قسم ١ ص ١٨ أن عليا كان يمشى فى الاسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع فيقول : " أوفوا الكيل والميزان ويقول لا تنفخوا اللحم " .

كما كان من مهامهم مراقبة الصباغين والحاكة كي يحافظوا على حاجيات الناس . وكان صاحب السوق عادة يتقاضى راتبا على أعماله (١) هذه من بيت المال (٢) . كما كان المحتسبون يختارون عادة من بين القضاة ويذكر المقريزى أنه " كان فى كل سوق من أسواق مصر على أرباب كل صنعة من البضائع عريف يتولى أمرهم . (٣)

وكان " الرطل " وحدة الوزن (٤) فى أسواق مصر وهو مائة واربعة واربعون درهما ، وأوقيته أثنى عشر درهما ومنه يتفرع القنطار المصرى (٥) وهو مائة رطل . كما كان يستعمل القدح المصرى وهو قدح صغير تقديره مائتين واثنان وثلاثون درهما (٦) وكل ستة عشر قدحا تسمى ويبة وكل ست وتسعين قدحا تسمى اردبا . (٧)

---

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص٤١٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ١٦٥ . الماوردى : الاحكام السلطانية . ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٣) المقريزى : اغاثه الامة ص ١٥ ، ٧١

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٥ يذكر جروهمان ان هناك ـ عدة أوزان للرطل فى مصر منها الرطل الكبير ويزن ٥١٨ جراما وآخرصغير يزن ٣٤٣ جراما ، كما كان لبعضمدن مصر أرطال خاصه بها مثل الرطل الاسيوطى الذى يزن ١٠٠٠ درهم الآن وزن الرطل المستخدم فى مصر عامة ٤٢٥ جراما أوراق البردى العربية حـ ٢ ص١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٥ .

(٦) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٥ .

(٧) المصدر السابق حـ ٣ ص ٤٤٥ .

وكانت هناك عدة قواعد وقوانين تحكم حركة البيع والشراء ، مثال ذلك ماذكره الكندى [١] من أن قاضى الفسطاط توبه بن نمير كان لا يقر " خيار العيب " [٢] على أساس أن المشترى كانت له حرية الاختيار قبل الشراء فان لم يكن قد تنبه لعيب فيما اشترى فلا يحل له استرجاع ماله والتحلل من شرائه ، هذا وان كان من المعروف فى الفقة الاسلامى أن هناك ثلاث خيارات للمشترى : خيار الرؤيا وخيار العيب ، وخيار المذاق ، الا أن توبة بن نمير ، لا يقر خيار العيب على أساس أن المشترى يرى مايشترى ومن ثم فليس من حقه ارجاع ما اشترى بحجة أن به عيب [٣] .

وقد وصف ناصر خسرو [٤] تجار مصر بالامانة فقال : "وتجار مصر يصدقون فى كل مايبيعون واذا كذب أحدهم على مشتر فانه يوضع على جمل ويعطى جرسا بيده ويطوف فى المدينة وهو يدق الجرس وينادى قائلا : لقد كذبت وها أنا أعاقب ، وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب." [٥] كما يبين ماجرى عليه فى الحال فى الاسواق من وضع البضائع للزبائن فى أوان خزفية

---

(١) الكندى : الولاه والقضاه . ص ٣٤٥

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٣٤٥ يذكر أن القاضى توبه بن غير الذى ولى قضاء مصر من سنة ١١٥ الى سنة ١٢٠ هـ كان يقول للتجار من اشترى منكم عيبا لانكم تبصرون ماتشترون . "
الولاه والقضاه ص ٣٤٥ .

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص ٣٤٥ .

(٤) ناصرخسرو : سفرنامه ص ٦١ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ٦١ .

بقولـه " ويعطى التجار فى مصر من بقالين وعطارين وبائعى الخردوات الاوعية اللازمة لما يبيعون من زجاج أو خزف أو ورق حتى لا يحتاج المشترى أن يحمل وعاء . (١)

-•-

تلك كانت صورة السوق المصرى وما اشتمل عليه من منتجات زراعية وصناعية وماكان يتبع فيه من نظم التعامل ، ونعرض بعد ذلك للسوق المغربى .

⁂

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٦١

ب ـ أسواق المغـــرب :ـ

تنوعت معروضـات السوق المغربـى من حاصـــلات زراعيـة ومنتجـــات صناعيـة ، ونوضـح ـ فيمـــا يلى أهم أسواق أفريقيـة والمغرب • وقبـــل أن نتحـدث عن أسو اقهما نتحـدث عن أسواق اقليم برقـة وأهم مابـــه من منتجـــات •

أسواق اقليم برقـــه :ـ

يصـف لنا اليعقوبـى (١) أســواق اقليم برقـة فيذكـــر منهـــا سوق مدينـة " أجيـــه " (٢) الحافـــل بانواع الثمـــار والحاصـــلات الزراعيـة فيقـول أن " بهـــا أسواقـــا وأجنـــه ومزارع (٣) كثـــيرة" مما يفيـــد كثره المعـــروض بتلـك الاســـواق من حبوب ومزروعات مختلفة •

---

(١) اليعقوبـــى : البلدان ص ٣٤٣•

(٢) مدينة أجيـــه : احدى المدن الساحليـة التابعـــة لاقليم برقـــة اليعقوبـى : البلـــدان ص ٣٤٣ •

(٣) اليعقوبى : البلـــدان ص ٣٤٣ يذكر الادريسـى ماتميزت به مدينـــة برقة " من التربـة المنسوبة اليها فينتفـع بها الناس ويتعالجون بهـــا مع الزيت ••• وهى تربـة غبر أو اذا ألقيت فى النار فاحت لها رائحـــه كريحة الكبريت • " نزهه المشتاق ص ١٠٦ • يذكر البكرى برقة بقولـــه : " وهى دايمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السايمه وتنمو على مراعيها واكثر ذبائح أهل مصر منها وهى كثيرة الثمـــار من الجـوز والاترج والسفرجـــل وأصناف الفواكـــه بما " المغرب فى ذكـــر البـــلاد افريقيـــة والمغرب ص ٥ •

وكان يجتمع فى سوق مدينة " برنيق " (١) وهى ميناء برقة مختلف البضائع المارة بالاقاليم فى طريقها من الشرق والغرب .

ومن أهم أسواق اقليم برقة أيضا أسواق مدينة " اجدابية " (٢) وكان يعرض بأسواقها الاكسية الصوفية التى اشتهرت بها لوفرة الثروة الحيوانية فيها ، كما كان يعرض بأسواقها منتجات المناطق المحيطة بها من التمور والفاكهة .

وقد اشتهر اقليم برقة (٣) بوفرة ثروته الزراعية وخاصة

---

(١) برفيق ميناء اقليم برقة يصفه اليعقوبى بقوله : وهى مدينة على ساحل البحر المالح ولها ميناء عجيب فى الاتقان والجودة تحوز فيه المراكب " .
اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٤ .

(٢) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٤ " اجرابية بين برقه وطرابلس قال ابوعبيد البكرى أجدابية مدينة كبيرة فى صحراء طيبه الماء بها بساتين لطاف وأسواق حافله وأهلها ذو يسار ولهم مرسى على البحر يعرف بالمادور " ياقوت : معجم البلدان حـ ١ ص ١٢١ ، البكرى : المغرب ص ٥ يذكرها بقوله " بها أسواق حافلة مقصوده وأهلها ذو يسار . "

(٣) برقه : يذكرها الاصطخرى بقوله انها " مدينة وسطه ليست بكبيرة وحواليها كور عامرة كبيرة وهى فى مستو من الارض خصبة " . المسالك والممالك ص ٣٣ ويذكر ياقوت أن " بها فواكه كثيرة وخيرات و اسعة مثل جوز ولوز واترج وسفرجل ... وهى صقيع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية واسم مدينتها انطابلس "
ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

شجر الزيتون [١] الذى كان يزرع فيه بكثره ، حتى أنه بلغ مقدار الخراج الذى كان يجبى منه فى أيام هارون الرشيد أربعة وعشرون ألف دينار . [٢]

كما اشتهرت أسواق برقة بانواع من الاكسية [٣] والثياب الصوفية ، لوفرة ثروة الاقليم الحيوانية ، وصف [٤] أبن حوقل ازدهار اسواق برقة بقوله : " برقة أول مبنوٍ ينزله القادم من مصر بها من التجار وكثره الفرباء فى كل وقت مالا ينقطع طلابها لما فيها من التجارة وعابرين عليها مغربين وشرقيين . " ويذكر من بين منتجاتها القطران والجلود والتمور التى ترد الى أسواقها [٥] .. من مدينة "أوجله "

---

(١) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٤ـ ٣٤٥ .

(٢) يذكر اليعقوبى أنه على كل ضيعة شئ معلوم سوى الاعشار والصدقات والجوالى ومبلغ الاعشار والصدقات والجوالى خمسة عشر ألف دينار ، ربما زاد وربما نقص ، والاعشار للمواضع التى لا زيتون بها ولا شجر " .

البلدان ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم ص ٢٣٩ ـ البكرى : المغرب ص ٤ ـ ٥

(٤) ابن حوقل : صورة الارض ص ٦٩ .

(٥) اوجله مدينة بالقرب من اجدابية من أعمال برقة ابن حوقل صورة الارض ص ٧٠ ويذكر انها ناحية ذات نخل عظيمة وغلات من التمر جسيمه ويذكرياقوت انها الى الجنوب من أجدابيه وانها " أكثر بلاد المغرب نخلا وأجوده تمرا . " معجم البلدان حـ ١ ص ١٢٢ ، الادريسى نزهة المشتاق ص ١٠٧ .

كما كان يعرض بأسواق مدينة برقه " بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من الشرق والواردة من الغرب .(١)

كما كانت أسواق " ودان "(٢) و " جالو " وهما من أعمال برقه عامرة بأنواع التمر(٣) ،واشتهرت " زويلة "(٤) بتصنيع الجلود التى تمد أهم الصناعات القائمة على الانتاج الحيوانى(٥) وزراعة انواع الحبوب وخاصة الذرة(٦) . كما اشتهرت بتجارة الرقيق فامتلأت اسواقها بعديد من العبيد .(٧)

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٦٩ ، الادريسى : صفة المغرب ص ١٣١ .

(٢) ودان بينها وبين سرت الى الجنوب منها خمس مراحل وبين زويلة عشرة أيام — من جهة افريقية " وهى مدينتان فيهما قبيلتان من العرب سهميون وحضرميون تسمى مدينة السهميين دلباك ومدينة الحضر مبين " بوصى " وجامعهما واحد بين الموضعين " ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٤٠٦ .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٥ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٠

(٤) يذكر اليعقوبى شهرة زويلة بالجلود التى عرفت بها فسميت الجلود الزويلية البلدان ص ٣٤٤ ويذكر ياقوت أن بين زويله وأجدابيه أربع عشرة مرحلة وأن بها " جامع وحمام وأسواق تجتمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم ." حـ ٤ صفحة ٤١٨ — ٤١٩ .

(٥) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٥ .

(٦) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٥ .

(٧) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٥ .

وكانت أسواق " لمطة " تشتهر بالدرق البيضاء التى عرفوا بها (١) وهى ترس من الجلود المتينة ٠

أسواق افريقية والمغرب :ـ

كانت أشهر أسواق افريقية والمغرب أسواق مدينة "القيروان" (٢) التى كانت تحيط بالمسجد الجامع كما كان الحال فى الفسطاط ٠ وكان موضع جامع القيروان يسمى " السماط الكبير " يقع فى قلب المدينة ، وخصص الطريق الرئيسى الذى يقع فيه لجميع المتاجر (٣) والصناعات ٠

وتخصصت بعض أسواق القيروان فى الاتجار بسلع معينة كما كان الحال فى الفسطاط ، فكان بها سوق الحواريين (٤) لصناعة

---

(١) ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٥٣ ، ابن منظور لسان العرب حـ ١١ ص ٣٨٤ ٠ ويذكر اليعقوبى لمطة بقوله : " وما يلى زويلة الى طريق اوجله واجوابية قوم يقال لهم لمطة أشبه شئ بالبربر وهم أصحاب الدرق اللمطية البيض ٠ " البلدان ص ٣٤٤ ، ياقوت حـ ٧ ص ٥٣

(٢) يذكر ابن خرداذبه القيروان بانها مدينة افريقية وهى فى وسط الغرب " المسالك ص ٣٨٧ ويذكر الاصطخرى انها " أجل مدينة بأرض الغرب خلا قرطبة " المسالك ص ٣٤ ويذكر اليعقوبى انها مدينة عظمى شربها من ماء المطر اذا كان الشتاء ووقعت الامطار والسيول دخل ماء المطر من الاودية الى برك عظام يقال لها المواجل فمنها شرب السقاء ولهم يسمى وادى السراويل فى قبلة المدينة يأتى فيه ماء مالح لانه فى سباخ الناس ٠٠٠ ومنازل بنى الاغلب على ميلين من مدينة القيروان فى قصور قد بنى عليها عدة حيطان لم تزل منازلهم حتى تحول ابراهيم بن احمد فنزل بموضع يقال له رقادة ٠ " اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٧ـ ٣٤٨ ٠

(٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٢٥

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ٠

وسوق التمارين لبيع التمر (١) وتخصص البعض الاخر منها فى أنواع من الحرف والصناعات مثل " سوق اللحاميين " و " سوق الرماحين " وسوق " منحاسين " وسوق " الحذائين " وسوق " الصباغين " وسوق الزجاجين (٢) الذى كان يعرض ما اشتهرت به القيروان من مصنوعات زجاجية . كما كان بالقيروان سوق يسمى " سوق الخميس " وآخر يسمى " سوق الاحد " (٣) ولعل هذا السوقان كانا من الاسواق الاسبوعية التى يخصص للتجارة فيها يوم واحد فى الاسبوع تعرف به .

واشتهرت أسواق القيروان بصناعة الالات الحديدية المستخدمة فى صناعة السفن والسيوف ، والتحف المعدنية من الذهب والفضة (٤)

وكانت هذه الاسواق تعرض منتجات القيروان والمدن المجاورة اذ كانت القيروان مركز التجارة المنطقة (٥) كلها فاشتهرت أسواقها بعرض أنواع من البسط والسجاد المصنوع من الصوف الجيد . كما اشتهرت أسواق مدينة " رقادة " (٦) التى وصف البكرى ماكانت

---

(١) المقدس : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥

(٢) المقدس : أحسن التقاسيم ص ٢٢٥ـ٢٢٦ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٤ .

(٤) البكرى المغرب ص ٢٥ G. Marcais : la Berberi P.80.

(٥) البكرى : المغرب ص ٢٥ ويصف الادريسى القيروان بقوله أنها ام امصار وقاعدة اقطار كانت أعظم مدن المغرب قطرا وأكثرها بشرا وايسرها أموالا وأربحها تجارة . " المغرب ص ١١١ "

(٦) تبعد مدينة رقادة ثمانية أميال جنوبى القيروان وصفها البكرى بقوله ان " أكثرها " بساتين وليس افريقية أعدل هواء ولا أرق نسيما " ولا اطيب تربة من مدينة رقادة اتخذها ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب دارا انتقل اليها من القصر القديم وبنى بها قصورا عديدة وجامعا وعمرت بالاسواق والحمامات والفنادق . " البكرى المغرب ص ٢٧ كما يذكر ما كان بقصور رقادة من تحف معدنية من الذهب والفضة .

تحفل به من منتجات البساتين التى تحيط بها ، والبضائع التى كانت ترد اليها من المناطق المجاورة لها حيث كثرت بها الفنادق لتتسع للتجار القادمين اليها ٠

وكانت اسواق مدينة " لبده "(١) الساحلية التى تبعد عن طرابلس بمرحلتين عامرة بصفوف الفاكهة كالخوخ والكمثرى وقد اشتهرت بانتاجها الجيد منهما الى جانب ما اشتهرت به من انواع الكحل (٢) وصنوف التجارة الواردة اليها والتى تحملها المراكب المارة بها من بلاد الروم وسائر أنحاء المغرب ٠

---

(١) لبدة : مدينة ساحلية تبعد عن طرابلس بمرحلتين ابن حوقل ٠ صورة الارض ص ٧١ ٠ يذكر ياقوت أنه يسكن بها قوم من العرب نحو ألف فارس يحاربون كل من حاربهم ولا يعطون طاعة لاحد كانت بها وقعة ابى العباس احمد بن طولون ٠ " ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٣١٨ ٠

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٠ ـ ٧١

كما كانت اسواق مدينة " سرت " (١) عامرة بأصناف التمور والفواكة والاعناب فضلا عن مادة " الشب " التى كانت تستخرج من الاراضى المجاورة لها وقد اشتهرت بانتاجها لنوع جيد منه فضلا عن صناعة الاكسية والبسط الصوفية لوفرة انتاجها من الاغنام (٢)

كما كانت أسواق طرابلس (٣) عامرة بمختلف المحاصيل التى تنتجها القرى المحيطة بها وخاصة الفواكه والتمور والعسل (٤)

---

(١) يذكر اليعقوبى سرت بقوله " ومن أجدابيه الى مدينة سرت على ساحل البحر المالح خمس مراحل ٠ " اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٤ يذكر ياقوت أنها " مدينة كبيرة على سيف البحر بها جامع وحمام وأسواق ولهم نخل وبساتين وآبار عذبه ٠ لا يبتاعون الا بسعر قد اتفق جميعهم عليه وربما نزل المركب بساحلهم بالزيت وهم أحوج الناس اليه يتعمدون الى الزقاق الفارغة فينفخونها ويوكونها ثم يصفونها فى حوانتيهم وافنيتهم ليروا أهل المركب ان الزيت عندهم كثير فلو أقام أهل المركب ماشاء الله ان يقيموا ما اتباعوا منهم الا على حكمهم " معجم : البلدان حـ ٥ ص ٦٢ ٠

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٠ ـ ٧١

(٣) طرابلس يذكر اليعقوبى : انها مدينة على ساحل البحر عامر آهلـه البلدان ص ٣٤٦ ، ابن خرداذبة : المسالك ص ٨٦ ويذكر ياقوت : " ٠٠٠ لها بساتين جليلة فى شرقيها وتتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير ٠٠٠ وبها أسواق حافلة جامعة وهى كثيرة الثمار والخيرات وداخل مدينتها بئر تعرف ببئر ابى الكنود ٠٠٠ واعذب آبارها بئر القبة ٠ " معجم البلدان : حـ ٦ ص ٣٤ ـ ٣٥ ويصفها البكرى بقوله : " ولها اسواق حافلة جامعة " المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ٧ ٠

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ ٠

كما اشتهرت مدينة " شروس" الواقعة فى وسط جبل نفوسه (١) بزراعة الكروم والاعناب الجيدة وانتاج الشعير الذى كانوا يعتمد عليه فى صناعة الخبز ويصفه ابن حوقل بقوله أنه " كان أطيب طعما من خبز الحنظه ... ولشعيرهم لذة ليس لخبز من أخباز الارض لانه ينفرد بلذه ليست فى خبز الا ماكان من سميذ أو حوارى قد تأنق صانعة فيه". (٢)

كما اشتهرت مدينة قابس (٣) بوفرة اشجارها وثمارها وكانت أسواقها عامرة (٤) بصفوف الفاكهة وخاصة التوت والاعناب

---

(١) جبل نفوسه " يذكر ياقوت أنه " جبل فى المغرب بعد افريقية عاليه نحو ثلاثة اميال فى أقل من ذلك وفيه منبران فى مدينتين — احداهما سرس فى وسط الجبل وبها خبز الشعير الذ من كل طعام والاخرى يقال لها جادو من ناحية نفسراوه ، بينه وبين طرابلس ثلاثة أيام وبين القيروان ستة أيام : معجم البلدان حـ ٨ ص ٣٠٥ .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٢ .

(٣) قابس " غربى طرابلس بينها وبين طرابلس ثمانية منازل ذات مياه جاريه وفنادق وجامع وحمامات كثيرة وقد أحاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون أمنع شئ وفيها جميع الثمار والموز وهى تمير القيروان : باصناف الفاكهة فيها شجر التوت كثير وحريرها أجود الحرير وأدقة " ياقوت حـ ٧ ص ٣٠٢ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ يصف البكرى أسواق قابس بقوله " بها أسواق وفنادق وجامع وحمامات وفيها جميع الثمار والموز بها كثير وهى تمير القيروان باصناف الفاكهة وبها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير مالا تقوم من خمس شجرات من غيرها وحريرها أطيب الحرير وارقه وليس فى عمل أفريقية حرير الا فى قابس . " البكرى : المغرب ص ١٧ .

والتفاح والموز وحب العزيز . وكان بها نوع جيد من الجرير لوفره اشجار التوت بها [١] . فضلا عن الصناعات الجلدية التى اشتهرت بجودتها لنعومة ملمسها وطيب رائحتها .

كما اشتهرت مدينة " سوسه [٢] " بوفرة غلاتها ومنتجاتها الزراعية حتى أنها كانت تمد " خزانة القيروان " [٣] ويصفها المقدسى بقوله أن بها " أسواق حسنة . وفنادق طيبه ... وضياع جمه ووجوه من الجباية عزيزة ، وغلات واسعة . " كما اشتهرت بصناعة [٤] الثياب الرقيقة ذات البياض [٥] التى عرفت بها فسميت الثياب السوسية .

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٢ ، القلقشندى . صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٠٤ .

(٢) يذكر ابن حوقل أن سوسة مدينة بين الجزيرة والمهدية طيبة رفهه خصبة على نحر البحر . " صورة الارض ص ٧٤ ويذكر ياقوت انها : مدينة صغيرة بنواحى افريقية بينها وبين سفاقس يومان أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة وماصنع فى غيرها فمشبه بها يكون ثمن الثوب منها فى بلدها عشر دنانير وبين سوسة والمهدية ثلاثة أيام " ياقوت حـ ٥ ص ١٧٣ .

(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم ص ٢٢٦ .

(٤) المقدسى : ص ٢٢٦

(٥) البكرى : المغرب ص ٣٤ ، يذكر ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١٨٧ .

كما اشتهرت اسواق مدينة تونس(١) بالزيت المستخرج من الزيتون والذى كان ينتج بكميات كبيرة فضلا عن غلاتها من القطن والقنب والكراويا والعصفر والحبوب التى تزرع فى المناطق المجاورة لها ، كما تميزت تونس بوفرة منتجاتها الحيوانية وخاصة(٢) السمن . وكان بسوقها انواع جيدة من الخزف وأدوات المائدة التى أشتهرت تونس بصناعتها حيث يصفها ابن حوقل بقوله ان بها " غضار حسن الصباغ(٣)

كذلك كان سوق مدينة " سفاقس " (٤) يعرض لانتاج المدينة والقرى المحيطة بها من الزيتون والزيت المستخرج منه الذى يصفه ابن حوقل بأنه " ليس بغيرها مثله " (٥) حتى أن سعر الزيتون بها بلغ من وفرته ورخص سعره أنه كان يباع ستون وسبعون

---

(١) يذكر ياقوت أن تونس " مدينة كبيرة محدثة بافريقية على ساحل بحر الروم عمرت من انقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة بينها وبين سفاقس ثلاثة أيام ومائة ميل بينها وبين القيروان وليس بها ماء جار شربهم من آبار ولها غلة فائضة " حـ ٢ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

(٢) ابن حوقل : صورة الاض ص ٧٥ .

(٣) ابن حوقل ص ٧٣ ـ ٧٥

(٤) سفاقس ،يذكر ابن حوقل أنها ناحية على نحر البحر ص ٧٣ .

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٣ .

قفيزا بدينار .(١)

وتميزت مدينة قفصة(٢) بكثرة ثمارها وفاكهتها وخاصة الكروم والفستق التى اختصت بزراعته ، كما اشتهرت بنوع من الجلود يسمى "الاردى" تصنع منه نعال تتميز بليونتها(٣) ونجد سوق مدينة قسطيلية(٤) قد تخصص بعرض منتجاتها من التمور والزيتون ، وتميزت برخص سعر التمر بها لوفرته حتى كان الحمل يباع بدرهمين(٥) ويصفها ابن حوقل بقوله أنها : " مغوثة افريقية بثمورها(٦) ، كما اشتهرت بالملابس الصوفية

---

(١) القفيز ست عشرة ويبة . القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٢٧ ! ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٧ ، ٧٣ ، اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٩ .

(٢) يذكر اليعقوبى أن قفصة مدينة خصبة عليها سور من الحجارة . البلدان ص ٣٤٩ وأن بينها وبين القيروان ثلاثة أيام ... وهى أكثر بلاد افريقية فستقا ومنه يحمل الى جميع نواحى افريقية والاندلس وسجلماسة وتمير القيروان بأنواع الفواكه ." ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ١٣٨ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٠٧

(٤) يذكر ياقوت عن قسطيلية أنها تشتمل على عدة مدن هى توزر والحمه ونقطه وتوزر هى أمها وهى أكثر بلاد افريقية تمرا يخرج منها فى أكثر الايام ألف بعير موقرة تمرا ... لا يعلم فى بلاد مثل أترنجها جلالا وحلاوة وجباية قسطيلية مائتا ألف دينار ." ياقوت حـ ٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٣٠ .

(٦) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩١ .

ونوع من الابسطة يسمى الحنبل مما كان يجتذب التجار اليها فيأتوها من كل مكان .(١)

كما اشتهرت المنطقة الواقعة الى الجنوب من القيروان والتى تسمى " الساحل " بكثرة انتاجها من الزيتون والاعناب حتى ان اليعقوبى (٢) يصفها بقوله انها : بحر كثير السواد من الزيتون والشجر والكروم وهى قرى متصلة بعضها ببعض" .

كما كان لاقليم الزاب(٣) ومدنه شهرة فى وفره انتاج الثمار والفاكهة فكان سوق مدينة(٤) " ميلة " الساحلية يعمر بمنتجاتها من الفاكهة والثمار ويذكر ابن حوقل (٥) أن " لها كروما

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٢ .

(٢) يذكر اليعقوبى : أنه " مما يلى القبلة من القيروان بلد يقال له الساحل ليس بساحل . " البلدان ص ٣٥٠ .

(٣) اقليم الزاب يذكر ياقوت أنه " كورة عظيمة ونهر جرار على البهو الاعظم بارض المغرب عليه بلاد واسعة وقرى بين تلمسان وسجلماسه والنهر متسلط عليه . معجم البلدان حـ ٤ ص ٣٦٠ .

(٤) مدينة ميلة .يذكر اليعقوبى أنها " عامرة محصنة ... سواحل البحر تقترب منها " ولها به عدة مراسى . اليعقوبى : البلدان ص ٣٥١ . ويذكر ياقوت أن بينها وبين بجاية ثلاثة أيام غير المزروع وهى قليلة الماء . معجم البلدان حـ ٨ ص ٢٢٦ .

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٥ .

وأجنه تزيد على كفايتهم وحاجتهم وبها من السفرجل المعنق مايحمل الى القيروان • (١)

وكان سوق " مدينة طبنة " (٢) عاصمة اقليم الزاب عامرا بصنوف انتاج الاقليم الزراعية من القطن والحنطة والشعير والكتان والفواكه والكروم • فضلا عن الاغنام التى تميز بها الاقليم لجودة مراعيه (٣) •

كما يذكر ابن حوقل أسواق مدينة " باغاية " (٤) التى كانت تقع بين احيائها — داخل السور الذى يحيط المدينة (٥)

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٥

(٢) طبنة : يذكر اليعقوبى أنها " مدينة الزاب العظمى ينزلها الولاة " البلدان ص ٣٥ ويذكر ابن حوقل انها مدينة قديمة عظيمة كثيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير صورة الارض ص ٨٤ •

(٣) ابن حوقل صورة الارض ص ٨٤ •

(٤) باغاية : يذكر اليعقوبى أنها مدينة قديمة حولها جبل قوم من البربر بجبل أوراس الذى يقع عليه الثلج " البلدان ص ٣٥٠ •

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٤ •

وكانت الفاكهة أهم منتجاتهـــــا ."

وتميزت مدينة " نقاوس (٢) " بكثـــرة الثمـــار والفاكهـــة ويذكـــر المقدسى انها " بلد الجوز والثمار الجبليـــة . (٣)

واشتهرت فى المنطقـــة الواقعة غربـــى اقليم الزاب بانتاجها الزراعـــى المتنوع ، ووفـــرة ثروتها الحيوانيـــة . (٤)

وكان لموقـــع " طبرقـــة " على الساحـــل فى مواجهـــة الاندلـــس أثرة فى أنتعاش اسواقها " لكثرة (٥) ورود المراكـــب بالاندلسيين والتجـــار عليها ونزولهم فيها . " فكانت محطـــة تجارية هامة تجتمع فيها منتجـــات المغرب والاندلـــس . كمـــا اشتهرت (٦) كما اشتهرت باستخراج المرجان من البحر ويذكر الاصطخـــرى أنـــه " لايعـــرف فى الارض معـــدن ..

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٤

(٢) نقاوس : يذكر اليعقوبى انها " كثيرة العمارة والشجـــر والثمـــر حواليها البربر من بطون زناته وحولهم قوم يقال لهم أوربه " البلدان ص ٣٥١ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٣٠ .

(٤) يذكر اليعقوبى انه اذا خرج الخارج من عمل الزاب معربـــا الى مدن ... سكانها صنهاجة وزواوة يعرفون بالبرانس وهم أصحاب عمارة وزروع وضـــرع ومواشى ." البلدان ص ٣٥٢ .

(٥) طبرقة يذكر الاصطخرى أنها مدينة صغيرة بها عقارب قاتلة وبهـــا فى البحر المعدن المرجان ." المسالك والممالـــك ص ٣٤ .

(٦) ابن حوقـــل : صورة الارض ص ٧٦ .

للمرجان الا بها (١) " غير أن المقدسى يذكر شهرة قرية " مرسى الخرز " (٢) بالمرجان ويصف طريقة استخراجة من البحر ويذكر أنه كان هناك " سماسرة " يقومون بدور الوسطاء لتسويق المرجان بعد شرائه من الصيادين (٣) ، وجليه فى أسواق خاصة . حيث يعرض للبيع . كما كانت تشتهر كذلك باصناف السمك الذى يصفه ابن حوقل " أنه لم ير ببلد مثله . " .

وكانت أسواق مدينة " بونه " (٤) الساحلية عامرة بمختلف منتجات القرى المحيطة بونه الفواكه والكروم ، والقمح والشمير والكتان كما كان يستخرج الحديد والفضه والنحاس من الصحرا ،

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٣٤

(٢) مرسى الخرز يذكر ياقوت " أنه موضع معمور على ساحل افريقية بينه وبين بونة ثلاثة أيام منه يستخرج المرجان . " ياقوت حـ ٨ ص ٢٤ .

(٣) يذكر المقدسى كيفية جمعه من البحر فيقول انهم " يخرجون فى قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شئ من الكتان المحلول وربطوا فى كل صليب حبلين يأخذها رجلان فيرميان بالصليب ويدير النواتى القارب فتعلق بالقرن ثم يجذبونه فمنهم من يخرج عشرة آلاف الى عشرة دراهم ثم يجلى فى أسواق لهم ويباع جزافا رخيصا ولا اشراق له قبل جليه ولا لون وكانت تخرج أكثر من خمسين قاربا لاثارة المرجان . "
المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٣٩ ، ٢٢٦ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٦ ــ ٧٧ .

(٤) بونة قرية بين مرسى الخرز وجزيرة بنى مزغناى كثيرة الرخص والفواكه والبساتين واكثر فاكهتها من باديتها وبها معدن حديد وهى على البحر ياقوت : معجم البلدان : حـ ٢ ص ٣٠٩ ــ ٣١٠

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٠٦

المتاخمة لها (١) . كما عمرت أسواقها بتجارة الغنم والماشية وخاصة البقر ، واشتهرت بانتاج الصوف وتصنيعه (٢) . ويصف ابن حوقل أسواقها بقوله " لها تجارة مقصودة وأسواق حسنة وأرباح متوسطة وفيها خصب ورخص موصوف . " (٣)

وكانت بلدة " شقيرة " (٤) المجاورة لها تشتهر بأسواق الفاكهة والحبوب ، وكثرة عدد المواشي ووفرة البانها " مما يفرق غيرهم ممن يجاورهم . " (٥) كما اشتهرت بنوع من التين تميز بكبر حجمه وحلاوة (٦) مذاقة فكانت ترسل كميات كبيرة منه الى القيروان .

---

(١) الادريسي : صفة المغرب ص ١١٦ ، ١١٧

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٢٦

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٧

(٤) شقيرة : تقع الى الجوار من مدينة بونة ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٧ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٧

(٦) المقدسي : أحسن التقاصيم ص ٧٧ .

واشتهرت كذلك أسواق مدينة تاهرت بمنتجات المدينة ومايرد اليها من القرى الممتدة على جانبى نهرا شلف الذى يمتد الى الشمال من المدينة • وكانت بالمدينة أسواق مخصصة لانواع معينة من السلع كسوق الاقمشة وسوق الاسلحة وسوق الصاغة (١) • كما اشتهرت اسواقها بعرض انواع الانتاج الزراعى للمنطقة من الكتان والسمسم والعصفر والحبوب فضلا عن العسل ومنتجات الحيوان اذا اشتهرت بتربية اعداد كبيرة من الماشية • (٢) ويصف المقدسى ازدهار تاهرت بقوله : " غلبت بها البساتين ونبعت حولها الاعين وجل بها الاقليم " • فكانت تسمى عراق المغرب • وقد كان من أثر الازدهار الحياة الاقتصادية

---

(١) يذكر اليعقوبى : أن تاهرت " مدينة جليلة عظيمة " البلدان ص ٣٥٣ ،ويصفها المقدسى بقوله " هى بلخ المغرب قد احدق بها الانهار والتفت بها الاشجار وغابت فى البساتين ونبعت حولها الاعين وجل بها الاقليم وانتعش فيها الغريب : أحسن التقاسيم ص ٢٢٨ ،ويذكر الاصطخرى أنها مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه " المسالك والممالك ص ٣٤ • ووصفها ابن حوقل بقوله " وتاهرت مدينتان كبيرتان احداهما قديمة والاخرى محدثة ، والقديمة ذات سور وهى على جبل ليس بالعالى ، وفيهما كثير من الناس والمحدثة مدينة أيضا فيها جامع كتاهرت القديمة والتجار والتجارة فى المحدثة أكثر وهى أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفارهة ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات • " المسالك والممالك ص ٨٥ ــ ٨٦•

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٦

فى عهـد الرستميين ان غصت بوفود التجـار المسلمين فيذكر أبن الصغير (١) : " استعملت السبـل الى بلاد السودان والى جميـع البلدان من مشـرق ومغرب بالتجـارة وضروب الامتعـة " ويصـف ازدهـار المدينة وأسواقهـا بقولـه أن بهـا " أسواق مزدحمـة وبساتين متنوعة ومطاحن منتصبه علـى الانهـار جاريـة ، أتخـذ اهلها الفرش والستائر المزخرفة والخيـل المسومـة وتنوعت الالبسـه ." (٢) ولعـل اشارته هنا الى تنوع الالبسه تبين وجـود عديد من التجـار الذين اختلفوا الى المدينة من العـراق وفارس وغيرها وكان لبعضهم أسواقـا خاصـة فى المدينة . (٣)

وانتعشت التجـارة بين تاهرت وأسـواق افريقيـة والمغـرب

---

(١) ابن الصغير : سيرة الائمـة الرستميين ص ٢٧ .

(٢) ابن الصغير : سيرة الائمـة الرستميين ص ١٣ .

(٣) ابن الصغير : سيره الائمة الرستميين ص ١٣

ويصف الادريسى أسواق تاهرت بقوله : بها تجارات وبضائـع وأسواق عامـرة . وبها مزارع وضياع جمة وبها من نتاج الخيـل والبراذين كل حسـن وأما البقر والغنم فكثير بها جدا وكذا السمـن والعسـل وسائر غلاتها . مباركـة ... ولهـم على هـذه المياه بساتين وأشجـار تحمل ضروبـا من الفاكهـة الحسنـة وبالجملـة فهى بقعـة حسنة . "

الادريسى : نزهـة المشتاق ص ٨٧ .

فعمرت اسواقها بمختلف السلع والتجارات والصناعات والتحف المعدنية والقوارير الزجاجية وأنواع الخزف المختلفة وأنواع العطور (١) فضلا عن منتجاتها الزراعية من الفاكهة وخاصة السفرجل " الذى ليس له نظير ." (٢)

كما كان سوق مدينة " تنس " عامرا بمنتجات المدينة والمناطق المحيطة بها . وكان لموقعها فى مواجهة شاطئ الاندلس أثره فى أن يقصدها أهل الاندلس بمراكبهم وتجارتهم " وينهضون منها الى ماسواها .

وكان أهم ماشتهرت به من الفواكة السفرجل المعنق الذى كان يتميز بجودته (٣) كما كان يعرض بأسواقها العاج والعطور وريش

---

(١) البارونى : الازهار الرياضية ص ٨٨ ، ٨٩ ، ١٣٧ .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١١١ .

(٣) يذكر ابن حوقل أن تنس مدينة عليها سور ولها أبواب عده وهى من البحر على نحو ميلين على واد كثير الماء وشربهم منه ." صورة الارض ص ٧٨ يذكر ياقوت " أن بينها وبين البحر ميلان وهى آخر افريقيه مما يلى المغرب بينها وبين وهران ثمانية مراحل والى مليانة فى ... فى الجنوب اربعة ايام والى تاهرت خمس مراحل أو ست .. وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة وسكنها فريقان من اهل الاندلس وكان بعضهم يشتون هناك اذا سافروا من الاندلس فى مرسى على ساحل البحر فيجتمع اليهم بربر ذلك القطر ويرغبونهم فى الانتقال الى تنس ويسألونهم ان يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ووعدوهم بالعون والمساعدة فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا اليها .. ولم يزل فى تنس يتزايدون ... ثروة وعددا ." ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٤١٤ ــ ٤١٥

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٨ ، الاصطخرى : المسالك والممالك والممالك ص ٣٤

النعـــام الذى كان يرد اليها من السودان وغانـة ٠

كما اشتهرت المنطقـة الممتـدة من " تنسى " الى مدينـة " وهران " بانتاج القمح والشعير وتربيـة المواشى وخاصة من بلـده تسمى " قصـر الفلوس " (١) كانت تنتج معظم احتياجـات المنطقـة من الغلال والمزروعـات والمواشـى ٠

ونجد أسواق مدينة " وهران " حافلـة بانواع منتجاتها من الفاكهة والغلال (٢) اذ كانت تمد " فرضـة الاندلس " اليها ترد السلع ومنهـا يحملون الغـلال ٠ (٣)

كما اشتهرت مدينة " واسلـن " (٤) المجاورة لوهران ببساتينها وكانت اسواقها عامرة ابالمنتجات الحيوانية والمواشى اذ كانت معظم ثـروة اهلها من تجارة الماشية التى ترعى فى المراعى المحيطة بها ، كما اشتهرت بانتاج أنواع من البسـط الصوفيـة ٠ (٥)

---

(١) يذكر ابن حوقل قصر الفلوس بقوله : " ومنها (أى من مدينة تنسـى الى وهران مراسى لا مدن كمرسى عطا وليس به أحد يسكنه وقصـر الفلوس وان كانت مدينة محدثة فلها سور وهي لطيفة جدا وسورهـا من تراب وماؤها من عين جارية وبها غلاتهم من القمح والشعير والمواشى ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٨ـ٧٩ ٠

(٢) وهران يصفها ابن حوقل بقوله انها " فرضـة الاندلس اليها ترد ـ السلع ومنها يحملون الغلال " ٠ صورة الارض ٧٩ ٠ يذكر المقـدسى انها " بحرية مسورة يقلعون منها الى الاندلس فى يوم وليلة ٠" أحسـن التقاسيم ص ٢٢٩ ٠

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٨ ـ ٧٩ ٠

(٤) ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٩ ٠

(٤) واسلن متاخمة لمدينة وهران ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٩ لم يذكرها ياقوت ٠

(٥) ابن حوقل : صـورة الارض ص ٧٩ ٠

كما وكانت أسواق مدينة " جزائـر مزغنا " (١) عامرة بالمنتجـــات الحيوانيـة المختلفـة لوفـرة الاغنام والماشيـة التى اشتهروا بتربيتها فـى الجبـال المحيطة بالمدينة وكانت تصدر الكثير منها الى القيروان (٢) كمـا اشتهرت بصناعة السكـر (٣) ... كما كان بمدينة فاس أسواق عامـــرة وصفها ابن حوقـل بقولـه : " وجميع مابها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات والخانات فزائـد على سائر ماقرب منها وبعد وظاهـر بكثرتـه . (٤)

كما اشتهرت أسواق مدينة فاس بانواع الحبوب والغلات التى كانـت تجلـب من اقليم طنجـة خاصة القمح (٥) والشعير وانواع المزروعات ، فكـان على الجانب الغربى من نهر فاس " ثلاثة آلاف رحا تطحن للمدينـــة (٦)

---

(١) يذكر الاصطخرى مدى عمارتها وازدهارها بقوله : " وجزيرة مزغنا مدينة عامرة وهى من الخصب والسعة على غاية ماتكون المدن . " المسالـك ص ٣٤ .

(٢) ابن حوقل : ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ١٧٦ .

(٤) يذكر الاصطخرى ان فاس عاصمة اقليم طنجة الذى يصفه بقوله : "طنجه كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبواد ومدينتها فاس : المسالك والممالـك ص ٣٤ ويذكر اليعقوبى انه " يدخل الى المدينة العظمى التى يقـال لها فاس وهى مدينة جليلة كثيرة العمارة والمنازل ومن الجانب الغربـى من نهر فاس وهو نهر يقال أنه اعظم من جميع انهار الارض عليه ثلاثـة آلاف رحى تطحن . " اليعقوبى : البلدان ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٠ .

(٦) اليعقوبى : البلدان ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

كما تميزت بمصنوعاتها الخشبية والنحاسية اذا اشتهر اهلها " بحسن الصنعة في المخروطات من الخشب والنحاس . (١)

وكانت أسواق مدينة " بصرة " (٢) المحاذية لجزيرة جبل طارق عامرة بالمنتجات الزراعية من حبوب وفاكهة ويذكر ابن حوقل أنها " حسنة الاسواق . (٣)

كما عمرت أسواق سجلماسة (٤) بالمنتجات الزراعية وخاصة الذرة والدخن والتمور والاعناب وأنواع الزبيب ويذكر ابن حوقل أن الزراعة بها كانت تمتمد على ماء نهرهم " الذى يزيد كزيادة النيل فى مصر فيزرع بمائة حسب زروع (٥) مصر . "

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٥٧ .

(٢) يذكر الاصطخرى أن مدينة بصرة مدينة كبيرة واسعة خصبة المسالك والممالك ص ٣٤ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨١ .

(٤) يصفها الاصطخرى بانها مدينة وسطه من حد تاهرت وهى قريبة من معدن الذهب . " المسالك والممالك ص ٣٤ .

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩ ويذكر أنه " ربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ماراع من زرعه وتواترت السنون بالمياه فكلما أغدقت تلك الارض سنة فى عقب الاخرى حصدوه الى سبع سنين . " وقد أوضح ذلك البكرى بقوله أن " سجلماسة شديدة الحرارة وكانت الحرارة تشقق الارض فاذا يبس الزرع تتاثر حبه عند الحصاد فتتساقط فى الشقوق فاذا كان العام الثانى حرث بلا زرع وكذلك فى العالم الثالث . " البكرى : المغرب ص ١٨٤ ، القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٦٤ .

واشتهرت اسواقها بنوع من الحبوب يمتاز بلذة طعمه فهو " وسط بين القمح والشعير " وكان بها اكبر سوق للتمور فى المغرب كما تميزت بنوع من الرطب اخضر ذا حلاوة خاصة " (١) .

كما اشتهرت بانتاج انواع من الملابس الصوفية كانت نساء المدينة تقوم بحياكتها ، بلغت من الجودة والاتقان حتى قيل أنها " كانت تفوق مايصنع فى مصر من القصب . " (٢)

كما عرفت الاسواق انواع المصنوعات الذهبية والفضية خاصة فى عهد بنى مدرار الذين اهتموا باستخراج معدنى الذهب والفضة من منطقة الصحراء المحيطة بسجلماسة فى درعة (٣) وتامدلت (٤) .

كما اشتهرت مدينة " اغمات " (٥) فى السوس الاقصى بوفرة انتاجها الزراعى لخصوبة الاراضى المحيطة بها ويصفها ابن حوقل بقوله

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٠

(٢) البكرى : المغرب ص ١٤٨ ويذكر ان هذه الملابس كانت تحاك على شكل أزر يبلغ ثمن الواحد منها لجودته خمسة وثلاثون دينارا .

(٣) الاستبصار ج ٢ ص ٢٠٢ ، السلاوى : الاستقصا ج ١ ص ١١٢ ..

(٤) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٥٩ " ومن مدينة سجلماسة قرى تعرف ببنى درعة وفيها مدينة ليست بالكبيرة " تامدلت عليها حصن كان منها عبد الله بن ادريس وحولها معان ذهب وفضة يوجد كالبنات .

(٥) يذكر اليعقوبى أنه من السوس الى بلد يقال له اغمات وهو بلد خصيب فيه مراعى ومزارع فى سهل وجبل . " .

اليعقوبى : البلدان ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

" ليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر واغرز واكثر خيرا منها ." (١) وكانت اسواقها تعرض كثيرا مما اشتهرت بانتاجه من المنتجات الزراعية واهمها قصب السكر والجوز واللوز والسمسم والقنب وأنواع البقول . (٢)

وذخرت أسواق مدينة " سبته " (٣) بأنواع المزروعات من الكتان والفاكهة والبقول وقصب السكر (٤) الذى كان يصدر الى المدن المجاورة لها . كما اشتهرت بنوع من السمك يسمى (٥) التين " كان يباع مجففا . وكان يستخرج من البحر عندها مرجان جيد .

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٠

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ض ٩٠ .

(٣) سبته يصف ياقوت مرساها بقوله " ومرساها " أجود مرس على البحر وهى بر البربر تقابل جزيرة الاندلس على طرف الزقاق الذى هو أقرب مابين البر والجزيرة ... ضاربة فى البحر داخله كدخول كف على زند .." .
ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٢٦ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٥٨ .

(٥) يصف الادريسى كيفية صيده باستخدام انواع من الرماح ذات اجنحه بارزه نزهه المشتاق ص ١٦٨ .

وعرت مدينة " المهدية " التى أسست فى أوائل القرن الرابع الهجرى بالاسواق التى أقيمت بين احيائها المختلفة (١) والتى بلغت من ازدهارها وتمول تجارها أن خشى أوعبيد الله المهدى أن يقيم هؤلاء التجار بالمدينة فأنشأ لهم مدينة خاصة أسكنهم وعائلاتهم بها سماها " زويله " وعلل ذلك بقوله (٢) " انما فعلت ذلك لامن عائلتهم لان اموالهم عندى وأهاليهم هناك فان أرادونى بكيد وهم بزويله كانت أموالهم عندى فلا يمكنهم ذلك ، وأن أرادونى بكيد وهم بالمهدية خافوا على حرمهم هناك . " .

---

(١) البكرى : ص ٢٩ ـ ٣٠

ويذكر ابن حوقل المهدية بقوله : " والمهدية مدينة صغيرة ... استحدثها لمنها المهدى القائم بامر المغرب وسماها بهذا الاسم وهى فى بحر البحر وتحول اليها من رقادة القيروان فى سنة ثمان وثلاثمائة وهى من القيروان فى مرحلتين فرضة لما والاها من البلاد الكثيرة التجارة " . ابن حوقل صورة الارض ص ٧٣ .

(٢) البكرى : المغرب : ص ٢٩ ـ ٣٠ ـ ويذكر أبن حوقل أنها " حسنة الخانات رفيهة الفواكه والغلات طيبه الداخل نزهة الخارج ... ... وهى من القيروان فى مرحلتين ، فرضة كما والاها من البلاد كثيرة التجارة حسنة العمارة . "

ابن حوقل صورة الارض ص ٧٣ .

واشتهرت بصناعة المنسوجات القطنية والكتامية ويصف القلقشندى هذه الصناعة بقوله " ويعمل بها القماش الافريقى وهو ثياب رفاع من القطن والكتان معا ومن الكتان وحده ومنه جل كساوى اهل المغرب . (١)

x x x

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى : جـ ٥ ص ١٠٢

تلك كانت أهم منتجات الاسواق المغربية ونوضح فيما يلى نظم تلك الاسواق .

نظم الاسواق فى المغرب :ـ

عرفت اسواق المغرب نظام التخصص فى الاتجار بسلع معينة كما كان الحال فى مصر ... ففى أسواق القيروان وجدنا أسواق خاصة لبيع الخبز سمى " سوق الحواريين " وسوق التمارين لبيع التمر [١] . كما أفردت أسواق خاصة لاصحاب الحرف والصناعات " كسوق الحذائيين " الخاص بصناعة الاحذية من الجلود التى اشتهرت بلاد المغرب بانتاجها لوفرة الثروة الحيوانية بها . و " سوق الصباغين [٢] " و " سوق النحاسين " وفى تاهرت كذلك كان هناك سوق الاقمشة " و " سوق الاسلحة " و " سوق الصاغة " [٣] وغيرها . كما كان هناك نوعا من الاسواق يسمى باسم اليوم الذى يخصص للتجارة فيه كسوق الخميس و " سوق الاحد فى القيروان .

---

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٤ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٥ ـ ٨٦

المقدسى: أحسن التقاسيم ص ٢٢٨ .

(٤) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٤ .

كما عرف هذا النوع من الاسواق فى تونس أيضا . (١)

وكان موقع الاسواق عادة بين الاحياء العامرة بالسكان وكان اكثرها ازدهارا القريب من المسجد الجامع حيث تكثر حركة البيع والشراء . فكانت أسواق القيروان تحيط بالمسجد الجامع كما كان الحال فى الفسطاط ، فكان الطريق الرئيسى الذى يقع فيه المسجد الجامع مقر الاسواق . (٢)

وكانت أسواق مدينة " باغاية " (٣) تقع بين أحيائها داخل السور الذى يحيط بالمدينة .

ويمكننا أن نستنتج مما ذكره المقدسى أن معظم هذه

---

(١) يذكر ياقوت من بين أسواق تونس سوق الاحد . ياقوت معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٣٢ ــ ٤٣٣ .

(٢) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٤٦٥ ، البكرى : المغرب ص ٢٥ .
الاصفهانى : الاغانى جـ ٧ ص ١٠٨ .
اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٧ ــ ٣٤٨ .
ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٨٧

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٤ .

ـــ•ـــ

الاسواق كانت تشتمل على محلات وحوانيت مبنية بالحجارة • ويذكر عادة طريقة كانت تتبع فى أسواق مدينة فاس اذ كانوا " يرشون الاسواق بالماء لترطيبها فيقول : " وفى كل يوم من أيام الصيف يرسل فى أسواقها من كنهرها الماء فيغسلها فتبرد الحجارة • (١)

والى جانب الاسواق كانت هناك القيساريات ففى مدينة " العاليه " التى أسسها ادريس الثانى قبالة مدينة فاس أقيمت بجوار المسجد الجامع • الذى سمى بالشرفاء — قيسارية كبيرة كانت عامرة بصنوف البضائع والصناعات • (٢)

---

(١) المقدس : أحسن التقاسيم ص ٢٢٩ •

(٢) اسس ادريس به ادريس مدينة فى غربى مدينة فاس التى أسسها ادريس بن عبد الله سماها العالية ويذكر اليعقوبى انها سميت افريقية وسميت بعد ذلك مدينة القرويين اى القيراوانيين وحين وفد اهل قرطبه الى المغرب الاقصى لاجئين الى دولة الادراسه انزلهم ادريس فى مدينة أبيه وانشأوا بها مدينتهم التى سميت بمدينة الاندلسيين وأصبح اسم فاس يطلق على المدينتين معا • "

ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص ٢٧ — ٢٨ ويذكر ابن ابى ذرع : روض القرطاس أن الادارسة أسسوا فى عدوة القرويين مسجدا وقيساريه ص ١٩ — ٢٠ ويذكر الجزنائى : زهرة الاس ص ١٤ ان الامام ادريس قد أمر الناس ببناء الدور والغرس فعمرت المدينة وأنشئت الاسواق تبعا لذلك • ويذكر ابن عذارى " فكان انقضاء مدينة فاس سنة ١٩٣ وذلك عدوة القرويين " البيان المغرب حـ ١ ص ٢٩٩ •

وكان يعين على كل سوق مسئول عن استيفاء الضرائب على أصحاب التجارات ، وحصر البضائع القادمة من خارج المدينة واستيفاء الضرائب عليها ، وقيد ذلك في سجلات خاصة تقدم الى عامل المدينة الذى كان يراعى الدقة بما جاء في السجلات للتأكد من استيفاء الضرائب عليها . (١)

وهكذا كانت مراقبة الاسواق في المغرب وهي لا تختلف كثيرا عن مهمة عامل السوق (٢) في مصر التى أشرنا اليهما .

---

(١) يذكر ابن حوقل أن عامل أطرابلس كان يعين مسئولين لتحصيل الضرائب على التجارة الواردة الى المدينة والمعروضة في الاسواق ويذكر أن عامل مدينة سرت كان يتولى جمع الضرائب المفروضة على القوافل التى تجتاز المدينة فيقول :

" واليه جميع مجارى أمر البلد والنظر فيه وفيما ورد اليه وصدر في استيفاء ضرائبه ولوازمه واعتبار السجلات والمناشير بمواجب ماعلى الامتعة وتصفحها خوف الحيلة الواقعة دون الاداء عنه بافريقية " .

ابن حوقل : صورة الارض ص ٧٠ـ٧١ .

(٢) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٤٦٥ .

الاصفهانى : الاغانى جـ ٧ص ١٠٨ .

وكان الرطل [١] هو وحدة الوزن فى أفريقية وبلاد المغرب ، كما كان فى مصر ، الا أنه كان فى بلاد المغرب يعادل ست عشرة أوقية ، وأوقيته احدى وعشرون فيما عدا مدينة تونس [٢] فقد كان الرطل المستخدم بها كالرطل المستخدم فى مصر فكان اثنا عشر أوقية وأوقيته اثنا عشر درهما [٣].

اما وحدة الكيل فى بلاد المغرب فهى " القفيز " وهو ست عشرة ويبة ، و " الوسق " أو " الصحفة " وهو ستون صاعا .

تلك كانت أهم الاسواق والمراكز التجارية فى مصر وبلاد المغرب وما اشتملت عليه من معروضات زراعية وصناعية ، وما اتبع فيها من نظم ونوضح بعد ذلك طرق التجارة ومسالكها بين مصر وبلاد المغرب .

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٧٧

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٤٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٥ .

(٤) الويبة : اثنا عشر مدا بالمد النبوى المعروف منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والوسق أو الصحفة تعادل ستون صاعا من الصاع المستخدم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٧٧ .

-•-

الفصل الثانى

طرق التجارة ومسالكها

ارتبطت مصر والمغرب بطرق برية وبحرية لنقل التجارة بينهما • كما كانت مصر طريقا هاما لتجارة المغرب الواردة من الشرق وكان المغرب طريقا للتجارة القادمة من المغرب • فضلا عن دورهما فى نقل التجارة العالمية بين الشرق والمغرب • وسنتحدث أولا عن الطرق البرية ثم نتبعها بالطرق البحرية •

أ ـ الطرق البرية :ـ

كان يخرج من مصر الى المغرب طريقان [١] رئيسيان الاول يبدأ من الفسطاط ويتجه غربا الى برقة دون أن يمر بالاسكندرية [٢] • ثم الى باقى مدن افريقية •

والثانى يبدأ من الاسكندرية [٣] ثم الى برقة يتحد الطريقان فى طريق واحد يتجه الى باقى مدن المغرب • [٤]

---

(١) Heyd: Histoire du Commerce Vol I.P. 125

• الادريسى : صفة المغرب ص ١٣٢ •

(٢) الادريسى : صفة المغرب ص ١٣٢ •

(٣) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ص ٢٢٢ •

ابن خرداذبة : المسالك ص ٨٩ •

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٦ ، ٨٧

علاوة عن طريــق ثالث يمر عبر الواحــات الداخلة ويتجه الى سجلماسة (١)

وكانت الطرق البريــة هى أكثر الطرق استخداما خلال القرن الاولــ الهجرى ، فقد أرغمت الاساطيــل البيزنطيــة المرابطــة (٢) فى صقليــة وقبرص ، و " مالطــة " ، و " قوصره " تجار مصر والمغرب على اتباع الطرق البريــة وتجنب الطرق البحرية فى كثير من (٣) الاحيان .

وقد اتخذت التجــارة القادمــة من الشرق طريقها الى الفسطاط ثــم " برقــة " مارة " بذات (٤) السلاســل " ثم الى ترنوط حيث تلتقــى بالطريق القادم من الاسكندرية عند " ذات (٥) الحمام " فيمتد الطريــق

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٢

(٢) ارشيبلد لويس : القوى البحريــة ص ١٧٧ .

(٣) أرشيبلــد لويس : القوى البحرية ص ١٧٧ .

(٤) يذكر ابن خرداذبة ان من الفسطاط الى ذات السلاسل أربعة وعشــرون ميلا ومنها الى ترنوط ثلاثون ميــلا ومنها الى كوم شريك اثنان وعشــرو ن ميــلا ومن كوم شريك الى الرافقة أربعة وعشرون ميلا ومن الرافقة الــــى قرطســـا ثلاثون ميــلا . "
المسالك والممالك ص ٢٢٠

(٥) قدامة بن جعفر : المــزاج ص ٢٢١ـ٢٢٢ .

محاذيــا لساحــل البحر المتوسط • وأول محطــة بعدها موضع يسمى " حنية الروم " على بعد أربعة وثلاثين ميلا من ذات الحمام ويمر بعدها بعدة مواضـع حتى يصــل الى برقــة • (١)

ثم يمتد الطريق من برقــة الى أن يصل الى " سلوق " (٢) حيث يفترق عندهــا الى طريقين يتجــه أحدهما بحزاء الساحل والاخر الـــى الداخــل كان يعرف بطريق السكــة لانه الطريق الذى يتخذه عمـــال البريـــد • (٣)

---

(١) اول محطة بعد ذات الحمام موضع يسمى حنية الروم على بعد ٣٤ميلا ويمر بعدها بعدة مواضع حتى يصــل الى برقــة وهى قصر العجـــوز أو الطاحونة ثم كنائس الجون وجب الموسج وسكة الحمام الى قصـــر الشماس ثم خربــة القوم ثم موضع يسمى العقبة ثم قرية معد ثم الـــى ريوس الى وادى السعير ثم النداحــة وهى آخر محطة فى الطريـــق الى برقــة •

قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ص ٢٢١ ويذكر ان آخر محطة علـــى الطريق الى برقة تبعد عنها ستة أميال • كتاب الخراج ص ٢٢١ـ٢٢٢

(٢) من برقة يتجه الطريق الى مليتيــه على بعد ١٥ ميلا ، ومنها الـــى قصر العسل ٢٩ ميلا ثم الى أمران ٢٢ ميلا ثم الى سلوق ٣٠ ميـــلا • قدامة بن جعفر : الخــراج ص٢٢٢ •

(٣) قدامة بن جعفر : الخــراج ص ٢٢٤ •

ويتجه الطريق الاول الى أجدابية حيث يلتقى مرة أخرى " بطريق السكة عندها ليفترقا فيتجه أحدهما الى طرابلس والاخر الى أفريقية [١].

ويمر الطريق المتجه الى طرابلس " بسرت " و " مغمداش " و قصور حسان وتورغا و " ورداسا " وينتهى الى طرابلس [٢] ويسير الطريق المتجه الى افريقية الى الجنوب منه فيخرج من طرابلس الى مدينة سبره ثم الى مدينة قابس متجها الى القيروان [٣] . ثم الى بقية بلاد المغرب حتى يصل الى تاهرت مارة بسبيبة ومرمجانة ومجانة وبأغاية وطبنة " و " ادنه " و " المسيلة " و " هاز " [٤]

---

(١) قدامة بن جعفر : الخراج ص ٢٢٤ .

(٢) يذكر قدامة بن جعفر : أن الطريق المتجه الى طرابلس يمر على اجدابية الى حى نجوة عشرون ميلا ومن حى نجوه الى سنجه ثلاثون ميلا ثم الى سرت أربعة وثلاثون ميلا والى مغمداش عشرون ميلا ومن مغمداش الى قصور حسان ثلاثون ميلا ومن قصور حسان الى المنصف أربعون ميلا ومن المنصف الى تورغا أربعة وعشرون ميلا ومن تورغا الى ورداسا ثمانية عشر ميلا ومن ورداسا الى المنحنى اثنان وعشرون ميلا ومن المنحنى الى وادى الرمل عشرون ميلا ومن وادى الرمل الى طرابلس اربعة وعشرون ميلا ." الخراج ص ٢٢٤-٢٢٥ .

(٣) يذكر قدامة أن هذا الطريق يخرج من طرابلس الى سبرة ثم الى بئر الجمالين ثم الى الفواره ثم الى قابس ثم الى بئر الزيتونه ثم الى كتانة ثم الى الياس التى تبعد عن باب مدينة القيروان بأربعة وعشرين ميلا . الخراج ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٤) البكرى : المغرب ص ١٤٣ - ١٤٦ .

وكانت الطرق البريـة هذه ممهدة آمنة تمتد بها محطات البريـد المزودة بالخيـل على مسافـات متقاربـة يفصـل بين الواحدة ، والاخـرى مقدار ثلاثـة أميـال (١) ، وقد اهتم الامراء الاغالبـة خاصة بتأمـين تلك (٢) الطرق البريـة ، مما أدى الى ازدهار التجارة بين مصر والمغرب كما عمرت الطرق البريـة عبر صحراء " سرت " بين المدن الرستمية بقوافل التجارة حيث كانت قبائـل " هواره " في شرقي طرابلس وفي جبـل نفوسـة تقوم بنصيـب كبير في نقـل التجارة بين مصر والمدن التابعـة للدولـة الرستميـة . (٣)

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٦٦ .
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٣ـ١٥٥ .

(٢) يصف طريق القوافـل من طنجة الى أفريقية ثم برقة الى مصر ثـم الرملـة فدمشق فالكوفـه الى خبراء ثم البصرة والاهواز وفارس وكرمان ثم الى السند والهند ثم الى الصـين .

Vonderheyden : La Berberie Orientale P.240

(٣) ابن الصغير : سير الاباء الرستميين ص ١٣ ـ ٢٢ .

ب ـ الطرق البحريـــة :ـ

كانت مصر لموقعها المتوسط بين القارات محور النشاط تجارى بحرى كبير (١) ، وقد ارتبطت موانيها وموانئ افريقيـة والمغرب بعلاقـــات تجاريـة متبادلـة . (٢) .

وكان الطريق البحرى بين مصر وافريقيـة يبدأ من الاسكندرية الـى طرابلس ثم الى تونس ــ وهى ميناء القيروان ــ ومنها الى بقية موانـــئ المغرب (٣) . وقد كان هذا الطريـق قليـل الاهمية حتى تمكن الاغالبة من فتح جزيرة صقليـة (٤) سنة ٢٨٩ هـ ، سنة ٩٠١ م التى كانت قاعدة

---

(١) الادريسى : صفة المغرب ص ١٣٨
Wiet : L'Egypt Arabe P.28

(٢) ابو المحاسن : النجوم حـ ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .
Heyd: Histoire. du Commerce Vol I. P. 49

(٣) Heyd : Histoire du commerce Vol I. P. 48-49.

(٤) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١١٢ ، ويذكر المالكى : رياض النفوس حـ ١ ص ١٨٧ ان علماء افريقيـة كرهوا غزو صقلية للمهد الذى كـان لهم فلما ولى زيادة الله أسد ابن الفرات على تلك الحملة فقال لـه " أصلح الله الامير من بعد القضاء تعزلنى وتولينى الامارة " فقـــال له زيادة الله انى لم أعزلك كانت قاض أمير وكان خروجه الى صقليـــة فى شهر ربيع الاول سنة اثنى عشر ومائتين وكان معه فى جيشه نحــو من عشرة آلاف فارس . " رياض النفوس حـ ١ ص ١٨٧ وذكر المعاهـدة المعقودة بين الاغالبة والبيزنطيين وشروط الهدنة بينهما . المالكى رياض النفوس حـ ١ ص ١٨٦ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٥ ص ٣٠٦ .

البيزنطيون فى البحر المتوسط ، يشنون منها الغارات على شواطىء افريقية ، وبفقدان بيزنطة لقواعدها فى كريت وصقلية ومالطة وضعف نفوذها فى البحر المتوسط وانتعش الطريق البحرى بين موانىء مصر وافريقية (١). وقد أدى ازدهار افريقية الاقتصادى فى عهد الاغالبة السوسى انتماش الطرق البحرية بالتجارة بين افريقية (٢) ومصر .

---

(١) أرشيبلد لويس : القوى البحرية ص ٢١٢ ـ ٢١٣ . كان لسيطرة بيزنطة على جزر صقلية وكريت وقبرص وسردينيا منذ عام ٧٤٧ م أثره فى سيطرتها على طرق التجارة بين الشرق والغرب وصار اشراف ... القسطنطينية البحرى دقيقا بفضل أسطولها الذى كان يقوم بدوريات تفتيشية على سواحل المسلمين للحيلولة دون استخدام العرب لمياه البحر المتوسط وبقيت مصر وافريقيا عاجزتين بحريا لمدة خمسين عاما ولعل اشارة ابن الاثير توضح هذا الوضع الذى كانت قد آلت اليه التجارة فى البحر المتوسط اذ يقول أن " الروم صاروا يخرجون كل عام مراكب تطوف بالجزيرة وتذب عنها وربما طارقوا تجارا من المسلمين فيأخذونهم " . وقد قام المسلمون بانشاء الحصون على الساحل فى طرابلس سنة ٧٩٦ وبناء الرباطات فى المنستير وعلى طول الساحل الافريقى لدرء خطر البحرية البيزنطيه أرشيبلد لويس : القوى البحرية ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) Heyd: Histoire du Commerce. Vol I. P.49 .

فذخرت أسواق طرابلس وافريقية بالتجارة القادمة من مصر . وازداد ارتباط الاسكندرية[١] بموانئ افريقية مثل سوسة وتونس وبجاية وكان منار الاسكندرية يقوم بارشاد السفن الاتية من الغرب ، ويحدثنا ابن الاثير أن الرسائل كانت تصل من الاسكندرية الى طرابلس فى ثلاث ساعات ومن الاسكندرية الى سبتة فى ليلة واحدة[٢] . ومع ما تحمله هذه الرواية من بعض المغالاة الا أنها تبين سرعة وسهولة الاتصال بين الاسكندرية وموانئ افريقية وقد اهتم الطولونيون بانشاء الفنادق فى الاسكندرية لتشجيع تجار المغرب على ارتيادها[٣] وهلا

---

(١) كانت السفن الخارجة من الاسكندرية فى طريقها الى طرابلس تأخذ الطريق المار بكريت وقبرص متجنبة طريق الساحل الافريقى فيما بين خليجى قابس وسدره لقلة الموانئ الصالحة لرسو السفن فيما بين برقة وطرابلس . فكانت المنطقة مابين خليجى قابس وسدره غير صالحة للملاحة بسبب الرياح التى تهب بها فتعوق حركة الملاحة . وكان ميناء الطرابلس يصعب رسو السفن فيه " حيث يشتد الموج لانكشاف المرسى ويصعب الارساء فيه فيبادر أهل البلاد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين فيقيد المرسى ويرسى فيه فى أسرع وقت بغير كلفة أحد . "

ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٦ .

(٢) يذكر ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ٥ " كانت النار توقد بسبتة فيصل الخبر الى الاسكندرية فى الليلة الواحدة . "

(٣) الادريسى : صفة المغرب ص ١٣١ .
Lane Poole : Egypt in the Middle ages P. 101-102 .

على توفير سبل الراحة والاقامة لهم . وشهد القرن الثالث الهجرى انتعاشا تجاريا [١] كبيرا وكان لاصلاحات أحمد بن طولون الاقتصادية [٢] وما قام به من تدعيم لمركز مصر الاقتصادى باصلاحه العملة وسكه للدينار الاحمدى أثرها فى ازدهار التجارة [٣] البحرية حتى صار للاسكندرية دور كبير فى تقرير الاسعار العالمية [٤] للسلع فى ذلك الوقت .

وكانت مصر طريقا لتجارة المغرب الواردة من الشرق عبر البحر الاحمر فترسو السفن المحملة بتجارة الشرق عند ميناء " رأس بناس " او عند " ميناء القيصر " أو " أبو شعر " [٥] ثم تنقل التجارة برا عبر صحراء مصر الشرقية الى مدينة قفط ثم تتخذ طريق النيل الى

---

(١) البلوى : سيره احمد بن طولون ص ١٩٦ يذكر النويرى أن مصر " ... فرضة الدنيا يحمل من خيرها الى سواحلها وذلك أن من ساحلها بالقلزم ينقل الى الحرمين والى جده وعمان والهند والصين وصنعاء وعدن والسند وجزائر البحر ومن جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلد الروم وأقاصى الفرنجه وقبرص وسواحل الشام والثغور الى حدود العراق ومن جهة الاسكندرية فرضة اقريطش وصقلية وبلد الروم والمغرب كله الى طنجة ومغرب الشمس . " النويرى نهاية الارب حـ ١ ص ٣٤١ المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٢٨ .

(٢) البلوى : سيره احمد بن طولون ص ١٩٦ .

(٣) الكندى : الولاه ص ٢٠٢ ، البلوى ص ٥٣

(٤) متز : الحضارة الاسلامية حـ ٢ ص ٢٧٢ .

(٥) القصير ، بالقرب من ميناء عيذات بينها وبين توص قصبة الصعيد =

الاسكندرية ومنها الى موانئ افريقيـــة . (١)

كما كانت تسلك التجارة القادمـة من الشرق عبر البحر الاحمر طريقا آخر فترسو عند القلزم (٢) ثم الى النيـل عن طريق قناة خليج أمـير المؤمنين (٣) ، التى سهلت حركة التجارة بين البحر الاحمر والبحـر المتوسط ، فمن طريق البحيرات المرة ووادى طميـلات كانت تسير تجارة البحر الاحمر من النيل الى الاسكندريـة — وكان هذا الطريـق

= خمسة أيام وبينها وبين عيذاب ثمانية أيام وفيها مرفأ سفن اليمـن . " ياقوت حـ ٧ ص ١١٥ ، وأبو شعر من موانى مصر على البحـر الاحمر . كان حجاج مصر والمغرب يستخدمون ميناء عيـذاب ... الواقع على البحر الاحمر على خط عرض ٢٢ ° درجة يقابلة على النيـل قرية أبو سنبـل

(١) Heyd : Histoire du Commerce Vol.I. P. 376

(٢) القلزم " على بحر الهند بينها وبين الفرمـا (على بحر الـروم أربعة أيام وبين القلزم ومصر ثلاثة أيام وهى مدينة مبنية على شفير البحر وهى تامة العمارة وبها فرصة مصر والشام . " ياقوت حـ ٧ ١٤٥ ـ ص ١٤٦ .

(٣) يذكر ابن عبد الحكم ان هذه القناة قد اهملت بعد عهد الخليفـة عمر بن عبد العزيز ولم يكن الجزء الصالح للملاحة بها يتعدى بحيرة التمساح . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة حـ ١ ص ٦٨ ، بينما يذكر المقريزى أن السفن ظلت تسير فى هذه القناة منذ أن شقت زمن عمرو ابن العاص الى قدوم محمد ذو النفس الذكية ثائرا من الحجاز فى عهد الخليفة المنصور فأمر المنصور عاملة على مصر بردمها حتى لا تصل المؤن الى المدينة فانقطـع

اكثر ارتيادا فى عصر الولاه من الطريق الذى يسير من موانى البحر عند راس بناس أو القصير أبو شعر ومنها برا الى قفط ثم النيل كما أوضحنا .

وكما كانت مصر معبرا لتجارة المغرب الاتية من الشرق كذلك كان المغرب معبرا لتجارة مصر القادمة من الغرب (١) . ويحدثنا ابن خرداذبه ان التجارة القادمة من الغرب (٢) الى الشرق التى كان يجلبها تجار البحر كانت تسلك طريق موانى افريقية ثم الفرما ومنها الى القلزم . اذا كانوا " يجلبون من الغرب الخدم والجوارى والديباج والخز

= اتصالها منذ ذلك الوقت بالبحر الاحمر ." المقريزى : الخطط ﺣ ٢ ص ١٣٣ .
القلزم ـ (السويس) لا تزال آثارها قائمة بين مساكن السويس وتعرف بأسم قلعة القلزم . القاموس ص ٩٩ .

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) المسالك والممالك ص ١٥٣ ـ ١٥٤
ابن الفقيه : البلدان ص ٢٧٠ .

(٣) كان تجار اليهود الذين كانوا يفدون من بلاد الفرنجة ويتكلمون العربية والفارسية والفرنسية والصقلبية سماهم المسلمون تجار البحر ترسو سفنهم عند الفرما ثم يحملون تجارتهم على الدواب الى القلزم ومنها الى موانى البحر الاحمر متجهين شرقا الى السند والهند والصين ويحملون فى عودتهم السلع الشرقية ."
ابن الفقيه : كتاب البلدان : ص ٢٧٠ .

والفـراء والسيوف وينتهوا بسفنهم الى الفرمـا ويحملون تجارتهم برا الـــى القلزم ، ثم يبحرون فى البحر الاحمر الى السنـــد والهند والصين وفـــى طريق العودة يسلكون نفس الطريق ." (١)

✧

بينما فيما سبق أهم الطرق البريـة والبحريـة التى ربطت مصر وبـلاد المغرب . وكيف كانت مصر معبرا لتجارة المغرب الواردة من الشرق . وكـان المغرب كذلك معبرا لتجارة مصر القادمـة من الغرب .

. . . . .

---

(١) ابن الفقيـة : كتاب البلدان ص ٢٧٠

الفرما اسمها المصرى القديم " برآمق " اى مدينة الاله آمون واسمها القبطى برما ــ ومنها اشتق الاسم العربى الفرما وسماها الـــروم " بيلوز " ومعناها الوحلة لانها كانت واقعة فى منطقة من الاوحـال بسبب تغطية ماء البحر المتوسط لاراضى تلك المنطقة وكانت الفرمـا تستقى الماء قديما من الفرع البيلوزى لوانتعرف الان وتعرف آثارهـا بتل الفرما على بعد ٣ كم من ساحل البحر المتوسط وعلى بعد ٢٣كم شرقى محطة الطينة الواقعة على السكة الحديد بين بورسعيـــد والاسماعيلية .

القاموس الجغرافى ص ٩١ ــ ٩٢ .

الفصل الثالث

السلع المتبادلة :-

عرضنا لاسواق مصر والمغرب ولطرق التجارة البرية والبحرية بينهما ونتحدث فيما يلى عن السلع المتبادلة بين القطرين .

فرغم قلة ماجاء بالمصادر عن أنواع الصادرات والواردات بين مصر وبلاد المغرب ، فاننا نستطيع أن نستخلص بعض السلع المتبادلة بينهما .

كانت المنسوجات على رأس صادرات مصر الى بلاد المغرب خاصة الكتانية ، حيث ذاعت شهرة كتان مصر ومنسوجاته الرفيعه التى اختصت تنيس ودمياط بانتاجه (١) ، وأهمها ذلك النوع الذى كان يحاك

---

(١) يذكر الجاحظ " قد علم الناس أن القطن لخراسان وأن الكتان لمصر . " التبصر بالتجارة ص ١٠ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ١ ص ٨٩٠ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ١٥٢ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ص ١٧٦ ظلت الزخارف القبطية غالبة على المنسوجات المصرية فى القرون الثلاثة الاول بعد الهجرة تدل على ذلك قطع المنسوجات التى عثر عليها فى بعض المدن بالوجة القبلى وفى الفسطاط وهى من الصوف أو الكتان مزينة برسوم طيور أو حيوان أو اشكال آدميين فى جامات بيضيته الشكل متعددة الاضلاع وفيها اشكال هندسية وخطوط متقاطعة وفى دار الاثار العربية قطعة من الكتان الابيض تحمل هذه الزخرفة فى القرن الاول .

د .زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

على شكل حلل وصفها المقدسى بقوله " ليس فى جميع ما فى الارض ما يدانيها من القيمة والحسن والترف والرقة " وكانت هذه الحلل على نوعين : النوع الاول وكان محلى بخيوط ذهبية بلغ ثمن الحلة الواحدة فى القرن الرابع الهجرى ـ مائة دينار (١) . والنوع الثانى ينسج من الكتان الرفيع ويطرز وكان أقل من النوع الاول ثمنا . وهناك انواع اخرى من الاقمشة كانت تتميز بتغير لونها بتغير ساعات النهار عرفت باسم " الاباقلمون " (٢) وثياب القصب الملون والمطرز " وثياب الشروب" (٣) التى اشتهرت الاسكندرية بانتاجها . كما كانت مصر تصدر الى بلاد المغرب المنسوجات الحريرية التى اشتهرت مدينة " دبيق " بانتاج أنواع ممتازة منها حتى نسب الحرير اليها تسمى " الحرير الديبقى " (٤) ونوع آخر من الحرير الموشى التى اختصت الاسكندرية بانتاجه وهو (٥) مرقوم بألوان شتى . "

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ .

(٢) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٣٧ـ٣٣٨ .
ناصر خسرو : سفرنامه ص ٣٨

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٥٢ .
المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٢٢٣ ، ٣٦٥ ، القلقشندى حـ ٥ ص ١٤٣ .

(٤) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٧ .
Combe. E.T., J. Saubaget : Repertoire Chronologique d' Epigraplie arabe. T.1.P. 28-29

(٥) المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ١٦٢ .

وكانت مصر تصدر الى العواصم الاسلامية ولعل من بينها بلاد المغرب ـ نوعا من الثياب ينسج معظمة بالذهب ولا يدخل فيه من الغزل سوى أوقيتين من الحرير وتبلغ قيمة هذا النوع من الثياب الذى لا يحتاج الى حياكة ألف دينار (١) فقد اعتمد كثير من خلفاء وأمراء الدولة الاسلامية على المنسوجات المصرية فى زيهم الرسمى . وكانت هذه المنسوجات تعرف باسم القباطى نسبة الى قبط مصر الذين ذاعت مهارتهم فى صناعة النسيج . (٢)

كما أننا لا نستبعد أن مصر كانت تصدر الى بلاد المغرب أنواع الفرش الصوفية التى اشتهرت بها مدينة أسيوط والتى كانت شبيهة بالابسطة الارمينية لجودتها . (٣)

كما كان الورق (٤) يأتى فى المرتبة الثانية من صادرات مصر الى

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٢ .

(٢) كان يصنع فى تنيس ثوب خاص بالخلفاء يسمى " البدنه " لا يدخل فيه من الغزل سداة ولحمه غير أوقيتين وينسج باقية بالذهب بصناعة محكمة لا تحتاج تفصيل ولا خياطة . " المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٢ . كانت زخارف المنسوجات الحريرية تصنع بواسطة المكوك على نول السحب ويختلف ذلك عن الاقمشة الاخرى ذات الزخارف المطرزة التى كانت خيوط اللحمة تضاف الى النسيج بواسطة الابرة . د . زكى محمد حسن : الفن الاسلامى ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨ ، ديماند : الفنون الاسلامية ص ٢٥٨ .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣١ .

(٤) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٨ .

العالم الاسلامى ومن بينها بلاد المغرب بلا شك . وكان يصنع من نبـات البردى الذى تنفرد به مصر حيث كان ينمو بها نموا طبيعيا فى مستنقعـات الدلتا والفيوم .(١) ويصنع فى مدينتى " بوره " و " اخنيو " (وسيمه " ويعرف بالقراطيس ، ويذكره ابن الفقيه شهرة مصر بصناعة الورق بقولـه : " لاهل مصر القراطيس التى لا يشركهم فيها أحـد " .(٢)

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٣٠٧

(٢) بورة مدينة على ساحل البحر من أعمال دمياط ومدينة أخنيو (وسيمـه) تقع غربى فرع رشيد . اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٨ ، ابن الفقيه : كتاب ص ٢٧٥ Encyclopaedia 13 ritannica Vol. 17.P.245

حين ازداد الطلب على ورق البردى فى القرنين الثامن والتاسع ... الميلادى اهتم العرب بزراعة نبات البردى فى الدلتا . ويبلغ طـول الورق المصنوع من البردى واحد وثلاثون ذراعا وعرضها شبر وتشـد شرائح البردى بعضها الى بعض وتجفف فى الشمس . وينتهى ورق البردى المؤرخ الذى وصل الينا فى عام ٣٢٣ هـ. ٩٣٥ ويبـدأ تاريخ الوثائق المكتوبة على الكاغد يبدأ منذ عام ٣٠٠ هـ /٩١٢م وهو ذلك النوع الذى نقلت صناعته من الصين ونال على أيدى المسلمـين تغييرا هاما اذ نقى مما كان يخلط من الشوائب ليصبح أنعم وأرق . وكان فى القرن الثالث يصنع ببلاد ماوراء النهـر وكانت سمرقنـد اهم مركز لصناعتـه . مادة Papyras

Encyclopaedia Britannica - Vol.17. P. 245 .

ولعل مصر كانت تصدر الى بلاد المغرب ايضا ما اشتهرت به من أدوات خزفية وخاصة ذلك النوع ذو البريق المعدنى الذى تميزت مصر بانتاجه ، وبلغ ذروة ازدهاره فى العصر [1] الفاطمى وكذا المصنوعات المعدنية والنحاس الذى أزدهرت [2] فى العصر الطولونى فضلا عن المعادن النفيسة خاصة الزمرد . [3]

---

(١) ديماند : الفنون الإسلامية ص ٢٣١ يصف ناصر خسرو الاوانى الخزفية التى اشتهرت بها مصر بقوله : " اذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل وتصنع من الفخار الكؤوس والاقداح .. والاطباق وغيرها وهم يلونونها بحيث تشبه الاباقلمون فتظهر بلون مختلف فى كل جهة تكون بها . " سفرنامه ص ٦٠ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم جـ ٣ ص ٦٠ ، ٦١ ، الادريسى : نزهة المشتاق ص ٨ ويذكر اليعقوبى وفرة المعادن فى صعيد مصر فيقول " من أراد المعادن معادن التبر خرج من أسوان الى موضع يقال له الضيقة ثم وادى العلاقى واكثر التبر به والزمرد على ثمان مراحل فقط ... ... فى المنطقة الواقعة بين مدينتى قفط والاقصر . " البلدان ص ٣٣٣ .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٣ ، أبو المحاسن : النجوم جـ ٣ ص ٦٠ ـ ٦١ .

ـ٠ـ

كما كانت مصر تصدر الى بلاد المغرب أنواعها من انتاجها الزراعى كالعدس والفول واللوبيا والجلبان والقرط (العلف والبرسيم) والجلز (الحمص) والثوم والبصل [١] والخردل الذى اشتهرت مصر باستخراج زيته المستعمل فى علاج بعض الامراض [٢] . والترمس والسلجم الذى يستخرج زيته أيضا لاغراض العلاج . كما كانت مصر تصدر نوعا من الليمون اشتهرت بانتاجه يسمى " التفاحى " يؤكل بغير سكر لقلة حموضته [٣] ولعل بلاد المغرب كانت تستورد هذا النوع من مصر . وكذلك زيت الياسمين الذى اشتهرت دمياط باستخراجه من الياسمين [٤] .

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٩٤ وقد ورد ذكر هذه المحاصيل فى أوراق البردى

Grohmann : Arabic Papyri. Vol VI P. 63-64.

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١ ص ٣٧٤ .

ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ .

السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٩٣ .

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٧٣ .

(٤) البغدادى : الامور المشاهدة .

ـ . ـ

تلك كانت اهم السلع التى تصدرها مصر الى بلاد المغرب أما السلع التى كانت تصدرها بلاد المغرب الى مصر ، فكان أهمها الماشية والاغنام ، والزيتون ، والزيت المستخرج منه وخاصة مما كانت تنتجه سفاقس[1] التى اشتهرت بنوع جيد من زيت الزيتون يصنعه ابن حوقل بقوله " ليس بغيرها مثله " .[2]

وكان المرجان من أهم ماتصدره بلاد المغرب الى مصر حيث كان يستخرج بكثره من مدينتى " طبرقه " و " مرس الخرز " وقد ازداد الطلب عليه فى مصر خاصة[3] فى العصر الطولونى ، وكذلك البللور فيذكر ناصر خسرو أنه رأى فى سوق القناديل فى الفسطاط " معلمين مهرة ينحتون بلورا غاية فى الجمال وهم يحضرونه من المغرب " .

---

(١) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٤ .
ابن حوقل : صورة الارض ٧٠ ـ ٧١

(٢) اشتهرت مدينة سفاقس كما قدمنا بوفرة انتاجها من زيت الزيتون الذى يصفه ابن حوقل بقوله " ليس بغيرها مثله " وبلغ من وفره الزيتون بها أنه كان يباع فى القرن الرابع بأسعار زهيدة . ابن حوقل صورة الارض ص ٧٣ .

اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٩ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم حـ ٣ ص ٦٠ ـ ٦١ المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٣١ ، ٢٢٦ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٥٩ ـ ٦٠ .

ولعله كان يرد الى مصر من بلاد المغرب ما اشتهرت به من أنـــواع الكروم واليامـيـش مثـل الجـوز واللوز وأنواع الزبيب والسفرجل [١] والتـين الذى تميز بكبر حجمـه وحلاوة مذاقـة [٢] ، وكذلك الاخشاب لقلة انتـاج مصر من الانواع الجيدة اللازمـة لصناعة السفن ، وكذا الحديد . [٣]

هكذا كانت مصر وبلاد المغرب تتبـادلان السلـع فيما بينهمـــا فتكمـلان احداهما الاخرى اقتصاديـــا .

نتحدث بعد ذلك عن النظـم الماليـة فى كل مـن مصر وبـلاد المغرب من حيث الاسعار ، والمكوس ، ثم العملة المتداولة بهما .

---

(١) ابن حوقل : صـورة الارض ص ٩٠ ، المقدسى : احسن التقاسـيم ص ٢٣٠ .

(٢) الاصطخرى : المسالك ص ٣٤ وقد اشتهرت مدينة شقيره بأنتاج هـذا النوع كما قدمنا ، وكان اهل المغرب يلقحون تينهم كما يلقح النخيـل . المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٧٧ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ١٢٤ .

(٣) الادريسـى : صفة المغـرب ص ١١٦ ـ ١١٧

Heyd : Histoire du Commerce. Vol I.P. 40-41.

الفصل الرابع

النظم المالية :-

أ- الاسعار

ارتبطت الاسعار فى مصر بحالة فيضان النيل فكانت تتذبذب صعودا وهبوطا تبعا له .

وكان أول ارتفاع لسعر القمح فى مصر سنة ٨٧ هـ / سنة ٧٠٥ م بسبب نقص الفيضان [(١)] فى ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وقد أشار أبو المحاسن الى ذلك بقوله " فى سنة ٨٧ هـ وقع الشراقى فى مصر وغلت الاسعار [(٢)] " واذا اخذنا سعر القمح [(٣)] باعتباره الغذاء الرئيسى للناس . كمقياس لمستوى الاسعار فى مصر .

---

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ٥٩ ، ٣٢٧

(٢) أبو المحاسن : النجوم جـ ١ ص ٢١٠ ويذكر الكندى ان أهل مصر - خرجوا للاستسقاء وخرج معهم قاضى الفسطاط وكان نقص الفيضان يتسبب فى ارتفاع الاسعار لمدة عامين على الاقل حتى تعود الاسعار الى ماكانت عليه . الولاه والقضاة ص ٤٦٢ .

المقريزى : اغاثة الامة بكشف الغمة ص ٤٢ كان أنسب ارتفاع الفيضان ١٦ ذراعا واذا بلغ ١٧ ذراعا يزيد الخراج ليصل الى ١٠٠ ألف دينار . وكذلك ينقص الخراج بنفس المقدار اذا نقص ارتفاع النيل عن ١٦ ذراعا أو زاد عن ١٨ ذراعا فاذا جاء ناقصا لم يتمكن من رى جميع الاراضى واذا جاء زائدا استبحرت الاراضى المنخفضة مما يسبب نقص الانتاج الزراعى . أبو المحاسن : النجوم جـ ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

وكان سعر الاردب يتراوح مابين ثلث ونصف دينار [١] خـــلال عصر الولاه الامويين كما تشير الى ذلك أوراق البردى بينما انخفض سعره فى عهد احمد بن طولون حتى بيعت كل عشرة أرادب بدينار [٢] .ولكن سرعان ما ارتفع سعره فى عهد خمارويه وابنه هارون فبيعت الثلاثة أرادب بدينار . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى سوء سياسة عمال الخراج أو جشع التجار فان اشارة [٣] البلوى الى اضطرار خمارويه الى فرض عقوبات صارمة على المتلاعبين بالاسعار [٤] تبين أنه كانت هناك اسباب اخرى وراء ارتفاع الاسعار غير قلة المحصول

---

(١) Grohmann : Arabic Papyri. Vol. VI P. 49

(٢) كان الاردب المصرى أصغر من الاردب المعروفة فى سائر البلاد اذ كان مقداره ثلاث ويبات وهو يختلف عن غيره اذ كانت الارادب ... الاخرى ست ويبات وقد ظل الاردب المصرى يستخدم بعد الفتح على مبارك : الميزان فى الاقيسة والميزان ص ٨٢ ـ ٨٥ ، ٨٩ ـ ٩٠ .

(٣) البلوى : سيره أحمد بن طولون ص ١٤٩ ، ١٩٠ .

(٤) البلوى : سيره احمد بن طولون ص ٣٦٤ .

بسبب نقص أو زيادة الفيضان ، ذلك أنه فى بعض السنوات التى بلغ فيها نقص الفيضان حدا كبيرا [١] ، كما كان فى عام ٦٩ هـ / ٦٨٨ م فى ولاية عبد العزيز بن مروان لم يشر أحد من المؤرخين الى ارتفاع الاسعار فى مصر وقتذاك .

وقد استمرت الازمة الاقتصادية [٢] وارتفاع الاسعار فى أواخر عهد الطولونيين ، لمدة تسع سنين " حتى نهبت الضياع

---

(١) لم يبلغ ارتفاع النيل أكثر من ثلاثة عشر ذراعا وست أصابع وهو أقل مايكون عليه النيل فى سنوات نقص الفيضان .
أبو المحاسن : النجوم حـ ١ ص ١٨٥ ، ١٩٥ ـ ١٩٧ .

(٢) المقريزى : اغاثة الامة ص ١١ ـ ١٤ . ويذكر القلقشندى . صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٧ ـ ٤٣٨ أن ابن فضل الله الشهابى " ذكر فى مسالك الابصار جملة من الاسعار فى زمانه فقال : وأوسط أسعارها فى غالب الاوقات أن يكون الاردب القمح بخمسة عشر درهما والشعير بسعره وبقية الحبوب على هذا الانموذج ، والارز يبلغ فوق ذلك واللحم اقل سعره الرطل بنصف درهم وفى الغالب أكثر من ذلك والدجاج يختلف سعره بحسب حاله فجيده الطائر منه بدرهمين الى ثلاثة والدون منه بدرهم واحد والسكر الرطل بدرهم ونصف وربما زاد . والمكرر منه بدرهمين ونصف . قلت وهذه الاسعار التى ذكرها قد أدركنا غالبها ." أى أنها استمرت حتى أواخر القرن الثامن الهجرى .

القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

والغلات واحرقت مواضع عديدة وارتفع سعر القمح فبيعت الويبه منه بدينـــار ." (١)

ولا يمكننا أن نقيس الرخاء وانخفاض الاسعار بشراء بعض كبار الموظفين الاخشيديين فان مايشير اليه المقريزى من أن أحد كتاب الخراج لم يعبأ بأربعمائة دينار قوهبها لدقاق القمح وعلل ذلك بقوله أن ذلك من " كثرة المعاش وقس عليه باقى الاحوال ." (٢) ... فليس ذلك دليلا على استقرار الاحوال الاقتصادية لاغلبية السكان فى ذلك الوقت .

ففى أواخر عهد الاخشيديين مرت البلاد بأزمة اقتصادية كبيرة واشتد الغلاء حتى " بلغ الخبز كل رطل بدرهمين والحنطه كل ويبه بدينار ." (٣) كما يذكر الكندى أنه فى عهد أحمد بن على بن

---

(١) المقريزى : اغاثة الامة ص ١١ـ١٤ .

(٢) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢

(٣) ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ٢١١ .

دكتورة سيدة الكاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣٤٦ .

الاخشيد اشتد الغلاء فى أيامه " حتى أكل الناس الجيف والكلاب . " (١) ويحدثنا ابن الاثير أن تلك الازمات الاقتصادية وما صاحبها من ارتفاع الاسعار كانت أحد الاسباب التى عجلت بدخول الفاطميين الى مصر . (٢)

وهكذا يمكننا القول أن اضطراب الحكم وسوء الادارة كان يشكل سببا هاما من أسباب ارتفاع الاسعار وحدوث الازمات الاقتصادية ، فضلا عن السبب الرئيسى وهو تأثر اقتصاد مصر القائم أساسا على الزراعة بزيادة النيل أو نقصانه .

هذا عن الاسعار فى مصر أما فى بلاد المغرب

---

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٩٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٢١١ . كان الخلفاء فى بعض الاحيان يطلبون الى عمال الخراج الاشتطاط فى جمع الضرائب مما كان يرهق البلاد ويضطر التجار الى رفع اسعار السلع تبعا لذلك مثال ذلك قول الخليفة الاموى سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩ هـ / ٧١٤-٧١٧ لاسامة بن زيد التنوخى عامل الخراج بمصر " احلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم ." ابو المحاسن : النجوم جـ ١ ص ٢٣١

فقد تأثرت الاسعار صعودا وهبوطا تبعا لتغير الظروف السياسية بها من استقرار او اضطراب ، علاوة على العوامل الطبيعية التى تؤثر فى كمية المياه بالزيادة أو النقصان فى المناطق الزراعية .

ومن استعراضنا لتاريخ افريقية وبلاد المغرب نجد أن أحوال البلاد قد اضطربت اقتصاديا . فى الفترة السابقة على قيام الدول المستقلة بها ، وذلك بسبب الاضطرابات والثورات التى اجتاحت البلاد فى فترة الفتوح الاسلامية وما صاحبها من ثورات مضادة اتسمت بالعنف وتخريب كثير من المزارع وقلع عديد من الاشجار . (١)

كما كان لسياسة بعض الولاه الامويين (٢) فى التشدد

---

(١) كثورة كسيلة والكاهنه التى أضرت بالمزارع والقرى لما اتسمت به من طابع العنف والتخريب . ابن عذارى حـ ١ ص ٨٣ ، المالكى : رياض النفوسى حـ ١ ص ٩ ، ١٠ يذكر المالكى انه انه فى غزوة لعبد الله بن ابى سرح على أفريقية " ثم تمادينا الى افريقية فجرنا الابل وذبحنا البقر واخذنا الملف والسبد وجعلنا بضرب فى كل جهة .. فكانت الهزيمة عليهم وكر المسلمون عليهم فى كل مكان فأكثروا فيهم القتل والاسر ... فلما اصابهم الاسر والقتل طلبوا الصلح فصالحهم عبد الله بن سعد على خرج ." المالكى : رياض النفوسى حـ ١ ص ١٠ ـ ١١ ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ١٣٨ ، ٢٨١ ، ٢٠٢

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ص ٢٣

Marcais : Le Berberie Musulmane. P. 43 .

ابن الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص ١٠٨ ، ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٥٢ ، ص ٤٧ يذكر ما اصاب البلاد من اضطرابات ونتيجة سياسة عبد الله بن موسى والى افريقية من قبل الخليفه سليمان بن عبد الملك من تعقب اليمنية ومصادره أموالهم البيان المغرب ص ٤٧ .

فى جمع الضرائب واطلاق يد عمال الخراج أثرها فى ارتفاع الاسعار واضطراب الاحوال الاقتصادية فى البلاد .

ولعل السياسة التى أنتهجها الخليفة عمر بن عبد العزيز والتزم بها واليه على افريقية اسماعيل بن عبيد الله (١) ، الخاصة بارجاع الارض الى أصحابها واقرار القرى فى يد غنامها (مستغليها) بعد أخذ الخمس . " تبين أنه حاول اصلاح الاوضاع الاقتصادية الجائرة التى عانت منها البلاد قبله وماكانت قد وصلت اليه من اضطراب . (٢)

وقد رأى الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو بسبيل اصلاح أحوال البلاد الاقتصادية أن يسند الى والى افريقية مهام عامل الخراج فعهد بها لاسماعيل بن عبيد الله سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م . ولكن هذه السياسة كانت موقتة اذ سرعان ما عادت الاوضاع الى ماكانت عليه فى ولاية يزيد

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢١٣ ، يذكر أن اسماعيل بن عبيد الله تولى " على حربها وخراجها وصدقاتها وكان حسن السيرة . "

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ص ٢٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب حـ ١ ص ٤٤ ـ ٤٥

Marcais: Le Berberie. Musulmane PP. 43-44

يذكر المالكى أن اسماعيل بن عبيد الله هو أحد العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر عبد العزيز لاهل افريقية " سكن القيروان وسار فى المسلمين بالحق والعدل واسلم على يديه خلق كثير من البربر ، رياض النفوس المالكى حـ ١ ص ٧٦ .

بن أبى مسلم سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م.(١)

كما كان لسياسة بعض الولاة فى الحرص على ارضاء الخلفاء بارسال(٢) الهدايا من جوارى وخيول ودواب وذهب وجوهر وجلود وأصواف ، كان أثره فى أرتفاع اسعار تلك السلع ، وسواء أكان ذلك بناء على طلب الخلفاء ام حرصا من الولاه على كسب رضاهم فان النتيجة واحدة وهى أرهاق البلاد اقتصاديا وارتفاع الاسعار بها .

ويذكر ابن خلدون أن الولاة كانوا " يتغالون فى جمعهم ذلك وانتحاله

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢١٣-٢١٤ ، ابن عذارى حـ ١ ص ٤٦-
تشبه يزيد بن مسلم بالحجاج واستبد مع البربر وفرض عليهم الجزية واشتد عليهم فى جمع أموالهم ويذكر ابن عذارى أنه " كان ظلوما فاستاء البربر من معاملته ودبروا قتله بالاتفاق مع حرسه .
ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٤٦ ، السلاوى : الاستقصا حـ ١ ص ١٠٣
ابن الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص ٩٩ .
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٢٤٥ .

(٢) يذكر صاحب اخبار مجموعة ان الخلفاء كانوا يكتبون الى عمال طنجة فى جلود الخرفان العسلية وهو قول اهل البغض للائمة ويعزو للخوارج اسناد هذا الاتهام للخلفاء الامويين ص ٢٥ بينما يذكر ابن عبد الحكم أن عبيده بن عبد الرحمن خرج من افريقية سنة ١١٥ هـ . بصحبته " من العبيد المتخيرة سبع مائة جارية وغير ذلك من الخيل والدواب والذهب والفضه والانية ". ابن عبد الحكم ص ٢١٧ ويذكر اليعقوبى انه بعد توليه يزيد بن عبد الملك تولى أخوه هشام الخلافه فاقر عامل افريقية بشر بن صفوان لانه بعث اليه باموال عظام وهدايا فاخرة ". اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى حـ ٣ ص ٥٩ ، كما يذكر ابن عذارى استقطاط ابن الحبحاب فى جمع الاموال وطرائف المغرب الارضاء الخلفية . البيان حـ ١ ص ٥٣ .

حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية . (١)

وقد كان لسوء سياسة الولاه الاقتصادية تلك اثرها فى تقبل المغاربة لمبادىء الخوارج . غير أن الثورات التى قام بها الخوارج أدت هى الاخرى الى تفاقم الازمات الاقتصادية بالبلاد (٢) بما نتج عنها من تخريب المزارع والمناجم واضطراب المواصلات فقل الانتاج وارتفعت الاسعار تبعا لذلك. وكان الولاه يعتمدون على المعونة : التى تقدمها مصر سنويا وقد ارهـا مائة ألف دينار (٣) فى دفع رواتب الجند ومجابهة ـ متطلبات الحكم المالية

ولم تكن البلاد تستعيد رواجها الا فى الفترات التى

---

(١) يذكر ابن خلدون فى حديثه عن ولاية عبيد الله بن الحجاب على افريقية سنة ١١٤ هـ من قبل هشام بن عبد الملك أنه عبيد الله أسند الى عمر بن عبد الله المرادى اقليم طنجه والمغرب الاقصى ولايته اسماعيل منطقة السوس ويقول أنه " أتصل أمر ولاتهم وسار سيرتهم فى البربر فنقموا عنهم أحوالهم . وما كانوا يطالبونهم من الوظائف [illegible] البربريات والارديه العسلية الالوان . " العبر حـ ٦ ص ١١٩

(٢) ابو المحاسن : النجوم حـ ٢ ص ٢٠ البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٧٥

(٣) ابن الاثير : الكامل حـ ٥ ص ٦٣ .

يتمكن فيها الولاة من قمع الثورات واتتباب الامن فى البلاد ،مثلما حدث فى ولاية محمد بن الاشعث (١) . غير أنه سرعان ماعادت الازمات الاقتصادية من جديد وماتبعها من ارتفاع الاسعار فى ولاية يزيد بن حاتم الذى واجهت البلاد فى عهده ضائقة اقتصادية كبيرة فارتفعت الاسعار وحدثت المجاعات ،ويذكر ابن عذارى ازاء هذه الحالة المتفاقمة أنه اضطر الى توزيع الغلال على الناس بلا مقابل وقدم منتجات مراعية الخاصة ومراعى أسرته للناس . مما يبين مدى ماوصلت اليه البلاد من ضائقة اقتصادية كانت نتيجة حتمية لتلك الاوضاع السياسية المضطربة وما استنزفته محاولات قمع الثورات من جهود وأموال .

وحين قدر لهذه الثورات الانتهاء بقيام الدول (٢) المستقلة فى بلاد المغرب تغيرت الاوضاع الاقتصادية وشهدت بلاد المغرب تقدما ورخاء . ففى أمارة الاغالبة ازدهر اقتصاد افريقية تبعا للامن والاستقرار الذى ساد المنطقة بازدياد الانتاج الزراعى (٣) اذ حرص الاغالبة على توفير المياة وزيادة (٤) مساحة الاراضى المنزوعة

---

(١) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٨٤

(٢) Vonderheyden : La Berberie Orieutale P.342

(٣) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١٥٢

(٤) Vonderheyden : La Berberie Orientale P.342-343.

ومن الطبيعى ان تنخفض الاسعار تبعا لتلك الزيادة فى الانتاج [(١)] وقد شجع الاغالبة التجارة بتأمين السبل وانشاء الاسواق [(٢)] فى القيروان التى أصبحت مركز تجارة المنطقة كلها .

ولم تمر البلاد بازمات اقتصادية خلال عصر الاغالبة غير تلك الازمة التى حدثت فى عهد ابراهيم [(٣)] بن احمد سنة ٢٦٦ هـ / سنة ٨٧٩ م والراجح أن سبب هذه الازمة راجع الى عوامل طبيعية تتعلق بنقص الامطار مما أدى الى نقص الانتاج الزراعى ولم تستمر هذه الازمة سوى فترة قصيرة " عادت البلاد بعدها الى أزدهارها ورخائها . وكان لسياسة الاغالبة فى الاشراف على الاسواق [(٤)] ومراقبة الاسعار واختيارهم لعمال الخراج ومراقبتهم [(٥)] اثرها فى ازدهار اقتصاديات افريقية فضلا عن دورهم فى نقل التجارة العالمية عبر البحر المتوسط وماينتج عنه من توافر السلع وانخفاض الاسعار وما شاهدته البلاد من رخاء وازدهار اقتصادى .

---

(١) وصف اليعقوبى : هذا الازدهار الزراعى بقوله : " ومما يلى القبلة من القيروان بلد يقال له الساحل بحر كثير السواد من الزيتون والشجر والكروم ." البلدان ص ٣٥٠ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦
البكرى : المغرب ص ٢٥ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١٥٥

(٤) ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ١٠٤ .

(٥) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ١٧٨ .

وفى ظل دولة بنى رستم ازدهرت احوال المغرب الاوسط الاقتصادية حتى أصبحت تاهرت (١) مدينة عامرة بصنوف التجارات والتجار من مختلف الجنسيات ، وكانت وفرة الانتاج وكثرة المعروض فى الاسواق عاملا موثرا فى انخفاض الاسعار . وقد لفت ثراء المدينة وازدهار اقتصادها نظر اقتصادها القادمين اليها ويشير ابن الصغير الى دهشة وفد رسل البصرة بعد أن عادوا لتاهرت عقب فترة قصيرة من تأسيها فيقول " فرأوا هيئتها قد تبدلت ولاح عليها رونق المدينة واليسار وعلت وجوه أهلها سيماء الحضارة والرفاهية وبدت من محياهم آثار النعمة والغنى وازينت المدينة بقصور مشيدة وأبنية مبهجة وأسواق مزدحمة . (٢)

كما ازدهرت الاحوال الاقتصادية فى سجلماسة فى عهد حكم بنى مدرار ويدل على ذلك كبر حجم التعامل التجارى فى عهدهم اذ كان التجار يتداولون فيما بينهم (٣) صكوكا تتراوح قيمتها مابين أربعين ألف دينار أو يزيد . وكان

---

(١) يذكر اليعقوبى : البلدان ص ٣٥٢ أن تاهرت اصبحت عراق المغرب ويذكر البارونى : الازهار الرياضية ص ٤٢ أنه "لاترى داربها الا قيل هذه لفلان الكوفى وهذه لفلان البصرى ." ويذكر ابن ... احد التجار الفرس بها بلغ من ثرائة أن أبتنى سوقا خاصا له فى تاهرت ابن الصغير : سير الائمة الرستميين ص ٨٦ . ويذكر ابن حوقل كثرة الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين والعسل والسمن وضروب الغلات . صورة الارض ص ٨٦ .

(٢) ابن ابن الصغير : سير الائمة الرستميين ص ٢٧ ، ٥٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٦٤ يذكر الاصطخرى ان القوافل كانت تخرج من سجلماسة الى تاهرت ومنها الى القيروان فكان فستق قفصه يباع فى أسواق سجلماسة الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٣٧ ، ٣٨ .

لتبادل التجارة بين سجلماسة والقيروان (١) وتاهرت أثره فى انتعاش الحركة التجارية وزيادة العروض من مختلف السلع وا محاصيل مما يستتبع انخفاض الاسعار وازدياد الرخاء ، خاصة فى المدن التى حظيت باهتمام الحكام

ويذكر ابن خلدون (٢) ارتباط الرخاء بازدهار العمران بقوله : " فما عمرانه من الامصار اكثر وأوفر كان أهله فى الترف أبلغ ."

كما شاهد المغرب الاقصى انتعاشا اقتصاديا مماثلا صاحب قيام الدولة الادريسية ، اذ اهتم الادارسة بزراعة الاراضى وتشجيع التجارة وإقامة الاسواق (٣) ومراقبتها .

غير أن بلاد المغرب شهدت كثيرا من الازمات الاقتصادية أثناء حركات المقاومة ضد الفاطميين وماصاحبها (٤) من عنف وتخريب فبعد

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٣٧ ، ٣٨ ، البكرى : المغرب ص ٤١ الادريسى : صفة المغرب ص ٦١ يصف ابن حوقل أهل سجلماسة بانهم سراة مياسير " صورة الارض ص ٩٠ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٦١ - ٣٦٢ ويستطرد قائلا : " واعتبر ذلك فى المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من أمصاره مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجد بينها بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضى بفاس أوسع من حال القاضى بتلمسان وماذلك الا لتفاوت الاعمال فيها .... حتى تنتهى الى الامصار التى لاتوفى أعمالها بضروراتها ولا تعد فى الامصار اذ هى من قبيل القرى ولذلك نجد أهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال ."

(٣) ابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٩ - ٢٠ ويذكر ابن حوقل ماكانت تنعم به مدينة فاس من رخاء ورخص أسعار صورة الارض ص ١٠٠

(٤) ابو زكريا : السيرة وأخبار الائمة ص ٣٧ .

ان تمكن الفاطيون من فتح تاهرت قامت جيوش ابى عبيد الله الشيعى باتلاف " الحرث والنسل " (١) كما أضرمت النار فى سجلماسة ونهبت أموال الاوقاف بها . (٢)

وبعد أن استتب للفاطميين حكم البلاد وهدأت الثورات ضدهم بدأوا سياسة التخفيف من الضرائب كعلاج للمشكلات الاقتصادية التى عانتها البلاد ، وانتهجوا سياسة الاعتدال فانتعشت التجارة وزاد الانتاج وعادت الاسعار الى معدلها الطبيعى . فكان متوسط سعر قفيز القمح خمسين درهما ، وسعر الرطل من لحم الضأن درهما (٣) ، وأقل من ذلك بالنسبة لانواع اللحوم الاخرى ، وبلغ سعر الزيتون فى بعض الاحيان من الرخص بحيث كان يباع السبعون قفيزا بدينار . (٤) وهذه الارسعار فى جملتها ـ تتشابه الى حد كبير بما كانت عليه الاسعار فى مصر (٥) فقد كان متوسط سعر اردب (٦)

---

(١) ابو زكريا : السيره وأخبار الائمة ص ٣٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان حـ ١ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٢ ص ١١٤ . القفيز = ١٦ ويبة .

(٤) ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٧ ، ٧٣ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١١٥

(٦) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ يذكر أن تلك الاسعار نقلها عن ابن فضل الله الشهابى : مسالك الابصار وانها ظلت كذلك حتى عهده اى الى أواخر القرن الثامن الهجرى .

القمح في مصر خمسة عشر درهما ، والرطل من اللحم مايقرب من الدرهم .

هذا عن الاسعار في مصر والمغرب ونتحدث بعد ذلك عن المكوس .

ب ـ المكوس :ـ

وهي الضرائب المفروضة على التجارة الداخلية والخارجية . لم تختلف تلك الضرائب في بلاد المغرب عما كان معروفا منها في مصر . فقد فرض على التجار نوعا من الضرائب كانت تعرف باسم " المكوس "(١) كان لها في مصر ادارة خاصة . كان بها مقر صاحب المكس ، والمعروف أن العرب الفاتحين فرضوا(٢) على أصحاب التجارات والصناعات ـ منذ الفتح ـ ضرائب محددة تختلف حسب نوع تجارتهم . وكان صاحب المكس(٣) مسئول عن هذه الضرائب .

---

(١) المقدسي : المسالك والممالك ص ٢١٣ ويذكر المقريزي أن أصل كلمة " المكس " في اللغة " الجباية " يقال مكسه يمكسه مكسا ، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق الجاهلية ، والماكس هو المشار ويقال للمشار صاحب المكس ،والمكس أيضا انتقاص الثمن في البياعة ومكس درهم معناه نقص درهم في بيع ونحوه . " المقريزي : الخطط حـ ٢ ص ١٢١ .

(٢) كان مقر ادارة المكوس في قرية " أم دنين " شمالي الفسطاط التي كانت تسمى " المقس " ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥١ـ١٥٢ يذكر ان عمر كتب الى أمراء الاجناد ألا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه المواس (اهل الذمة) وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق منهم وأربعة دنانير على أهل الذهب وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مديان من حنطة وثلاثة أقسام من زيت في كل شهر .
Encyclopaedis of Jslann : Vol III P. 176.
الى جانب ادارة المكوس الموجودة بالقرب من الفسطاط عند أم دنين كانت

ويشير الكندى (١) الى أن موسى بن مصعب والى مصر من قبل الخليفة المهدى سنة ١٦٧ هـ — ٧٨٣ م فرض الضرائب على أهل الاسواق والدواب ، ويبدو انه يقصد انه تشدد فى جمع وتحصيل هذه الضرائب اذ كان الولاة يتفاوتون — مابين لين وتشدد فى تحصيل تلك الضرائب ، حتى كان القرن الرابع الهجرى فيضف لنا المقدسى (٢) صورة مفصلة للضرائب المفروضة على المنسوجات فى مدينة "شطا" بقوله : "وأما الثياب الشطوية فلا يمكن القبطى أن ينسج شيئا منها — الا بعد مايختم عليها بختم السلطان ولا تباع الا على يد سماسرة عقدت عليهم وصاحب السلطان يثبت مايباع فى جريدته ثم تحمل الى من يطويها ثم الى من يشدها بالقش ثم الى من يشدها فى السفط والى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ثم على باب الفرضة يؤخذ أيضا شئ وكل واحد يكتب على السفط علامته ثم تفتش المراكب عند اقلاعها وعلى شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقال ." (٣)

فكانت تؤخذ الضرائب على التجارة الداخلية ويعين مسئولون لجمعها فى الاسكندرية وتنيس ودمياط وغيرها من المراكز التجارية فى مصر السفلى وفى الصعيد (٤) وتشير اوراق البردى الى الضرائب التى كانت تجبى على مختلف الصناعات والتجارات فى مختلف مدن مصر . (٥)

= فى مصر مراكز لتحصيل المكوس فى العريش وعند موانى مصر فى عيذاب والقصير والقلزم وكان كل محصول القمح يجب أن يمر على صاحب المكس فى أى دنين قبل أن يصرح ببيعه فيؤخذ درهمين على كل اردب من القمح . ابن عبد الحكم ص ١٥١ — ١٥٢

(١) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ١٢٢ — ١٢٣

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٢٥ ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٢ ص ٥٤

(٣) المقدسى : المسالك والممالك ص ٢١٣

(٤) يذكر المقدسى : "رأيت بساحل تنيس ضرائبيا جالسا قبل قبالة هذا الموضع فى كل يوم ألف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية المقدسى : المسالك والممالك ص ٢١٣ .

(٥) Grohmann : Arabic Papyri Vol P. 7-8 .

ويذكر المقريزى أن ربيعه بن شرحبيل كان صاحب المكس فى ولاية عمرو بن العاص وأن رزيق بن حيان كان صاحب المكس فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز . الخطط حـ ٢ ص ١٢٢ .

وفرضت المكوس كذلك على التجارة الخارجية سواء الواردة الى مصر أو الصادرة منها ، فكان يعهد الى " صاحب المكس " بمراقبة من يمر على البلاد من التجار المسلمين وغير المسلمين .

وكان مقدار مايجبى من تجار المسلمين هو دينار عن كل أربعين دينار اى بواقع ٢,٥ ٪ من قيمة تجارتهم . أما من غير المسلمين فكان يؤخذ دينار عن كل عشرين دينار أى بواقع ٥٪ من قيمة تجارتهم فهى اذن ضعف ماكان يحصل من التجار المسلمين (١) . وكان يعفى من دفع المكوس أصحاب التجارات التى تقل قيمة تجارتهم عن أربعين دينار بالنسبة للتجار المسلمين وعشرين دينارا لغير المسلمين . وكانت تلك المكوس تجبى مرة واحدة فى السنة حتى لو تكرر قدوم التجار مرات متعددة خلال العام (٢) ، ويعطى التجار أوراقا تثبت تأديتهم لتلك الضرائب .

وفى بلاد المغرب ايضا فرضت المكوس على التجارة الداخلية فى الاسواق وبين المدن بعضها وبعض كما كان الحال فى مصر . وكان عامل المدينة يعين مسئولين يتولون جمع الضرائب المفروضة

---

(١) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ١٢٢ .

(٢) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ١٢٢ ويذكر القلقشندى أن المقرر فى الشرع أخذ العشر من تجارة غير المسلمين اذا شرط ذلك عليهم والمفتى به فى مذهب الامام الشافعى أن للامام ان يزيد فى المأخوذ عنه الى نصف العشر للحاجة الى الازدياد من جلب البضاعة الى بلاد المسلمين وأن يرفع ذلك عنهم رأسا اذا رأى فيه المصلحة وكيفما كان الاخذ فلا يزيد فيه على مرة من كل قادم بالتجارة فى كل سنة حتى لو رجع الى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة فى سنة لا يؤخذ منه شىء الا أن يقع التراضى على ذلك ، ثم الذى ترد اليه تجار الكفار من بلاد الديار المصرية ثغر الاسكندرية وثغر دمياط المحروستين تأتى اليهما مراكب الفرنج والروم بالبضائع وقد تقرر الحال أن يؤخذ منهم الخمس وهو ضعف العشر عن كل مايصل ليهم فى كل مرة وربما زاد ما يؤخذ منهم على الخمس أيضا . قال ابن مماتى فى قوانين الدواوين وربما بلغ قيمة مايتخرج عما قيمته مائة دينار ماينا هز خمسة وثلاثين دينارا وربما انحط عن العشرين دينارا قال ويطلق على كليهما خمس قال ومن الروم من يستأدى منه العشر الا أنه لما كان الخمس اكثر كانت النسبة اليه أشهر ولذلك ضرائب مستقرة فى الدواوين وأوضاع معروفة . القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٦٣ ــ ٤٦٤ .

على (١) القوافل التى تجتاز المدينة واعداد بيانات عنها وتقديمها له لمراجعتها ، وحصر البضائع المارة بالمدينة ومطابقتها بما جاء فى السجلات للتأكد من استيفاء الضرائب عليها ويذكر ابن حوقل " الضرائب التى كانت تفرض على التجارة بين المدن بقوله : " ولهم لوازم على المجتازين من فاس الى سجلماسة يلزمونهم على مامعهم من التجارة ويخفرونهم ." مما يوضح أنهم كانوا يتعهدون التجار المارين بهم بالحراسة والرعاية مقابل مايدفعون من ضرائب فهى أشبه ماتكون برسوم مرور . كما يذكر ماكان يجبى من ضرائب على التجارة المارة بسجلماسة وماكان يفرض على التجار بها بقوله : " ولم يزل الممتز وهو أميرها (يقصد سجلماسه) يجتبيها من قوافل خارجة ... وعشر وخراج وقوانين على مايباع بها ويشترى من أبل وغنم وبقر الى مايخرج عنها ويدخلها من نواحى افريقية وفاس والسوس وأغمات ." (٢)

وكذلك كانت تجبى المكوس على التجارة الخارجية بنفس القواعد التى كانت متبعة فى مصر (٣) فيما يتعلق بنسبة تحصيلها على تجارة المسلمين وغير المسلمين كما أوضحنا . وبذلك يمكننا القول بأن المكوس على التجارة المتبادلة بين مصر وبلاد المغرب كان مقدارها ٢,٥ ٪ من قيمة البضائع (٤) ، ويعطى التجار اشعارات تفيد تسديدهم لتلك الضريبة .

ـ • ـ

تلك كانت الاسعار والمكوس فى مصر وبلاد المغرب ونبين بعد ذلك العملة المتداولة فيها .

---

(١) يذكر ابن حوقل مسئولية عامل مدينة " سرت " فى جمع هذه الضرائب بقوله : " واليه جمع مجارى أمر البلد والنظر فيه وفيما ورد اليه وصدر فى استيفاء ضرائبه ولوازمه واعتبار السجلات والمناشير بمواجب ماعلى الامتعة وتصفحها خوف الحيلة الواقعة دون الاداء عنه بافريقية ." صورة الارض ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٦ ـ ٩٧ .

(٣) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٤) المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

حـ ـ العملة :ـ

كان الدينـــار الذهبى البيزنطـــى وحـــدة التعامل فى مصر وبـــلاد المغرب حتى عهـــد الخليفـــة الاموى عبد الملـــك بن مروان ٦٥ـ٨٦ هـ / ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م حين أمر بســـك [١] بســـك الدينـــار العربى ٠

وكان وزن الدينـــار البيزنطـــى المتداول فى مصـــر والمغـــرب حتى ذلك الوقـــت ٤,٢٥ جـــرام ينقـــش عليـــه اسم الملـــك او الامبراطـــور [٢]

كما استخدمت الدراهم [٣] الفضيـــة فيذكـــر البلاذرى أن " الدراهم من ضرب الاعاجم مختلفـــة كبـــارا وصغارا فكانوا يضربونها مثقـــالا وهـــو وزن عشرين قيراطـــا ويضربون منها وزن اثنى عشر قيراطا ويضربون بـــوزن عشر قراريـــط ٠ [٤]

---

(١) المقريزى : كتاب النقـــود ص ٥
البلاذرى : النقـــود ص ٣ وقد ظـــل العرب بعد الاسلام يتعاملـــون بالدنانير البيزنطية " وكانت نقـــود العرب فى الجاهلية التى تـــدور بينها الذهب والفضـــة لاغير ترد اليها من الممالك ودنانير الذهـــب القيصيرية من قبل الروم ٠" المقريزى : كتاب النقـــود ص ٣ كمـــا يذكر البلاذرى ان " دنانير هرقل كانت ترد على أهل مكة فى الجاهليـــة فكانوا لا يتبـــايعون الا على أنها بتر ٠" النقود ص ٣ ٠

(٢) ولم تكن قيمة الدينار هذا ثابتة وانما اذ كان يختلف مابين عشرة دراهـــم وثلاثة عشره درهما وقد تزيد على ذلك حسب نقاء الذهب ٠ البلاذرى :ـ كتاب النقـــود ٠

(٣) البلاذرى : كتاب النقـــود : ص ٣ ـ ٤

(٤) البلاذرى : كتاب النقود ص ٣ ، ٤ القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤١ ٠

وكان وزن الدرهم سبعة أعشار الدينار أى مايساوى ٢,٩٧٥ جراما ولما كان المثقال يعادل ٢٠ قيراطا فيصبح وزن قيراط الذهب ٠,٢١٢,٥ من الجرام .(١)

والى جانب الدنانير والدراهم عرف الفلس ويعلل المقريزى سبب سكة بقوله(٢) : " أنه لما كان فى المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدرهم أو جزء منه احتاج الناس من أجل ذلك فى القديم والحديث من الزمان الى شىء سوى نقدى الذهب والفضة يكون بازاء تلك المحقرات ."

ويشير المقريزى الى أن الخليفة معاوية بن أبى سفيان ٤١ ـ٦٠ هـ / سنة ٦٦١ ـ ٦٧٩ م ضرب دنانير اسلامية على طراز الدنانير البيزنطية(٣) كما ضرب " الدراهم السود الناقصة من ستة دوانيق وضرب منها زياد وجعل وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل .(٤)

---

(١) كان المثقال يعادل ٢٠ قيراطا قبل اصدار عبد الملك بن مروان للدينار العربى وبعد أصداره أصبح يعادل ٢١و٣/٧ قيراطا . البلاذرى : كتاب النقود ص ١٠ـ١١ ، المقريزى : كتاب النقود الاسلامية ص ٣٤ و القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٠.

(٢) المقريزى : اغاثة الامة ص ٦٦ـ٧٧ كشفت الحفريات التى أجريت فى اطلال مدينة الفسطاط عن مجموعة من الفلوس البرونزية تحمل اسماء ولاه أمويين مثل القاسم بن عبيد الله عامل خراج مصر Lavoix : Catalogue du Monnais Musulmane P. 456.
وبذلك يثبت خطأ المقريزى اذ أنه نسب ظهور هذه الفلوس الى عهد الكامل الايوبى ويبدو ان الذى حدا بالمقريزى لان يقع فى هذا اللبس هو أن قاعدة النقد فى مصر ظلت كما كانت قبل الفتح العربى هى الدينار البيزنطى الذهبى .

(٣) المقريزى : كتاب النقود ص ٦

(٢) المقريزى : المرجع السابق ص ٦ ، ٧ يذكر أنه لما اجتمع الامر لمعاوية بن أبى سفيان وجمع لزياد بن أبيه الكوفة والبصره قال : ياأمير المؤمنين

الا أن الطراز العربى للنقود لم يظهر الا على يد الخليفة الاموى عبد الملك (١) بن مروان ٦٥ـ٨٦ هـ / ٦٨٥ـ٧٠٥ م ، كضرورة للاستقرار الاقتصادى واستكمالا للوحدة السياسية التى نجح فى الوصول اليها بعد قضائه على الحركات المناهضة لسلطانه .

وقد عرفت دنانير عبد الملك هذه بالدنانير الدمشقية ، وكان ينقش عليها " الله أحد ... الله الصمد ... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وفى وسط أحد الوجهين وحولهما " محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون " وعلى

= ان العبد الصالح امير المؤمنين عمر بن الخطاب صغر الدراهم وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند وترزق عليه الذرية طلبا للاحسان الى الرعية فلو جعلت أنت عيارا دون ذلك العيار ازدادت الرعية به مرتعا ومضت لك السنة الصالحة . " الا أنه لم يعثر على الدنانير التى ضربها معاوية وأشار اليها المقريزى ولا يشككنا ذلك فيما ذكره المقريزى اذ ربما يكون السبب فى اختفائها امتصاص هذا النوع من النقود لصهره خلال عمليات التعريب .

(١) يجمع المؤرخون : البيهقى المحاسن والمساوئ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، الدميرى : فى حياة الحيوان ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، المقريزى : كتاب النقود ، الاب انستاس الكرملى : كتاب النقود العربية وعلم النميات على أن السبب فى ضرب النقود العربية هو أن أوراق البردى التى تصدر من مصر الى بيزنطة كانت تسجل عليها عبارات الايمان المسيحية " باسم الاب والابن وروح القدس " فكتب عبد الملك بن مروان الى عامله فى مصر عبد العزيز بن مروان بابطال هذا الطراز من الكتابة على البردى وأمره أن يكون طرازها شهادة التوحيد ولما وصلت أوراق البردى الاسلامية الى الامبراطور البيزنطى جستينان الثانى احتج فأمر عبد الملك بضرب نقود عربية عليها شهادة التوحيد وصب حينا من زجاج لتعبر عليها العملة وتضبط اوزانها .

Miles : Early Arabic Glass Weights and Stamps P.3.

الوجه الاخر فى الوسط " لا اله الا الله وحده لا شريك له ." وحول ذلك " بسم الله ضرب فى بلد .... قد ضربت هذه الدنانير فى المغرب منذ سنة ١٠٢ هـ / سنة ٧٢٠ م.

وقد ظل الدينار الذهبى يضرب بنفس العبارات التى سجلت على الدنانير (١) المدمشقية حتى سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٣ م حين بدأ سك الدنانير لاول مرة فى مصر فى دار الضرب بالفسطاط فى عهد الخليفة المأمون سنة ١٦٩ هـ / ٨١٤ . وأن كان الولاه فى مصر قد حصلوا منذ عهد هارون الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣ هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٨ م على حق كتابة اسمائهم على العملة سواء الدنانير أو الدراهم وقد أكد المقريزى ذلك بقوله " وهرون الرشيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر فى عيار الذهب والدنانير بأنفسهم . (٢)

وكانت أول دنانير تحمل اسم والى مصر وتسك فى الفسطاط تلك التى ضربها على بن سليمان العباسى سنة ١٦٩ هـ / ١٧١ هـ / ٧٨٥ ـ ٧٨٧ م وهى تحمل معظم العبارات الاسلامية التى تميزت بها الدنانير الاموية غير أن اسم الوالى يظهر (٣) أسفل الكتابة المركزية .

الا أنه من المعروف تاريخيا ان تغيير عبارات العقيدة المسيحية على البردى بعبارات التوحيد على يدى عبد الملك كان امرا طبيعيا يتفق والوضع الجديد الذى آلت اليه الدولة الاسلامية .وقد ظهرت عبارات ـ التوحيد واسم الرسول (صلعم) على اعداد كثيره من النقود الاسلامية قبل عهد عبد الملك وتبودلت النقود الاسلامية المضروبة على الطراز البيزنطى والنقود البيزنطية على السواء .

(١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص١٨ كشف حفريات الفسطاط عن مجموعة من النقود البرونزية ترجع الى عهد الولاه الامويين اذ تحمل بعضها أسماء الولاه او عمال الخراج كفلوس القاسم بن عبيد الله عامل خراج مصر سنة ١١٦ ـ ١٢٤ هـ / ٧٣٤ ـ ٧٤٢ م والى جانب اسماء الولاه والعمال المنقوشة على الفلوس التى ضربت فى الفسطاط فان السبيكه المصرية تميزت بطابع خاص اذ كانت اكثر سمكا وكانت تصنع من البرونز وتشبه تلك التى كانت تضرب الاسكندرية قبل الفتح . عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١٨

(٢) المقريزى : كتاب النقود الاسلامية ص ١٤

(٣) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص٥٢ ـ ٥٣ .

كما قام الاغالبة فى افريقية بسك العملة باسمهم فى القيروان مقرونا باسم الخليفة العباسى • نضرب ابراهيم بن الاغلب ١٨٤ــ١٩٧هـ سنة ٨٠٠ ــ ٨١٢م دينارا سنة ١٩٠ هـ / سنة ٨٠٥ م بلغ عياره ٤,٢٢ جراما سجل عليه اسم الخيفة العباسى وفى وسطة نقش " لا اله الله وحده لا شريك له محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق •

وكذلك سك زيادة الله دنانيرا بأسمه مقرونا باسم أبو العباس بن عبد الله ١٩٧ــ٢٠١ هـ / ٨١٢ ــ ٨١٦م (١) •

وفى فترة النزاع بين القواد فى مصر فى عهد الخليفة المأمون للاستئثار بالسلطة فى البلاد نجد أحد هؤلاء الثوار وهو " السرى بن الحكم " (٢) الذى أستطاع ان يبسط نفوذه على الوجه القبلى من مصر الى أسوان يسك دنانير ذهبية يضرب بعضها باسم " الفضل " وزير المأمون الى جانب أسمه • مؤرخه فى الفترة من سنة ٢٠٠ هـ ــ ٢٠٥ هـ •

---

(١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية •
Lavoix : Catalogue du Monnais Musulmane P.20

وكانت هذه الدنانير تضرب على غرار العملة العباسية التى كانت امتدادا للدنانير الدمشقية • ويلاحظ وجود بعض فروق فى عملة عبد الملك بن مروان (الدمشقية) التى سكت فى مصر سنة ٧٧م [illegible] وتلك التى سكت فى المغرب من حيث ترتيب أسطر الكتابة أو تكملة بعض النصوص القرآنية ولكن بعد سنة ١١٤ هـ اتخذت شكلا واحدا من ناحية ترتيب السطور وتكملة بعض النصوص القرآنية ••• وهى نفس التشابه الذى اتسمت به خلال السكة العباسية عامة •

عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٤٩ ــ ٥٠ •

(٢) يذكر ابو المحاسن أن الثوار وهم عبد العزيز بن الوزير الجردى الذى سيطر على شرقى الدلتا من شطنوف الى الفرما والسرى بن الحكم

والامر الذى يسترعى الانتباه (١) أنه سجل على بعضها لفظى " مصر ـ المغرب"

فذكر اسم المغرب بجوار اسم مصر على السكة التى ضربت فى مصر فى ذلك الوقت يعنى ـ بالدليل المادى ـ أن نفوذ مصر كان يمتد فى ذلك الوقت فيما وراء برقة الى الويقية ـ سياسيا واقتصاديا كذلك ، لان تسجيل اسم المغرب الى جوار مصر يتيح لهذه العملة التداول فى البلدين معا ، وهو أمر تتطلبه العلاقات التجارية المتبادلة بينهما ، فلم يذكر أسم المغرب على الدنانير فقط بل على الدراهم أيضا ، حيث سجل على أحد وجهى الدرهم عبارة " ضرب فى فسطاط مصر " وعلى الوجه الاخر كلمة " المغرب " (٢)

= وقبائل لخم وجذام التى سيطرت على غربى الدلتا والاسكندرية حاولوا الاستقلال بمصر عن المأمون ويذكر ساويرس انهم اقاموا بجباية الخراج لانفسهم وضرب الدنانير باسمائهم ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٢ ص ١٥٧ ساويرس: سير الاباء البطاركة ص ٢٤٨ ، المقريزى : كتاب النقود ص ١٩ ، النقشبندى الدينار الاسلامى ص ٤٣ ،

(١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١٠٢ يذكر أنه لم يعثر الا على دنانير السرى بن الحكم والتى سجل عليها لفظى مصر ـ المغرب ـ وأن احدا منها لم يشر الى المأمون بل كان على بعضها اسم الفضل وزير المأمون بلقبه ذو الرياستين وهو اللقب الذى لقب به سنة ١٩٦ هـ وكان الفضل يطمع فى الاستئثار بالنفوذ فى الدولة فى عهد المأمون ولم يمكن وضع السرى بن الحكم لاسمه الا لغرض اسقاط حق المأمون والعملة التى تحمل أسمه رقم ٨٨٦ ، ١٣٨٣ فى مجموعة Lavoix : Catalogue de Monnaies Musul manes P. 104 .

(٢) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١٠٢ ـ ١٠٣
G. Miles : Early Jslamic Brouze Courage P. 494.

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٨٠ ـ ١٨٢ ،

Lavoix : Catalogue de Monnaies Musulmanes
T. 213 , 880 , 891.

وبهزيمة ابن السرى سنة ٢١١ هـ / سنة ٨٢٦ م عادت السكة المصرية تتبع السكة العباسية ، التى كانت استمرار للطراز الاموى . (١)

ويمكننا ان نقدر قيمة الدينار فى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى بما يقرب من أربعة (٢) وعشرين درهما يتضح ذلك من احدى البرديات التى يرجع تاريخها الى سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م.

وكانت النقود المتداولة فى مصر عند قيام الدولة الطولونية هى النقود العباسية التى ضربت باسم الخليفة المتوكل وابنة المعتز والخليفة المعتمد وابنه جعفر وظلت هذه الدنانير متداولة فى مصر حتى سنة ٢٦٦ هـ ٨١٩ م (٣) حين ضرب احمد بن طولون دنانيره المعروفة "بالاحمدية" ولم يحذف اسم الخليفة المعتمد على الله العباسى من هذه الدنانير لانه لم يذكر عليه شرعية خلافته ، اذ كان يهدف الى اصلاح العملة وتنقية عيار

---

(١) الطراز : رقم ١٧٤ اوراق البردى العربية مجموعة جروهمان حـ ٢ ص ٩٩ وهى خاصة باستخدام عامل لزراعة الفول نصها " على أن يعطيه فى هذين الشهرين سدس دينار عن كل شهر درهمين . " فاذا كان سدس دينار من الذهب يساوى أربعة دراهم وهى الاجرة التى كان يدفعها صاحب الارض للعامل عن شهرين يتبين أن الدينار كان = ٢٤ درهما فى ذلك الوقت وهو عام ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م.

(٢) كانت العملة المتبادلة فى مصر قبل عام ٢٦٦ تشبه العملة المتداولة قبل قيام الدولة الطولونية ولم يكتب ابن طولون اسمه على العملة الا فى سنة ٢٦٦ / ٨٧٩ حيث نقش على العملة : لا اله الا الله وحده لا شريك له المفوض الى الله ... بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ست ستين ومائة لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله — محمد رسول الله — المعتمد على الله — احمد بن طولون
Lane Poole : Arabic Coins P. 7.
ويذكر المقريزى أن سبب ضربها أن احمد بن طولون ركب يوما الى الاهرام

الذهب وتنقية وزن الدينار على أعتبار ان اصلاح العملة (١) من شأنه تدعيم مركز مصر الاقتصادى الذى كان حريضا على النهوض به •

بعد أن استطاع العباسيون القضاء على الطولونيين سنة ٢٩٢ هـ — سنة ٩٠٤ م كانت العملة فى مصر ينقش عليها اسم الخليفة وحده غير مقرون باسم احد من الولاه ، واستمر هذا الوضع ثلاثين عاما تعاقب خلالها على الخلافة أربعة من الخلفاء العباسيين وهم :—

الكتفى والمقتدر والقاهر والراضى الى أن تولى مصر محمد بن طغج سنة ٣٢٣ هـ / سنة ٩٣٤ م فظلت العملة فى مصر مطابقة للعملة العباسية الى أن ضرب محمد بن طغج الاخشيد نقودا باسمه منذ عام سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ (٢) وظلت كذلك تحتفظ بتسجيل اسم الخليفة العباسى الى جوار اسمه •

= فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحى والمعاول فسألهم عما يفعلون فقالوا نحن قوم نتبع المطالب •••• وكشف عن حوض مملوء دنانير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربرية فاحضر من قرأه ففسره فقال ان فلان بن فلان الملك الذى ميز الذهب من غشه ودنسه فمن أراد أن يعلم فضل ملكى فلينظر الى فضلى عيار دينارى على ديناره حمل احمد بن طولون مابقى فوجده اجود عيارا من عيار السندى بن هاشك ومن عيار المعتصم فتشدد حينئذ فى العيار حتى لحق ديناره بالعيار المعروف له وهو الاحمدى الذى كان لايصاب باجود منه •" المقريزى : كتاب النقود : ص ١٩ — ٢٠

(١) ابن الداية : اسيره احمد بن طولون ص ٣٣ — ٣٤ •
المقريزى : كتاب النقود : ص ١٢ — ١٣ — ١٩ ، ٢٠

(٢) Lavoix : Catalogue du Monnais Muserlmane P. 23-24 .

وقد عثر على دينـــار ضرب فى مصر عام ٣٤١ هـ أى فى عهد ابنـــه ابو القاسم أنوجـــور لا يحمل اسمه بل اسم " المعز لدين الله " دون (١) الاشارة الى أحد من أبنـــاء الاخشـــيد • وهـــذا الدينـــار يحمل أســـم الخليفـــة الفاطمى المغربى والذى سك فى مصر سنة ٣٤١ هـ أى قبـــل الفتـــح الفاطمى •

فمن الثابت تاريخـــيا ان الدعاة الفاطميين قد تمكنوا من أخذ البيعـــة للمعز لدين الله الفاطمى من وجوه أهل مصر كما ثبت ولاء الاخشيديـــين لآل البيت وميلهم الى الاعتراف بالفاطميـــين • (٢)

وحين تم الفتح العسكرى للفاطميـــين سنة ٣٥٨ هـ / سنة ٩٦٨ م ضرب المعز لدين الله السكـــه فى مصر على غرار الدينـــار الفاطمى فى المنصوريـــة فاتحدت العملـــة فى مصر وبلاد المغرب وتشابهت فى النصـــــــوص

---

(١) يذكر عبد الرحمن فهمى أنه كتب عليه محمد رسول الله أرسله بالهـــدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين ـ لا اله الا الله محمد رسول الله ـ وفى ظهره بســـم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة احدى وأربعين وثلثمائة ـ المعز لدين اللـــه أمير المؤمنين • رقم ٩٥٦ مجموعة دار الكتب ـ عبد الرحمن فهمـــى النقود العربية ص ١٩٩ ـ ٢٠٠

(٢) عثر على قطعة من النسيج المصرى مؤرخه بعام ٣٥٥ هـ باسم المعز وكذلـــك قطعتين اخريين عثرا عليها فى حفائر الفسطاط ترجمان لعامى ٣٤٥ ، ٣٥٥ باسم المعز ـ متحف الفن الاسلامى رقم ١٣١٦٥ •

Combe, Sauvaget et wiet : Repertoire.

Chro. I. V P. 11-12 .

والعيـار (١) وكانت تعرف باسم الدنانـير المعزيـة • فغمرت أسواق مصـر بعد أن رفع المعز سعرها الى خمسة عشرة درهم ونصف لتفوق بذلك على غيرهما وعم تداولهـا •

والى جانب النقود كانت هناك وسائـل اخرى للمعاملات التجارية هى :ـ

١) السفاتج :ـ وهى محررات يكتبها التجار (٢) أو الصيارفـة أو المشتغلين بالاعمال الماليـة والتجارية بقيمة المبالغ التى يأخذونها تكون قابلـة للصرف فى أى بلـد لاى من عملائهم وكانوا فى هذا يقومون بدور البنـوك

وكانت كل سفتجـه توقع أو تختم من صاحبها لصراف او تاجـر حتـى تكون صالحـة للتداول • (٣)

وقد اضطلعت الاقلية من اليهود الذين أقموا فى مصر بالجانب الاكـبر من اعمال الصيرفـة فكانت نسبة العاملين منهم فى هذا المجال كبيرة • وكانـوا يقومون بعمليات التسليـف للتجـار وقبول السفاتج والصكوك لقاء عموله محـددة كما كانوا يقبلون الودائع ويعملون على تسهيـل عمليات الائتمان • (٤)

---

(١) يقصد بالعيار النسبة بين وزن المعدن الصافى الموجوده فى العملـة ووزنها الكلى • كان عيار السكة الذهبية فى مصر عند قيام الدولة الفاطميـة ٢٣,٥ قيراطا وهو نفس عيار السكة الفاطمية فكان هناك ثلاثة انواع مـن الدنانير عند دخول الفاطميين مصر ـ الخطط التوفيقيـة حـ ٢٠ ص ٣٥ • الدينار الراضى العباسى والدنانير الاخشيدية ثم المعزية ـ ابن ميسر اخبار مصر ص ٤٥ •

(٢) ناصر خسروا : سفرنامـه ص ٩٦ •

(٣) ابن مسكوية : تجارب الامم حـ ٢ ص ٨٣ •

(٤) ابن مسكوية : تجارب الامم حـ ٢ ص ١٨٨ •

وكان يشترط لقبولها ان يضمنها تاجر ويستدل على ذلك من أن عامل خراج مصر " الماذرائى " طلب من ابن الفرات " أما أن يكون حمله للمال مع رسل أو بسفاتج تجار على تجار فان كان مع رسل فأحضرهم واحضر القبوض التى كتبت على أيديهم أو بسفاتج فالقبوض من أربابها . (١)

وليس ببعيد أن تجار المغرب عرفوا السفاتج كنوع من التعامل فيما بينهم داخل بلادهم وكذا فى علاقاتهم الخارجية مع التجار فى مصر . خاصة أن هذه الطريقة تجعل اموالهم فى مأمن من اللصوص وقطاع الطريق لطول المسافة وبعد الطريق بينهما .

وكانت الصكوك تستعمل أيضا كوسيلة من وسائل دفع المال والصك أمر بدفع مقدار معين من النقود الى الشخص الوارد اسمه فيه . وقد استخدمت الصكوك منذ صدر الاسلام حيث كانت الارزاق والرواتب تدفع بها احيانا فكان عمر بن الخطاب أول من " صك وختم أسفل الصكاك " (٢) وبازدياد النشاط التجارى فى القرن الرابع الهجرى شاع استخدام الصكوك . كما كانت الصكوك فى (٣) بعض الاحيان تكتب وتصرف على بيت المال أو على التجار والصرافين الذين كانوا يتقاضون عمولة نظير ذلك تبلغ درهما على كل دينار (٤) . كما جرت العادة أن يوقع على الصك شاهدان ثم يختم فى أسفله . (٥)

ولم يكن يحدد تاريخ معين لاستيفاء الصك .

---

(١) الصابى : تحفه الوزراء ص ١٠٤ ــ ١٠٥

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى حـ ١ ص ١٣٢ ــ ١٣٣ .

(٣) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ص ٢١٤ ــ ٢١٥ .

(٤) متز : الحضارة الاسلامية حـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٥) ابن قتيبة : عيون الاخبار حـ ١ ص ٢٢٥ .

واستخدمت الصكوك فى المعاملات التجارية فى بلاد المغرب فيذكر الاصطخرى (١) ان تجار سجلماسه كانوا يتبادلون فيما بينهم صكوكا تتراوح قيمتها مابين أربعين ألف دينار كما يذكر ابن حوقل " رأيت بأودغست صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار اودغست وهو من سجلماسه باثنين واربعين ألف دينار • (٢)

تلك اهم النظم المالية فى مصر وبلاد المغرب من حيث الاسعار والمكوس والعملة المتداولة بينهما •

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٣٣ ، ٣٨
القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٥ ص ١٦٤ •

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٦ - ٩٧ اودغست مدينة فى المغرب الاقصى تبعد عن سجلماسة ست وأربعون مرحلة جنوبا • "

الباب الرابع

العلاقات الثقافيـــــة

الفصل الاول : مدرسة الفسطاط ـ الفصل الثانى مدرسة القيروان ـ الفصل الثالث الصلات بين الفساط والقيروان ـ الفصل الرابع الدعوة الاسماعيلية فى المغرب كحركة فكرية وأنتقالها الى مصر •

ـ•ـ

بعد أن عرضنا لمظاهر العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية سنعمد الى دراسة العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد المغرب ، ونوضح الصلات والتأثيرات المتبادلة بينهما • مبتدئين بالحديث عن مدرسة الفسطاط ، وعوامل تكون هذه المدرسة وسماتها البارزة فى مختلف فروع العلم ، والطابع الذى تميزت به وموقفها من المذاهب الغريبة من معتزلة وشيعة وخوارج • ثم ننتقل الى الحديث عن مدرسة القيروان فنبين عوامل تكونها والطابع الذى تميزت به •

ثم نعرض للصلات بين مدرسة الفساط ومدرسة القيروان ورحلة علماء كل منها الى الاخرى ، والتأثيرات المتبادلة بين المدرستين ، والى أى حد تأثرت كل منهما بالاخرى ، ونواحى تأثرها ، وننتهى بالحديث عن الاسماعيلية ومظاهر نشأتها بالمغرب وكيف انتقلت الى مصر وموقف المصريين منها •

ـ•ـ

الفصل الاول

مدرسة الفسطـــــاط

كان لصحابة رسول الله صلى الله علية وسلم الذين قدموا الى مصر ، الفضل فى وضع أساس أول [(١)] مدرسة اسلامية فى مصر وهى مدرسة الفسطاط .

وقد تولى التدريس فيها عدد من كبار الصحابة [(٢)] الذين قدموا مع الفتح وبعده . وحرص هؤلاء الصحابة على تفقيه المصريين فى أمور الدين وما يتعلق بتفسير القرآن ورواية الحديث .

وقد ساعد على ازدهار مدرسة الفسطاط انتشار اللغة العربية بين سكان مصر .

---

(١) تفرق الصحابة فى مختلف الامصار التى فتحها المسلمون ليعلموا اهلها اصول الدين وينشروا علوم القرآن .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ،
المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٣٣٢ .

(٢) كان من اشهر الصحابة الذين أتوا الى مصر عبد الله بن عمرو بن العاص اذ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مايقرب من مائة حديث ومن بين الصحابة أيضا خارجة بن حذافه الذى قدم مع جيش عمرو فضلا عن عمرو بن العاص نفسه وكذلك كان من بين الصحابة بسر بن أبى أرطأة والمستورد بن شداد النهرى وعبد الله بن سعد بن أبى سرح والزبير بن العوام وعبد الله بن عمر بن الخطاب والمقداد بن الاسود وعلقمة بن رمثة البلوى ومعاوية بن أبى سفيان وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعمار بن ياسر ومن صحابة رسول الله أيضا أبو ايوب الانصارى وعباده وأبو ذر الغفارى وقيس بن سعد وجابر الانصارى وسهل بن سعد الساعدى ومسلمة بن مخلد الانصارى وفضالة بن عبيد الانصارى ورويفع بن ثابت وأبو هريرة وأبو بصرة الغفارى وحبيب الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى ومعاذ بن أنس الجهنى وعبد الله بن جزء الزبيرى وابن سند وديلم الجيشانى وأبو ثور الفهمى وعقبة بن الند ...
=

بمكان مصر خاصة بعد أن أصبحت [١] لغة البلاد الرسمية ، وصارت فى أواخر القرن الثالث الهجرى / العاشر الميلادى لغة الثقافة فى مصر بعد أن انتشر الاسلام بين الكثرة الغالبة من المصريين • وأزداد اهتمام المسلمين من المصريين بتلقى العلوم الدينية • [٢]

وقد تتلمذ على يد هؤلاء الصحابة والتابعين كثير من المصريين الذين

= وعبد الرحمن بن عديس البلوى وأبو زمعة البلوى وجنادة الازدى وسفيان الخولانى ومعاويه بن حديج التجيبى وأبو جمعة حبيب بن السباع وأبو فاطمة الازدى ومالك بن عتاهية التجيبى وعمرو بن الحمق الخزاعى وأبو الاعور السلمى وأبى بن عمارة ومالك ابن هبيرة ومهاجر مولى أم سلمة وأبن حوالة الازدى وجبان بن بج الصدائى وزياد بن الحارث الصدائى وأبو عميرة المزنى وأبو دحج البلوى وأبو مسلم الغافقى وصلة بن الحارث الغفارى وغيرهم فقد افرد أبن عبد الحكم بابا ذكر فيه أسماء الصحابة الذين قدموا مصر وحدثوا بها ، كما يذكر جماعة من الصحابة الذين دخلوا مصر وعرف دخولهم برواية غيرهم وهم سعد بن أبى وقاص وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن الزبير وأبو عبد الرحمن الفهرى وكان قدومه بعد موت أخيه وأبيه اللذان أسسا دار السلسلة فى الفسطاط •

ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٨ ــ ٣١٨ ، أبن سعد : الطبقات جـ ٧ ، ص ١٨٩ •

(١) الكندى : الولاة والقضاه ، ص ٥٨ ــ ٥٩

Quatremere : Recherches sur la langue et lq literature d'Egypte . P05, Butler : The ancicnt coptic churches of Egypt vol.2.P.251.

(٢) أبن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٨ ــ ٢٥١ •

برز منهم علماء وفقهاء . وكان عبد الله بن عمرو بن العاص ـ اشهر الصحابة الذين أخذ عنهم [١] المصريون وتتلمذوا على أيديهم .

وكانوا أول ثمار لغرس هؤلاء الصحابة والتابعين ومن أشهرهم يزيد بن حبيب وعبد الله بن جعفر [٢] اللذان اسند الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر الافتاء في مصر مع جعفر بن ربيعة العربي ، لما اشتهرا به من تفوق في الفقه وعلوم القرآن .

وكما كان لقدوم العديد من فقهاء وعلماء العالم الاسلامي الى مصر ، وارتحال فقهاء وعلماء مصر الى المدارس [٣] الاسلامية في الحجاز والعراق ، أثره في ازدهار الحركة العلمية في مصر وتفوقها على مختلف مذاهب الفكر والثقافة خارجها .

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم أن المصريين قد رووا عنه مايقرب من مائة حديث فتوح مصر ، ص ٢٤٨ .

كما يذكر المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ أن أهل مصر كانوا يتبعون في الاكثر فتاوى عبد الله عبد عمرو بن العاص .

(٢) يذكر المقريزى أن يزيد بن حبيب من أجل فقهاء مصر ولد سنة ٥٢ هـ ودرس على يديه عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد وتوفى سنة ١٣٨ هـ . المقريزى الخطط ، ح ٢ ، ص ٣٣٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ح ١ ص ٣٣٢ و السيوطى : حسن المحاضره ، ح ١ ، ص ٢٠٧ .

(٣) يذكر المقريزى أن أول من رحل من أهل مصر الى العراق في طلب الحديث هو أبو سعيد عثمان بن عتيق ، وأن أول من أقرأ القرآن بمصر أبو أمية عبيد بن محمد المعافرى في مسجد عمرو بالفسطاط عن رواية نافع .

وقد كان مسجد عمرو بن العاص (١) فى الفسطاط مركز هذه الحركة العلمية ، ويصفه المقدسى (٢) حين زار الفسطاط فى القرن الرابع الهجرى / الحادى عشر الميلادى بأنه كان يضم مائة مجلس وعشر فيذكر " أنه اعمر موضع بمصر ، وهذا الجامع أبدا بين المشائين غاص بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الادب والحكمة . فننظر فاذا نحن بين مجلسين ولا نرى أجل من مجالس القراء به " .

---

(١) أبن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ،
الكندى : الولاه والقضاه ، ص ٥٤٤ ـ ٥٧٧ ،
ابن سعيد : المغرب ، ص ٢٥ .

(٢) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٩٩ ، ويصف ناصر خسرو ما شاهده من ازدهار الحياة العلمية به فقال انه " مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة لا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة الاف من طلاب العلم والغرباء " ناصر خسرو : سفرنامه ص ٥٩ . وقد ظلت صلاة الجمعة تقام فى جامع عمرو بأعتباره أول مسجد انشئ فى مصر الاسلامية حتى أنه فى منتصف القرن الرابع الهجرى وصفه المقدسى بالفخامة وحسن البناء وبأنه " أعمر موضع فى مصر " . المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٩٩ ، وكان بناؤه الاول زمن عمرو بسيطا مكان طول الجامع خمسين ذراعا وعرضه ثلاثين ثم زاد فيه مسلمة بن مخلد والى مصر من قبل معاوية سنة ٥٣/٦٧٢م وتعاقبت الزيادات بعد ذلك وأتم ما طرأ عليه من تعمير كان على يد عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل المأمون سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٧م فقد تضاعفت مساحة المسجد من الناحية الغربية .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣١ = ١٣٢ ، الكندى : الولاة والقضاة ص ١٣٤ .
القريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٣ ، أبو المحاسن : النجوم ، حـ ١ ، ص ٢١٧ ، ابن دقماق ، الانتصار ، حـ ٤ ، ص ٦٥ ـ ٦٦ ، ابن سعيد : المغرب ، ص ٢٥ .

فهذا النص يؤكد المكانة العلمية للمسجد الجامع في الفسطاط التي لم تتأثر بوجود جامع ابن طولون والجامع الازهر ، فقد ظل المسجد الجامع بالفسطاط مركز الحياة الثقافية في مصر ومحورها ، ومدرستها الاسلامية الاولى .

وكان أهم ما أتسمت به المدرسة المصرية ، ذلك الطابع الديني الذي غلب عليها ، فكانت العلوم التي تدرس في مدرسة الفسطاط خلال القرن الاول الهجري ، السابع الميلادي علوما دينية . اذ تبوأت العلوم الدينية بها مركزا رفيعا متميزا [١] باقبال المسلمين من المصريين على القرآن الكريم والحديث واهتمامهم بتفسيرها ودراستها .

وحظيت علوم القرآن والحديث بنصيب كبير في مدرسة الفسطاط ، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص اكثر الصحابة في مصر رواية للحديث ، ويذكر ابن عبد الحكم [٢] الاحاديث التي رواها صحابة رسول الله (ص) في الفسطاط

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ ،
السيوطي : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٦٢ ــ ١٦٣ ،
المقريزي : الخطط ، حـ ١ ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

(٢) يذكر ابن عبد الحكم أن للمصريين عنه شبيه بمائة حديث ويروى انه استأذن الرسول (ص) ان يكتب عنه فأذن له كما قال عنه أبو هريرة (ما كان احد احفظ لحديث رسول الله (ص) مني الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه يكتب ولا اكتب .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ ، ابن سعد : الطبقات ، حـ ، ص ١٨٩ ، ابن الاثير : اسد الغابة حـ ٣ ، ص ٢٣٣ .

وأشار اليها السيوطى فى كتابه " در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة " وقد بلغ من دقة تلك الاحاديث ان اعتمد عليها اصحاب [1] الكتب الستة المشهورة فى الاحاديث .

وكان من ابرز محدثى مصر الفقيه " يزيد بن أبى حبيب " احد الثلاثة [2] الذين اسند اليهم الخليفة عمر بن عبد العزيز امر الافتاء فى مصر كما ذكرنا .

ورحل كثير من علماء مصر لطلب الحديث الى المدينة المنوره والعراق ، كان اولهم أبو سعيد عثمان بن عتيق . [3]

---

(١) دكتور محمد كامل حسين : ادبنا العربى فى عصر الولاه ، ص ٤٢ .

(٢) جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز امر الافتاء فى مصر الى ثلاثة : يزيد ابن أبى حبيب المصرى الذى ولد بمصر سنة ٥٢ هـ وتوفى سنة ١٣٨ هـ ، وعبد الله بن أبى جعفر وهو مصرى أيضا وعربى واحد هو جعفر بن أبى ربيعه ، وقد أخذ بعض العرب على الخليفة عمر اسناده أمر الافتاء لهذين المصريين فرد عليهم بقوله " ما ذنبى ان كانت الموالى تسمو بأنفسها صعدا وانتم لاتسمون " مما يبين مدى ما وصل اليه المصريون من العلم والفقه حتى تفوق بعضهم على العرب .
ابو المحاسن : النجوم ، حـ ١ ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ، السيوطى : حسن المحاضره ، حـ ١ ، ص ١٢٠ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٢ . وقد اثنى الليث أبن سعد على يزيد بن أبى حبيب لعلمه وفقهه وقد أخذ عنه عبد الله بن لهيعه والليث ابن سعد .
ابو المحاسن : النجوم ، حـ ١ ، ص ١٤٣ ، ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٣) رحل ابو سعيد عثمان بن عتيق الى العراق لطلب الحديث ، وتوفى بمصر سنة ١٨٤ هـ المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

وبرز كثير من فقهاء مصر الذين عنوا بالحديث من أشهرهم الليث بن سعد (١) الذى توفى سنة ١٧٥ هـ / سنة ٧٩١ م وكان ملما بالحديث متفقها فى الدين ، وتولى مهمة الافتاء فى مصر .

كما كان عبد الله بن وهب (٢) بن مسلم المتوفى سنة ١٩٧ هـ / سنة ٨١٢ م من أوائل جامعى الحديث فى مصر ، فقد دونه فى كتابه " الجامع الحديث " وقد عثر على معظم هذا الكتاب حديثا فى مدينة ادفو ويعد من اقدم المخطوطات العربية فى جميع مكاتب ومتاحف العالم وهى نسخة مكتوبة على ورق البردى يرجع تاريخها الى القرن الثالث الهجرى . (٣)

وكان لفقهاء مصر دور واضح فى ازدهار علم القراءات ومن اشهر من برز

---

(١) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٣٣٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

(٢) تتلمذ عبد الله بن وهب المصرى على يد الامام مالك بن أنس فى المدينة حين وفد اليها سنة ١٤٨ هـ وقد خصه الامام مالك دون سائر تلاميذه بلقب المفتى اعترافا منه بفضله ، وعلمه . ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ١ ، ص ٢٤٩ .

(٣) دكتور حسن أحمد محمود : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٧٩ .

منهم عثمان بن سعيد المصري الملقب بـ " ورش " صاحب القراءة (١) التي لا زالت تعرف بأسمه الى اليوم وهى تستند الى رواية نافع . ويعقوب الازرق يوسف بن عمر المصري الذى تتلمذ على يد ورش وخلفه فى رياسة الاقراء بمصر .

كما انتقلت المذاهب الاسلامية الى مصر ودرست فى جامع عمرو فى الفسطاط ، منذ العصر العباسى (٢) . وكان ابن وهب المصرى

---

(١) ابو المحاسن : النجوم ، حـ ٢ ، ص ١٥٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ٢٧٨ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ١٤٣ ، ياقوت معجم الادباء ، حـ ٥ ، ص ٣٣ .

(٢) نشأت فى العصر العباسى المذاهب الاربعة المعروفة الى اليوم وكانت اوجه الاختلاف بينها يتعلق بالاجابة عن المسائل التى تعترض المسلمين ولا يوجد نص صريح لها فى القرآن ولا فى الحديث فتمسك فريق بأتباع الحديث ، وتمسك الآخر بأتباع الرأى وفريقين هذا وذاك . وأقدم هذه المذاهب هو مذهب الامام أبى حنيفة الذى ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفه وتوفى سنة ١٥٠ هـ ببغداد ، ويعد امام اهل الرأى والقياس ، ويليه مذهب مالك بن أنس الاصبحى الذى ولد بالمدينة سنة ٩٥ هـ او سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩ هـ فى المدينة وهو يتمسك بالحديث ولا يلجأ الى الرأى . ثم مذهب الامام الشافعى ، وقد ولد الشافعى بغزة سنة ١٥٠ هـ وقدم مصر سنة ١٩٨ هـ بعد تلقيه العلم فى الحجاز والعراق وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ وهو يجمع بين الرأى والحديث ويمزج بينهما وآخر هذه المذاهب هو المذهب الامام أحمد بن حنبل الشيبانى الذى ولد سنة ١٦٤ هـ ببغداد وتوفى سنة ٢٤١ هـ واشتط فى المغالاة فى أتباع الحديث حتى الضعيف منه . ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ٢ ص ٢١٨ ،

استاذ المالكية في مدرسة الفسطاط . ولم يكتف أبن وهب بتدريس الموطأ " الذى كتبه الامام مالك " بل كان يناقشه ويدقق فى أختيار احاديثه .(١)

وقد شارك الفقيه أشهب بن عبد العزيز .(٢) العامرى أبن وهب فى تدريس المالكية بمصر ، وهو الذى قال عنه الامام الشافعى " ما اخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه " .(٣) والليث بن سعد الذى وصفه

= حـ ١ ص ٥٥٥ ، ٦٦٥هـ ، الكندى : الولاة والقضاة ص ١٠٤ ، المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ١ ص ١٢٠ -١٢٢ ، حـ ٢ ، ص ١٧٥ ، ١٧٧ .

ويذكر أبن فرحون : الديباج المذهب أن عثمان بن الحكم الجذامى هو أول من قدم بعلم مالك الى مصر . أبن فرحون : الديباج المذهب ص ١٨٧ ، بينما يذكر المقريزى أن أول من قدم بعلم مالك الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى الذى توفى بمصر سنة ١٦٣ هـ ويبدو أنهما معا قد تتلمذا على يد الامام مالك فى المدينة وقدما الى مصر معا .

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٢١ ، أبن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

الامام مالك هو مالك بن أنس بن أبى عامر ولد بالمدينة سنة ٩٢ هـ ، تعلم الفقه والحديث على علماء أهل المدينة الذين كان طابعهم الاعتماد على السنة ولا يتجهون الى الرأى . توفى سنة ١٧٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ ، السيوطى : حسن المحاضره ، حـ ١ ، ص ١٢١ . ويذكر من أشتهر من فقهاء المالكية فى مصر منهم طليب بن كامل اللخمى احد كبار اصحاب مالك الذى توفى بمصر سنة ١٧٣ هـ ، وسعيد بن عبد الله بن أسعد المعافرى . السيوطى حسن المحاضره ، حـ ١ ، ص ١٢١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

الشافعى بقوله أن الليث " افقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به " [١] أى انهم لم يهتموا بتدوين آرائه وتفسيراته ، وقد تتلمذ على يديه عدد من العلماء الذين اعتمد عليهم البخارى فى جمعه للحديث . [٢] وعبد الله بن القاسم الذى خلف اشهب فى رئاسة المالكية فى مصر [٣] .

وبقدوم الامام الشافعى [٤] مصر سنة ١٩٨ هـ ، سنة ٨١٣م أشتد التنافس بين المدرستين المالكية والشافعية وشهد مسجد عمرو كثيرا من

---

(١) ولد الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى فى قرقشندة (بمحافظة القليوبية وتسمى الآن قلقشنده وتوفى بمصر سنة ١٧٥ . السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) اشتهر من تلامذه الليث عبد الله بن المبارك وأبو النصر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وعبد الله بن وهب وعبد الله بن صالح واسحق بن الفرات ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ص ٣٣٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٢١ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٦٦ ، الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٩٣ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ وتفقه على يدى الامام مالك وصحبه مدى عشرون عام وتوفى بمصر سنة ١٩١ هـ .

(٤) تلقى الامام الشافعى العلم فى مكة والمدينة وبغداد ثم رحل الى مصر سنة ١٩٨ هـ ويذكر ابن خلدون أنه مزج بين طريقة أهل الحجاز وطريقة أهل العراق فجمع بذلك بين مذهبى الرأى والحديث ، وقدم مصر مع عبد الله بن العباس بن موسى والى مصر العباسى . ابن خلدون : المقدمة ص ٣٧٥ ، الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

المناظرات والمناقشات بين أنصار المذهبين ، مما أذكى روح المنافسة[1] العلمية بين المصريين .

وظهرت المؤلفات فى الدفاع عن كل من المذهبين والرد على مخالفيهما ، منها كتاب " عيسى بن أبان "[2] فى الرد على الشافعى وكتاب أبراهيم بن أسماعيل فى الرد عليه أيضا .

وشهد القرن الرابع الهجرى غلبة المذهبين فكان للمالكية فى جامع عمرو خمس عشرة حلقه وللشافعية[3] مثلها ، واشتد التنافس بينهما ، وكان الامر يصل الى حد القتال فى بعض[4] الاحيان .

---

(١) ابن سعيد : المغرب ، حـ ٤ ، ص ٢٤ .
وقد أقبل الفقيه المالكى عبد الله بن عبد الحكم يساعد الامام الشافعى عند قدومه مصر ، فيذكر ابن خلكان أنه أعطاه الف دينار من ماله الخاص وجمع له مبلغا آخر . وقد تفقه على يد الامام الشافعى ، وحين مات الشافعى عاد عبد الله بن عبد الحكم الى المالكية مرة أخرى الى أن توفى سنة ٢٦٨ هـ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ٣١١ ــ ٣١٢ ،
أبن سعيد : المغرب ، حـ ٤ ، ص ٢٤ ــ ٢٥ .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٥٧٧ ،
ابن سعيد : المغرب ، حـ ٤ ، ص ٢٤ .

(٤) يذكر ابن سعيد أنه حدث فى سنة ٣٢٦ هـ أن " عاد اصحاب مالك والشافعى الى القتال فى الجامع العتيق حتى أضطر الاخشيد الى نزع حصرهم ومساندهم واغلق الجامع فى غير أوقات الصلاة ثم سئل الاخشيد فيهم فردهم " . ابن سعيد : المغرب ، حـ ٤ ، ص ٢٤ .
كما يذكر الكندى أن القاضى الشافعى اسماعيل بن عبد الواحد الذى ولى قضاء الفسطاط سنة ٣٢١ هـ اخرج من كان بمسجد عمرو من المالكيين والحنفيين عن طريق الاستعانة بالشرطة .

أما عن المذهب الحنفي [١] ـ وهو مذهب الدولة العباسية الرسمي ـ فقد نقله الى مصر القضاة الذين كانوا يعينون من قبل الخلفاء العباسيين في بغداد ، [٢] وكان اولهم " اسماعيل ابن اليسع الكندى " الذى تولى القضاء من قبل الخليفة المهدى سنة ١٦٤ هـ / سنة ٧٨٠ م [٣] والذى كان يرى ابطال الاحباس اتباعا لابى حنيفة ولم يكن ذلك سائغا في مصر .[٤] ويذكر الكندى أنه " أول من ولى مصر يقول بقول أبى حنيفه ... وكان من خير قضاتنا غير أنه كان يذهب الى مذهب أبى حنيفه . " فالكندى هنا يعكس شعور المصريين العام وموقفهم تجاه المذهب الحنفي حيث لم يجد هذا المذهب ميلا في نفوسهم .

فقد كان تمسك أهل مصر الشديد بالسنة سببا في اعراضهم عن المذهب الحنفي الذى يعتمد على الرأى كثيرا .

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٥٧١ .

(٢) الكندى : الولاة والقضاء ويذكر الكندى أنه كان عالما فقيها كثير الصلاة والتلاوة وكان اذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرض من تقدم اليه وما حكم به على نفسه وكان يكثر الوعظ للخصوم ولاسيما عند اليمين ، وكان يحاسب أمناءه في كل وقت ويسأل عن الشهود " .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٥٧١ .

(٤) يذكر الكندى أن الليث كتب الى أبن جعفر " أننا لم ننكر عليه شيئا ، غير أنه أحدث احكاما لانعرفها ".
الكندى: الولاة والقضاه ، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

ويحدثنا الكندى (١) أن الليث كتب يعبرعن سخط المصريين لتوليـــة أسماعيل بن اليسع الحنفى القضاء بقوله : " انك وليتنا رجلا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا .. فكتب بعزله ." (٢)

وتولى قضاء مصر بعد ذلك عدد من القضاه من أصحاب مذهب أبى حنيفة (٣) ، كان من بينهم بكار بن قتيبه الذى تولى قضاء مصر من قبل الخليفة المتوكـــل سنة ٢٤٦ هـ / سنة ٨٦٠ م أخذ ينشر المذهب الحنفى بين المصريين حتى وقـــع خلاف (٤) بينه وبين ابن طولون فحبسه حتى مات سنة ٢٧٠ هـ ، سنة ٨٨٣ م . ولم يكن بمصر انصار كثيرين لهذا المذهب ، الذى أهمل شأنه فى عهد الدولـة الطولونيـة ، لاستقلال مصر الفعلى عن الدولـة العباسية فتلاشى مذهبهـا الذى حاولت فرضـه فى مصـر .

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ٣٧٢ ــ ٣٧٣ ، ٥٧٠ ، ويذكر المقريـــزى أن قاضى بغداد أبو يوسف يعقوب بن أبراهيم وهو حنفى المذهـــب الذى تولى القضاء فى عهد الرشيد هو الذى كان يشير على الخليفة فـــى اختيار قضاة مصر ممن يزكيهم ويؤيدهم عنده . المقريزى : الخـــطط ، حـ ٢ ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣ ، ص ٥٧٠ .

(٣) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .

(٤) رفض بكار بن قتيبه أوامر ابن طولون فى لعن الخليفـة الموفق على المنابـــر فحبسـه أبن طولون فى الرحبـة المعروفه " بدار الحرف " وكان فيهـــا طاق يجلس يتحدث فيها ويكتب عنه وهو السجن " . حتى توفى بكـــار بن قتليبه وقد تتلمذ على يديه عدة فقهاء كان أشهرهم كاتبه " الطحـاوى " الذى ألف كتابه المعروف بأسم " المختصر فى الفقه " . الكنــدى : الولاة والقضـاة ، ص ٥٧٠ .

هكذا كان للمسجد الجامع فضله فى نشر علوم القرآن ، ودوره فى ازدهار العلوم الدينية بمدرسة الفسطاط فهو " بين المشائين غاص بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الادب والحكمة [1] " " لا يقل من نيه فى أى وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء . " [2]

وقد ازدهرت فى مدرسة الفسطاط علوم اللغة والادب والتاريخ منذ القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى . وبرز بمصر كثير من العلماء والاساتذة الذين أزدهرت على أيديهم الدراسات [3] اللغوية والادبية والتاريخية .

فاشتهر من علماء اللغة بمصر " سوج الفول " والوليد ابن محمد التميمى المشهور بولاد ، الذى وضع اساس مدرسة النحو فى مصر بعد أن درس على يد نحاه المدينة المنوره " من امثال الخليل بن أحمد [4] والمهلبى . وقد اتبع احمد بن ولاد منهجا جديدا مبسطا فى دراسة النحو يختلف عما كان يتبعه مشاهير النحاة فى العراق . [5]

---

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٩ .
(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٥٩ .
(٣) السيوطى : بغية الوعاة ، ص ٤٥ .
(٤) السيوطى : بغية الوعاة ، ص ٤٥ - ٤٦ .
(٥) وضع احمد بن محمد بن ولاد التميمى كتاب " المنمق فى النحو " وقد توفى أحمد بن محمد هذا فى مصر سنة ٢٩٨ هـ وألف أبنه ابو العباس كتاب " المقصور والممدود " والتزم فيه منهجا جديدا . وهو الكتاب الذى نقده المتنبى فى مصر وقد بداه أبن ولاد بحرف الالف مخالفا فى ذلك مذهب الخليل بن احمد وقال أبن ولاد فى مقدمة الكتاب " ولعل بعض من يقرأ كتابنا هذا ينكر ابتداءنا فيه بالالف على سائر حروف العجم لانها حرف معتل ولان الخليل ترك الابتداء بها فى كتابه العين .. لاننا نقصد الى أن نقرب على طالب الحرف فيه مايطلبه . " السيوطى : بغية الوعاة ص ١٦٩ - ١٧٠ .

كما أشتهر بمصر في العصر الاخشيدي " سيبويه "(١) الذي تتلمذ علـــى الفقيـه المصري " أبن الحداد " وتفوق في النحو وذاعت مقدرته وعلمه الـــى جانب تفوقـه في تفسير القرآن الكريـم ومعرفـة احكامه والمامه بالحديث ومعانية كما ازدهرت الدراسات الادبيـة بمصر ويذكران خلكان أن ابا جعفر النحاس بن اسماعيل " فسر عشرة دواوين واملاها على تلاميذه بمصر " .(٢)

وكان طلاب الادب يحضرون المجالس الادبية التي انتعشت في مصـــر بقدوم عديد من أدباء العراق(٣) أمثال أبن جرير الطبري والمهلبي وغيرهمـــا ، حتى غدت الفسطاط مركزا هاما من المراكز الثقافيـة في العالم الاسلامي .

وكان تأسيس ديوان الانشاء (٤) في عهد احمد بن طولون عاملا هامـا في أزدهار الكتابـة ، خاصة بعد أن تولـى رئاسة ديوان الانشاء احمـــد بن محمد بن مودود المعروف بأبن عبد كان ، وقد تتلمذ على يديه عدد مــن الكتاب الذين اثروا الحياة الادبيـة في البلد ، ويذكر القلقشندي أنـــه " كان بمصر كاتب ومحرر ليس لامير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما " .(٥)

---

(١) هو أبو بكر محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي ولد بمصر سنة ٢٨٤ هـ وتوفي سنة ٣٥٨ هـ ، يذكران احمد بن طولون " أول من أخذ فـــي ترتيب الملك ، وأقامة شعار السلطنة بالديار المصرية ، ولما شمخ سلطانه وارتفع بها شأنه ، اخذ في ترتيب ديوان الانشاء ، لما يحتاج اليه فـــي المكاتبات والولايات . "

القلقشندي : صبح الاعشى ، حـ ١١ ، ص ٢٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ٢٩ .

(٣) السيوطي : بغية الوعاه ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، حـ ١ ، ص ٩٥ ، حـ ٣ ، ص ١٧ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ، حـ ٣ ، ص ١٧ .

يقصد بهم " ابن عبد كان " الكاتب " وطبطب " المحرر • وظهرت طبقة من مشاهير الكتاب منهم الحسن بن رافع ويعقوب [(١)] بن اسحق وجعفر بن عبد الغفار المصرى •

ومن أدباء العصر الاخشيدى محمد بن كلا [(٢)] وأبو اسحق والنحيرمى [(٣)] • وتظهر فى كتابات هؤلاء الكتاب البراعة الفنية فى الصياغة اللغوية فأستخدمت الجمل القصيرة ، وعمدوا الى التكرار ، وتميزت رسائل المصريين فى ذلك الوقت بتلك الميزات التى لم تكن معروفة [(٤)] من قبل فى الكتابة •

---

(١) ابن الدايه : سيرة ابن طولون ، ص ١٤ •

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ص ٢٥ •

(٣) ياقوت : معجم الادباء ، حـ ١ ، ص ٢١٨ - يذكر ابن سعيد أن ابراهيم بن عبد الله بن محمد النحيرمى رئيس كتاب الاخشيدين ارسل خطابا على لسان الاخشيد الى امبراطور الروم امانوس" جاء فيه " •••واما الملك الذى ذكرت انه باق على الدهر لانه موهب لكم من الله خاصة فأن الارض لله يورثها من يشاء وينزع الملك من يشاء ••• وأن الله عز وجل نسخ ملك الملوك وجبريه الجبارين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين " •القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ ٧ ، ص ١١ •

(٤) كان لهذا الاسلوب الذى عرف فى مصر نظائر له فى العراق ايضا •
القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٢ ، ص ١٦٠ - ١٦١ •
وكان الكتاب فى مصر يفتتحون رسائلهم غالبا بالدعاء وتميزت بغزارة المعانى وخصوبتها • ويذكر د • محمد كامل حسين أن ماعرف فى مصر من ثقافات قديمة قد اثرت فى العقلية المصرية ، وان المصريين منذ عهد الطالمة كانوا يذكرون الادب اليونانى بما فيه من شعر ونثر وقصص والفلسفة اليونانية ، وعن اليونانيين اخذ المصريون نظم الكتابة وعن المصريين اخذ العرب الذين استقروا بمصر ، فاذا كان بعض كتاب العراق قد تأثروا بالفارسية وبعضهم تأثر باليونانية فكتاب مصر لم يتزودوا من الثقافة الفارسية الا من كان منهم من العراق او نشأ فى فارس ، ادبنا فى عصر الولاه ، ص ٩٧ - ٩٨ ؛
Quatremere : Recherches sur la langue et la literature d' egypte . P.4,6-10 .

كما ازدهرت الكتابات التاريخية ، فظهر في مصر طائفة من المؤرخين المصريين الذين عنوا بتاريخ مصر بوجه خاص ، وشهد القرن الثالث الهجري ازدهارا كبيرا كان أقدمهم " عبد [1] الرحمن بن عبد الحكم " المتوفى سنة ٢٥٦ – ٢٥٧ / سنة ٨٦٩ – سنة ٨٧٠ م وهو من أسرة مصرية ذات مكانة رفيعة في الفسطاط ، تولى اكثر افرادها رواية الحديث ، وقد أتاح له ذلك أن تجتمع لديه أقدم الروايات عن فترة الفتح ، فوضع مؤلفه " فتوح مصر وافريقية " الذي يعد اهم مصادر تاريخ مصر وخططها في فترة الفتح وخلال عصر الولاة ، ومثلا احتذاه كتاب الخطط ، واستفاد من علماء افريقية الذين قدموا الى مصر في التأريخ لفتح العرب لافريقية ، ودراسة تاريخها في تلك الفترة .

واشتهر من مؤرخي مصر أيضا " أبو عمر محمد بن يوسف المعروف بالكندي [2] المتوفى سنة ٣٥٠ هـ / سنة ٩٦١ م الذي ألف كتابه الشهير عن ولاه مصر وقضاتها من الفتح حتى وفاة محمد بن الاخشيد سنة ٣٤٤ هـ / سنة ٩٥٥م وهو يشير الى أصحاب الشرط الذين تولوا في عهد كل منهم

---

(١) المقريزي : الخطط ، حـ ١ ، ص ٥ – ٦ ، المسعودي : مروج الذهب حـ ٣ ، ص ٤٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ٣١٩ .
ياقوت : معجم الادباء ، حـ ٧ ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .
ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٢) هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن عامر بن كنده ، يعرف بالكندي ولد سنة ٢٨٣ هـ وتوفي سنة ٣٥٠ هـ وكان عالما بالحديث نسابة عالما بعلوم العرب ، تفقه على مذهب العراقيين ، ألف كثيرا من المصنفات في تاريخ مصر واحوالها ككتاب الخطط وكتاب الموالي و " الاحفار المرسية " و " سيره مروان بن الجعد " ، ذيل ابن زولاق على كتابه أمراء مصر .
cuest . PP.4 . عن حاشية وجدت في النسخة الاصلية من كتاب الولاه والقضاه المحفوظ في المتحف البريطاني ، ص ١٣٤ .

والاحداث التى وقعت والشعر الذى قيل ، كما يتحدث عن أنساب العرب وعلاقاتهم ونشاطهم ، كما تحدث فى الجزء الثانى من كتابه عن قضاة مصر ، ووقف الكندى بكتابه عند سنة ٢٤٦ هـ / سنة ٨٦٦ عند ولاية القاضى بكار بن قتلبية ، وقد أشار الكندى الى خطط الفسطاط ونشأتها الاولى فى سياق حديثه ولم يفرد لها بابا خاصا كما فعل ابن عبد الحكم .

كما ظهر فى مصر مؤرخون أهتموا بالتاريخ للدولة الطولونية كابن (١) الدايه الذى ألف سيره أحمد بن طولون " والبلوى الذى أرخ كذلك لابن طولون .

ومن مؤرخى مصر أيضا أبن زولاق الذى ولد بمصر سنة ٣٠٦ هـ سنة م ومن مؤلفاته " اخبار سيبويه المصرى " وكتاب " سيرة الماذارئيين " وكتاب فضائل مصر ، كما ألف عدة كتب فقد معظمها منها كتاب عن سيرة كافور الاخشيد

---

(١) هو أحمد بن أبى يعقوب بن يوسف ابراهيم المعروف بأبن الدايه وقد ألف والده كتاب " أخبار ابراهيم بن المهدى " وكان أبن الدايه أحمد خواص الاسرة الطولونية فألف سيرة أبن طولون وكتاب المكافأة .
ابن سعيد : المغرب ، ص ٤٠ وألف كذلك كتاب المكافأة : ص ١٥٥ ، ومابعدها ، ياقوت : معجم الادباء ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ . وقد قسمه الى عدة أقسام تحدث عن المكافأة على الحسن أو المعروف والثانى عن الجزاء على مايبدر من الاساءة ويختم كل قسم بكلمات مأثورة للحكماء الفرس أو اليونانيين .

وسيرة المعز وسيرة العزيز الفاطمى وكتاب خطط مصر و " التاريخ الكبير على السنيين " .

وتعتبر كتابات أبن زولاق مصدرا هاما للمؤرخين الذين أرخوا لمصر من بعده، فقد نقل عنه أبن خلكان والنويرى وأبن حجر العسقلانى ، واطلقوا عليه أسم " مؤرخ مصر " . (١)

وامتدت حركة الترجمة فى مصر الى مجال الكيماء والطب على وجه الخصوص ، فيحدثنا أبن النديم أن (٢) بن يزيد بن معاويه طلب من العلماء اليونانيين فى مصر ترجمة كتب الكيمياء الى العربية .

وتأثرت مصر بحركة الترجمة من اليونانية الى العربية التى ازدهرت فى عهد الخليفة (٣) المأمون خاصة فى علوم الفلسفة والهندسة والطب . فقد نشطت حركة ترجمة الكتب القديمة عن القبطية اليونانيه والسريانية . (٤)

---

(١) هو الحسن بن ابراهيم الليثى . ياقوت : معجم الادباء ، حـ ٧ ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ٣٣٩ .

(٤) نشطت حركة الترجمة هذه فى مدرسة الاسكندرية خاصة وكان معظم المشتغلين بترجمة الكتب القبطية واليونانية والسريانية وكان معظم المشتغلين بهذه الترجمة من النصارى واليهود فى أول الامر ثم قام بها المسلمون الذين نبغوا فى هذه العلوم .

ابن أبى اصيبعة : طبقات الاطباء ص ١٦٥

Quatremere: Recherches sur la cangue et la literature de l' Egypte. P 5 .

كما ازدهر فى مصر علم الكيمياء والطب ، ونبغ فى مصر أطباء أشتغلوا الى جانب الطب بصناعة الدواء فبرعوا فيها ، وذاعت شهرتهم وتتلمذ على ايديهم عديد من الاطباء المسلمين ، منهم " ابحر " الطبيب الخاص للخليفة عمر بن عبد العزيز (١) ، وبليطان (٢) الطبيب المصرى الذى اشتهر فى عهد الخليفة هارون الرشيد . واسحق (٣) بن سليمان الذى اتخذه زيادة الله الثالث الاغلبى طبيبا خاصا له ، وضم البيمارستان الذى انشاه أبن طولون عددا من خيرة الاطباء منهم الحسن بن زريك وسعيد بن نوفل . (٤)

هكذا بلغت المدرسة المصرية حدا كبيرا من الازدهار ، فى مختلف فروع العلم .. حتى غدت مركزا من أهم المراكز العلمية والثقافية فى العالم الاسلامى . ولم تكن مدرسة الفسطاط المدرسة الوحيدة فى مصر بل كانت هناك مراكز ثقافية فى مختلف مدن مصر خاصة فى الاسكندرية وفى مدن الصعيد كأسيوط وأسوان (٥) .

نالت الاسكندرية أهتماما كبيرا من المسلمين منذ الفتح بأعتبارها

---

(١) ابن أبى اصيبعه : طبقات الاطباء ، حـ ١ ، ص ١٦٦ .
(٢) ابن أبى اصيبعة : طبقات الاطباء ، حـ ١ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .
(٣) أبن أبى اظيبعة : عيون الانباء ، حـ ٢ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .
ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١١٤ .
(٤) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٥ .
(٥) Zaki hessan : les Tulunides P.257-258 .

ثغرا من الثغور الاسلامية التى حرصوا على المرابطة فيها للجهاد . (١)

فنجد عمرو بن العاص حين تم له فتح الاسكندرية يخصها بجزء كبير من جنده للمرابطة بها . (٢)

وازداد عدد الحامية العربية المرابطة فى الاسكندرية وتضاعف

(١) يذكر ابن عبد الحكم انه حين اراد عمرو الاستقرار فى الاسكندرية " ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منه هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها " وقد سأله الخليفة عمر بن الخطاب : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال : نعم اذا جرى النيل فكتب الى عمرو قائلا انى لا أحب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف . " ابن عبد الحكم " فتوح مصر ، ص ٩١ ، المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ١٨٦ ، السيوطى : حسن المحاضره ، حـ ١ ، ص ٥٧ . وقد اختلف فى تحديد السنة التى فتحت فيها الاسكندرية فيذكر الطبرى عدة روايات عن سنة الفتح منها انها فتحت سنة ٢١ ، أو ٢٥ هـ واستنادا الى رواية بن عبد الحكم نعتقد انها فتحت فتحها الاول سنة ٢٠ هـ . بن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩١ ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، حـ ١ ، ص ٥٠ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، يذكر ما كتبه عمرو للخليفة عمر يصف الاسكندرية فقال : " وجد فيها أثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الاخضر واثنا عشر ميما اصفر ويماس منها يسع الف مجلس . " يذكر المؤرخون أن الخليفة عمر بن الخطاب كان " يبعث كل سنة غازيه من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية . كما امر عثمان بن عفان واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح " فالزم الاسكندرية رابطتها ثم اجرى عليهم ارزاقهم واعقب فيهم فى كل ستة اشهر " السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ٧١ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ، ص ١٦٧ .

حتى وصل فى خلافة معاويه الى سبعة عشر ألفا من العرب (١) .

ويذكر السيوطى أسماء بعض الصحابة الذين نزلوا الاسكندرية منهم " سرق بن أسير " ويعرف بأسد الجهنى " وسفيان بن هانئ " بن جبير أبو سالم الجيشانى " و " والمستورد بن سلامة بن عمرو الفهرى " و " مسلمة بن مخلد " . (٢)

وتولى هؤلاء الصحابة مهمة تعريف أهل المدينة بأمور الدين ونشر علوم القرآن ورواية الحديث . (٣)

وأقيمت فى الاسكندرية فى القرن الاول الهجرى عدة مساجد هى : مسجد موسى عند المنار ومسجد سليمان عند القيسارية (فى وسط المدينة) ومسجد ذى القرنين ومسجد الخضر (٤) ومسجد عمرو بن العاص الكبير الذى يعرف بمسجد الرحمة ذكر ياقوت موضعه عند العمود بين اللذين يعرفان بالمسلتين . (٥)

وكانت هذه المساجد بمثابة مدارس لتعليم الناس أصول الدين ورواية

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .
(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٨٧ ، ٨٧ ـ ٩٨ .
(٣) يذكر ابن دقماق كثيرا من الاحاديث التى رويت عن فضل الجهاد والمرابطة فى الاسكندرية منها ما روى عن سعد ابن أبى وقاص أن رسول الله قال : " الاسكندرية وعسقلان عروستان ، والاسكندرية افضلهما وانها لتأتى يوم القيامة تزف أهلها الى بيت المقدس فمن رابط بالاسكندرية أربعين يوما كتب الله له براءة من النار وأمنا من العذاب " .
ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ١١٧ .
(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .
(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

الحديث ، تولى الصحابة والتابعون (١) وفقهاء المسلمين الاول مهمة تعليم الناس بها ونشر علوم القرآن . وأزدهر بها الفقه السنى ومال اليه كثيرون من المسلمين بالمدينة . (٢) ومن أشهر فقهاء المالكية بالاسكندرية على بن عبد الله بن مطر الاسكندرانى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م .

ولا أدل على ازدهار الفقه السنى بها من أنه كان بالمدينة فى العصر الفاطمى مدرستان سنيتان احداهما مدرسة الفقيه المحدث أبى طاهر (٣) بن عوف والثانية مدرسة الحافظ السلفى . (٤)

كما ازدهرت بالاسكندرية علوم الفلك والطب وترجم الى العربية عديد من كتب الفلك والكيمياء والطب . منها كتاب القس هارون السكندرى فى الطب الذى أتخذه الاطباء العرب مرجعا اساسيا لهم فترة طويلة . كما ظهر فى الاسكندرية اطباء قاموا بتدريس الطب بها من أشهرهم الطبيب " ابن ابحر " الذى ذاع صيته فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز " وبليطان " الذى اشتهر فى عهد الخليفة هارون الرشيد . (٥)

وفى صعيد مصر استقرت منذ الفتح قبائل عربية من مضر وربيعة وقريش (٦) وأسست المساجد الجامعة . كانت هذه المساجد بمثابة مدارس لقنت فيهما

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ، حـ ٥ ، ص ١١٧ ــ ١١٨ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٩٢ .

(٣) هو أبو الطاهر اسماعيل بن مكى بن عيسى بن عوف الاسكندرانى . السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٩٢ .

(٤) يذكر السيوطى أنه احمد بن سلف الحافظ ابو طاهر بن احمد السلفى الاصبهانى . السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .

(٥) ابن أبى اصيبعة : طبقات الاطباء ، حـ ١ ، ص ١٦٥ ــ ١٦٧ .

(٦) النويرى : نهاية الارب ، ص ٦٣ ، ١٨٥ ــ ٢٦٢ .

Conbe.E., Saunaget :
Repertoire chronologi que I.PP. 50-57, 222

دروس الفقه ورواية الحديث وعلوم اللغة وبرز فيها فقهاء ذاع صيتهم منهم " البويطي "(١) الفقيه الشافعي الذي توفي سنة ٢٣١ هـ / سنة ٨٤٥ م . وذو النون الاخميمي الزاهد المعروف الذي توفي سنة ٢٤٥ هـ / سنة ٨٥٩ م.

وفي أسوان حيث استقرت قبائل عديدة من بطون قريش ، وأسست المساجد وظهر بها فريق من العلماء منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن أبي حاتم الاسواني ، وأبو يعقوب اسحاق بن أدريس ومن فقهاء المالكية الذين ذاع صيتهم بها في العصر الاخشيدي هرون بن محمد الاسواني المتوفى سنة ٣٢٧ هـ واحمد بن محمد بن جعفر المتوفى سنة ٣٦٤ هـ / سنة ٩٧٤ م ، ومحمد بن يوسف بن بلال الاسواني المتوفى سنة ٣٧٦ هـ / سنة ٩٨٦ م.(٢)

-•-

هكذا في آخر عصر الولاه نجد الثقافة الاسلامية في مصر قد تأصلت وتوطنت وأمتد اشعاعها من الاسكندرية شمالا الى اسوان جنوبا .

---

(١) Conbe . E, Saunaget : Repertoire chronologi que I.PP. 50- 57, 222 .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢١٠ ـ ٢١٤ ، الكندي الولاه والقضاه ، ص ٥٣٢ ـ ٥٣٥ . يذكر ياقوت القاضي أبو الحسن احمد بن علي بن أبراهيم الاسواني صاحب الشعر والتصانيف وأبو الحسن قطير بن موسى الاسواني الذي حدث بمصر عن عبد الله بن سليمان بن ابي فاطمة وحدث عن أبي حنيفة فخرم أبن عبد الله بن فخرم الاسواني ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

كان الطابع الديني هو السمة الغالبة على المدرسة المصرية ، فقد تبوأت علوم القرآن من تفسير وحديث وفقه وقراءات مركز الصدارة بين غيرها (١) من العلوم .

وتمسك المصريون بمذهب أهل السنة ، فأزدهرت المدرسة (٢) المالكية بمصر وتتلمذ على يد فقهائها عديد من المسلمين من مصر وخارجها وكذلك ازدهرت المدرسة الشافعية .

ومن الملاحظ أن المصريين لم يتقبلوا المذاهب الغريبة ذات الطابع الفلسفي المعقد كمذهب (٣) المعتزلة الذى أهتم بمناقشة مسائل القدر

---

(١) أبن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٢٤٨ – ٢٤٩ ، السيوطى حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٦١ – ١٦٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ٧٨ – ٧٩ ، الكندى : الولاة ، ص ١٥٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ١٢١ .

(٣) تتكون عقيدة المعتزلة من خمسة اصول اولها التوحيد والعدل والوعيد والقول بالمنزلة بين المنزلتين والنهى عن المنكر ، وقد نشأت هذه الطائفة فى العراق ، ونادوا بحرية ارادة الانسان وسلطة العقل متأثرين بالثقافات الاغريقية والفارسية والمسيحية وكانت مسألة خلق القرآن اهم ما دار فيه النقاش بين المعتزلة فذهبوا الى القول بأن القرآن مخلوق نزل فى ظروف معينة وليس أبديا ، وعليه يجب التمسك بظاهر النصوص لانها لاتساير العصور لان صفة الكلام منفية عن ذات الله ، ولا يعتبر أنه كلام الله الا على أساس التأويل وقد اجبر الخليفة المأمون كافة المسلمين فى الامصار على الاخذ بهذا القول ابن قتيبة : عيون الاخبار ، حـ ٣ ، ص ٣٣٧ ، الكندى : الولاه والقضاة ، ص ٤٤٧ .

Nisholson A. Litrary History of the Arabs P. 16- 19 .

وصفات الله وخلق القرآن ، فخرجوا بالعقيدة الاسلامية السمحة البسيطة الى فلسفة معقدة تأثرت بالثقافة اليونانية ومنطقها وأسلوب تفكيرها . ولم تجد هذه الآراء قبولا لدى المصريين ، وحين بعث الخليفة المأمون الى كيدر (١) والى مصر سنة ٢١٨ هـ / سنة ٨٣٣ م . يأمره بأجبار العلماء والفقهاء على القول بخلق القرآن " (٢) اعترض المصريون على ذلك وتعرضوا

---

(١) يذكر الكندى أنه " ورد كتاب أبى اسحاق بن الرشيد على كيدر بأن يأخذ الناس بالمحنة ، ورد الكتاب فى جمادى الآخره سنة ثمانى عشرة ومائتين والقاضى بمصر هرون بن عبد الله الزهرى فأخذ كيدر بذلك فأجاب وأخذ الشهود به فأجابوا فمن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها الفقهاء والمحدثين والمؤذنين فكان الناس على ذلك من سنة ثمانى عشرة الى أن قام المتوكل سنة أثنتين وثلاثين ومائتين " . الكندى : الولاه والقضاه ص١٩٣ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ويذكر نص خطاب المأمون فيقول " كتب أبو اسحق هرون الى كيدر وهو والى على مصر : بسم الله الرحمن الرحيم من أبى اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد الى أمير المؤمنون الى نصر بن عبد الله كيدر مولى أمير المؤمنين سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه أما بعد فان أمير المؤمنين كتب الى فيما أمرنى به من الكتاب الى قضاة عملى فى أمتحان من حضرهم للشهادات فمن أقر منهم بأن القرآن مخلوق وكان عدلا قبلوا شهادته ومن دفع ذلك أسقطوا شهادته ولم يرفعوا حكما بقوله وامتحان أولئك القضاه بهذه المحنة فمن نهى منهم التشبيه وقال أن القرآن مخلوق اقر بموضعه ، ومن دفع يكون القرآن مخلوقا أمرته بأعتزال الحكم وأن لا يمان بمثل ذلك فى جميع أهل الحديث هنالك ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وترك الاذن لاحد منهم فى حديث أو فتوى الا على انتحال هذه النحلة والقول بمثل هذه المقالة والبلوغ من يعتقد ذلك ومراعاته مبلغ =

لكثير من الاضطهاد والتعذيب لرفضهم الاقرار بالقول بخلق القرآن . وفى خلافة الواثق سنة ٢٢٧ - سنة ٢٣٢ هـ / سنة ٨٤١ / سنة ٨٤٦ م تشدد ابو قاضى مصر محمد بن أبى الليث فى الضغط على المصريين بقبول قول المعتزلة عن خلق القرآن ، فيذكر الكندى "أن امر المحنة كان سهلا فى ولاية المعتصم ، لم يكن الناس يؤخذون بها شاؤا أم أبوا حتى مات المعتصم وقام الواثق فأمر أن يؤخذ الناس بها وورد كتابه على محمد ابن أبى الليث بذلك وكأنها نار اضرمت ." (١)

وأضطر كثير من فقهاء مصر وعلمائها الى الهرب فرارا وامتناعا عن القول برأى (٢) المعتزلة فى خلق القرآن .

---

* المحتسب للخير والكتاب اليه اكرمه الله بما يكون منك ومراعاته مبلغ المحتسب للخير والكتاب اليه اكرمه الله بما يكون منك وقد رأيت أن تمتحن القاضى هناك بالمحنة التى كتب بها أمير المؤمنين ليعرف مذهبه وما عنده بأن القرآن مخلوق وترك التشبيه والشك فيه فقدمت اليه فى أمتحان من يحضره للشهادات بهذه المحنة ومن أقر منهم وكان عدلا قبلت شهادته ومن دفع ذلك وأمتنع منه أسقطت شهادته وأن انكر القاضى ان يكون القرآن مخلوقا أمرته بأعتزال الحكومة وأوعزت ذلك الى أهل الحديث ومن يسمى منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وكتبت الى القاضى قبلك بمثل الذى كتبت اليك فأعلم ذلك وأعمل بما مثل به أمير المؤمنين منه وأنته اليه . "

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤٥١ .

(٢) فر كثير من فقهاء مصر وعلمائها خارج البلاد كأبى يعقوب يوسف بن محمى البويطى وذو النون المصرى الذى اتجه الى المغرب .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٢ ، ص ٢٦١ .

الكندى : الولاه والقضاه ، ص ٤٥١ .

ثم هدأت الامور فى مصر بعد تخلى الخليفة (١) المتوكل العباسى عن سياسة اجبار اهل الامصار على الاخذ بقول المعتزلة فى خلق القرآن فأمر " بترك الجدال فى القرآن " . (٢)

ولم يجد مذهب المعتزلة انصارا فى مصر وأن اعتنقه قلة لاتدخل فى الحسبان حتى أننا نجد أبن (٣) زولاق يذكر أن سيبويه المصرى حين " اظهر الاعتزال " عده المصريون غير سليم العقل .

وكما اعرض المصريون عن آراء المعتزلة اعرضوا كذلك عن مبادئ الشيعة (٤)

---

(١) اعتبر المسلمون موقف الخليفة المتوكل هذا بمثابة احياء للسنة .
أبو المحاسن : النجوم ، حـ ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٢) الكندى : الولاة والقضاه ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن زولاق : اخبار سيبويه المصرى ، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٤) نادى الشيعة بالوصاية بمعنى أن عليا وصى رسول الله (ص) وأنه خاتم الاوصياء بعد محمد خاتم النبيين كما نادى بمذهب الرجعة بمعنى أن محمد صلى الله عليه وسلم سيعود مرة ثانية كعيسى ومن هنا قالوا بتناسخ الارواح وهو خروج الروح من جسد وحلولها فى جسد آخر ويذكر الطبرى أن أبن سبأ الذى وضع أساس عقائد الشيعة قال : ان عثمان اخذ الخلافة بغير حق وهذا وصى الله فانهضوا فى هذا الامر فحركوه وأبدوا الطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر " .
الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، حـ ٦ ، ص ١٤٠ . كما يذكر الشهرستانى أن احد فرق الشيعة وهم الكيسانية بنت معتقداتها على معتقدات المجوس المزدكية كالقول بتناسخ الارواح والرجعة فيقول " ان جميع الكيسانية يعتقدون ان الدين طاعة رجل وان طاعتهم لذلك الرجل يتطلب ضرورة التمسك بقواعد الاسلام " والشيعة يفسرون الايمان وهو الباطن بأنه قائم على المعرفة والتصديق بالقلب وهو وقف على الائمة من اهل البيت " . الشهرستانى : الملل والنحل حـ ١ ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

وأقوالهم فى الامامة والوصاية وتفسيراتهم للايمان والاسلام وقولهم بالباطن والظاهر وما الى ذلك من التعقيدات والتأويلات الغريبة فلم تجد هذه الآراء والتأويلات ميلا لدى المصريين الذين تمسكوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف المصريون نفس الموقف ازاء المذاهب المتطرفة الاخرى ، فلم تجد اراء الخوارج (١) قبولا لديهم لما تتضمنه من مغالاة وتشدد ، ولتشعب فرقهم واختلافها وتكفير بعضها لمخالفيهم (٢) فى الرأى .

---

(١) كانت الصبغة الاولى للخوارج سياسية تتعلق بموقفهم من الخلفاء الراشدين وأخذوا على علىّ قبوله التحكيم وخرجوا عليه وطعنوا فى طلحة والزبير وعائشة كما حكموا بكفر أبو موسى الاشعرى وعمرو بن العاص وسبوا معاوية ، ومنذ عهد عبد الملك بن مروان مزجوا تعاليمهم بالدين فنادوا بأن العمل بأوامر الدين من صلاة وصيام جزء من الايمان وأن الايمان ليس اعتقادا وحده ، وانقسموا فيما بينهم الى عدة فرق اشهرها الاباضية والصفرية والازارقة وهم أتباع نافع بن الازرق الذى كفر جميع المسلمين عداهم وعدوا مرتكبى الكبيرة والصغيرة كافرا والاباضية أتباع عبد الله بن أباض التميمى الذى توفى بالبصرة سنة ٨٥ هـ وكان أول ظهور لهذا المذهب فى البصرة فى منتصف القرن الثانى الهجرى ويرون تنزيه الاله من كل شائبة من شوائب البشرية ، والقياس عندهم لا يعمل مادام هناك نص حتى ولو خبر آحاد بالقاعدة " لاحظ للنظر مع وجود الاثر " .
ابن الحزم : الفصل فى الملل والنحل ، حـ ٤ ، ص ٥٠٤ ،
ابن الاثير : الكامل ، حـ ٢ ، ص ١٣٦ .

(٢) يعتبر الخوارج الصفرية من اكثر فرق الخوارج تطرفا بعد الازارقة الذين أسرفوا فى التطور ،
الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ١٢١ – ١٢٣ ،
Cautier : E.F.: Les siecles obscurs du Maghrele P. 328 - 329 .

ولم تعرف فى مصر مبادىء المرجئة [١] من القول بأن الاعتقاد بالقلب وان اعلن الكفر باللسان ، وان ارتكاب الكبار لايخرج الانسان عن ايمانه • فقد اعرض المصريون عن التيارات والمذاهب التى زخر بها المشرق الاسلامى فى ذلك الوقت •

---

(١) ظهر المرجئة كحزب سياسى حين اشتد النزاع بين الخوارج والشيعة وادعت كل طائفة انها على حق وكفرت من عداها فظهروا كفريق وسط بين الطرفين نادوا أن يرجئوا امرهم لله ثم أخذوا يبحثون فى امور دينية تتعلق بالايمان والكفر فرأوا ان الايمان هو المعرفه بالله ورسله وردوا بذلك على الخوارج الذين يقولون بأن الايمان معرفة بالله ورسوله وأداء الفرائض والكف عن الكبائر دوا على الشيعة الذين يعتقدون أن الايمان بالله والطاعة له جزء من الايمان • أبن جزم : الفصل فى الملل والنحل ، جـ ٤ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ •
دكتوره سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الولاة ، ص ١٨١ •

الفصل الثاني

مدرسة القيروان

كما كان لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين الذين قدموا مصر مع جيش الفتح وبعد ه الفضل في وضع اساس مدرسة الفسطاط ، كذلك كان الحال في القيروان .

فكان للصحابه [1] والتابعين الذين دخلوا افريقيا اثناء محاولات الفتح وبعد تمامه الفضل في وضع اساس مدرسة القيروان ، اول مدرسة اسلاميه في افريقيه . اذ تولى هؤلاء الصحابه والتابعين مهمة تعريف

---

(١) دخل افريقيه من الصحابه ابو سعيد المقداد بن عمر البهراني القضاعي وابو اليسر كعب بن عمر الانصاري وعبد الله بن انيس الجهني وابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب وابو ذر الغفاري وابو عبد الله عمرو بن عوف المزني وسلمه بن عمرو بن الاكوع الاسلمي وابو زمعة عبيد بن ارقم البلوى وابو سعيد المسيب بن حزن بن ابي وهب المخزومي وابو عبد الرحمن بن خويلد الاسلمي وابو محمد فضاله ابن عبيد الانصاري وابو العباس عبد الله بن عباس بن المطلب ابن هاشم وابو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمرو بن العاص وعقبه بن عامر الجهني ورويفع بن ثابت بن عدى وحمزه بن عمرو وابو عبد الله عبد الرحمن بن ابي بكر وابو عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني وابو عبد الرحمن المسور بن مخرمه القرشي وجبله بن عمرو الانصاري وابو يحيى عبد الله بن سعد بن ابي سرح ومعاويه بن صريح والمطلب بن ابي وداعه ، وربيعة بن عباد الدؤلي وزياد بن حارث الصائي وابو المهشن سفيان بن وهب الخولاني وابو بصر بن حمال السبائي وابو اليقظان وابو عبد الرحمن بسر بن ارطاة العامري .

المطمين فى بلاد المغرب بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وتفسير آيات القرآن الكريم ورواية الحديث ، وتفقيه الناس فى امور

الدين فينتقلون فى انحاء افريقيه والمغرب ثم يعودون الى مقرهم الرئيسى

فى القيروان .

وقد تتلمذ على هؤلاء الصحابة والتابعين كثيرون من اهل البلاد

الذين اقبلوا على اسلام وتعلم اللغه العربية حتى ظهر منهم فقهاء وعلماء

برعوا فى كثير من فروع الثقافة العربية (١) .

- ابوالعرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص ٦٥ ـ ٧٨ ،
الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٩٨ ـ ١٦٠ ،
ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٢٠ ـ ٣٦
المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٤١ ـ ٦٣ .
كذا يذكرون اسماء التابعين الذين دخلوا افريقيه وهم عبد الرحمن بن الاسود
ابن عبد غوث القرشى وابوعمر عاصم بن عمر بن الخطاب وعقبه بن نافع بن عبد قيس
وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبد الرحمن
بن العباس ومعبد بن العباس وعبد الرحمن بن صبيحة الليثى ومروان بن الحكم
بن ابى العاص وابو ذوئب خويلد بن خالد الهذلى ، وابو منصر الفارسى
مولى سعد بن ابى وقاص وابوسعيد كيسان المقبرى وغيرهم .
ابوالعرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص ٧٩ ـ ٨٣ ، الدباغ / معالم
الايمان ج ١ ص ١٦١ ـ ١٧٧ ،
المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٦٤ ـ ٨٨

(١) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٣٤
ابوالعرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص ١٩٦ ، ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

وكان المسجد الجامع في القيروان مركز تلك الحركه الثقافيه ومحورها ، تعقد به حلقات دراسة القرآن وتفسير ورواية الحديث ، التي حمل لواءها المعلمون الأول من الصحابه والتابعين (١) ، ومن تتلمذ على ايديهم من المغاربة (٢) ، الذين دفعتهم الرغبه في الاستزادة من العلم الى الخروج من بلادهم طلبا له ، وكانت مصر وعاصمتها الشهيرة في الفسطاط ملتقى الكثيرين منهم ، حيث درسوا وتفقهوا فيها

---

(١) كان من اشهر التابعين الذين قاموا بدور كبير في الحركة الفكريه في القيروان اولئك الفقهاء العشرة الذين بعثهم الخليفه عمر ابن عبد العزيز الى القيروان وهم اسماعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر المخزومى واسماعيل بن عبيد الانصارى وعبد الله بن يزيد المعافرى وابو مسعود سعيد التجيبى وعبد الرحمن بن نافع التنوخى ووهب بن حى المعافرى وحيان بن ابى جبلة القرشى وطلق بن جابان الفارسى وبكر بن سواده الجزامى وابو سعيد جعثل بن عاهان الرعينى . ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص ٨٦ ـ ٨٧ ،
المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٦٤ ـ ٧٧ ،
الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٢٠٣ ـ ٢١٢

(٢) من اشهر جامعى الحديث المغاربه موسى بن معاوية الذى بدأ رحلته في طلب الحديث سنه ١٨٤ هـ ومازال موجودا في مكتبة القيروان العتيقة كتابا له جمع فيه احاديث عن النهى والبدعه ، محمد زيتون : الحياة الفكرية في القيروان ص ٢١٣ ـ ملحق سجل محفوظات مكتبه القيروان العتيقه .

وكذلك ارتحلوا الى المدارس الاسلامية في الحجاز والعراق ليعودوا الى القيروان ليتولوا امر الدرس والتفقيه لاخراج جيل جديد بعدهم يقوم بنفس الدور ويتحمل نفس المهمات.(١)

شهدت مدرسة القيروان نموا فكريا شمل مختلف فروع العلم خاصة علوم الدين.

وشهد المسجد الجامع في القيروان حلقات دراسة القرآن وتفسيره ورواية الحديث(٢) تولى التدريس فيه اول الامر الصحابة والتابعون وتتلمذ على ايديهم فريق من الفقهاء المغاربة الذين رحلوا الى مصر وتفقهوا على يد علمائها ، ونقلوا عنهم قراءة القرآن على رواية(٣) نافع

---

(١) الى جانب المسجد الجامع كان الاثرياء والامراء يحضرون المعلمين لابنائهم في المنازل . الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص١٥٨

(٢) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص٦٤ ــ ٦٥
الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص١٨٦ ــ ١٨٨ من اشهر فقهاء القيروان الذين اهتموا بالتفسير محمد بن البناد وعبد الله بن اسحق ويحيى بن سلام التميمي الذي ولد بالكوفه سنه ١٢٤ هـ واستقر بالقيروان . الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ولا يزال موجودا في مكتبة القيروان العتيقة تفسير يحيى بن سلام الذي يضم بعضا من سورة الفاتحه وسورة البقرة وبعض سورة الانعام واجزاء من الربع الثالث والرابع من القرآن الكريم .
ملحق ــ مخطوطات مكتبه القيروان العتيقه.

(٣) يذكر المقريزي : ان عثمان بن سعيد المعروف بورش نقل قراءة القرآن عن رواية نافع ان تتلمذ على يديه حين كان في المدينه سنه ١٥٥ هـ .
المقريزي : المخطط ج ٤ ص١٤٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص٢٧٨ ،
ياقوت معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٣ .

التى انتشرت فى القيروان ، والمذاهب الاسلاميه التى انتقلت من مصر الى القيروان . ومال كثير من فقهاء افريقيه الى مذهب (١) مالك الذى ازدهر فى الفسطاط ولقى قبولا من الفقهاء المغاربه لاعتماده اساسا على نصوص القرآن والحديث دون تأويل او لجوء الى رأى ووجد المذهب المالكى انصارا (٢) عديدين فى مدرسة القيروان اذ كان المسلمون فى بلاد المغرب شديدى التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم معرضين عن اتباع المذاهب الأخرى التى تعتمد على الرأى والتأويل .

الا أن هذا لا يعنى ان القيروان لم تشهد غيره من المذاهب فقد

---

(١) كان اساس مذهب مالك كتابه (الموطأ) جمع فيه الاحاديث الصحاح وبوبها ورتبها حسب الأبواب الفقهيه . ويستند مذهب الامام مالك على كتاب الله فى احكامه فاذا لم يجد به الحكم ظاهرا يرجعون الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة المشهورة ، وكان ابن وهب استاذ المالكيه فى مصر قد درس على يد الامام مالك وكذلك الفقيه المصرى ابن القاسم ، كما شارك الفقيه اشهب ابن وهب فى تدريس المالكيه بمصر . الكندى : الولاه والقضاه ص ١٥٤ ، ابو المحاسن النجوم ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٢ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٨

(٢) الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ٥٢ ، المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ١٨١ ،
ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٤ - ١٣٥ .

شهدت افريقية بعض فقهاء (١) الشافعية الذين تتلمذوا على يد اساتذة من اصحاب الشافعي في مصر الا أن اراء الشافعية لم تجد ميلا لدى المغاربة لاعتمادها على الجدل والمناظرة (٢) . كذلك لم يجد المذهب الحنفي قبولا لدى المغاربة لقلة اهتمامه بالحديث واستناده على الرأي الى حد كبير وسمى المذهب اصحابه باسم " العراقيين " (٣) لكونه المذهب الرئيسي في عاصمة الدولة العباسية في العراق .

---

(١) انتقل الى القيروان المذهب الشافعي الذي ازدهر في مصر ويذكر ابن خلدون ان فقيه القيروان ابن الحداد مال الى المذهب الشافعي مدونة ابن سحنون واطلق عليها اسم المدورة ابن خلدون : المقدمة ص٥ الا ان مذهب الامام الشافعي لم يلق قبولا كبيرا لدى المغاربة الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ٢٠١ – ٢٠٢ .
فقد كان المذهب الشافعي مزاجا بين اهل الرأي واهل الحديث ، وكان الشافعي يميل الى الحديث في كثير من الأحيان والى الرأي في القليل وقد ناصر محمد بن الحسن وهو من مدرسة الرأي ومما يروى انه قال له " من قاعدتكم انه لا تجوز الزيادة على الكتاب بالخبر الواحد .
قال نعم : قال : لم قلتم ان الوصية لا تجوز للوارث من ان الحديث المروى في هذا من خبر الواحد والآية تنص " كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين " . محمد سلام مدكور : الفقه الاسلامي ص ١٣٠ .
(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٧٥
(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٤ .

وتمسك المغاربه بالمالكيه وتفوق الفقه المالكى فى القيروان حتى صارت مدرسة القيروان زعيمة الفقه المالكى فى (١) العالم الاسلامى كله .

وناصب المالكيون اصحاب المذاهب الأخرى (٢) العداء فكانوا يمنعون دروس الاباضيه والصفرية والمعتزله من ان تلقى بجامع القيروان (٣) . وحرم قاضى القيروان وفقيهها المالكى سحنون بن سعيد المناظره فى غير المذهب المالكى ، ويذكر صاحب رياض النفوس انه "اول قاض فرق حلق اهل البدع من الجامع وشرد اهل الأهواء منه وكانوا فيه حلقا من الصفريه والأباضية والمعتزله .. يتناظرون فيه ويظهرون زيغهم ، وعزلهم ان يكونوا ائمه للناس او معلمين

---

(١) ابن فرحون . الديباج المذهب ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٢٢ منع قاضى القيروان سحنون القاء دروس الاباضيه والصفريه والمعتزله من ان تلقى فى المسجد الجامع وحرم المناظره فى غير المذهب المالكى ونظروا الى غير المالكيين نظرة التشكك ، واعتبروهم اهل بدع وضلالات .
الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ١١ - ١٢

(٣) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ١٨١ - ١٨٢ .

لصبيانهم او مؤدبين وأمرهم الا يتجمعوا » (١)

وقد اعتبر قاضي القيروان معتنقي المذاهب المخالفه اصحاب بدع فعمل على تشتيت شملهم ، ومنعهم من القيام بالامامة في الصلاة ونهاهم عن تعليم النشئ وتاديبهم.

وكان الفقهاء المالكيون يشترطون لقبول منصب القضاء خضوع الحاكم لاحكام المالكيه.(٢)

والتفت المغاربه حول فقهاء المالكيه وناصروهم ضد الحكام ومن الحكام ومن يعينونهم من فقهاء الحنفيه (٣) في منصب القضاء.

---

(١) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ يذكر ابو العرب تميم ان القاضي سحنون بن سعيد ادب جماعة منهم من الذين خالفوا امره وأطافهم وتوب جماعة منهم فكان يقيم من اظهر التوبه منهم على البوادى وغيرها فيعلن بتوبته عن بدعته.

ويذكر القاضي عياض: المدارك ج ١ ص ١١ ان المالكيين كانوا يكتبون على شواهد قبورهم "هذا قبر فلان بن فلان يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان القرآن كلام الله غير مخلوق تحديا للاعتزال جهاراً في حياته وبعد موته.

(٢) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٣٥٠

(٣) القاضي عياض : ترتيب المدارك ج ١ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١

ابو العرب تميم : صفات علماء افريقيه ص ١٠٧ .

المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ويعتبر عبد الله ابن فروخ اول من أتى بمذهب اهل العراق الى المغرب.

وكان لما عانا ما الفقهاء المالكيون - فى بعض الأوقات من اضطهاد جائرا لا لتفاف الناس حولهم وارتفاع منزلتهم وازدياد تمسك الناس بالمالكيه ، وصار الفقهاء المالكيون فى نظر المغاربه الزعماء المدافعين (١) عنهم ضد ولاة الأمر ولقيت مقاطعة فقهاء المالكية للأمراء وعدم السير فى ركابهم استحسانا لدى المغاربه الذين عرفوا بنزعتهم الاستقلاليه .

وقد ادى تمسك مدرسة القيروان بالمالكية التى صمودها امام التيارات الفكريه الأخرى كالمعتزلة والخوارج .

فاضطر الأمير الأغلبى (٢) عبد الله بن ابراهيم الى عزل قاضى القيروان " محمد بن الأسود " وهو من المعتزله ، نزولا على رغبة اهل القيروان من المالكية الذين تمسكوا بمذهبهم اشد التمسك ولم يرضوا بغير القرآن وسنة رسول الله الواضحة بديلا (٣) .

---

(١) دكتور حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربيه فى افريقيه ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ١ ص ٧٠ - ٧١ ، ج ٢ ص ٤١ ، الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ١٦٧ ، المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٢٨٨ .

(٣) الشماخى : السير ص ٢٦٣ ويذكر الدرجينى ان الخوارج لجأوا الى نشر مذهبهم اول الأمر سرا فيذكر ان " اول من جاء يطلب مذهب الأباضيه ونحن بقيروان افريقيه سلمه بن سعيد " ويذكر اشتغاله بالسقايه فى سوق القيروان ، وتلقى العلم على يديه زعيم قبيلة مطغره سرا . الدرجينى : طبقات الأباضيه ج ١ ص ٦ ،
ابو زكريا : السير ص ٤
Marcais ; La Berberie Musulmane P. 40 .

وقد ازدهرت فى مدرسة القيروان علوم اللغة العربية من أدب وخطابة وشعر ونثر ، ونحو وظهر كثير من (١) الأدباء والخطباء من بينهم محمد بن زيادة الله الذى كان " عالما أديبا لايناديم الا اهل الأدب ". (٢)

وشجع الأغالبة الأدباء والعلماء ، وشهدت القيروان فى عهدهم نهضة ادبية وعلمية ساعد عليها ما نعمت به البلاد فى عهدهم من رخاء . ويحدثنا القاضى عياض ابه بلغ من اهتمام الامراء بالعشر انهم كانوا يخصصون وقتا للقاء الشعراء والأدباء ويغدقون عليهم الأموال (٣) والعطايا ، مما ادى الى ازدهار الشعر وتعددت انواعه وأغراضه مابين السياسة والزهد والمذاهب والرد على اهل الهدع والرثاء والفخر وغيرها واشتهر من شعراء القيروان حماد بن سمر الزناتى (٤) ، الذى

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٢) ابن الأبار : الحلةالسيراء ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨١
Vonderheyden : La Berberie Orientale P. 28- 29.

(٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ١ ص ٣٢٣ ،

ابن الأبار : الحله السيراء ج ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٨ .

(٤) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ،

المالكى ج ١ ص ٤١٥ .

رحل الى العراق والتقى بشعرائه وتفوق على كثيرين منهم
وحين عاد الى القيروان اخذ ينظم القصائد فى مدح الأمراء

كما ازدهرت الكتابة الأدبية فى القيروان وبرز ادباء
من المغاربة كان منهم ابو سليمان داود الكاتب (١) القيروانى
الذى تولى ديوان الرسائل فى القيروان سنه ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م .

---

(١) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٦٢ ــ ١٦٣ .
يشير المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٤١٥ الى الشاعر المغربى ابن
زرزور بقوله " انه كان راوية للأشعار يحسن الصنعه لها جيد القول
فيها وشعره كثير جدا واكثر فى توحيد الله عز وجل والرد على الزنادقه
تهتك الستر عن ذى الغى والفند ٠٠٠ وصحص الحق بعد البغى واللدد
وأيقن المشرك الداعى له ولدا ٠٠٠ بأن الله لم يولد ولم يلد
وفى الخلود نعيم غير منصرم ٠٠٠ باق بقدرته باق بلا أمد
ــ المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٤١٥ ــ ٤١٦ ،
يذكر الدباغ انه توفى سنه ٢١٩ هـ . معالم الايمان ج ٢ ص ١٦٨ .
وكذلك اشتهر من شعراء القيروان سعيد بن حداد ، وحبيب بن
الربيع . القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ١ ص ٣٨ ــ ٣٩ ،
ج ٢ ص ٧٥ ، ٧٦ . هذا فضلا عن شعراء الصوفيه واقوالهم فى
الزهد والتصوف كما سنبين .
كما ازدهر فى المغرب الشعر السياسى ، فكلما تصارعت الجبهات
والقوات تصارعت اقلام الشعراء يقف كل منهم ضد خصمه ويذكر
ابن عذارى عديدا من الابيات .
ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٤٩ ــ ٥٠
، ص ١٠٤ ــ ١٠٨ .

وظهر كذلك كثير من علماء اللغه والنحو فى القيروان واهتموا بالمقارنه بين نحو اللغه العربية وقواعدها وبين قواعد اللغه البربرية ، وقارنوا بينهما وبين قواعد اللغة العبريه . فألف يهوذا بن قريش التاهرتى كتابا فى النحو المقارن بين اللغات العربية والبربرية والعبرية (١) .

وألف المغاربة المعاجم فى اللغه العربية والبربريه والمقارنه بينهما ، ووضع " ابو سهل دونش بن تميم " الذى ولد فى القيروان فى اواخر القرن الثالث الهجرى ، كتابا فى المقارنه بين اللغه العربية والعبرية " (٢) .

كذلك نالت دراسة التاريخ حظا من اهتمام علماء القيروان فظهرت عدة مؤرخين ، اهتم بعضهم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصص الانبياء وبدراسة انساب العرب منهم عبد الله بن ابى احسان المتوفى فى سنه ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م . (٣)

---

(١) عثمان الكعاك : البربر ص ١٠١ ـ ١٠٢

(٢) حسن حسنى : ورقات عن الحضارة العربيه بافريقيه التونسيه ص ٢٩٧

(٣) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص ١٥٥ ،
ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب ص ١٥

كما اهتم المؤرخون بكتابة تاريخ افريقيه والمغرب ، وكان اقدمهم عيسى بن محمد بن ابى المهاجر (١) الذى توفى فى نهاية القرن الثانى . كما ألف المؤرخ القيروانى ابو اسحق ابرهيم ابن القاسم المعروف بالرقيق القيروانى (٢) كتابة الهام عن تاريخ افريقية والمغرب فى الفتره من اواسط القرن الأول الى اواخر القرن الثانى الهجرى (٣) .

---

(١) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقيه ص٢٠٦ .

(٢) يعتبر كتابة عن تاريخ افريقيه والمغرب اشمل ما كتبه المؤرخون اعتمد عليه ابن عذارى والنويرى وابن خلدون ، وكان ابن الرقيق من كبار شعراء القيروان وادبائها تولى رئاسة ديوان الرسائل بها ، يخلو اسلوبه من التكلف فى الفكرة والعباره والقطعة الباقيه من تاريخه تعطى مزيدا من التفصيلات عن تاريخ افريقيه فى عصر الولاه الأمويين والعباسيين .

ابن الرقيق : تاريخ افريقيه والمغرب نقل عنه ابن عذارى : البيان جـ ١ ، ٢٧

(٣) ابن الرقيق القيروانى : مقدمه تاريخ افريقيه والمغرب ص٩ أ ـ ٢٠

تولى ابن الرقيق رئاسة ديوان الرسائل فى القيروان وقد اثر ذلك فى تاليفه وما عرف عنه من تصانيف كثيره فى فنون مختلفه منها كتاب تاريخ افريقيه والمغرب ونقل عنه ابن عذارى بعض حوادث سنه ٤١٥هـ والقطعة الموجوده من كتابة تؤرخ لفتره قرن وربع ويعد كتاب ابن الرقيق اشمل واوفى ما كتب عن تاريخ افريقيه فاعتمد عليه كل من كتب عن تاريخ افريقيه والمغرب كابن عذارى والنويرى وابن خلدون . توفى الرقيق سنه ٤١٧هـ . والقطعه الموجوده من كتابة تؤرخ لفتره حكم الولاة الأمويين والعباسيين لأفريقيه .

ومن اقدم كتب الطبقات التى اهتمت بدراسة طبقات علمـــاء افريقيـــه والمغرب كتـاب ابو العرب تميم المؤرخ القيروانى الشهـير الذى قتـل سنه ٣٣٣ هـ / سنه ٩٤٤ م مع من قتل من علماء المالكية فى ثورتهم ضد الفاطميين ٠ (١)

ومن مؤرخـى الدولة الفاطميـة اشتهر ابو حنيفة (٢) النعمان الذى وضع كتاب "شرح الاخبـار" وكتاب افتتـاح الدعوة الزاهرة " الذى يتحدث فيـه عن بدء الدعـوة العبيديه على يد ابى عبد اللـه

---

(١) القاضى عياض : المدارك ج ٣ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٠ كتـب ابو العرب تميم عدة مؤلفـات منها كتاب التاريخ وكتاب مناقـب بنى تميم وكتاب عباد افريقيـه وكتاب فضائـل مالك وكتـاب فضائل سحنـون ٠

(٢) انفرد ابو حنيفـه النعمـان بالتاريخ لنشأة الدعوة الاسماعيليه ويعد كتابـة مصدرا اساسيـا لكل من كتب عن تاريـخ الاسماعيليـه كابن الاثير وابن خلدون ، والمقريزى فـى اتعاظ الحنفـا ٠

القاضى النعمان بن محمد : رسالة افتتاح الدعوة المقدمـه ص ١٨ ـ ٢١ ٠

الداعي وتعد اهم ما كتب عن ظهور الدعوة الاسماعيلية فقد الف كتابة هذا في النصف الأول من القرن الرابع الهجري سنه ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م أي بعد مضي نصف قرن فقط على الأحداث التي سجلها في رسالته ، وقد مكنه منصبه كقاضي قضاة الدولة الفاطمية في المغرب ، وكونه من كبار شرعيها ودعاتها من أن يقف على كثير من الحقائق التي خفيت على غيره ممن تعرض لهذا الموضوع (١) .

هذا عن التاريخ اما عن علم الجغرافيا فقد ظهرت مؤلفات عديدة عنيت بوصف المسالك والممالك واحوال البلدان ووضع الخرائط لهما ، وقد ساعد على انتعاش هذا الفرع من العلوم ازدهار التجارة وما تبعه من اهتمام بوصف الطرق والمسالك الى بلاد المغرب وغيرها من البلاد ، فضلا عن ازدياد الرحلات للحج وطلبا للعلم من هذه المؤلفات كتاب محمد بن الوراق القيرواني المتوفى سنه ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م عن مسالك افريقيه وممالكها وقد اعتمد عليه البكري في كتابة

---

(١) القاضي النعمان بن محمد : رسالة افتتاح الدعوه ص ١٨ – ١٩ الى جانب ذلك ظهر مؤرخون مغاربة اهتموا بتاريخ البربر منهم ابو سهل الفارسي النفوسي الذي كتب عن تاريخ البربر وحروب الخوارج الاباضيه واعتمد ابن خلدون على مؤلفه هذا في كتابة العبر ، كما ألف في انساب البربر ايضا ابو ايوب يزيد مخلد بن كيداد ، وابو محمد بن يخفي البرزالي الذي اعتمد عليه ابن حزم في كتابة الشهير عن انساب البربر .

المغرب فى ذكر بلاد افريقيه والمغرب " .

وابن خرداذبه فى كتابه " المسالك والممالك " والمسعودى فى كتابة مروج الذهب الذى وصف فيه مدن افريقيه وسواحلها .

والمقدسى فى كتابة احسن التقاسيم .(١)

كذلك نبغ فى القيروان فريق من الأطباء منهم زياد بن خلفون (٢) الذى تتلمذ على يد اسحق بن عمران الذى وضع اساس مدرسة القيروان الطبيه (٣) . ثم ظهر فى القرن الرابع الهجرى عدد من اطباء القيروان من امثال احمد بن ابراهيم الجزار الذى تتلمذ على يد الطبيب المصرى (٤) اسحاق بن سليمان والف عدة مصنفات فى الطب منها كتاب " زاد المسافر " (٥) الذى ترجم الى اللاتينيه

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١٨٣

(٣) ابن جلجل : طبقات الأطباء ص ٨٥ ـ ٨٦ .
البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيه والمغرب ص ٢٤ .

(٤) يذكر ابن أبى اصيبعه ان الطبيب اسحق بن سليمان ظهر فى القرن الثالث وتوفى عن مائة عام سنه ٣٢٠ هـ والف كتبا فى الطب والمنطق منها كتاب الحميات وكتاب الادوية وكتاب النبض والمدخل الى صناعة الطب وكتاب الترياق وكتاب الحكمه .
ابن أبى اصيبعه : عيون الأنباء ج ٢ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٥) ابن جلجل : طبقات الأطباء ص ٨٧ ـ ٨٩ .

واليونانيه والعبرية ، ويعد من اهم الكتب في مجال الطب في العصر الاسلامي .

كما ازدهرت بالقيروان علوم الفلك والرياضيات بتشجيع الأمراء الاغالبه وحرصهم على استقدام العلماء المختصين في تلك العلوم (١) من العراق ومصر واهتمامهم بجمع ما الف في هذه العلوم وايداعه بيت الحكمه .

واشتهر بعض علماء القيروان بصناعة الكيمياء والعقاقير منهم اسماعيل ابن يوسف القيرواني الذي ذاع صيته في عهد ابراهيم بن الأغلب وألف عدة (٢) كتب في الكيمياء منها كتاب (العطر) الذي الفه احمد بن الجزار .

وازدهرت في القيروان حركة الترجمه من اللغه اللاتينيه واليونانيه الى العربيه فترجمت كتب العلوم الرياضيه والكيميائيه والطبيه وغيرها وكان (بيت الحكمه) الذي اسسه الأمير الأغلبي ابراهيم ابن احمد يضم جماعة من قساوسة صقليه استعان بهم في ترجمة كثير من الكتب

---

(١) ابن عذاري : البيان ج ١ ص ٢٠٤ ، من اشهر من الف في الحساب والفلك ابو سهل بن تميم وعبد الله بن ابي هاشم التميمي الذي كتب في مواقيت الصلاة ومعرفة النجوم .
القاضي عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

(٢) القاضي عياض : المدارك ج ٣ ص ٥٣١ ـ ٥٣٢ .

الى العربيـــه (١) وقد عثر فى المكتبه العتيقه بجامع القـــيروان على نسخـة من ترجمة عربيـة لكتاب تاريخ الأمم القديمه للقديـــس "يرونيم" و "لاتانس" وقد رسم على حواشيها بعض كلمـــات بالحروف اللاتينيه منها اسم المؤلـف "يرونيم" (٢) .

كذلك انتعشت حركة الترجمه من اللغه العربيه الى اللغـات الأخرى ، فقد انتقل فريق من مترجمى القيروان الى ايطاليـا ونقلـوا اليها كتب مشاهير الأطباء المغاربه كاسحق بن سليمان الطبيـــب القيروانى ، واحمد بن الجزار ، وكثير من المصنفات العربيه فى الفلك والنجـــوم (٣) .

وهكذا شهدت مدرسة القيروان ازدهارا ثقافيا شمل مختلف فـروع

---

(١) عثمان الكعاك : الحضارة العربيه فى حوض البحر الأبيـــض المتوسط ص ١١٦ ـ ١١٧ .
الدبـاغ : معالم الايمان جـ ٢ ص ٢١٨ .

(٢) ملحق مخطوطات المكتبه العتيقه بجامع القيروان ـ محمد زيتون .

(٣) نقلت كتب ابن الجزار من العربيه الى اللاتينيه وتولى هذه الترجمه قسطنطين بن محمد الافريقى ـ وترجم لاسحق بن سليمـــان الطبيب القيروانى كتاب الحميات وكتابا لمناصر وكتاب الحدود والرسوم وكتاب البارع فى الفلك والنجوم .
حسن حسنى : ورقات عن الحضارة العربيه بافريقيه التونسيه ص ٢٠٠ ـ ٢٠٤ .

العلـــوم :

والى جانب مدرسة القيروان قامت فى بلاد المغرب مدارس اخــرى اهمها مدرسة تاهرت [1] التى ازدهرت فــى عهد الرستميين ، بقدوم كثيرين مــن مشايخ الاباضيه وخاصة من البصــره اهتموا بكتابة مصنفــات عديدة عن مذهب الخوارج الاباضيه اودعت مكتبة تاهرت التى اطلــق عليهــا [2] الرستميون اسم "المعصومة [3]" وقد حـــــرص هؤلاء المشايخ على تدريس المذهب الاباضــى فــى المسجد الجامــع فى تاهرت فقد نسخ اباضيتــه البصره بعهد الوهاب بن عبد الرحمــــن بن رستم آلاف الكتب لشرحهــا وتدريسها .

---

(١) قام اباضية البصرة حيث رؤساء فقهاء المذهب بتدعيم الدولــــه الاباضيه الناشئه فى المغرب فانفذوا البعثات منهم ومدوهم بالكتب والمؤلفات الخاصه بالمذهب الاباضى ــ الشماخى : كتــــاب السير ص ١١٤ ;

Marcis : La Berberie Musulmane P.114-116,

Gautier : Les siecles obscurs du Maghrele P.P. 303 .

(٢) تتلمذ عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية على يد مشايـخ الاباضيه من البصره وخاصة ابوعبيد مسلم بن ابى كريمه . ابن الصغير : سيرة الائمة الرستميين ص ١٠ .

(٣) الشمــاخى : السير ص ١٦٢ .

كما كان ديوان نفوسه يحوى ثلاثمائة وثلاثين ألف جزء من مؤلفات المشارقه [1] من اهمها "ديوان الأشياخ" الذى اشترك فى تأليفه سبعة من العلماء ولا يزال هذا الكتاب محفوظا فى خزائن وادى ميزاب فى جنوب [2] الجزائر . وذاعت شهرة عدد من فقهاء الاباضيه منهم الشيخ مهدى النفوسى والفقيه ابوالحسن الابدلانى .

والى جانب المذهب الاباضى ، سمح الاباضيون للمالكيين وكذلك اتباع الامام واصل بن عطاء الذين بلغ عددهم ثلاثين الفا بتدريس مذهبهم فى المساجد [3] الأخرى . وقامت بينهم وبين شيوخ الاباضيه ، وكذلك بينهم وبين الشيعة الكثير من المناظرات

---

(١) الدرجينى : طبقات الاباضيه ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٧

(٢) اشترك فى وضع ديوان الاشياخ ابوعمران موسى بن زكريا وابوعمر النحبلى وعبد الله بن مانوج وابو زكريا يحى بن جرنار ، وجابر بن سدرمام وكباب بن مصلى وابومجبر توزين وهم من اهل نفوسه ومن موسوعات جبل نفوسه ايضا فى الشريعة الاسلاميه "ديوان الغرابه" الذى الفه عشرة من علماء نفوسة ويقع فى عشر اجزاء . ولا يزال هذا الكتاب موجودا فى وادى ميزات فى جنوب الجزائر .

محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٣ ص ٣٨٩

(٣) ابو زكريا : السيره ص ٢٠ .

وقد وصف الباروني هذه المناقشات والناظرات بقوله : " انتحمل البحث في المذاهب وعظم الجدل حول مسألة الامامه " (١)

وشجع الأمراء الرستميون على استمرار النشاط الثقافي باقامة المجالس العلمية التي قصدها العلماء والطلاب من مختلف الجهات وحرصوا على تزويد المكتبة المعصومة في تاهرت (٣) بالمصنفات التاريخية واللغوية والادبية ومختلف العلوم والفنون حتى غدت كما يذكر الدرجيني (٤) "بيت العلوم جامعا بفنونها من علوم التفسير والحديث وعلم اللسان وعلم النجوم والأصول والفروع والفرائض".

كما كانت سجلماسة احد المراكز الثقافية الهامة في المغرب خاصة في عهد حكامها من بني مدرار الذين اهتموا بتشجيع العلوم والعلماء

---

(١) الباروني : الازهار الرياضية جـ ٢ ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) الباروني : الازهار الرياضيه جـ ٢ ص ١٧٩ ، ص ١٨٠ .

(٣) ابو زكريا : السيرة واخبار الائمه ص ٢٤

(٤) الدرجيني : طبقات الاباضيه جـ ١ ص ٢٧ ،

Cautier : Les siecles obsceirs du Maghreb .P. 303-304.

وكانت تعقد بمساجد سجلماسه المناظرات [١] بين انصار الصفريه والمذاهب الأخرى من معتزاه وواصليه وشيعة مما ادى الى اثراء الحياة الفكريه بها .

كما ازدهرت مدرسة فاس خاصة فى عهد ادريس الثانى فغدت " دار علم وفقه وصلاح " [٢] وقد تأثرت مدرسة فاس بمدرسة القيروان تأثرا كبيرا [٣] فالادارسة ـ وهم علويون زيديون ـ حرصوا على محاربة اصحاب المذاهب المتطرفه . وكان [٤] لهجرة اعداد كبيرة من اهل افريقيه الى فاس اثره فى نقل كثير من اوجه النشاط الثقافى فى القيروان اليها .

. . . .

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٢) مجهول : تاريخ مدينه فاس ص ٥٢ ، ٥٣ .

Gautier : Les siecles obscurs . P :258-559. (٣)

(٤) اسس ادريس الثانى ربضا خاصة للأهل افريقيه عرف باسم ربض القرويين وكذلك مسجدا جامعا لهم بها .

سمى مسجد الشرفاء .

البكرى : المغرب ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

ابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٩ ـ ٢٠ .

الفصل الثالث

الصلات بين الفسطاط والقيروان

ارتبطت مدينة الفسطاط بمدينة القيروان ارتباطا وثيقا ، اذ كانت مصر مركزا لحركة علمية دينية كبيرة افادت منها افريقية والمغرب ، فارتحل الى مصر عدد كبير من فقهاء القيروان منهم "عبد الله بن فروخ" (١) الذى اشتهر بتمسكه بالكتاب والسنة واخذه بالنظر والاستدلال معا . كما التقى الفقيه المغربي اسد بن الفرات فى "المدينة المنورة" بالفقهاء المصريين من تلامذة الامام (٢) مالك بن انس، وحرص على لقاء فقهاء مصر فرحل اليهم بعد عودته من المدينة واجتمع بفقيهى مصر عبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن

---

(١) توفى عبد الله بن فروخ بمصر ودفن بالمقطم سنة ١٧٦ هـ
الدباغ : معالم الايمان ج ٣ ص ٢٣٩ ، المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ١١٣ - ١١٤ ، أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ١٠٩ .

(٢) سمح الامام مالك بن انس لاسد بن الفرات ان يحضر مجلسه مع فقهاء مصر بعد أن كان يدخل مع عامة الناس مما يبين منزلة فقهاء مصر لدى الامام مالك . ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ١٦٣ .

الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ٦٢٥ ، المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٨ .

القاسم (١) ، " الذى قال عنه اسد ابن الفرات " ان مالك بن انس قد مات ، فهذا مالك بن انس " (٢)

ودون ابن الفرات ما أخذه عن ابن القاسم من اجابة على كثير من المسائل التى عرضها عليه ، والحوار الذى تم بينهما فى كتاب ضم ستين جزءا سمى " الاسدية " (٣) جمع فيه بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأى وحاول التوفيق بينهما ، وكان كتابه هذا الذى وضع مادته من خلاصة اراء فقيه مصر ابن القاسم اساس الفقه فى القيروان .

كما رحل الى مصر " سحنون بن سعيد فقيه القيروان

---

(١) احمد بابا التكرورى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج أنه سئل عن ابن القاسم هل هو مجتهد فى مذهب مالك مقلد له ، فأجاب بأنه مجتهد فى المذهب فقط لا مطلقا ، واما اجتهاده فى بعض المسائل فاما بناء على جواز تجزىء الاجتهاد وهو اختيارنا كما أن المجتهد المطلق قد يقلد فى بعضها لامر ما فلا ينافى عروض اجتهاده فى بعضها كونه مقلدا ، والدليل على كونه مقلدا لمالك اقواله وأقوال الائمة وبيانه ان المجتهد انما يتبع الدليل من حيث هو والمقلد يقلد شخصا واتباع ابن القاسم لقول مالك والتزامه مذهبه واضح لا يفتقر الى بيان .. نيل الابتهاج ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ تحقيق ناطق صالح مطلوب .

(٢) القاضى عياض: ترتيب المدارك جـ ٢ ص ٤٦٧ .

(٣) ولد ابن الفرات فى حران سنة ١٤٢ وقدم القيروان مع والده وهو ابن عامين حين كان ابوه جنديا فى جيش ابن الاشعث ، وقد اهتم بدراسة القرآن وقام بتعليمه ، وفى سنة ١٧٢ هـ رحل الى المدينة =

وتتلمذ على يد ابن القاسم وأشهب وابن وهب من فقهاء مصر ، ووضع كتابه " المدونة " (١) الذى اعتمد فيه على " الاسدية "

= فالتقى بمالك بن أنس وسمع الموطأ ثم قصد العراق ثم ارتحل الى مصر . ويذكره المالكي بقوله انه امام العراقيين بالقيروان كافة ودينه ومذهبه هو السنة ، المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ١٨١ وقد اثارت اراؤه فى الجمع بين المالكية والحنفية كثير من أهل القيروان الذين كانوا يميلون الى المالكية فيروى ان احد علمائها وهوعبد الخالق اتى اليه فقال : يا ابا عبد الله جئتنا بالرأى وتركت الاثار ، وما كان عليه السلف فقال له اسد : اما علمت يا عبد الخالق ان قول اصحاب النبي (ص) هو رأيهم وهو اثر لمن بعدهم ، وكذلك التابعين هو رأى لهم واثر لمن بعدهم ، واما مافى كتبي من قول ابن القاسم أرى وأظن فلقد كنت أسأله عن المسألة فيجيبني فأقول له : هذا قول مالك فيقول لى كذلك احب وكذلك أرى وكان ابن القاسم ورعا . ويذكر أنه بعد أن انتهى اسد من تدوين كتابه رغب اهل مصر فى نسخها منه فأبى عليهم فرفعوا امره الى القاضى بمصر فأقر القاضى حق اسد فى ذلك وقال لاهل مصر اى سبيل لكم عليه رجل سأل رجلا فأجابه وهو بين اظهركم فاسألوه عما سأله فرغبوا الى القاضى فى سؤاله ان يقضى حاجتهم فسأل القاضى فأجاب الى ذلك فنسخوها حتى فرغوا منها . " القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(١) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٢٥٠ ،
ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ،
ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٦٠ ،
الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ٥١ ـ ٥٢

التى وضعها ابن الفرات بعد أن اخذ فى مراجعتها ومناقشتها مع الفقيه المصرى ابن القاسم ، فأضاف اليهـا وأسقط منها ، وأصبحت مدونة سحنون هى المرجع الاساسى لفقهاء القيروان ، كما أحضر سحنون من مصر مؤلفات فقهاء مصر المالكين فأخذ فقهاء القيروان فى دراستها ، وما زال بعضها موجودا الى الان بمكتبة القيروان العتيقة (١)

وبذلك نرى أن سحنون الذى تتلمذ على يد فقهاء المالكية فى مصر " انتهت اليه الرئاسة فى العلم بالمغرب .. وحصل له

---

(١) يذكر القاضى عياض قول ابن سحنون " عند ستة أو اربعة واربعون كتابا من البيوع منها كتابان او ثلاثة اصلها اربعة مسائل فى الموطأ " المدارك ص ٥٩٠ ، مازال موجودا بمكتبة القيروان العتيقة الجزئين الرابع والخامس من كتب الحج لاشهب بن عبد العزيز المصرى رواية ابن سعيد سحنون وكتاب البيوع من موطأ مالك رواية سحنون عن عبد الرحمن وكتاب العلم لعبد الله بن وهب المصرى وكتاب الشعر وكتاب النساء من جامع عبد الله بن وهب . ملحق سجل المخطوطات المحفوظة فى مكتبة جامع القيروان محمد زيتون - رسالة غير مطبوعة .

من لم يحصل لاحد من أصحاب مالك وعنه انتشر علم مالك فى المغرب . » (١)

وتتلمذ على يدى ابن الفرات وسحنون كثير من فقهاء القيروان منهم موسى بن عبدالرحمن القطان الذى الف كتابا من اثنى عشر جزءا ضمنه احكام القرآن الكريم (٢) ، بعد أن رحل الى مصر وتفقه على يدى فقهائها .

كما رحل الى مصر محمد بن سحنون (٣) ، وقد أكرم المصريون وفادته ودعاه كثير من فقهاء مصر للنزول عندهم ، فنزل فى دار الفقيه ابى رجاء

---

(١) القاضى عياض : ترتيب المدارك ص ٥٩١ ــ ٥٩٢ .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣ ،
ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١٨١ .

(٣) يذكر المالكى انه قام بمناظرة مع احد اليهود فى الفسطاط تمكن فيها من اقناع اليهودى والانتصار عليه " بالدلائل الواضحة والحجة البليغة وحضر المصريون هذه المناظرة " اذ " شاع ذلك بمصر وقال الناس بعضهم لبعض امضوا نسمع المناظرة بين الفقيه المغربى وبين اليهودى " ويمكننا أن نستخلص من هذه الرواية حرية الجدل بين المسلمين واليهود .
المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٣٥١ ــ ٣٥٢ .
يذكر احمد بابا التكرورى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ٥٥٤ ــ ٥٥٦
أن اسد بن الفرات اتى " الى ابن وهب وسأله ان يجيبه فى مسائل أبى حنيفة على مذهب مالك فتورع ، فذهب الى ابن القاسم فأجابه عنها بما حفظ من مالك .. وفى غيره يقول : سمعته يقول فى مسألة كذا وكذا ومسألتك مثلها ومنها ما أجابه على اصول مالك ، فهذا يحقق ماقلناه فهذه الاسدية اصل مدونة سحنون اصلح ابن القاسم منها اشياء على يد سحنون ، وأيضا سلمنا اجتهاده فى بعض المسائل ولكن لايخرجه عن التقليد . "
احمد بابا التكرورى : نيل الابتهاج فى تطريز الديباج ص ٥٥٦ .

أشهب ويذكر المالكي أن علماء مصر كانوا " يأتونه ويسلمون عليه " (١) وقدم له الفقيه المزني ـ صاحب الامام الشافعي ـ وابنه ليستخدمها في تنقلاته .

كما رحل الى مصر لتلقي العلم بها ابراهيم (٢) بن الاغلب مؤسس دولة الاغالبة وتتلمذ على يد الفقيه المصري الليث بن سعد . ورحل الى مصر من فقهاء افريقية كذلك عيسى (٣) بن مسكين وتتلمذ على يد الفقيه المصري محمد بن سنجر وابي الطاهر والربيع (٤) وعاد الى القيروان وتولى منصب القضاء في عهد ابراهيم بن الاغلب ويذكر المالكي (٥) انه كان ينهي احكامه فيكتب " حكمت لك بقول ابن القاسم .. وحكمت لك بقول أشهب ". (٦) مما يبين كيف تأثر في آرائه واحكامه بأقوال فقهاء مصر الذين درس على ايديهم . كما أصدر اوامره عقب توليه

---

(١) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٣٤٦ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١١٦ .

(٣) القاضي عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ص ٢١٢

(٤) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٣٧٦ .

(٥) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨ .

(٦) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٣٧٦ .

القضاء بألا يقرأ القرآن فى جامع القيروان الا بحرف نافع "(١) وهى القراءة التى نقلت الى القيروان من مصر .

كما رحل الى الفسطاط من فقهاء افريقية ايضا عبد الله بن احمد بن طالب (٢) ، ولقمان بن يوسف النسائى (٣) وربيع بن عطاء الله القطان (٤) وعون بن يوسف الخزاعى الذى تفقه على يد فقيهى مصر ابن وهب والمفضل بن فضالة .

كما رحل الى مصر حمديس القطان وتتلمذ على يد اصحاب ابن القاسم واشهب وابن وهب (٥) وكذلك رحل الى مصر الفقيه المغربى ابو محمد (٦) عبد الله التغزاوى وتتلمذ على يد الفقيه المصرى ابن شعبان الزاهى ، ثم عاد الى القيروان وتتلمذ على يديه عديد من الطلاب

---

(١) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٣٧٨ .

(٢) " : رياض النفوس ج ١ ص ٣٧٥ .

(٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ٣١٤

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ٣٢٤

(٥) الدباغ : معالم الايمان ج ٣ ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

الذيـــن لقبوه " بمالك الصغير [١] " لغزارة علمـه ولتفقهـــه وتعمقه فـــى المالكيـــة . ورحل الى مصر من الفقهاء المغاربة كذلـــك محمد بـــن نظيـف [٢] وعبد اللـه بن مسرور [٣] وزياد بن يونـــس ، وعلـــى بـــن محمد المعافرى [٤] .

كما رحل الى مصـــر مع المعز لديـــن اللـه الفاطمى الطبيـــب المصرى أعين بن أعين [٥] والطبيب موسى بن العـــزار ، كذلك رحل الـــى مصـــر فى صحبـة المعز " محمد بن جعفـر القزار القيروانى النحـــوى واقيمت المناقشات [٦] العلميـة فى مصـــر بينه وبـــين النحوى المصـــرى ابن النحاس [٧]

ورحل الى القيروان كثيرون من فقهاء وعلماء مصـــر منهم الفقيـــه زيد بن بشـــر الذى نال تقديـــر واحترام أهـــل القيروان ، حـــتى انهـــم قالوا عنه " اللهم ابقـه لنا واحـــرزه للمسلمين فقـد انتفع بـــه

---

(١) القاضى عياض : المدارك ج ٣ ص ٤٩٢ ــ ٤٩٥

(٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥

(٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ٣٤١ ــ ٣٤٢ .

(٤) الدباغ : معالم الايمـــان ج ٣ ص ٩٨ .

(٥) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء ج ٢ ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(٦) المنجى الكعبى : القزاز القيروانى ص ٣١ ــ ٣٢

(٧) المنجى الكعبى : القزاز . القيروانى ص ٣١ ــ ٣٢

شبابنا وحظي به شيوخنا "[١] ويذكر ابو العرب تميم انه استقر بتونس وأنه كان ذا " فقه وأدب وعقل وصيانة سمع منه الناس ورحل اليه من القيروان ناس كثير يسمعون منه منهم سعيد بن اسحق وسليمان بن سالم وغيرهما "[٢] .

كما رحل الى القيروان للتدريس بها النحوي المصري يحيى الوقار الذي تتلمذ على يديه كثيرون من طلاب[٣] القيروان ، كما تلقوا عنه ايضا الفقه المالكي فدرس لهم آراء ابن وهب وغيره من فقهاء المالكية .

كما رحل الى القيروان الطبيب المصري[٤] اسحق ابن سليمان الذي ذاع صيته في القيروان وتفوق على من بها من اطباء ، وقام بتدريس الطب لهم ، وألف عدة كتب في الطب " لم يسبقه احد الى مثل بعضها "[٥] واتخذه الامير الاغلبي زيادة الله الثالث طبيبا خاصا له واولاه كثيرا من العناية والاهتمام[٦]

---

(١) المالكي : رياض النفوس جـ ١ ص ٣٠٢ ، ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ٢٢٥ .

(٢) توفى زيد بن بشر بتونس سنة ٢٤٢هـ (٢) ابو العرب تميم ص ٢٢٦ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١١٧ـ ١١٨ .

(٤) رحل الطبيب المصري اسحق بن سليمان من مصر الى القيروان وألف بها عدة كتب في الطب كما درس الطب لطلبة القيروان . ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء جـ ٢ ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء جـ ٢ ص ٣٦ـ٣٧

(٦) Fournel : Les Berbers vol 2 P. 11- 72 .

وقد نال العلماء المصريون فى القيروان كثيرا من الاحترام والتقدير والمعاونة ، وكان تلامذتهم يصحبونهم فى ذهابهم وايابهم الى المسجد الجامع ، ويكرمون صحبتهم ، كما نال فقهاء افريقية وطلابها كثيرا من الترحاب[١] والرعاية من قبل المصريين ويذكر المالكى[٢] ان فقيه القيروان محمد بن سحنون حين قدم مصر نزل على ابى رجاء بن اشهب ، سأله أبو رجاء فى ذلك ففعل فكان علماء مصر يأتونه ويسلمون عليه قال . فأتاه المزنى صاحب الشافعى فيمن اتاه ، وجلس معه كثيرا ليقل الناس ويخلو معه ، فلما خرج قدمت اليه دابته ليركب .[٣]

ولم يكن فقهاء مصر يبخلون بعلمهم على طلابه من المغاربة فرأينا كيف اعطى ابن القاسم الفقيه المصرى[٤] فقيه القيروان اسد بن الفرات ،

---

(١) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٣٤٦ ، ٣٥١ـ ٣٥٢ ،
القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٧٠ ،
ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٦٠ .

(٢) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٣٤٦ .

(٣) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٣٤٦ .

(٤) يذكر القاضى عياض انه بعد أن انتهى اسد من تدوين كتابه رغب أهل مصر فى نسخها منه فأبى عليهم فرفعوا أمره الى القاضى بمصر فأقسر القاضى حق اسد فى ذلك وقال لاهل مصر أى سبيل لكم عليه رجل سأل رجلا فأجابه وهو بين اظهركم فاسألوه عما سأله ، فرغبوا الى القاضى فى سؤاله أن يقضى حاجتهم فسأله القاضى فأجاب الى ذلك فنسخوها حتى فرغوا منها " .

القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

خلاصة علمه ورأيه ، وحين اراد الفقهاء المصريون نسخ ما أخذه ابن الفرات من ابن القاسم ، أقر قاضي مصر حق اسد بن الفرات في الاحتفاظ بما دون ولم يلزمه باطلاع فقهاء مصر عليه .

وهكذا لقي فقهاء افريقية وطلابها كل الترحيب والعون والاحترام من قبل علماء مصر .

وقد أدت حركة العلماء بين مصر والمغرب الى الاتصال المستمر بين مدرستي الفسطاط والقيروان ، وفيما يلي نتحدث عن التأثيرات المتبادلة بينهما .

وقد تأثرت القيروان بالمدرسة المصرية تأثرا كبيرا وانتقلت الى القيروان كثير من العلوم التي ازدهرت في مصر خاصة علوم الدين عن طريق علماء افريقية الذين تتلمذوا على يد فقهاء مصر وعلمائها .

فانتقلت الى القيروان قراءة نافع (١) للقرآن التي انتشرت في مصر على يد عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش الذي تولى رئاسة الاقراء بمصر حتى القرن الثاني الهجري وابو يعقوب بن عمر بن يسار حين درس الفقيه المغربي محمد بن خيرون هذه القراءة عن الفقيهين المصريين " ورش وأبي يعقوب " ونقلها الى القيروان فانتشرت في انحاء المغرب (٢) وحلت

---

(١) ابو المحاسن : النجوم ج ٢ ص ١٥٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٧٨ ،
المقريزي : الخطط ج ٤ ص ١٤٣ ،
ياقوت : معجم الادباء ج ٥ ص ٣٣
لازالت الى اليوم تعرف القراءة عن رواية نافع باسم قراءة ورش نسبة الى عثمان بن سعيد الفقيه المصري المعروف بورش .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٧٦-٢٧٨ .

محل قراءة حمزة التى كانت قد عرفت من قبل فى القيروان (١) .

كما تأثرت القيروان بآراء فقهاء مصر المالكين خاصة ابن وهب وابن القاسم فقد درس فقهاء القيروان اسس المذهب المالكى على يديهما (٢) .

ويذكر المالكى قول فقيه القيروان سحنون بن سعيد عن كتب ابن وهب وابن القاسم " بالله ماتشترى بكتابنها الدنيا وما فيها وما عميت عن مسألة قط الا وجدت فرجها فى كتاب ابن وهب ... كذا وهذه (يقصد كتاب ابن القاسم) فقلما رأيت احدا اخذها الا ونفعه الله بها ."

واعتمد اقطاب المذهب المالكى فى القيروان (٣) فى وضع مؤلفاتها على اراء فقهاء المالكية فى مصر .

وازدهرت المدرسة المالكية (٤) فى القيروان ، وقوى شأن فقهائها

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٧١ ، المقدسى : احسن التقاسيم ص ٢٣٨ .

(٢) الدباغ : معالم الايمان جـ ٢ ص ٢٣٩ ، ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ١٠٩ ، ١٦٣ ، القاضى عياض ترتيب المدارك جـ ٢ ص ٤٦٧ ، احمد بابا التكرورى ، نيل الابتهاج ص ٥٥٠ ـ ٥٥٥ .

(٣) Vonderheyden : de Berberie . P. 124- 125.

(٤) لما قدم اسد من مصر نزل القيروان " وسمع منه المعروفون بصحبته ووجوه اهلها كسحنون واشباهه ، وسمع عليه كل معروف بصحبته مصر ومحمد بن وهب بن قادم وأبى المنهال وسلمان ابن عمران .. ورحل الناس اليه من البلد ان وسمعوا عليه وتفقهوا به فذكر عن عبد الخالق المتعبد أنه أتى اليه فقال له " يا أبا عبد الله جئتنا بالرأى وتركت الاثار وما كان عليه السلف فقال له اسد اما علمت ياعبد الخالق ان قول اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هو رأى لهم وهو اثر عن بعدهم وكذلك التابعين وهو رأى لهم وهو اثر لمن بعدهم =

وبلغ من نفوذهم ان الامير ابراهيم بن الاغلب لم يكن يستطيع مراسلة الخليفة هارون الرشيد الا بعد أخذ موافقة فقيه القيروان المالكي على نص الرسالة (١) .

= واما مافي كتبي من قول ابن القاسم أرى وأظن " فلقد كنت اسأله عن المسألة فيجيبني فأقول له هذا قول مالك فيقول لي كذلك احسب وكذلك أرى وكان ابن القاسم ورعا ولكن يكره ان يهمم على الجواب وهو شك فيه ولقد دفع الي ، لما اردت الانصراف الى افريقية كتابا وقال لي : " كنت اجيبك بأجوبة وربما شككت فيها انها قول مالك وهذا سماعي من مالك في هذا الكتاب فخذه ليكون عندك وقابل بما فيه وأصلح ماخالفه عليه . فسكت عبد الخالق . "

المالك : رياض النفوس ج ١ ص ١٨٢ـ ١٨٣ . وقد تولى أسد بن الفرات قضاء القيروان مع ابي محرز الذي عينه زيادة الله ويذكر المالكي أنه في مجلسه كان اذا سرد أقوال العراقيين " يقول مشايخ كانوا يجالسونه : " اوقد القنديل الثاني ياأبا عبد الله فيسرد اقوال المدنيين " .

المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ١٨٣ـ ١٨٤ .

(١) الدباغ : معالم الايمان ، حـ ١ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

وتأثرت مدرسة القيروان كذلك بما عرف فى مدرسة الفسطاط من تنافس مذهبى ،فانتقل الى القيروا ن المذهب الشافعى الذى انتشر (١) فى مصر . وشهدت القيروان تنافسا فكريا بين انصار الشافعية والمالكية كما كان الحال فى مصر فيذكر ابن خلدون ان فقيه افريقية ابن الحداد مال الى المذهب الشافعى واخذ ينتقد المالكية (٢) ويناقشها ويقارن بينها وبين آراء الشافعية . وقد ادت هذه المجادلات بين المذاهب ومناقشتها الى اذكاء الحركة الفكرية فى كل من مصر وافريقية . اذ كان ذلك حافزا للفقهاء والعلماء بالتأليف والكتابة للرد على الفرق المخالفة واتقانهم فن المناظرة والمناقشة .

والمتتبع لتاريخ الحركة الفكرية فى مصر والمغرب يجد أن المصريين والمغاربة قد اعرضوا عن مذهب اهل العراق القائم على الرأى وتشابه موقف المصريين من المذهب الحنفى مع موقف المغاربة ، ففى مصر

---

(١) ابن سعيد : المغرب جـ ٤ ص ٢٤

(٢) يذكر ابن خلدون انه كان يسخر من مدونه ابن سحنون فاطلق عليها اسم " المدورة " المقدمة ص ٥٠ كذلك شهد المسجد الجامع فى الفسطاط امثال هذه المناقشات بين انصار المالكية والشافعية فيذكر ابن سعيد انه فى سنة ٣٢٦ هـ " عاد اصحاب مالك والشافعى الى القتال فى المسجد الجامع العتيق وكان فى الجامع للمالكية خمس عشرة حلقة وللشافعية مثلها ولاصحاب ابى حنيفة ثلاث حلق فلما زاد قتالهم ارسل الاخشيد ونزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع وكان يفتح فى اوقات الصلوات ثم سئل الاخشيد فيهم فردهم "

المغرب جـ ٤ ص ٤١ .

أمر قاضى الفسطاط الحارث بن سكين باخراج اصحاب أبى حنيفة من الجامع وأمر (١) " بنزع حصرهم " .

وفى المغرب وقف فقيه القيروان سحنون بن سعيد ضد أهل الرأى وغيرهم من اصحاب المذاهب المختلفة ومنعهم من دخول المسجد الجامع " وفرق حلق اهل البدع ... وشرد اهل الاهواء ... وأمرهم الا يجتمعوا " (٢)

وكان لموقف مدرسة الفسطاط من المذاهب المتطرفة ذات الطابع الفلسفى ، واعراض المصريين عن آراء المعتزلة والخوارج (٣) والشيعة وتمسكهم بالسنة ، اثره ايضا فى مدرسة القيروان فقد اعرض المغاربة عن تلك المذاهب وتمسكوا بالمالكية ــ التى اخذوا اسسها الاولى عن فقهاء مصر (٤) ، ثم ازدهرت وتفرعت على يد فقهائهم حتى غدت بالقيروان من أشهر مدارس الفقه المالكى .

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٦٩ .
يذكر ان الحارث بن مسكين " امر باخراج اصحاب ابى حنيفة من المسجد واصحاب الشافعى وامر بنزع حصرهم ومنع عامة المؤذنين من الاذان .. والذين يقرأون القرآن بالالحان وهو اول القضاة فعل ذلك . "
الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٦٩ .

(٢) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ ، ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ١٨٤ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار ج ٣ ص ٣٧٣ .
الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٤٧ .
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥ .
Nicholson : Litrary history of the arabs P. 223-225.

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦٧ ، المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٣٦٠ .
دكتور حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ص ١٧٠ ــ ١٧١ ،
Vonderlreyden ; La Berberie Musulmane P.124 .

كما وقف المصريون ضد مبادىء المعتزلة ورفضوا ما نادوا به من القـول بخلق القرآن ، كذلك كان الحال فى القيروان ، فقد اشتد النزاع بين المالكية والمعتزلة [١] خاصة حين اسند اليهم الاغالبة كثيراً من المناصب الهامة ، الا ان اهل القيروان تمسكوا بالمالكية ورفضوا مبادىء المعتزلة ، وما تذهب اليه من القول بخلق القرآن .

كما تأثر الفقهاء المغاربة بموقف الفقهاء فى مصر من اعراضهم عن تولى منصب القضاء خشية خضوعهم لنفوذ الحكام ، فرفض عبد الله بن وهب الفقيه المالكى تولى منصب القضاء فى الفسطاط ، وكذلك رفض فقهاء افريقية [٢] تولى هذا المنصب .

ولم يقتصر تأثير مدرسة الفسطاط على الناحية الدينية بل شمل كثيرا من العلوم والاداب ، فقد تتلمذ على يد نحاة مصر كثير من طلاب القيروان وعلمائها واشتهر منهم علماء ذاع صيتهم كعبد الله بن محمد القيروانى الذى "كانت اليه الرحلة من جميع البلاد" [٣]

وتأثرت مدرسة القيروان كذلك بما اشتهرت به مصر من تفوق فى ميدان الطب فدرس عديد من اطباء القيروان الطب على يد مشاهير اطباء مصر كما كان الامراء الاغالبة يبحثون فى طلب مشاهير الاطباء المصريين كأبى يعقوب اسحق بن سليمان [٤] الذى اتخذه زيادة الله الثالث طبيبا خاصا له .

---

(١) الدباغ : معالم الايمان جـ ٢ ص ١٦٧ ، المالكى : رياض النفوس جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٦٣ .

(٣) السيوطى : بغية الوعاه ص ٦٤ـ٦٥ .

(٤) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء جـ ٢ ص ٣٦ـ٣٧ .

(٥) Fournel : Le Berbers . vol . 2 - P 72 .

وكما تأثرت القيروان بالمدرسة المصرية كذلك تأثرت مصر بمدرسة القيروان ،
فقد تتلمذ المتصوف المصرى ذى النون (١) الذى وضع أصول التصوف على يد
احد اقطاب الصوفية من المغاربة وهو ابو على شقران ابن على الفرضى (٢) وتقل

---

(١) يذكر المالكى قول " ذا النون المصرى " حين ارتحل الى القيروان ودرس على يد ابن الفرضى فيقول " وصف لى رجل بالمغرب وذكر لى من حكمته وكلامه ماحملنى على ان القاه فرحلت اليه الى المغرب فأقمت على بابه اربعين يوما على أن يخرج من منزله الى المسجد فكان يخرج فى وقت كل صلاة ويرجع كالواله ولا يكلمنى ولا يكلم احدا ... فضاق لذلك صدرى فقلت ياهذا انى مقيم هاهنا منذ اربعين صباحا لاراك تكلمنى فقال لى ياهذا لسانى سبع فان انا اطلقته اكلنى فقلت رحمك الله عظنى بموعظه احفظها عنك قال وتعمل ؟ قلت نعم ان شاء الله تعالى فقال لاتحب الدنيا وعد الفقر غنى والبلاء من الله عز وجل نعمما والمنع من الله عطاء والوحدة مع الله انسا والذل عزة والمباهاة خطأ والاياس غفدة والطاعة حرمة والتوكل معاشا والله عز وجل لكل شىء عدة قال ثم مكث بعد ذلك شهرا لايكلمنى فقلت له رحمك الله انى اريد الرجوع الى بلدى فان رأيت ان تزيدنى فى الموعظة .. انى رجل مبتدىء لاعلم عندى فقال لى ياهذا اعلم ان الزاهد فى الدنيا قوته فى الدنيا ماوجد ومسكنه حيث ادرك ولباسه مايستر والخلوة مجلسه والقرآن حديثه والله العزيز الجبار أنيسه والذكر رفيقه والصمت محبته والخوف محجته والشوق مطيته والنصيحة فهمته والاعتبار فكرته والصبر وساده والتراب فراشه والصديقون اخوانه والحكمة كلامه والعقل دليله والحلم خليله والتوكل نسبة والجوع ادامه والله عونه .. فسأله ذو النون بم يتبين العبد الزيادة فى هذا المكان قال بالمحاسبة للنفس والمناقشة لها . المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .

عنـــه أسلوبه فى الزهد ومنهجه فى التصوف حيث ازدهر التصـــوف فى المغرب ومال كثير من اهل السنة اليـه ، اذ كان لما شهدته بـــلاد المغرب من فتن واضطرابات وحروب وما انتشر فيها من مبادىء الخـــوارج وآراء المعتزلة والشيعة وغيرها حافزا لكثير من المغاربـة الى الاعتكـــاف والعزلة ورأوا أن يلتزموا فى الرباطات بحياة الجهاد والعبادة ، فعمرت رباطات المغرب بهؤلاء المتصوفين والزهـاد (١) .

وحرص أمراء افريقيـــة على اقامة تلك الرباطات لحماية سواحـــل البلاد فيذكر ابن خلدون (٢) ان الامير الاغلـبى ابراهيم ابن احمـــد بنى افريقيـة " نحوا من عشرة الاف حصن بالحجارة " كما يذكر اليعقوبى (٣) انه "على طول الطريق من سفاقس الى بنزرت حصون متقاربـة ينزلهـــا العباد والمرابطون

وكان رباط " المنستير (٤) من اشهر هذه الربط وصفه البكرى بقولـه

---

(١) دكتور حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٢٧ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٤٢٩ .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٥٠

(٤) المنستير ميناء بـــين سوســه والمهدية كان فى الاصل رباطـا يرابط فيـه المسلمون لحمايـة ثغور أفريقيـة من الغارات البحرية الـــتى يقوم بها البيزنطيون بناه هرثمة بن اعين والي افريقيـة من قبل الرشـــيد سنة ١٨٠ هـ . وأضيف اليـه فى العصـــور التاليـــة عدة اضافـات ويدور حوله سور ذا ابراج مستديرة .
ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١١٠ ـ ١١١ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٤١٧ ، يذكر ابو العرب تميم ان " البهلول بن راشد حين استشـار

" والمنستير البيوت والحجر والطواحين ومواجل الماء وهو حصن عالى البنـــاء وفى الطبقـة الثانية منه مسجد لايخلو من شـــيخ خير فاضل يكون مــــدار القوم عليـه وفيه من الصالحين والمرابطين قد حبسوا انفسهـم فيه منفرديـن دون الاهل والعشائـــر " (١)

وقد اتاحت حياة الرباط لكثيرين منهم فرصـة الكتابـة والتأليف وكـان فريق من المتصوفين يؤلف الاشعار الروحيـة وكان يجتمع " بمسجد السبت " خارج القيروان من يفضلون سماع الاشعار الروحية ملحنة . (٢)

ومن اشهر من وضع هذه الاشعار ابو عبد الرحمن به عبد الله بن المبارك (٣) بن واضح المروزى المحدث سنة ٢١٨ ـ ٢٨٢ هـ / سنة ٨٣٣ ـ سنة ٨٩٥ م . وقد عارض احد فقهاء القيروان يحيى بن عمر المتوفى سنة ٢٨٩ ـ سنة ٩٠١ م فى ان تلحـــن هذه الاشعار وتقدم فى المسجد " فكان يشتد عليه أمر مسجــد السبت ويود لو انه هدم " (٤) ويذكر المالكى " لكنـــــه كان فى ذلك الزمان على خلاف ماهو عليـه اليوم ، وذلك انهم كانوا يحضرونه بالوقار والسكينــــة والخشوع وغزارة الدمعة ، وكثرة الصدقـــة والمعروف ، وكانوا يقولون فيه أشعار

---

(١) البكرى : المغرب . ص٣٦ .

(٢) المالكى : رياض النفوس ج ٢ ص ٤٨ ١ ــ ٤٩ ١ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٥٠ ــ ٣٥١ .

(٤) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٤٠٠ ــ ٤٠١ ويذكر أن ابا الحســـن بن على الانصار الفقيه " حضرت مسجد السبت القديم وكان مبنيـــا بالطوبه فقال القوالون اشعارا فى الزهـد فبكى الناس بكاء عظيمــــا حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت اصواتهم . المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٤٠٠ ــ ٤٠١ .

ويذكر الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ١٥٩ ــ ١٦٠ أن يحيى بن عمـــر رأى أن ذلك بدعة لم تكن فى الزمن الاول فألف تأليف فى وجوب الامتنـــاع عن حضوره وكان يقول : " ياقوم هذا القرآن يتلى والاحاديث النبويـــة

أبى محمد ان فى الزهد والمواعظ وأهوال يوم القيامة وصفات اولياء الله تعالى ..
وكان المتعبدون والصالحون اذا سمعوها استراحوا اليها بقلوبهم ،
وانشرحت نفوسهم ، وانصرفوا منه وهم محزنون نادمون . (١)

وقد اقر فقيه القيروان ابو سعيد - سحنون بن سعيد قراءة
هذه الاشعار دون ان تكون ملحنة (٢) .

واشتهر كثير من المتصوفين الذين عرفوا برواية الاشعار الدينية الى
جانب علمهم بالفقه واللغة وروايتهم للحديث ، منهم محمد بن زرزر الذى
وصفه المالكى بقوله " كان حافظا للغريب بصيرا بالعربية راوية للاشعار" (٣)

= ولا يتعظ ويسمع الانسان بيتا من الشعر فيبكى هذا عجب" ويتبعه
في رأيه هذا تلميذه ابو عمران الفارسى .
الدباغ / معالم الايمان ج ٢ ص ١٥٩ـ ١٦٠ .

(١) المالكى : رياض النفوس ص ٤٠٠ ـ ٤٠١

(٢) يذكر المالكى ان سحنون بن سعيد جاءه حسان احد منشدى هذه
الاشعار فقال له " اجلس واسمعنا ياعاشق الحور لابن المبارك ولا تطرب
فابتدأ بالقصيدة فكلما اراد ان يطربها يقول له سحنون اهيه اسكت عن
التطريب" حتى انتهى الى قول هذا البيت :

لعن رآك قتيلا بين اوديه .. فى غربة قد سقيت المروالصبرا

فقال سحنون يرحمك الله ابا عبد الرحمن كيف يكون غريبا من تبكى عليه
السموات والارض انما الغريب الذى (فيه) قال الله عز وجل " فما
بكت عليهم السماء ولا الارض .

المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٢٦٤ .

(٣) المالكى : رياض النفوس ج ١ ص ٢٣٥ .

وكذلك ربيع بن سليمان القطان الذي وصفه المالكي أيضا بأنه " كان حافظا لكتاب الله قارئا بالرواية عالما بتفسيره وغريبه حافظا لحديث رسوله ". (١)

فكانت رباطات المغرب بمثابة مدارس تدرس فيها علوم الفقه والحديث ، يقصدها العلماء ، وكانت ملاذا للمضطهدين من الفقهاء والمتصوفة .

وانتشر فقهاء المالكية في الرباطات وخرج اليها أهل التقى والورع منقطعين للعبادة والجهاد . (٢)

كما تأثرت مصر بقدوم علماء القيروان اليها وما ترتب عليه ذلك من اثراء الحياة الفكرية في مصر ، بقيام المناظرات والمناقشات . فحين قدم الى مصر فقيه القيروان اسد بن الفرات ، اخذ يناقش الفقيه المصري ابن القاسم ، في كثير من المسائل الفقهية وعرض عليه رأي أصحاب

---

(١) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٢١٠ .

(٢) دكتور حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٣١ - ١٣٢ ويذكر أبو العرب تميم موقف وزير هرثمة بن اعين من بنيان المنستير فقال " فعدد له ان هرثمة بنى بأرمينيه ومن غير موضع فقال له البهلول بن راشد : ماذكرت شيئا الا والمنستير افضل منه وذلك انه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه باب من ابواب الجنة ." وان دل هذا على شيء فانما يدل على مكانة المنستير وغيره من الرباطات لدى المسلمين ، ومدى تقديرهم للدور الذي كانت تقوم به في الجهاد والعبادة .

أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ٢ ٥ .

المذهب الحنفي ودون خلاصة أرائه (١) التي حاول التوفيق فيها بين مذهبي مالك وأبي حنيفة • وقد أدت هذه المناقشات الى انتعاش الحياة الفكرية في مصر فقد قام المصريون بنسخ " الاسدية " التي وضعها أسد بن الفرات ودراستها ومناقشتها معه ومع استاذهم ابن القاسم •

كما يشير ابن الرقيق الى مدى اقبال المصريين على الفقيه المغربي " عبدالله بن فروخ " (٢) الذي قال عنه عبدالله بن وهب فقيه مصر " لقد رجونا أن يكون عبدالله بن فروخ خلفا لنا من الليث بن سعد " •

كما كان فقهاء مصر يحضرون مجالس محمد بن سحنون فقيه القيروان ويستمعون الى مايدور من نقاش وحوار بينه وبين اساتذته من كبار فقهاء مصر (٣) •

---

(١) يذكر المالكي انه حين عزم أسد على الرحيل الى افريقية قام اهل مصر فسألوه في كتبه ان ينسخوها فأبى عليهم فقدموه الى القاضي بمصر فقال لهم القاضي " وأي سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل رجلا فأجابه وهو بين اظهركم فاسألوه كما سأله " فرغبوا الى القاضي في سؤاله ان يقضي حاجتهم فسأله القاضي فأجابه الى ذلك فنسخوها حتى فرغوا منها • " وهي تتضمن ستين كتابا هي خلاصة مناقشاته مع ابن القاسم •

المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ١٧٩)

القاضي عياض: ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦٩ •

(٢) ابن الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص ١٨٢ ــ ١٨٣ •

(٣) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧ •

وعقد النحاة فى مصر المجالس العلميـــة حيث كانت تناقش آراء نحـاة المغرب ، فكان المصريون يجمعون بين شيخهم ابن النحاس النحوى ومحمد بن جعفر (١) عالم النحو القيروانى .

ولا شك ان هـذه المجالس كانت تنعش الحركة العلمية فـى مصـر بما يدور خلالها من عرض الاراء وتبادل الافكار ، كما افاد المؤرخون المصريون كابن عبد الحكم (٢) من التقائهم بفقهاء افريقيـة حيث أخذوا عنهـم معلومات وحقائق افادتهم فى تسجيل كثير من الاحداث التى تتعلق بتاريـخ المغرب .

...

مما سبق يتضح ان مدرسـة الفسطاط كانت المصدر الاول الـذى أستقت منه مدرسـة القيروان كثـيرا من أصول العلوم ، وتشابهت الميول والاتجاهات الفكريـة فى الفسطاط والقيروان ، فتمسك كل منهما بالسنـة وأعرض عن المذاهب المخالفـة المتطرفـة . وتأثر العلماء المغاربة بالعلمـاء المصريين فى كثير من جوانب العلم والثقافة . كما اثرت القيروان فى مدرسـة الفسطاط بقدوم علمائها الذين اسهموا فى انعاش الحياة الفكرية فى مصر .

وادت كثرة تردد العلماء بينهما الى وجود نوع من وحدة الفكر والثقافـة بين مصر وبلاد المغرب وربطت بينهما بأواصر وثيقة .

= = =

---

(١) المنجى الكعبى : القزاز القيروانى ص ٣٠-٣١.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وافريقيـة .

الفصل الرابـــع

الدعوة الاسماعيليـــة في المغرب كحركة فكرية وانتقالها الى مصر

كا ن للاضطرابات التي [1] سادت افريقية في اواخر عصر الولاة أثر كبير في نجـاح الدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب . تلك الدعوة التي قامت في بلاد المغـــرب منذ منتصف القرن الثاني الهجري حين بعث الامام ابوعبد الله جعفر الصـــادق بالداعيـين (الحلواني وأبا سفيـــان) الى بلاد المغـــرب سنة ١٤٥ /

---

(١) الاسماعيليـــة هم احد فرق الشيعة الذين نادوا بامامة اسماعيل بن جعفـر الصادق . وقد اختلف احفاد الحسن بن علي مع احفاد الحسين فقـــد تخلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عـن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب المعـروف بالنفس الذكية واخذ جعفر الصادق يعمل ليصل ابناؤه من بعده للخلافة واستطاع ان يقنع بقايا العلويين من نسل الحسن على تأييده باعتبـــاره الوارث الحقيقي للخلافة عن علي وفاطمة . وجعفر الصادق هو الامام السادس عند طائفـة الامامية التي ترى ان الامامة تكون في سلالة علي عن أبنه الحسين ولا تكون في الاعقاب . وبعد موت جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ انقسمـــت الامامية الى فريقين الموسوية الذين نادوا بامامة موسى الكاظم بن جعفـــر الصادق والاسماعيلية الذين نادوا بأنه اسماعيل بن جعفر الصادق وهو اكبر اولاد ابيه ثم انتقلت الى ابنه ابن عذاري : البيان جـ ١ ص ١٨٠ــ٢٨٣ . ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢٣ .

Nisholson : The estoblishment of the Fatimite Dynasty P.25- 26 .

محمود لجأ الى التخفي في الدعوة لنفسه فانتقل بين المدن الاسلاميـــة واستقر عند قرية " سملا " في الري وكان من اشهر دعاته ميمون القـداح وخلف محمد عبد الله الرضي الذي لقي كثير من الاضطهاد في عهد الخليفـة المأمون فرحل الى قرية " سلمية " قرب " حمص " اصبحت دار هجـرة الائمة الاسماعيليـة ثم خلفه ابن احمد ثم الحسين وحرص على نشر دعوته في بلاد المغرب اولا فأرسل ابا عبد الله الشيعي الى الداعي ابن حوشب باليمن وعهد اليه ابن حوشب مهمة الدعوة في المغرب بعد موت الداعيين بها وهمـا ابو سفيان والحلواني . المقريزي : اتعاظ الحنفا ٧٤ــ٧٥ =

سنة ٧٦٢ م (١) .

واخذ الدعاة الاسماعيلية فى بث دعوتهم فى بلاد المغرب منذ ذلك الوقت حتى مجىء ابوعبدالله (٢) الشيعى بلاد المغرب سنة ٢٨٠ هـ / سنة ٩٠٠ م واتخاذه من منطقة " ايكجان " الواقعة فى منتصف الطريق بين طنجة وفاس دار هجرة له ومركزا للدعوة .

وقد اعتمد فى نشر دعوته على قبيلة كتامة التى تعلقت به منذ أن التقى ببعض افرادها اثناء الحج ودعوه الى بلادهم واكرموا وفادته " وصح عنده أن ليس فى قبائل افريقية اكثر عددا ولا اشد شوكة ولا اصعب مراما على السلطان من كتامة ." (٣)

= المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٤٨ ، ابن عذارى : البيان جـ١ ص٤ ٢٩ ،
Bernard leuis ; The origins of jrmailism pp. 48+59

(١) يذكر ابن الاثير ان الامام عبدالله بن جعفر الصادق قال لهما : " ان المغرب أرض بور فاذهبا فاحرثا حتى يجىء صاحب البذر ، الكامل جـ٨ ص ١٠ ـ ١١ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) ابو عبدالله الشيعى هو الحسن بن احمد بن محمد بن زكريا وهو يمنى التقى هناك بداعى دعاة الاسماعيلية ابن حوشب الذى لمس ذكاءه ودهاءه فأوكل اليه امر الدعوة فى المغرب بعد وفاة ابى سفيان وقال له : " ان ارض كتامة قد حرثها الحلوانى وابو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك ." ابن خلدون جـ٤ ص ٢٩ . المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ١٢٥ .

مؤرخ القاضى النعمان دخول ابوعبدالله الشيعى ارض كتامة سنة ٢٨٠ بينما يذكر ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٣٢ ، والمقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٥٦ انه دخلها سنة ٢٨٨ ، ويؤيد ابن عذارى قول القاضى النعمان ذلك ان الدعوة الاسماعيلية قد استتبت لان اباعبدالله مكث سبع سنين على الاقل بين الكتاميين قبل اظهار الدعوة للمهدى . البيان جـ ١ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
Cautier : Les siecles ofscurs du Maghrebe . P. 317- 318 , .

وتابع شيوخ كتامة وشبابها حلقات الدروس التي كان ينظمها ابوعبدالله الشيعي التي اشاد فيها بمكانة علي بن ابي طالب ونسله والائمة من بعده " فاذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه واحس فيه مايريده القى اليه شيئا بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليه ثم يأمره بالصمت والكتمان فيكتمه عن اقرب الناس اليه واذا سأله احدهم عنه قال له : ابلغ توقن ." (١)

ووضع تنظيما دقيقا لاتمام الدعوة بأن قسم كتامة الى سبعة اقسام ، وجعل على كل قسم فيها داع اختاره ممن يثق فيه من افرادها . وكون منهم مجتمعا متميزا متماسكا متعاونا ، واطلق على اتباعه اسم " المؤمنين " .

ولذا نجده يوضح للامام المهدي فيما بعد سياسته مع معاملة كتامة والمساواة بينهم حتى كان الواحد منهم ينادي الاخر " ياأخانا " فيقول له : " ان كتامة قوم قد قومتهم بتقويم وأجريتهم على ترتيب

= ويذكر ابن خلدون تهافت اهل كتامة على استضافة ابوعبدالله الشيعي فسألهم ابن فج الاخيار فدلوه عليه فقال لهم " هذا فج الاخيار وما سمي الا بكم ولقد جاء في الاثار للمهدي هجرة ينبو بها عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان .. انا صاحب البذر الذي اخبر به ابو سفيان والحلواني .

ابن خلدون : العبر ج٤ ص ٣١-٣٢ ، ادريس عماد الدين : عيون الاخبار ص ٤٠٢ .

(١) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ص ١١
يذكر القاضي النعمان ان ابوعبدالله كان يسأل اهل كتامة " كيف طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم فقالوا بما له علينا من طاعة ولاحكم اكثر من انا نقول انه سلطان ." رسالة افتتاح الدعوة ص٦٤ ، ادريس عماد الدين : عيون الاخبار ص ٤٠٢ = ٣ .

يذكر القاضي النعمان " وصار من وصل الى الدعوة في قومهم كالنجوم في افعال الخير يشار اليهم بالاصابع ويعجب الناس من سوء حالهم قبل دخول الدعوة وما صاروا بعد ذلك اليه " رسالة افتتاح الدعوة ص ٧٦-٧٧ .

وتعليم ، وتم لى بذلك منهم ما أردت ، وبلغت بذلك منهم ماقصدت وهذا الذى فعلته انتهيهم من اعطائهم الاموال وتوليتهم الاعمال وما أمرتهم به من اللباس والحلى فساد لهم للخروج من عادتهم ." (١)

ونجح ابو عبد الله الشيعى فى نشر الدعوة الاسماعيلية فى بلاد المغرب ، وانضمت اليه قبائل كثيرة وأقنعهم " بطاعة الامام المعصوم من اهل البيت " (٢) عبيد الله المهدى . وانتشرت الدعوة بين وزراء وعمال زيادة الله الثالث الاغلبى امير افريقية وكان بعضهم (٣) على صلة قوية بأبى عبد الله الشيعى حيث كانوا يتلقون منه الاوامر ويطلعونه

---

(١) القاضى النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ص ٢٦٠ .
حرص ابو عبد الله الشيعى ان يعلم اهل كتامة التعفف والقناعة فى الملبس والمأكل والمشرب والمركب ولا يتأخر عن تقبيل يد من يقبل يده .

(٢) ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ ، ادريس عماد الدين : عيون الاخبار . ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٩ ـ ١٣٠
سمح عامل طرابلس اليسع بن مدرار لعبيد الله المهدى بالمرور الى المغرب وكان كثير منهم يتلقون من ابى عبد الله الشيعى الاوامر ويطلعونه على احوال الدولة .
ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٣ .

ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٨٠ ـ ١٨٣ ،

Vonderheyden : La Berberie Orientale .P.292-293.

على أحوال الدولة . حتى تمكن سنة ٢٨٩ هـ / سنة ٩٠١ م من اقتحام مدينة ميلة ثم الهجوم على افريقية (١) وازالة سلطان الاغالبة عنها ودخل أبوعبد الله الشيعي بجيشه القيروان سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م وقامت الدولة الفاطمية في افريقية والمغرب جميعه " ودعي له سنة سبع وتسعين ومائتين برقادة والقيروان والقصر القديم (٢) " ، ويذكر ابن الاثير أن الدعاة احضروا الناس بالقوة عقب صلاة الجمعة يدعونهم الى الدخول في مذهبهم " فلم يدخل مذهبهم الا بعض الناس وهم قليل وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم ." (٣)

---

(١) النويري : نهاية الارب جـ ٢٦ ص ٢٩ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢٨ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٣٦ ،

Vonderheyden : La Berberie Orientale P. 292 - 293.

(٢) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ص ٢٥٣ .

دخل أبوعبد الله بجيشه القيروان وفر زيادة الله الى رقاده فتعقبه جيش الفاطميين بها واعطى أبوعبد الله الامان لاهل القيروان وخرجت افريقية بذلك من يد الاغالبة . ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١٣٢ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٣٦٤ ، النويري : نهاية الارب جـ ٢٦ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٨ ـ ٤٩ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٦٦ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٣٦٥ .

ويذكر القاضي النعمان ماحدث من اشتباك بين اهل القيروان وبين كتامة في قول " ثم شجر ايضا بين اهل القيروان وبعض الكتاميين ، فقاموا على كل من بدا خلها فقتلوا منهم في ساعة واحدة زهاء سبعمائة رجل فاتصل الخبر في ذلك الوقت بالمهدي فقال : أعن عقد او رأى في هذا الامر قيل لا وانما فعل ذلك الغوغاء ومن لا يعرف ولا يوجد لو طلب ولا يؤبه له واثاره شيوخ القيروان ولم يعجل بالعقوبة عليهم مدة ثم عاقبهم بعد ذلك في اموالهم .. وقتل من قتل منهم في مصرهم وبين جماعتهم .. وخرجوا بأسرهم فيمن خرج من اللعين ابي يزيد مخلد الكيداد في فتنة الى المهدية لينصروه فقد منهم في جماعة اهل القيروان في يوم عرف بيوم اللبانة قد كان =

وقد جهر شيوخ القيروان بانكارهم لمذهب الاسماعيلية وعقد الفاطميون مجالس المناظرة يناقشون فيها مشايخ افريقية ويمنون فضائل أهل البيت ويزينون لهم الدخول فى مذهبهم (١) . الا أن هذا لم يزد المغاربة الا تمسكا بالمالكية ونفورا من الدعوة الاسماعيلية ، وقاطعوا من انحاز الى الدعوة ، ويذكر القاضى عياض موقف المالكية من الدعوة بقوله انهم كانوا يعتبرون " جهاد هؤلاء افضل من جهاد اهل الشرك ... كنا نحرس عددا بيننا وبينه البحر (يقصد الروم) والان حل هذا العدو بساحتنا وهو اشد علينا من ذلك ." (٢)

وتصدى فقهاء القيروان للرد على دعاة الاسماعيلية منهم ابو عثمان الحداد الذى دافع عن المالكية ضد الاسماعيلية " ونازلهم وناظرهم مناظرة الند للند بدون خوف او وجل " (٣) .

= ، زحف فيه مما يليها فهزمهم الله فقتلهم كلهم عن آخرهم " .

القاضى النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ص ٢٧١-٢٧٢ .

(١) الدباغ : معالم الايمان ج ٣ ص ١١٣ - ١١٥ .

(٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ص ٩ .

(٣) الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ يذكر أنه لما اجتمع ابو عثمان الحداد بأبى عبد الله الشيعى قال له ابو عبد الله انتم تفضلون على الخمسة اصحاب الكساء غيرهم يعنى الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين وعلى وفاطمة فرد عليه ابو عثمان قائلا : ايما افضل خمسة سادسهم جبريل او اثنين الله ثالثهما فبهت الشيعى .

ويذكر القاضى عياض كثيرا من المناظرات التى كانت تجرى بين ابى عثمان والشيعة .

القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

Dozy : Histoire des Musulmanes d'Espagne vol III P. 123- 124 .

وقد قام الفاطميون بالتنكيل بفقهاء المالكية [١] فى القيروان . فقتلوا العديد منهم وشلوا بهم ، ويذكر المؤرخون [٢] ماتعرض له فقهاء المالكية من تعذيب حين امر عبيد الله عامله بالقيروان بضرب أبى بكر بن هذيل وابن البرذون حتى قتلا ، كما ضرب محمد بن العباس بن الوليد وشل به لاتهامه بالانتماء على مذهب الامام مالك .

وكانت هذه السياسة سببا فى انضمام فقهاء المالكية لثورة ابى يزيد بن مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ويذكر ابو العرب تميم انه " لما كان يوم الجمعة تقلدوا اسلحتهم وأتوا حتى ركزوا بنودهم قبالة الجامع وصلى بهم احمد بن الوليد ودعاهم للجهاد ." (٣)

---

(١) امر عبيد الله القاضى الحنفى اسحق بن ابى المنهال بامتحان جماعة من فقهاء المالكية فضرب وحبس كثيرين منهم : ابن اللباد واحمد بن نصر واحمد بن زياد ومحمد بن احمد بن حمدون المؤدب وابراهيم القطلان وابراهيم المخرى كما أمر عامله على القيروان بضرب ابى بكر بن هذيل وابن البرذون حتى قتلا وطيف بهما تجرها البغال بالحبال .
القاضى عياض : ترتيب المدارك جـ ٢ ص ١٦ .

(٢) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص١٩ ، الدباغ : معالم الايمان جـ ٣ ص ٢ المتعانى عياض: ترتيب المدارك جـ ٢ ص ٧٠ـ ٧١ .

(٣) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ١٩ـ٢٠ .

وكان موقف اهل افريقية تجاه الدعوة الاسماعيلية ومعارضتهم لهـا وتمسكهم بالمالكية سببا فى ان يتجه الفاطميون نحو مصر .

وقد رأينا كيف ظهرت الدعوة العلوية واضحة فى مصر منذ عهد الخليفة ابى جعفر المنصور بقدوم عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب يدعو لابيه وعمه سنة ١٤٣ – ١٤٤ هـ / سنة ٧٦٠ – سنة ٧٦١ م ورأينا موقف والى مصر العباس حميد بن قحطبة (١) من هذه الدعوة وكيف لم يتخذ موقفا ايجابيا ضدها مما دعا الخليفة المنصور الى اتهامه بالتواطؤ مع العلويين فعزله عن ولاية مصر .

وكان بمصر عدد كبير من أنصار العلويين الذين فروا اليها بعد ما أصابهم على يد القائد العباسى عيسى (٢) بن موسى فى المدينة ومقتل محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الذكية كما ذكرنا .

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ١١٠ – ١١١ ، ابن الاثير الكامل ج ٥ ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٣٨ ، الطبرى : تاريخ الامم ج ٩ ص ٢١١ – ٢١٢ .
وقتل ايضا اخاه ابراهيم سنة ١٤٥ فى موقعة باخمرا فيما بين الكوفة وواسط وفى عهد الهادى خرج الحسين بن على بن الحسن بن على بالمدينة سنة ١٦٩ هـ وهزمه العباسيون فى موقعة فخ . فى طريق مكة وتمكن من الهرب بعدها يحيى بن عبد الله الذى اتجه الى الديلم وادريس الذى اتجه الى مصر ومنها الى المغرب ."

وكان نتيجة لما أصاب العلويين من اضطهاد على يد العباسيين ان لجأوا الى نشر دعوتهم سرا .

وشهدت مصر قدوم دعاة الشيعة [1] واستتارهم بها ، ففى عهد الخليفة المأمون قدم الى مصر القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن الحسن بن على بن ابى طالب ، واتخذ من مصر مركزا لنشر الدعوة مدة عشر سنوات ، وحين وصلت اخباره الى الحجاز [2] .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ص ١٢ ، الخطط ج ١ ص ٣٤١ ،
النويرى : نهاية الارب ج ٢٦ ص ٢٤ . بعد موت يزيد بن على بن الحسين انقسم الشيعة الزيديون الى عدة طوائف وانضم فريق كبير الى الطائفة الامامية انصار جعفر الصادق ، المسعودى ، التنبيه والاشراف ج ٨ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، المسعودى مروج الذهب ج ٢ ، ص ١٨١ .
(٢) روى يحيى بن سعيد عن خادم القاسم بمصر انه " ضاقت بالامام القاسم المسالك واشتد الطلب ونحن مختفون من خلف حانوت اسكافى فنودى نداء يبلغنا صوته : برئت الذمة ممن آوى القاسم ابن ابراهيم ومن لا يدل عليه ، ومن دل عليه فله الف دينار .. و من الخبر كذا وكذا والاسكافى مطرق يسمع ويعمل لا يرفع صوته فلما جاءنا قلنا له : اما ارتعت ، قال اما ارتياعى منهم لو قرضت بالمقاريض بعد ارضاء رسول الله حتى فى وقايتى لولده بنفسى . " دكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر واعمالهم السياسية عن كتاب يحيى بن سعيد : الافادة فى تاريخ الائمة السادة مخطوط بمكتبة ليدن ص ٣٤ أ - ٣٥ ب .

وقدم الى مصر كثيرون من دعاة الاسماعيلية منذ أن تولى ابا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب[1] الكوفى مهمة نشر الدعوة فى اليمن سنة ٢٦٨ هـ / سنة ٨٨١ م وشب منها الدعاة الى مصر والمغرب .

وحين قدم ابو عبيد الله المهدى الى مصر فى طريقه الى المغرب تلقى فى مصر تسهيلات كثيرة من دعاة الاسماعيلية بها وعلى رأسهم داعى الدعاة المعروف[2] بأبى على ، واكرم " ابن عياش " وبقية أنصار الدعوة الاسماعيلية وقادة عبيد الله المهدى .

وتستروا عليه رغم مابذله الخليفة المكتفى العباسى من جهود فى تعقبه والتشدد فى القبض عليه حتى انه رصد مكافآت سخية لمن يقبض[3] عليه او يرشد عنه وشدد على والى مصر - محمد بن سليمان - بعد أن قضى على آخر امراء الطولونيين بها فى تعقب عبيد الله غير أن المعونة التى قدمها انصار عبيد الله المهدى له فى مصر حالت دون ذلك ، ولم يكن الوالى محمد بن سليمان الكاتب نفسه جادا فى القبض على المهدى واكتفى بالقبض على بعض غلمانه .

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٣١ـ ٣٢ .

(٢) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٦ـ ٢٧ ، الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٧٥ـ ٢٧٦ .

(٣) كان المهدى على صلة بداعية فى مصر ابا على الذى رأى " الا ينزله عنده ولا عند من يشار اليه بشئ من امرنا وأن ينزله عند من يثق به فأنزله عند ابن عباس الى اليمانى . سيرة جعفر الحاجب ١١٣ .

الا أن انصار الاسماعيلية (١) بمصر نبهوا المهدى الى خطر العباسيين وسهلوا له التستر حتى خرج من مصر الى المغرب فى ولاية عيسى النوشرى سنة ٢٩٢ هـ / سنة ٩٠٤ م .

---

(١) يذكر المقريزى ان " الامام المهدى صلى يوما الصبح فى الجامع العتيق بمصر تحت اللوح الاخضر ومعه ابو على الداعى فلما خرجا من الباب ضرب رجل بيده على كم الامام وقال له : قد حصلت لى عشرة الاف دينار فقال له : وكيف ذلك قال لانك الرجل المطلوب فضحك المهدى ثم ضرب بيده على الرجل الذى ضرب بيده الى كمه ودخل معه الى صدر الجامع وقال له عليك عهد الله وغليظ ميثاقه انى اذا جمعت بينك وبين الرجل الذى تطلبه كان لى عليك ولصديقى هذا خمسة الاف دينار ثم اخذه بيده واتى به الى حلق قد اجتمع الناس فيها وادخله من جانبها وفارقه فخرج من الجانب الاخر ولم يلتقيا . " كما يذكر عن الداعى نفسه كنت يوما قائما على الجسر بمصر مع الامام المهدى الى ان سمعت الاجراس والنداء عليه الا برئت الذمة من رجل آوى رجلا صفته كذا وكذا ومن اتى به فله عشرة الاف دينار فقال المهدى يا أبا على المقام بعد هذا عجز ، ثم ركب الجسر وسرت معه .

المقريزى : المقفى الكبير ص ١٨ ، ٢٠ .

اليمانى : سيرة جعفر الحاجب ص ١١٣ ، المقريزى : الخطط ج١ ص ١٢٧

ويذكر ابن الاثير انه حينما القى النوشرى القبض عليه وهو فى طريقه الى بلاد المغرب تمكن من الافلات بعد أن دفع مبلغا من المال فيقول فى تعليل اطلاق سراحه " لما اخذ منه " ولم يذكر الكندى شيئا فى ولاية النوشرى عن خروج المهدى .

ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٣ ، الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٥٨ ـ ٢٦٧ .

وحين استقرت الامور للمهدى فى المغرب سنة ٢٩٦ هـ / سنة ٩٠٨ م كاتبه (١) انصاره فى مصر يستحثونه (٢) على القدوم اليهم ٠

---

(١) القاضى النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ص ٢٧٠ ـ ٢٧١

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص٢٧٤ ٠

يذكر ماقيل من اشعار فى هذا الصدد منها قول ابن مهران الشاعر :

وكل كاتبوه ونافقونا ٠٠ وكل فى البلاد له موطى

واقبل جاهلا حتى تخطى ٠٠ وجاز بجهله حد التخطى

يكتب جماعة قد كتبوه ٠٠ من اقباط بمصر وغير قبطى

كما يذكر أنه " فسد مابين ذكا والرعية وذلك ان الرعية كتبوا على ابواب المسجد الجامع ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون وكان محمد بن طاهر صاحب الشرط محبا لاهل المسجد والرعية على ذلك فاجتمع الناس لاربع عشرة خلت من رمضان سنة خمس وثلثمائة الى دار ذكا بالمصلى القديم يتشكرونه على ماأذن لهم فيه فوثب الجند بالناس وحرضهم على ذلك محمد بن اسماعيل بن مخلد فنهب قوم وجرح آخرون وأقبل ابن مخلد من الغد الى المسجد الجامع فلم يترك شيئا مما كتب عليه حتى محاه ونهب الناس فى المسجد والاسواق وعزل ذكا محمد بن طاهر عن الشرط وجعل مكانه وصيف الكاتب " ٠

الكندى : الولاة والقضاة ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ ٠

ثم يذكر ماوقع من خلاف بين المظفر بن ذكا بالاسكندرية وبين بربر البحيرة فخرج عنهم مظفر الى تروجة ثم رجع الى الاسكندرية وسارت مقدمة صاحب افريقية الى لوبية ومراقية فهرب اهل الاسكندرية منها وجسوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكا ودخلت مقدمة ابن صاحب افريقية اليها وهرب اهل القوة من الفسطاط الى الشام فى البر والبحر فهلك اكثرهم بفلسطين ٠" الولاة ص ٢٧٥ ٠

وتعقب والى مصر " ذكا الاعور " سنة ٣٠٣ هـ / سنة ٩١٥م " كل من يوما اليه بمكاتبة صاحب افريقية فسجن كثيرا منهم وقطع ايدى قوم وارجلهم ". (١)

وحاول الفاطميون غزو مصر فجهزوا عدة حملات لهذا الغرض منيت بهزائم متتاليـة (٢) .

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٧٤ .

(٢) وجه المهدى جيشا من برقة الى الاسكندرية سنة ٣٠١ هـ ولم يتمكن من التقدم الى مصر ثم عاود المهدى محاولة فتح مصر سنة ٣٠٢ وتمكن جيشه من فتح الاسكندرية بقيادة حباسة الا أن الامدادات جاءت الى مصر من قبلة الخليفة العباسى المقتدر فانتصرت القوات العباسية والمصرية على الفاطميين قرب الجيزة ، ثم تمكن الفاطميون بقيادة القائد ابو القاسم بن المهدى من فتح الاسكندرية واحتلال الفيوم والاشمونين وجزءا من مصر الوسطى الا انهم هزموا عند رشيد سنة ٣٠٧ هـ . واستطاع الجيش العباسى بقيادة مؤنس الخادم جبار القائم بن المهدى على التقهقر نحو برقة سنة ٣٠٨ ثم ارسل المهدى حملة اخرى سنة ٣٢١ هـ بقيادة حبيش بن احمد تمكن من دخول الفسطاط ثم اجبره محمد بن طغج الاخشيد على الانسحاب منها ، وعاود القائم الكره سنة ٣٢٤ هـ الا انهم هزموا عند تروجه وانسحبوا نحو برقة .

ابن سعيد : المغرب ص ٢٤ ـ ٢٦ ، الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٣ـ٢٨٦
الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ ١٢ ص ٤٢ ـ ٤٣ .

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٢٩ ، اتعاظ الحنفا ص ٩٨ـ ٩٩

ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٣٠ ،

ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٧٣

ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٣١٢ .

الا أن دعاتهم في مصر بذلوا جهدا كبيرا في محاولة كسب الانصار فيذكر ابن زولاق ان الداعي ابا جعفر ابن نصر قد ابنى دارا لصاحب المغرب تؤخذ فيها البيعة .. تصير فيها الاحوال وتحمل اليها الاموال"(١)

وقد كان هؤلاء الاتباع عونا لجيش جوهر القائد في دخوله مصر سنة ٣٥٨هـ/ سنة ٩٦٨م فقد استطاعوا ان يأخذوا البيعة للمعز من كثير من اهل مصر خاصتهم وعامتهم (٢) ، وكان اضطراب الاحوال في مصر عقب وفاة كافور مما يسر لهم ذلك فضلا عما منيت به البلاد من أزمات اقتصادية الأمر الذى هدا بالكثيرين من رجال الدولة الى الكتابة للمعز .

---

(١) ابو المحاسن : النجوم ج ٤ ص ٧٣ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٣٧ – ١٣٨ ، ويذكر المقريزى اتعاظ الحنفاء ٦٠ – ٦١ أن المعز جمع عدة شيوخ من شيوخ كتامة واخبرهم بقوله : " انى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب اجيب عنها بخطى وانى لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما صان ارواحكم وعمر بلادكم وقمع اعداءكم ، فافعلوا ياشيوخ في خلواتكم مثلما افعله .. وتحننوا على من ورائكم من لا يصل الى كتحننى عليكم " . ويشير المقريزى الى ان المعز ارسل الى دعاته في مصر عقب موت كافور اعلاما امرهم ان يفرقوها على اتباعهم من الجند ليرفعوها عند وصول جنده الى مصر .

المقريزى : اتعاظ الحنفاء ٤٧ ١ .

الا ان غالبيـــه المصريين قد تمسكوا بالسنه ويمكننـــا ان نتبـــين ذلك مـــــن عهد الأمـــان الذى ابرم بين جوهر القائد وبين المصريين الذى ضمن لهـــــم حرية عقيدتهـــــم .

فقد جاء فى عهـــد الأمـــان الذى [1] اعطاه القائد جوهر للمصرييـــن " بأن تتركوا على ما كنتم عليه من اداء الفروض فى العلم والاجتمــاع عليه فـــــى جوامعكـم ومساجدكم وثباتكـم على ما كان عليه سلف الأمـه من الصحابـــــه والتابعـــين بعدهـم " .

فقد تمسك غالبيـــــة المصريين بمذهب اهل السنـــه سواء منهم لمن اتبـــع مذهب مالك والشافعى وهـى المذاهب التى تخالــف عقائد الشيعـــة مخالفـــة كبـــيره .

---

(١) المقريزى : اتعـاظ الحنفا ص ١٤٨ ـ ١٥٣ .
يذكر معنى الأمان بقوله " هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد امير المؤمنـــين المعز لدين الله صلوات الله عليه جماعة اهل مصر الساكنين بها من اهلهـــا ومن غيرهـم انه قد ورد من سألتمـوه الترسـل والاجتماع معـى ...
من انكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها فى كتاب امانكـم فذكرتهـا اجابـــــة لكـم وتطمينـا لانفسكـم فلم يكن فى ذكرهـا معنى اذ كان الاســــــــلام سنة واحدة وشريعة متبعه وهـى اقامتكم على مذهبكـم وان تتركوا علـــــى ما كنتم عليه من اداء الفروض فى العلم والاجتمـاع عليه فى جوامعكـــــم ومساجدكـم .
وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمه من الصحابـه والتابعـين من بعدهم "

المقريـزى : اتعاظ الحنفا ص ٦٧ ـ ٧٠ .

نفذ اعرض المصريون عن المذاهب التى تعتمد على التأويل واغراق صفات التمجيد والتقديس للائمة كمذهب الاسماعيليه هذا .

وقد عمد الفاطميون (١) الى نشر مذهبهم الجديد وانتهجوا سياسة تحويل المصريين الذين نحوا لمذهب الاسماعيلى فأسسوا المسجد الجامع فى القاهرة سنه ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م (٢) واتخذوا منه مركزا لنشر الدعوة الاسماعيليه فعقد فيه اول اجتماع للاحتفال " بعيد الغدير " فى الثانى عشر من ذى الحجه سنه ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م فاجتمع

---

(١) امر جوهر بحذف الدعوة لخلفاء بنى العباس واقامتها للخليفه المعز وراء فى الخطبه " اللهم صلى على محمد النبى مصطفى وعلى على المرتضى وعلى فاطمه البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول كما امر ان تسوذن فى جميع المساجد بحى على خير العمل . "

المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٦٩ .

ويذكر الدكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الدوله الفاطميه فى مصر ص ٨٥ انه من بين الأسباب التى جعلت اهل السنه فى مصر يحتفظون بمذاهبهم وتقاليدهم تلك التشريعات التى ادخلها الفاطميون اذ رأوا فيها ما تينا فى مع ما نص عليه القرآن وما اثر عن السنة فيجيز قانون الشيعة للبنت ان ترث كل ما تركه ابواها اذا لم يكن لها اخ ار اخت مع وجود ذوى العصبيه وهذا يخالف مذهب السنه الذى يقضى بالا ترث البنت اكثر من نصف الثروه .

القراء والفقهـــاء والمنشدون فكان جمعا عظيمـا اقاموا الى الظهر ثم خرجوا الـى القصر فخرجـت اليهـم الجائزه وكان هذا اول ماعمل بمصر " (١)

وكما اتخذ الفاطميون من المسجد الجامع بالقاهـرة مدرسة لتلقـــين الدعوة الاسماعيليه كذلك اتخذوا فى قصورهـم مجالـس وقاعـات لبـــث اصول الدعوة فيذكـر (٢) القاضـى النعمان :

ان الخليفـه المعز امره ان يقرأ على النـاس " فى كل يوم جمعـــه فى مجلس فى قصـــره .. كتابا من علم الباطن ، فكثـر ازدحام النـاس وغـص بهـم المكـان ."

وكانوا يجتمعون (٣) " لقراءة كتاب دعائم الاسلام الذى بسطــــه المعز ، وجعله فى مجلس من مجالس قصره ، وأباح لهم حتى احبــــوا

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٣
وعيد الغدير المعروف بغدير خم هو اليوم الثامن عشر من ذى الحجه وهـو اليوم الذى نزل فيه الرسول صلعم بعد عودته من حجة الوداع بغدير خـم فى طريقه الى المدينه ويرون ان الرسول اخذ بيد على بن ابى طالب وقـال الستم تعلمون انى اولى بكل مؤمن نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلـى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه اهـ المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٨٩ .
(٢) القاضـى النعمان : المجالس والمسايرات ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٣) كان قاضى القضاة ابو الحسن على بن النعمان يشرح كتاب الاختصار " فى المسجد الجامع بالقاهرة وهو يتضمن مسائل فقهية أستمدها مـن ائمة أهل البيت ثم توالت حلقات بنى النعمان فى الازهر بعد ذلـــك . دكتور محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولـة الفاطمية ، ص ٢١٧ .

استماعة وقراءاته وانتساخه والتعلم منه والتفقيه فيه ". (١)

وقد عرفت هذه المجالس التى كانت تعقد فى قصور الفاطميين باسم مجالس الحكمه التأويليه (٢) . وكانت تلك القاعات التى خصصها الفاطميون لبث الدعوة تسمى " بالمحول " (٣) حيث يحمدون فيها الى تلقين مبادئ الدعوة الفاطميه وتحويل اهل السنه للأخذ بمبادئ الاسماعيليه.

وكان الحاضرون لهذه المجالس يقسمون الى اقسام حسب مرتبه

---

(١) القاضى النعمان بن محمد : المجالس والمسايرات ج ٢ ص ١٣٤

(٢) د . محمد كامل حسين : فى ادب مصر الفاطميه ص ٤٦

(٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٦ .

الحاضريـــن فى مدارج الدعوة فمجلـس للأوليـاء (١) ومجلـس للخاصـــه

---

(١) لكل طبقه من طبقات الحضور اسلوب خاص فى القاء الدعوة عليهم ويعرف داعى الدعاه باسم دباب الإبواب " والحجه وهو الذى يعد ما يلقى على المستمعين وتظهر لهم وكأنها معلاة على داعى الدعاه من قبل الامام فيختفى اسم الداعى ولا يظهر فى كتب المجالس وتبدأ المجالس بالحمد لله وللائمه من نسل علـــى ثم شيء من الوعظ ثم يبدأ فى تأويل آية من القرآن او حديث نبوى او يؤول شيئا من فرائض الدين وتلقى هذه المجالس مرتين فى الاسبوع يومى الاثنين والخميس ويذكر د • محمد كامل حسين الكتب التى جمعت مجالس الحكمة التأويليـــه التى كان يلقيها بعض الدعاه منها كتاب تأويل دعائم الاسلام للقاضى النعمان بن محمد وكتاب المجالس المؤيديه • ويحتوى على ثمانمائة مجلس من مجالس التأويل وكتاب المجالس المستنصرية للداعى الموسوم بعلم الاسلام وهذه المجالـــس تختلف باختلاف الداعى فمجالس القاضى النعمان فى تأويل فقه الفاطميين والمؤيد يميل فى تأويله الى فلسفة المذهب وما جاء فى المجالس المستنصرية فتأويـل بدائى ومن امثلة ما كان يدور فى تلك المجالس ـ المجلس العاشر من الجـــزء الرابع من تأويل دعائم الاسلام للقاضى النعمان "•• ما جاء عن علـــى امير المؤمنين عليه السلام انه قال : اول الصفوف افضلها وهو صف الملائكـــه وافضل المقدم ميامن الامام تأويله ما تقدم القول به من امثال الصفوف فى الصـلاة امثال درجات المستجيبين الى دعوة الحق على مقادير فضلهم وسبقهم •• ويتلـو ذلك ما جاء عن على انه قال : قال لى يا رسول الله يا على لا تقومن فى الهيكل • قلت : وما الهيكل يا رسول الله قال : تصلى خلف الصفوف وحده وهو يجد فيهـا مكانا يقوم فيه فان لم يجد ذلك قام الى ان يأتـى من يقوم الى جانبه او يصلى كذلك وحده وتأويل ذلك فى الباطن فهى رسول الله (ص) عليا عن ان يفعلـه فى الظاهر لانه ليس هو وحده فى الباطن اعلى الحدود وارفع الدرجات درجـة البنوة فكره لمان يقوم فى الظاهر فى مكان لا يشبه مكانه فى الباطن وكذلك لا ينبغى لها ان يخلفه

ومجلس لعامة الناس ومجلس للنساء (١) .

ويقوم داعى الدعاه ونوابه بادارة هذه الجلسات وتلقين عقائد المذهب " وعلوم اهل البيت " الى ان ينتهوا الى ابرار الدعوة التى تعتبر وقفا على المقربين الذين وصلوا فى الدعوه الى مرتبه عاليه .(٢)

ويقوم الدعاة بقراءة المجالس التى يعدها داعى الدعاه فاذا انتهى من قرائتها مسح على رؤوس الناس بعلامة الامام تبركا بسه .

الا ان هذا لم يحل دون استمرار اهل السنه فى مصر فى تدارس مذهبى مالك والشافعى فيذكر السيوطى ان امام المالكيه فى مصر محمد بن سليمان المتوفى سنه ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م كانت حلقته فى المسجد الجامع بمصر تدور " على سبعة عشر عموداً لكثرة طلابه " (٣) ممن برز من الفقهاء المالكية فى مصر فى عهد الدوله الفاطميه ابوالقاسم الجوهرى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى المصرى المتوفى سنه ٣٨٠ هـ الذى وضع كتاب " مسند الموطأ " . (٤)

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٦

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٦٦

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٦

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٦

ويذكر القاضي النعمان [١] ان بعض رجال الدولة الفاطمية من شغلوا مناصب هامة بها كانوا من بين اهل السنه •

وقد اثار احياء الشعائر الشيعيه في مصر استياء المصريين السنيين [٢] ورأوا ازاء ذلك ان يتخذوا مناسبات دينيه يحتفلون فيها فاحتفلوا سنه ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م باليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم غار ثور هو وأبو بكر الصديق • وقد رأى الخليفه المعز الا يمنع اهل [٣] السنه فى مصر من الاحتفال بهذا العيد حرصا منه على عدم الاصطدام بمشاعر المصريين السنيين •

وقد ادى قيام الفاطميين بنشر مذهبهم والدعوة له الى نشاط الحركة العلميه فى مصر فى القرن الرابع الهجرى اذ اهتم العلماء والفقهاء بنقد آراء الاسماعيليه وتفنيدها بينما نشط الفاطميون فى انشاء المكاتب

---

(١) القاضى النعمان : المجالس والمسايرت ص ٧٣ ب

(٢) كان احتفال الشيعة بعيد الغدير يقترن باثارة الشغب والاضطراب ففى العاشر من محرم حين كان الشيعه يحتفلون بذكرى الحسين فخرجوا ينوحون ويبكون على الحسين وصاروا يعتدون على كل من لم يشاركهم فى مظاهر الأسى والحزن •

المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٩٥ ـ ١٩٨

دكتور محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدوله الفاطميه ص ٤٨ ـ ٤٩

وتأليف الكتب وبرز منهم ابو حنيفه (١) النعمان المغربي وابنائه الذين تولوا القضاء والدعوة للفاطميين والتأليف في الفقه الاسماعيلي فقد الف النعمان كتابه " دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام " الذي يعد مرجعا اساسيا لدعاه (٢) الاسماعيليه .

ورغم الجهود التي بذلها الفاطميون ودعاتهم في نشر الدعوه الاسماعيليه فانهم لم يفلحوا في تحويل غالبية المصريين الى مذهبهم

---

(١) هو القاضي ابو حنيفه النعمان بن ابي عبد الله محمد بن منصور ابن حيون التميمي المغربي ويعرف باسم القاضي النعمان كان مالكي المذهب ثم دخل في خدمة المهدي في بلاد المغرب .
ثم اتصل بالقائم بأمر الله وتولى منصب القضاء في طرابلس وكثر اتصاله بعد ذلك بالخليفه المعز ووضع كتاب المجالس والمسايرات ضمنه كل آرائه وما سمعه من الخليفه المعز ورحل معه الى مصر ويذكر ابن حجر : رفع الاصر ص ١٣٦ ب ان كان يسكن الفسطاط ويغدو منها الى القاهرة في كل يوم .
ابن خلكان : وافيات الاعيان جـ٢ ص ١٦٥ ــ ١٦٦ .

(٢) دكتور محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطميه ص ٦٨ ــ ٦٩
كذا كتب القاضي النعمان كتاب تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الاسلام وعالج فيه عن التأويل الباطني للأحكام والفرائض التي وردت في كتاب دعائم الاسلام .

واذا كنا نجد بعض السنيين فى مصر قد اعتنقوا عقائد الاسماعيليـــه فلم يكـن ذلك الا لتحقيق مصلحة خاصة او فرارا من حنـق الفاطميين ونقمتهـم (١) .

وقد تمسك المصريون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الـتى تغلغلت فى نفوسهـم وتمكنت منها واعرضـوا عن المذاهب التى تنطـوى على الجدل والاستدلال والتأويل .

وكذلك كان الحـال بالنسبة للمغاربة ـ ولا غرو فقد نهـلا من معيـن ثقافى واحد . فنجد المغاربه يعرضـون عن النزعات الفلسفيه ومذاهب التأويـل والجدل والقياس . ويتمسكون بالمالكيه رغم ما كانوا يتعرضون له (٢) من ضغط من قبـل الفاطميين الا انهم تمسكوا بها ولم يرضوا بغيرهـا بديلا .

. . . .

---

(١) يذكر الدكتور : محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطميه فى مصر ص ٨٤ ان الفاطميين رأوا حين دخولهـم مصر واستقرارهـم بها ان يتركوا الفسطاط حاضرة المصريين السنين ويتخذوا لهم حاضرة جديدة تكون مقرا لأنصارهـم ودعاه مذهبهـم كما انشأوا لهم مسجدا خاصا .

(٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ٧١
الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ١٦٧ ،
ابن فرحـون : الديبـاج : المذهـب ص ١٦٣ .

الخاتمـــــة

نخلص من هذه الدراسة الى أن مصر وبلاد المغرب ربطتهما صلات وثيقة في ظل الاسلام من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية • فمن مصر خرجت الحملات المتتاليـة لفتح المغرب وقام ولاتها بقيادة تلك الحملات أو اسنـــاد قيادتها الى رجالهم فمسلمة بن مخلد - وهو اول ولاة مصر الذين حكمــوا مصر والمغرب وجه حسان بن النعمان ومن بعده أبا المهاجر دينار للاضطلاع بمهمة الفتح • وكذلك كانت فتوحات عقبة بن نافع وزهير بن قيس بتوجيه من ولاة مصـر •

واسهمت مصر بأموالها في تمويل تلك الفتوحات وظلت بلاد المغـــرب رسميا تتبع مصر حتى أخريات القرن الاول الهجرى • ولم يحل ظهور ولايـــة أفريقيـة عن قيام مصر بدورها المؤثر في ادارة شئون المغرب خلال عصـــر الـولاة • فقد استعان الخلفاء الامويون بولاة مصر في ادارة شئون المغـــرب فأسند الخليفـة يزيد بن عبد الملك الى والى مصر بشر بن صفوان ولايـــة افريقيـة ليقر الاوضاع بها بعد تلك الفتنة التى أسفرت عن قتل واليهـــا الامـوى • كذلك استعان الخليفة هشام بن عبد الملك بوالى مصر عبيـــد الله بن الحجاب في قمع حركات البربر التى اشتدت في عهده • وتتابع موقـف ولاة مصر وموازرتهم للخلافـة في توطيد الحكم ببلاد المغرب ضد ثورات البربـــر المتكـررة • تلك الثورات التى اذكاها انتشار مبادىء الخوارج بين أهـــل البلاد • اذ كانت بلاد المغرب أهم المناطق التى وجد فيها دعاة الخـــوارج في الشرق فرصـة لنمو مبادئهم • وذلك لبعدها عن مقر الخلافة من ناحيـة • ومن ناحيـة أخرى وجدت الدعوة مناخا مهيأ لتقبلها لدى المسلمين من البربـــر حيث وجدوا في مبادىء الخوارج التى تنص على أن الامامة حق متاح لكل مسلم وليست حكرا للعرب تعبيرا عن نزعتهم الاستقلاليـة • فلمت شخصية المغـــرب

المستقلة فى ثورات الخوارج . واستعان الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك بوالى مصر حنظلة بن صفوان لقمع تلك الثورات التى هددت الحكم الاموى فى بلاد المغرب ، واستطاع والى مصر أن يلحق الهزيمة بالقائد الخارجى ، فكان انتصار حنظلة بن صفوان فى موقعتى القرن والاصنام يمثل الجهود التى بذلها ولاة مصر فى توطيد الحكم العربى فى بلاد المغرب وانتصارا للخلافة الاموية على اعدائها من الخوارج .

وكذلك كان لمصر فى العصر العباسى دورها فى قمع ثورات الخوارج فى بلاد المغرب ، فأستعان الخلفاء العباسيون بولاة مصر فى قمع تلك الثورات التى كانت تهدد الحكم العباسى فى افريقية والمغرب والتى اخذت تشتد بأنقراض آل حبيب الفهرى هناك اذ انتهز الخوارج الاباضية فى المناطق التابعة لطرابلس الفرصة وبايعوا أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى اماما عليهم سنة ١٤٠ هـ وامتد نفوذهم حتى المغرب الاوسط ، وتمكن الخوارج الصفرية من اخضاع القيروان بزعامة عبد الملك بن ابى الجعد ودخلها جموع من بربر قبيلة ورفجومة . فاستباحوها ، بينما خضع المغرب الاقصى للخوارج الصفرية . وكادت بلاد المغرب تخرج عن طاعة الخلافة العباسية .

وازاء هذا الموقف أسند الخليفة أبو جعفر المنصور الى والى مصر محمد بن الاشعث ولاية افريقية فصار محمد بن الاشعث واليا على مصر وافريقية معا فسير جيشا من مصر لاسترجاع المغرب ثم توجه بنفسه لدرء الخطر الماثل فى افريقية . تمكن من الحاق الهزيمة بأبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى زعيم الاباضية وتعقب فلولهم التى تراجعت الى زويلة وودان بينما استطاع جيشه الآخر تفريق شمل الخوارج فى طرابلس .

وأدى أنتصار محمد بن الاشعث سنة ١٤٤ هـ الى أستعادة نفوذ الخلافة العباسية فى البلاد بعد أن سيطر الخوارج الاباضيون على أفريقية والمغرب الادنى مايقرب من أربع سنوات ، وان بقى نفوذهم فى المغرب الاوسط والاقصى .

وانتقلت الى افريقية مظاهر الصراع بين العصبية اليمنية والقيسية ، فثار على ابن الاشعث - وهو من العرب اليمنية - معظم عسكره الذين كانوا من المضرية .

وقد حرص الخليفة العباسى المنصور على المبادرة بقمع ثورات الخارجين على الخلافة من انصار دعوة بنى الحسن ، حتى لاتجد العناصر المناوئة للخلافة فى المغرب من الخوارج الصفرية المؤيدة بقبائل البربر البترية ملجأ قريبا لها فى مصر فتنشغل الخلافة بالتصدى للجانبين معا ، فحين شعر الخليفة المنصور بأن والى مصر حميد بن قحطبة لم يتخذ موقفا حازما ضد دعوة بنى الحسن حين قدم احد دعاتها وهو على بن محمد بن عبد الله ، عزله الخليفة المنصور وولى مصر ليزيد بن حاتم فأقر الامور بها .

وهكذا تأثرت مصر بأوضاع الاحزاب السياسية فى بلاد المغرب ، وتأثر المغرب بالحركات السياسية القائمة فى مصر . فاستعان الخليفة بيزيد بن حاتم فى اقرار الامور فى بلاد المغرب .. الذى نجح فى القضاء على ثورات الخوارج التى كادت ان تقضى على نفوذ الخلافة العباسية بعد ان نجح نفس شل تلك المهمة فى مصر من قبل . وكان لوقوف والى مصر اذ ذاك محمد بن عبد الرحمن الى جانب يزيد بن حاتم ودعمه بالاموال والسلاح اكبر الاثر فى نجاح مهمته وتمكنه من ارجاع القيروان لسلطان الخلافة العباسية ودرأ خطر حركات الخوارج فى افريقية والمغرب الادنى .

وبالبحث فى احوال مصر السياسية قبيل قيام الدولة الطولونية بها وجدنا تشابها كبيرا بينها وبين احوال بلاد المغرب قبل قيام دولة الاغالبة فى افريقية والرستميين فى المغرب الاوسط ، والادارسة فى المغرب الاقصى • فقامت فى مصر محاولات للخروج على سلطان الخلافة ، فاستطاع السرى بن الحكم منتهزا فرصة النزاع بين الخليفة الامين والمأمون وما صحب ذلك من اضطراب الامور فى بداية عهد المأمون أن يكون لنفسه ولاسرته مصر حكما شبه مستقل دام عشر سنوات فى الفسطاط والصعيد ، بينما استطاع عبد العزيز بن الوزير الجروى أن يستولى على شرق الدلتا ثم على الدلتا كلها وجزءا من الصعيد • بينما غلبت قبيلتى لخم وجذام على غربى الدلتا والاسكندرية التى تعرضت فى ذلك الوقت لغارات الاندلسيين الذين نفاهم الامير الحكم بن هشام سنة ٢٠٠ هـ فتحالفوا مع اللخميين واسقطوا الحكم العباسى عنها • وظلت الاسكندرية حتى سنة ٢١٢ هـ منفصلة عن بقية مصر حتى تمكن القائد العباسى عبد الله بن طاهر من استرجاعها •

وفى بلاد المغرب كانت ثورات الخوارج تشكل خطرا على الخلافة العباسية واشتد الصراع بين العرب القيسية واليمنية ذلك الصراع الذى بدأ منذ الفتح وأزدادت حدته بقيام الدولة العباسية حين فقد العنصر العربى كله مكان الصدارة التى كانت له من قبل ، وظهرت العناصر الفارسية والخراسانية واحتلت المراكز العليا فى الادارة وسيطرت عليها • واشتغل عامل القيروان بثورات الجند ، والانقسامات بين الجند العرب من ناحية وبين الجند الفرس والخراسانيين من ناحية أخرى •

وكان للجهود التى بذلها الامراء المهلبيون الفضل فى الحفاظ على نفوذ الخلافة العباسية فى افريقية ضد الاضطرابات والثورات التى كانت

تسهدها والتى أضطرت من اجل قمعها الى تولية ابراهيم بن الاغلب حاكم الزاب على افريقية ٠

وحين ظهر الاغلبة ، استمرت مصر فى دورها فى مؤازرة ولاة افريقية فوقفت بجانبهم فى مواجهة المشاكل التى اعترضتهم ، حتى يستمر نفوذ الخلافة العباسى - الاسمى - على افريقية ٠ اذ كان اقرار الخلافة لقيام أسرة عربية مواليه تتمتع بالاستقلال الذاتى فى اطار من الولاء والتبعية لها حـلا لمشاكلها فى المغرب وضمانا لبقاء نفوذها الذى كان قد تهدد فى بلاد المغرب وبل وفى افريقية نفسها ٠

وظلت مصر تؤازر ولاة أفريقية حتى فى تلك المرحلة التى بدأت افريقية فيها تتخذ مظهرا مستقلا ٠

فحين أندلعت ثورة الجند ضد ابراهيم بن الاغلب فى أفريقية وانضموا لعمران بن مخلد واعلنوا خروجهم عليه وتمكنوا من الاستيلاء على القيروان ، ومحاصرته فى حاضرته الجديدة " العباسية " ، وعجت الفتن بين الجند فى طرابلس واذكتها الخلافات القبلية بين العرب القيسية واليمنية حتى وصل الامر الى حد تهديد الجند بالانفصال عن الامارة الاغلبية ٠

وازاء ذلك الموقف المضطرب لجأ ابراهيم بن الاغلب الى الخليفة طالبا العون ٠ فكلف الخليفة هارون الرشيد امير مصر احمد بن أسماعيل ان يعد حملة لمناصرة ابراهيم أبن الاغلب ٠ ونجح والى مصر فى قمع الفتن فى القيروان ٠ وفى اخمدا ثورة اهل طرابلس٠

وتابعت مصر نفس الدور - فى مساندة ومؤازرة ولاة افريقية فى عهد الخليفة العباسى المأمون حين هددت ثورات الجند الامير الاغلبى زيادة الله فارسل له امير مصر عبد الله بن طاهر جيشا مكنه من قمع تلك الثورات التى بلغ من شدتها ان الخليفة المأمون اشار بأن تسلم مقاليد الامور فى افريقية لوالى مصر عبد الله بن طاهر ، غير ان زيادة الله لم يوافق على ذلك الاقتراح حتى لا تتأكد تبعيته لمصر ٠

وكما اخذت العلاقات بين مصر والاغلبة فى افريقية طابع المساندة ،

كانت مصر ايضا ملجأ سياسيا لكثيرين منهم ، فحين اشتد النزاع بين بعض أفـراد البيت الاغلبي فضل بعضهم الاقامة في مصر آمنين على انفسهم ، ولا يعني ذلـك ان مصر ناصبت الحكام الاغالبة العداء ، فلطالما وقفت توآزرهم ضد الثـورات والفتن التي كادت ان تودي بحكمهم ٠

واسهمت مصر أيضا في مساعدة الخلافة العباسية في محاولاتها ضد قيـام عبد الرحمن بن رستم بالاستقلال بالمغرب الاوسط فقلد الخليفة العباسـى المنصور والي مصر محمد بن الاشعث ولاية أفريقيـة فانضمت له مصر وافريقيـة ، واعد في مصر الحملات لقمع تلك الفتن ، واستمرت تخرج من مصر الى المغـرب الاوسط الحملات لمقاومة الرستميين ٠

وحين تمكن ادريس بن عبد الله العلوي سنة ١٧٢ هـ من تأسيس دولتـه في المغرب الاقصى ، حيث وجد فيها العلويون معقلا يلوذون به من تتبـع العباسيين لهم مؤمنين بأن صاحب الحق الشرعي في تولي أمور المسلمين هم آل بيت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم من أبنته فاطمة رافعين شعار عدم شرعية الحكومـة العباسيـة ٠

ونجح أدريس في الافـلات من العباسيين وخرج الى مصر مستترا فنزل بهـا وساعده عامل البريد على الوصول الى المغرب الاقصى حيث تمكن من نشر دعوتـه بين المغاربـة الحانقين على الخلفاء العباسيين الذين عمدوا الى كسر شوكـة الخوارج في افريقيـة ـ واستطاع ان يكون امارة مستقلـة استمر نفوذها حتى سنـة ٣٧٥ هـ ـ ولا ريب ان الطبيعة الدينيـة التي قامت على اساسها الدولة مـن الانتساب الى آل البيت كان لها اكبر الفضـل في توطيد دعائمها ، واذا كانـت مصر لم تقم بأي جهود ضد دولـة الادارسـة العلويـة فانما كان ذلك بسبب موقـف مصر من الدعوة العلويـة نفسها تلك الدعوة التي ظهرت واضحة بها منذ عهـد الخليفـة أبو جعفر المنصور حين قدم اليها علي بن عبد الله بن الحسن أبن علـى بن أبي طالب يدعو لابيـه وعمه فوجدنا والي مصر لا يتخذ موقفا ايجابيا ضد هـذه الدعوى مما حدا بالخليفـة الى اتهامه بالتواطئ مع العلويين وعزله عن ولايـة مصـر ٠ وكان بمصر عدد كبير من أنصار العلويين الذين لجأوا اليها فـرارا مـن تعقب العباسيين لهم والتنكيل بهم في المدينة المنوره ٠ وقد بايع بعض أفـراد البيت الاموي في مصر عليا بن محمد العلوي ٠ وأمر الخليفة المنصور واليه علـى

مصر بالتشدد تجاه العلويين بعد أن غدت مصر في ذلك الوقت ملجأ يلجأ اليه أفراد البيت العلوي فرارا من أضطهاد العباسيين لهم في الشرق. وشهدت مصر خلال عصر الولاة العباسيين كثيرا من حركات العلويين وخروجهم على سلطة ولاتها. وتشدد الخلفاء منذ عهد المتوكل بصفة خاصة في قمع حركات العلويين بها. ونفذ ولاة مصر سياسة الخلافة في الضرب على أيدى العلويين مما شغلهم عن اخماد حركات العلويين في المغرب الاقصى والوقوف ضد قيام دولة الادارسة به.

أما عن علاقة مصر في عهد الدولة الطولونية بأفريقية فاننا اوضحنا ما قام على حدود البلديين من فتن وموقف احمد بن طولون ازاء قمع تلك الفتن التي تزعمها الفرج بن سالم حين ثار على ابن الاغلب وأستولى على عدة حصون في المنطقة الواقعة الى الغرب من برقه وطلب الدخول في طاعة أحمد ابن طولون. مما اضطر ابن طولون الى تجهيز جيش اسند اليه مهمة تأمين حدود برقة التي كانت تتبع مصر اذ ذاك.

واستبعدنا ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أعتبار هذه الواقعة دليل سوء العلاقات بين الطولونيين والاغلبة. فعلى افتراض صحة الرواية القائلة بأن هذا الثائر اراد الدخول في طاعة امير مصر. فان الامر يبدو وانه مجرد ذريعة اتخذها لتبرير خروجه ضد الاغلبة.. ولم تكن ظاهرة الخروج والثورات ضد الاغالبة بالشيء الغريب فمصر طالما قامت بمساعدة الامراء الاغلبة في قمع تلك الفتن.

واذا كان احمد بن طولون قد اراد ان يؤمن حدود بلاده بقمع الفتن التي ثارت في برقة فلا يعني ذلك تحرشه بالاغالبة وانما كان هدفه أستتباب الامن على حدود دولته. كما أن محاولة ابنه العباس الوصول الى افريقية لاتمثل سياسة عامة انتهجها الطولونيون تجاه الاغالبة بل هي حادثة فردية تمت في غيبة احمد بن طولون وضد ارادته. ولم يحدث اى اشتباك حربي بين احمد ابن طولون وبين ابراهيم بن الاغلب.

اما عن الدعوة الفاطمية في مصر والمغرب فقد بينا كيف أتخذ دعاة الشيعة

من الاسماعيلية خطة الدعوة السرية ليتمكنوا من نشر المذهب الاسماعيلي • وكانت مصر وافريقية احد الميادين التي وجهوا اليها نشاطهم لبعدهما عن مركز الدولة العباسية في الشرق بعد أن فشلت الجهود التي بذلها الشيعيون لتأسيس خلافة علوية بالشام • وكان قيام دولة الادارسة في المغرب الاقصى اول نجاح حقيقي للعلويين في بلاد المغرب • ومن ثم اصبحت بلاد المغرب ارضا ممهدة للدعوة الاسماعيلية وشهدت مصر قدوم دعاة المذهب الاسماعيلي واستتارهم بمصر • فقدم ابوعبد الله الشيعي بتكليف من دعاة الاسماعيلية في اليمن الى مصر ومنها اتجه الى المغرب حيث نزل في كتامه واحسن اليه اهلها الذين كانوا قد تتلمذوا على يد دعاة الاسماعيلية من قبل وأتخذ من المنطقة الواقعة بين طنجة وفاس• مركزا لدعوته وأرسل الى الامام عبيد الله بن الحسين ابن احمد يدعوه للحضور الى بلاد المغرب• وقد لقي الامام عبيد الله المهدى الترحيب من دعاة الاسماعيلية في مصر وتستروا عليه حتى تمكن الى الخروج الى المغرب رغم مابذله الخليفة العباسي من جهود في التشدد في تعقبه والقبض عليه غير ان المعونة التي قدمها له انصاره في مصرحالت دون ذلك • وكان للاضطرابات التي سادت افريقية في اواخر عصر الاغالب اثر كبير في نجاح الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب • حتى أصبح من العسير السيطرة على أطراف الدولة بل وجدنا عامل طرابلس يسمح لعبيد الله المهدى بالمرور الى المغرب • بينما انتشرت الدعوة الاسماعيلية بين وزراء وعمال الامير زيادة الله الثالث الاغلبي • وكان بعضهم على صلة قوية بأبي عبد الله الشيعي حيث كانوا يتلقون منه الاوامر ويطلعونه على احوال الدولة وأدت الخيانة التي دبت في صفوف الاغالبة الى نجاح أبي عبد الله الشيعي من أقتحام مدينة ميله واصبح من السهل عليه بعد ذلك الهجوم على أفريقية •

وخرجت افريقية من يد الاغالبة وزال سلطان بني مدرار في سجلماسة كما زال سلطان الرستميين في تاهرت وقامت الدولة الفاطمية في افريقية والمغرب جميعه •

ولم يجد الامير الاغلبي زيادة الله الثالث أمامه الا اللجوء الى مصر عسى ان تساعده الخلافة في أسترجاع أفريقية • وأستمرارا لدور مصر في مساندة ولاة افريقية طلب الخليفة المقتدر الى عيسى النوشري والى مصر لعداد حملة لمساعدة الامير الاغلبي في استرداد افريقية • الا ان ظروف الخلافة في ذلك الوقت وماكانت

تجابهه من مشاكل لم تكن لتسمح بوضع هذه الفكرة موضع التنفيذ ، بينما وجه ولاة مصر طاقتهم لدفع خطر الفاطميين . اذ كانت مصر محط انظار الخلفاء الفاطميين لاهمية موقعها حربيا وسياسيا بالنسبة لنشر الدعوة الفاطمية وأنه كان لولاة مصر الولاية على الشام والحجاز ايضا والاستيلاء على مصر يفتح أمامهم الطريق الى حاضرة الخلافة العباسية بغداد نفسها ، هذا فضلا عن وفرة موارد مصر الاقتصادية وثروتها .

وتعاقبت الحملات لفتح مصر .. باءت جميعها بالفشل فبينما كان دعاة الفاطميين قد نجحوا فى نشر الدعوة الفاطمية ونجحوا فى أخذ البيعة للخليفة المعز الفاطمى وساعدهم على ذلك أضطراب الاحوال فى البلاد عقب وفاة كافور الاخشيد فضلا عما منيت به مصر من ازمات اقتصادية الامر الذى حدا بالكثيرين من رجال الدولة الى الكتابة للمعز معلنين رغبتهم فى الدخول فى طاعته مستحثين اياه على فتح مصر ..

وأعد المعز الفاطمى جيشا لفتح مصر ووجهه فى ربيع الثانى سنة ٣٥٨ هـ / سنة ١٩٦٨ م فدخل الاسكندرية وتقدم الى الجيزه ثم الى الفسطاط وشرع فى بناء مدينة جديدة الى الشمال منها لتكون مقرا للخلافة الفاطمية وحاضرة لها ، اطلق عليها الخليفة المعز لدين الله الفاطمى اسم القاهرة فصارت عاصمة مصر والمغرب معا .

وفى دراستنا للعلاقات البشرية التى ربطت بين مصر وبلاد المغرب تتبعنا استقرار القبائل العربية فى مصر وبينا ان معظم القبائل العربية التى شاركت فى فتح مصر واستقرت بها عقب الفتح كانت من العرب القحطانية ، وان قبائل عرب اكثر القبائل عددا فى مصر ، بينما كانت القبائل العدنانية التى شاركت فى الفتح أقل عددا من القبائل القحطانية ، وكانت قريش تمثل الغالبية العددية من هذه القبائل .

واحتفظ العرب بطابعهم القبلى فاستقروا فى مصر على شكل قبائل أتخذت كل منها خطة قائمة بذاتها سواء فى ذلك من أستقر منهم فى العاصمة - الفسطاط - او فى غيرها من مدن مصر .

ثم أخذ العرب يفدون على مصر افواجا • وشهد النصف الثانى من القرن الاول الهجرى هجرة عدد كبير من القبائل العدنانية الى مصر وخاصة بنو أمية احد بطون قريش •

وكما كانت مصر مركزا لحركة الفتوح العربية فى افريقية • كانت أيضا منطلقا لهجرات القبائل العربية اليها اذ لم تكن الفتوح العربية مجرد حملات عسكرية انما تضمنت هجرات كثيرة العدد لكثير من القبائل العربية الى افريقية •

قام عمرو بن العاص بفتح برقة بعد فراغه من فتح مصر فقد كانت منطقة برقة وطرابلس على علاقة وثيقة بمصر حتى ان بعض قبائلها كان يعد من قبط مصر • فقد ارتبط غربى مصر بمنطقة برقة التى كانت تجاور لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية • وكان جند عقبة فى الحملة التى وجهها لافريقية من العرب الذين اشتركوا من قبل فى فتح مصر مع عمرو بن العاص وكان معظمهم من العرب القحطانيين كان منهم شعب الازد والاوس والخزرج وغنث وتجيب وكان لتجيب دور كبير فى فتح مصر • واتجهت بعد استقرارها بمصر الى الاشتراك فى فتح افريقية واستقرت بجبل برقة الغربى مع غيرها من بطون العرب القحطانية وكان أستقرار بعض بطونها فى غربى مصر — فى الاسكندرية قد سهل لها الهجرة والانتقال الى برقة والاقامة فيها

وهاجرت من مصر قبائل من لخم والصدف الى جبل برقة الشرقى مع غيرها من القبائل القحطانية كما انتقلت من مصر بعض جماعات من قبيلة جهينة وبلى احدى بطون قضاعة القحطانية وأقاموا مع بلى ومدلج فى الرمادة من عمل لوبية • وانتقل اليهم أفراد قبيلة بلى القحطانية التى استقرت فى مصر منذ الفتح — وهاجرت للاقامة فى الرمادة من لوبية مع غيرهم من قبائل بنى مدلج وجهينة •

كما كان ولاة مصر يجدون فى افريقية متنفسا للقبائل العربية التى أستقرت فى مصر اذا ما حدث بينها من النزاع ما يوجب الفصل بينهما فلما حدث مع قبيلة جذام • فتحول بعض بطونها الى الاستقرار فى جبل برقة الشرقى والغربى •

ومن القبائل العدنانية التى انتقلت من مصر الى افريقية قبائل بنو مدلج وكانوا قد استقروا فى غربى مصر منذ الفتح فى خربتا وفى الاسكندرية ومنها

انطلقوا نحو الغرب وأشتركوا مع عمرو بن العاص فى فتح طرابلس ، وأقام كثيرون منهم فى قريكوتى لوبيه ومراقبة كما أستقر بعضهم فى الرمادة . كما هاجر من مصر الى افريقية فرع آخر من قبائل كنانة المدنانية متمثلا فى قبيلة فهر وذلك منذ ان اضطلع عقبة بن نافع بمهمة الفتوح فى أفريقية . وكان عميد الفهريين فى مصر نافع بن عبد قيس قد شهد فتح مصر ونزلت جماعات من فهر بالاسكندرية مما سهل لها عملية الانتقال الى افريقية .

فكانت بداية هجرات القبائل العربية من مصر الى افريقية تعكس صورة لاوضاع القبائل العربية التى أستقرت فى مصر .

ثم بينا استقرار القبائل العربية فى المغرب واوضحنا كيف كان لانشاء مدينة القيروان أثره فى أستقرار العرب فى بلاد المغرب . فقد رأى عقبة بن نافع ضرورة ايجاد قاعدة عربية فى افريقية تنطلق منها الفتوحات وتكون مركزا للمسلمين جندهم واموالهم . وأستقرت القبائل العربية فى القيروان وأتخذت كل منها خطة نزلت بها .

وبتتبع أستقرار القبائل العربية فى افريقية وجدنا ان الجماعة القحطانية كانت تشكل الغالبية العظمى من العرب وأستقرت قبائل من بنى مدلج فى المنطقة المتاخمة لحدود مصر واستقرت قبائل بلى وجهينة فى الرمادة . وعند الجبلين اللذان يحيطان بمدينة برقة أستقرت قبائل من الازد ولخم وجذام والصدفوهم من العرب القحطانية . وعند الجبل الغربى أستقرت قبائل من غسان وجذام والازد وتجيب .

وأستقر الى الغرب من القيروان جماعة من رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب . ثم بينا القبائل التى أستقرت فى أنحاء بلاد المغرب وفصلنا القول عنها واوضحنا ان العرب احتفظوا بنظامهم القبلى الذى درجوا عليه فى بلادهم ، واثرت هذه العصبيات القبلية فى تاريخ مصر كما اثرت فى تاريخ المغرب .

ففى مصر ظل العرب المقيمين بها متمسكين بالانتساب الى قبائلهم خلال القرنين الاول والثانى الهجريين . وبدت عدة مظاهر اجتماعية متأثرة بالسلوك

القبلي الذى تغلغل فى وجدان العربى من اهمها التحالف او ارتباط قبيلتين او اكثر فى حمل مسئولياتها كتحالف قبيلتى ابى سالم المعافرى وجيشان فى مصر، وفى افريقية ثم تحالف قبيلتى بلى وبنى مدلج الذين انتقلت بعض بطونهم من مصر الى الرمادة فى مطلع القرن الثانى الهجرى.

وكان موقف القبائل العربية فى مصر وبلاد المغرب من الثورات والحركات السياسية المختلفة مظهرا بارزا من مظاهر العصبية القبلية وكانت هذه المواقف تؤثر تأثيرا واضحا فى الحياة العامة. فقد بلغ من قوة العصبية بين العرب في مصر فى القرن الثانى الهجرى أن القاضى توبة بن نمير سنة ١١٥ هـ / سنة ٧٣٣م كان لا يقبل شهادة مضرى على يمانى ولا يمانى على مضرى.

وكان الولاة فى مصر يولون اهتمامهم لافراد قبيلتهم ويتحيزون لهم ، وفي بلاد المغرب وجدنا صورة مماثلة لما كان عليه التعصب القبلى بين العرب فى مصر ، فقد حفل تاريخ العرب بتعصب القبائل القحطانية التى كانت تشكل غالبية العرب كما كان الحال فى مصر - للولاة القحطانيين ومعاداتهم للعدنانيين وظلت القبائل العربية عرضة لبطش الولاة الذين تولوا أمور افريقية فيناصر كل منهم أبناء قبيلته ويناصب الآخرين العداء .

كما ابرزنا اثر العرب فى احداث ثورات الخوارج وبينا ان الملامح الرئيسية الغالبة لسياسة الولاة الامويين فى بلاد المغرب أتسمت بمحاولة توطيد الاخوة بين العرب والبربر ، وتمثل ذلك أول الامر فى أبقاء العرب على النظام القبلى الذى أعتاده اهل البلاد محاولين المساواة بينهم وبين العرب . وقد ادت هذه السياسة الى دخول كثيرين من البربر فى الاسلام حيث وجدوا ما ينشدون من حرية ومساواة ، وهذا يفسر تلك الثورات التى قاموا بها حين اساء بعض الولاة معاملتهم وميزوا عليهم العرب ، مما حدا بهم الى اعتناق مبادئ الخوارج التى تنادى بالعدل والمساواة وهم كشعب محارب فهو لم يكن ليرضى عنهما بديلا .

وبينا كيف كان لبعض الدعاة من الشيعة والخوارج يد فى تحريك ثورات البربر وكيف انتقلت اليهم تلك المبادئ من المشرق الاسلامى . فتتالت ثورات

البربر ضد سياسة يزيد بن عبد الملك الذى تحيز للعرب وتشدد فى معاملة البربر وتمثل ذلك فى عدم رفع الجزيه عمن أسلم منهم . وكان قتل واليه على المغرب يزيد بن أبى مسلم تعبيرا عن احتجاج البربر على سياسة التفرقة بينهم وبين العرب . وكانت موقعة الاشراف وما أصاب العرب فيها من هزيمة واندحار تمثل مدى ما أعتمل فى نفوس البربر من الثورة ضد العرب فى ولاية عبيد الله بن الحجاب . وبلغت ثورات الخوارج فى العصر العباسى من العنف بحيث كادت تودى بالحكم العباسى فى البلاد . وذلك بسبب سياسة الشدة فى معاملة أهل البلاد . واختلاف أسلوب معاملتهم عن ذلك الذى اعتادوه من الفاتحين الاول وولاتهم . وأستمرت ثوراتهم تلك مايقرب من نصف قرن الى أن تمكنوا من تحقيق غايتهم بأقامة دولة مستقلة اتخذت طابعا قوميا بعيداً عن نفوذ العرب كانت احداهما دولة بنى مدار الصفرية فى سجلماسة التى قامت بزعامة ابو القاسم سكو بن واسول المكناسى سنة ١٤٠ هـ / سنة ٧٥٧ م . والاخرى دولة بنى رستم الاباضية فى تاهرت سنة ١٦١ هـ / سنة ٧٧٨ م .

واوضحنا كذلك أثر العرب فى احداث عصر الاغالبة فبينا كيف ارتبط قيام دولة الاغالبة بفتن الجند العرب وثوراتهم على عامل القيروان بدافع العصبية القبلية بين العرب اليمنية والقيسية وثورات الجند الخراسانيين ضدهم وأستغلالهم ذلك العداء القبلى والاستفادة منه بالانضمام الى جانب احدهم ضد الاخر .

ورأت الخلافة العباسية امام الظروف التى واجهتها فى أفريقية أن تولى ابراهيم بن الاغلب حاكم منطقة الزاب على افريقية فهو عربى ينتسب الى قبيلة تميم التى عرف عنها الولاء للعباسيين منذ ان شاركت فى القضاء على الخلافة الاموية وكان أبوه من أصحاب أبى مسلم الخراسانى ومن خاصته فجمع بذلك بين الولاء للخلافة ورضا الخراسانيين . وواجهت أبراهيم بن الاغلب مشاكل النزاع بين العرب اليمنية والعدنانية وشهد تاريخ الاغالبة عديداً من ثورات الجند العرب ونزاعهم مع الجند الخراسانين الذين وفدوا الى بلاد المغرب مع تلك الحملات التى كانت تبعث بها الخلافة العباسية .

وفى دراستنا لاثر هجرات العرب وأستقرارهم فى مصر والمغرب بينا أن العرب

قد اختلطوا منذ البداية بأهل البلاد فى مصر والمغرب وأثروا بدينهم ولغتهم فى أهل البلاد من المصريين والمغاربة نتيجة لهذا الاختلاط • وأن هـــذا الاختلاط بدأ بانتقال العرب من المدن التى أستقروا بها الى قرى الريــف للارتباع فاختلطوا بأهله • وكان موسم الارتباع فرصة كبيرة للاتصال والاحتكــاك بين العرب وأهل البلاد من المصريين فكان يتم بالتدريج فى تلك الهجرة السنوية الداخلية تبادل الصلات والمؤثرات بين العرب والمصريين •

وحين أسقط الخلفاء العباسيون العطاء عن العرب لم يكن لهذا الامــر رد فعل عنيف عند العرب وذلك بسبب اختلاط الدماء وتفرق العصبية • فقــد تحول العرب بعد أقل من قرنين من الفتح الى مواطنيــن مدنيين يمارســون الاعمال المدنية لاختلاطهم واندماجهم مع أهل البلاد ولم تعد مصالحهم مجرد مصالح عسكرية وسياسية وأنما اصبحت مصالح اجتماعية واقتصادية ترتبــط بوطنهم الجديــد •

وبأسقاط العطاء عن العرب أزداد اختلاطهم بأهل البلاد بالتــزاوج والاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة مما كان له أكبر الاثر فى انتشار الاســلام واللغة العربية بين المصريين • وأذا كانت وثائق البردى تدل على أن دواويــن الحكومة كانت تستخدم اللغة العربية واليونانية معا حتى القرن الثالث الهجرى رغم تعريب الدواوين رسميا سنة ٨٧ هـ / ٧٠٥ م فان ذلك لاينفى انتشــار اللغة العربية بين المصريين لاختلاط العرب بهم • وان الامر بتعريــب الدواوين رسميا وان ساعد على انتشار اللغة العربية بعد ذلك • لم يكن ليتأتــى الا اذا كان المصريون على المام بهذه اللغة لانهم كانوا يقومون بجانب كبير مــن العمل فى تلك الدواوين •

وفى بلاد المغرب لم يكن الامر ليختلف كثيرا عما كان عليه فى مصر فقــد أخذ العرب منذ ان أستقروا فى البلاد بسياسة التقرب لاهالى البلاد مــن (البربر) — وكان لتأسيس القيروان اثر كبير فى دخول كثيرين من البربر فــى الاسلام • وكان من السهل على العرب أن يتفهموا طبيعة أهل البلاد (مــن البربر) التى لم تكن تختلف كثيرا عن طبيعتهم من حيث النظام القبلى ومايتبعــه من تعصب لرابطة الدم ومنافســة وصراع • حتى أننا وجدنا نسابة العـــرب

يقسمون قبائل (البربر) الى قسمين اطلقوا على احدهما اسم قبائل البتر وعلى الاخر البرانس ونسبوهما الى جد اعلى مشترك ثم قسموا كل قسم الى عدة فروع وبطون مختلفة وهو تقسيم يشبه تماما تقسيم نسابة العرب لانفسهم الى قسمين كبيرين هما : عدنان وقحطان اللذان ينقسمان بدورهما الى عدة فروع وبطون ٠

وادى الاختلاط بين العرب وبين أهل البلاد من (البربر) الى أنتشار الاسلام واللغة العربية كما اندمج العرب بأهل البلاد بروابط من العمل والجهاد والتزاوج والتجاور ٠٠ وبلغ هذا الاندماج من القوة بمرور الوقت ماحدا بالمؤرخين العرب الى القول بنسبة قبيلة صنهاجة البرنسية الى قبائل حمير العربية اذ اصبح من العسير الاحتفاظ بالانساب صريحة بعد ذلك الاختلاط الذى تم بين العرب وبين أهل البلاد من (البربر) ٠ وأستبعدنا ماقيل من أن انتساب صنهاجة الى حمير يرجع لتأثيرات فينيقية وفدت على المغرب على أعتبار ان الحميريين هم فينقيو البحر الاحمر وأن خضوع القبائل البرنسية لمؤثرات فينقية قديمة جعلتها تربط بين صنهاجة وبين الحميريين ٠

ويؤيد هذا الامتزاج الذى تم بين العرب وبين البربر ما ذكره أبن خلدون من أن قبائل البربر قد فنيت عصبياتهم ونسوا رطانة الاعاجم وتكلموا بلغات العرب ٠ فمن الثابت أن العرب لم يقيموا داخل مدنهم بل أنتشروا فى انحاء المغرب وأختلطوا بأهله كما كان الحال فى مصر ٠

وأشرنا الى ظاهرة المولدين التى نتجت عن الامتزاج بين العرب وأهل البلاد بالتزاوج ٠ وبينا أنه خلال عصر الدولة الاموية كان الرجال من العرب فقط هم الذين يتزوجون بنساء البربر فى المغرب وبنساء القبط فى مصر ، كما تعرض المولدون فى ذلك العصر الى سوء معاملة العرب لهم وأرجعنا ذلك الى تعصب الامويين للعرب ٠ وبقيام الدولة العباسية بدأ العرب يفقدون امتيازاتهم السياسية والاقتصادية مما فتح الطريق أمام المولدين للظهور وتزوجت نساء العرب من الموالى المسلمين وأضطردت هذه الظاهرة فى النمو ٠ بينما تقلص نفوذ العرب بعد فقدانهم أمتيازاتهم كطبقة متميزة فى عهد الخليفة المعتصم ٠ وتحول العرب الى مواطنين مدنيين يمارسون الزراعة وغيرها من

الاعمال التى أدت الى اختلاطهم وأندماجهم بأهل البلاد ، الامر الذى أصبح بعده من العسير احتفاظ عرب الجيل الرابع بصفات اجدادهم من عرب الجيل الاول من حيث نقاء العنصر والعصبية .

وقد أثر العرب فى المجتمع فى مصر وفى بلاد المغرب فأدخلوا كثيرا من التقاليد الاجتماعية التى لم تكن معروفة لديهم من قبل كالاحتفال بالاعياد الاسلامية الدينية ومشاركة الحكومة للناس فى الاحتفال بها . وتأثر الولاة فى مصر وأفريقية بتحول الخلافة العباسية الى حياة الترف ومظاهر العظمة التى تمثلت فى فخامة قصورهم ومجالسهم . كما تغيرت النظم الاجتماعية الخاصة بالزواج والطلاق والميراث وآداب السلوك والعلاقات الاجتماعية وفقا لمبادئ الشريعة الاسلامية .

كما أثرت التقاليد العباسية المتأثرة بالمؤثرات الايرانية على أساليب الزى فى مصر وبلاد المغرب .

وانتهيت دراسة العلاقات البشرية بين مصر وبلاد المغرب بدراسة هجرات البربر صوب الشرق فتبينت أنه كانت للبربر هجرات نحو الشرق اذ انتقلت بعض قبائل من لواته وهواره الى مصر واقاموا فى المنطقة الواقعة مابين الاسكندرية ومصر وفى اجزاء من البحيرة حيث أشتغلوا بالزراعة فاذا ماحل الشتاء تركوا مستقرهم ذلك الى العقبة وبرقة ليعودوا اليه ثانية وكان يختلط بهم اخلاط من العرب والبربر ، ومما يؤكد استقرارهم وأرتباطهم بأرض مصر ماكانوا يؤدونه من خراج .

وبينا أن مرد ما وقع فيه النسابة من التباس - حين أعتبروا سدراته ولواته ومزاته من القبط - راجع الى تبادل الهجرات بين أهل مصر وبين البربر حتى أصبح من العسير على النسابة معرفة أصول تلك القبائل مما يؤكد أن هناك هجرات سابقة للبربر الى مصر منذ وقت مبكر .

وشهدت مصر هجرة أعداد كبيرة من المغاربة وفدت اليها وأستقرت بها فى القرن الرابع الهجرى وذلك بدخول الفاطميين لمصر . وأتخاذهم القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية . فاحتفظت قبائل زويلة ، وكتامة فى القاهرة . وكانت قبيلة كتامة هى القبيلة التى تشكل كبار رجال الدولة الفاطمية وظلت محتفظة بمركزها المتميز طوال خلافة المعز ثم أخذ نفوذها فى التقلص بعد وفاته ، وبينا كيف فقدت ماكان لها من أمتيازات .

وفيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد المغرب ، فقد قمنا بدراسة للاسواق المصرية وأهم معروضاتها الزراعية والصناعية وأنواع التجارة بها ، وبينا أهم أسواق مصر وهو سوق مدينة الفسطاط وماعرف فيه من أسواق متخصصة أما بحسب أنواع السلع أو بحسب جنسية التجار بها وعرضنا لاهم منتجاته ومعروضاته ، كما عرضنا لاسواق الاسكندرية وأسواق الوجه البحرى والصعيد وما كانت تذخر به من منتجات زراعية وصناعية .

والى جانب الاسواق كانت هناك القيساريات وبينا النظم المتبعة فى تلك الاسواق والقيساريات وكيف كانت تخضع لرقابة موظف خاص يتمتع ببعض السلطات القضائية والتنفيذية ويزود ببعض الاعوان لمساعدته على القيام بواجباته وأهمها مراقبة الاوزان والمكاييل وجمع ضريبة السوق . أذ كانت تفرض على الاسواق ضرائب تزيد وتنقص حسب حالة البلاد الاقتصادية من جهة وتشدد الحكام من جهة أخرى .

وبينا أن وحدة الوزن فى أسواق مصر كانت الرطل وهو مائة وأربعة وأربعون درهما وأوقيته اثنى عشر درهما ومنه يتفرع القنطار المصرى وهو مائة رطل . كما كان يستعمل القدح المصرى وهو قدح صغير تقديره مائتين وأثنان وثلاثون درهما .

وكانت هناك عدة قوانين وقواعد تحكم حركة البيع والشراء ثم قمنا بدراسة الاسواق المغربية وبينا كيف تنوعت معروضات السوق المغربى من حاصلات زراعية ومنتجات صناعية . وتحدثنا عن أهم اسواق أقليم برقة وما أشتهر به من أنتاج زراعى وحيوانى لوفرة ثروته الزراعية ومراعيه . ثم بينا أهم اسواق افريقية والمغرب فعرضنا لاسواق القيروان اذ كانت أشهر اسواق افريقية والمغرب . وكانت اسواقها تحيط بالمسجد الجامع كما كان الحال فى الفسطاط كما عرف بأسواق القيروان كذلك نظام الاسواق المتخصصة فى الاتجار بسلع معينة ونظام القيساريات .

وعرضنا لاسواق مدينة رقادة ولبدة وطرابلس وسائر مدن أفريقية والمغرب وبينا اهم ما أشتملت عليه من منتجات زراعية وصناعية .

وبينا أن تلك الاسواق قد خضعت لمراقبة المسئولين عنها الذين اوكل اليهم امر مراقبتها واستيفاء الضرائب على أصحاب التجارات ، وحصر البضائع القادمة من خارج المدينة وقيد ذلك فى سجلات خاصة تقدم الى عامل المدينة الذى كان يراعى الدقة لبما جاء بالسجلات للتأكد من أستيفاء الضرائب عليها • وبذا كانت مراقبة الاسواق فى المغرب لاتختلف كثيرا عما عرف فى مصر •

وكان الرطل هو الوحدة الوزن فى افريقية وبلاد المغرب كما كان فى مصر الا انه فى بلاد المغرب يعادل ستة عشرة أوقية واوقيته احدى وعشرون درهما ، فيما عدا مدينة تونس فقد كان الرطل المستخدم بها كالرطل المستخدم فى مصر •

ثم اوضحنا طرق التجارة بين مصر وبلاد المغرب ، وبينا ان مصر وبلاد المغرب قد ارتبطا بطرق برية وبحرية لنقل التجارة بينهما فكما كانت مصر طريقا هاما لتجارة المغرب الواردة من الشرق كان المغرب طريقا للتجارة القادمة لمصر من الغرب • فضلا عن دورها فى نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب •

واوضحت أهم الطرق البرية التى ربطت بين مصر وبلاد المغرب • وهما الطريقان الرئيسيان اللذان كانا يخرجا من مصر يبدأ اولهما من الفسطاط ويتجه غربا الى برقة دون أن يمر بالاسكندرية ، ثم الى باقى مدن أفريقية •ويبدأ الطريق الثانى من الاسكندرية ثم الى برقة ويتحد الطريقان فى طريق واحد يتجه الى باقى مدن المغرب• فضلا عن طريق ثالث يمر عبر الواحات الداخلة ويتجه الى سجلماسة •

وكانت تلك الطرق البرية هى أكثر الطرق استخداما خلال القرن الاول الهجرى ، فقد ارغمت الاساطيل البيزنطية المرابطة فى صقلية وقبرص ومالطة وقوصرة تجار مصر والمغرب على تجنب الطرق البحرية فى كثير من الاحيان •

وفصلت الحديث عن طرق التجارة القادمة من الشرق حتى تخرج من الفسطاط الى برقة حيث يتفرع الطريق الى جهتين يتجه أحدهما بحذاء الساحل والاخر الى

ثم بينت أنواع السلع المتبادلة بين مصر وبلاد المغرب واوضحت أن المنسوجات كانت على رأس صادرات مصر الى بلاد المغرب خاصة الكتانيه حيث ذاعت شهرة كتان مصر ومنسوجاته الرفيعة التى اختصت بها تنيس ودمياط بانتاجه . وثياب الشروب التى اشتهرت الاسكندرية بانتاجها فضلا عن المنسوجات الحريرية مدينة دبيق بانتاج أنواع ممتازة منها . كما كانت مصر تصدر الى العواصم الاسلاميه ومن بينها بلاد المغرب نوعا من الثياب ينسج معظمه بالذهب تعرف باسم القباطى نسبة الى قبط مصر الذين ذاعت مهارتهم فى صناعة النسيج . وكان الورق يأتى فى المرتبة الثانية من صادرات مصر . كما كانت مصر تصدر الأدوات الخزفية وخاصة ذلك النوع ذو البريق المعدنى الذى تميزت مصر بانتاجه . وغيرها من المصنوعات الذهبية والنحاسية .

فضلا عن أنواع من انتاجها الزراعى المختلف . أو السلع التى كانت تصدرها بلاد المغرب الى مصر فكان أهمها الماشية والأغنام والزيتون والزيت المستخرج منه . والمرجان والبللور وأنواع الكروم والياميش والأخشاب لقلة انتاج مصر من الأنواع الجيدة منه . فكانت مصر وبلاد المغرب بذلك تكملان احداهما الأخرى اقتصاديا .

أما عن النظم المالية المتبعة فى مصر وبلاد المغرب فقد بدأتها بدراسة الأسعار فى البلدين وبينت كيف ارتبطت الأسعار فى مصر بحالة فيضان النيل فكانت تتذبذب صعودا وهبوطا تبعا له . وكان أول ارتفاع لسعر القمح فى سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م بسبب نقص الفيضان . وأخذنا سعر القمح كمقياس لمستوى الاسعار فى مصر باعتباره الغذاء الرئيسى للسكان . فبينا أن سعر الاردب تراوح مابين ثلث ونصف دينار خلال عصر الولاة الأمويين بينما انخفض سعره فى عهد أحمد بن طولون فبيعت كل عشرة أرادب بدينار . وفى أواخر عهد الدولة الطولونية ارتفعت الاسعار بسبب اضطراب الحكم وسوء سياسة عمال الخراج مما أوضح أنه كانت هناك أشياء أخرى وراء ارتفاع الأسعار غير قلة الانتاج بسبب نقص أو زيادة الفيضان .

واستمرت الأزمة الاقتصادية وماتبعها من ارتفاع الاسعار فى مصر فى أواخر عهد الطولونيين لمدة تسع سنين .

كما كان اضطراب الحكم وسوء الادارة فى أواخر عهد الاخشيديين سببا فى اشتداد الغلاء وكانت تلك الأزمة الاقتصادية أحد الاسباب التى عجلت بدخول الفاطميين الى مصر .

أما عن الأسعار فى بلاد المغرب فقد تأثرت كذلك صعودا وهبوطا تبعا لتغيير الظروف السياسية بها من استقرار أو اضطراب علاوة على العوامل الطبيعية التى تؤثر فى كمية المياه بالزيادة أو النقصان فى المناطق الزراعيــة •

وبينا اضطراب اقتصاد المغرب فى الفترة السابقة على قيام الدويلات المستقلة بها، بسبب الثورات التى اجتاحت البلاد فى فترة الفتوح الاسلامية وما صاحبها من ثـــورات مضادة اتسمت بالعنف وتخريب كثير من المزارع وقلع عديد من الأشجار •

كما كان لسياسة بعض الولاة الامويين فى التشدد فى جمع الضرائب واطلاق يـــد عمال الخراج اثرها فى ارتفاع الاسعار واضطراب الأحوال الاقتصادية فى البلاد •

وقد أدت السياسة التى انتهجها الخليفة عمر بن عبد العزيز باسناد مهـــــام عامل الخراج الى والى افريقية الى اصلاح أحوال البلاد الاقتصادية غير أنها كانـــت سياسة مؤقته انتهت بنهاية عهده •

وكذلك كان لسياسة بعض الولاة فى الحرص على ارضاء الخلفاء بارسال الهدايـــا من خيول وذهب وجوهر أثره فى ارتفاع أسعار تلك السلع ، وارهاق اقتصاد البلاد •

وكان لسوء سياسة الولاة الاقتصادية أثرها فى تقبل المغاربة لمبادئ الخــوارج ، غير أن الثورات التى قام بها الخوارج أدت هى الأخرى الى تفاقم الازمات الاقتصاديـــة بالبلاد بما نتج عنها من تخريب المزارع والمناجم واضطراب المواصلات فقل الانتاج وارتفعت الاسعار تبعا لذلك •

وكان ولاة افريقية يعتمدون على المعونة التى تقدمها مصر سنويا وقدارها مائـــة ألف دينار فى دفع رواتب الجند ومجابهة متطلبات الحكم المالية •

ولم تكن البلاد تستعيد رواجها الا فى الفترات التى يتمكن فيها الولاة مـــن قمع الثورات واستتباب الامن فى البلاد •

وبقيام الدول المستقلة فى المغرب شهدت البلاد تقدما ورخاء ففى امـــــارة الأغالبة ازدهر اقتصاد افريقية تبعا للأمن والاستقرار الذى ساد المنطقة • وحـــرص الاغالبة على زيادة الأراضى المزروعة وتشجيع التجارة بتأمين السبل وانشاء الأســـواق فى القيروان التى أصبحت مركز تجارة المنطقة كلها •

وفى ظل دولة بنى رستم ازدهر أحوال المغرب الأوسط الاقتصادية ، وكانت وفرة الانتاج وكثرة المعروض فى الاسواق عاملا مؤثرا فى انخفاض الاسعار . وكذلك ازدهرت الاحوال الاقتصادية فى سجلماسة فى عهد حكم بنى مدرار لها . كما شهد المغرب الأقصى انتعاشا مماثلا صاحب قيام دولة الأدارسة به .

غير أن بلاد المغرب شهدت كثيرا من الأزمات الاقتصادية أثناء حركات المقاومة ضد الفاطميين وماصحبها من عنف وتخريب . وبعد أن استتب للفاطميين حكم البلاد بدأو سياسة التخفيف من الضرائب كعلاج للمشكلات الاقتصادية فانتعشت التجارة وزاد الانتاج وعادت الأسعار الى معدلاتها الطبيعية .

وكان متوسط سعر قفيز القمح خمسين درهما وسعر الرطل من لحم الضأن درهما وأقل من ذلك بالنسبة لأنواع اللحوم الاخرى ، وهذه الاسعار فى جملتها تتشابه الى حد كبير بما كانت عليه الاسعار فى مصر فقد كان متوسط سعر أردب القمح خمسة عشر درهما والرطل من اللحم مايقرب من الدرهم .

أما عن المكوس وهى الضرائب المفروضة على التجارة الداخلية والخارجيه ؛ فلم تختلف فى بلاد المغرب عما كانت عليه فى مصر . فقد فرض على التجار نوعا من الضرائب كان لها فى مصر ادارة خاصة يرأسها صاحب المكس ، وكانت تؤخذ الضرائب على التجارة الداخلية ويعين مسئولون لجمعها فى كافة المراكز التجاريه فى مختلف مدن مصر . وكذلك فرضت المكوس على التجارة الخارجية سواء الوارده الى مصر او الصادرة منها . وكان مقدار مايجبى من تجار المسلمين مايعادل ٢٫٥٪ من قيمة تجارتهم ومن غير المسلمين ٥٪ من قيمة تجارتهم أى ضعف مايحصل على التجار المسلمين . وكان يعفى من دفع المكوس أصحاب التجارات التى تقل قيمة تجارتهم عن أربعين دينار بالنسبة للتجار المسلمين وعشرين دينار لغير المسلمين . وتجبى تلك المكوس مرة واحدة فى السنة حتى لو تكرر قدوم التجار مرات متعددة خلال العام .

وفى بلاد المغرب فرضت المكوس على التجارة الداخلية فى الأسواق وبين المدن بعضها البعض كما كان الحال فى مصر . وكذلك على التجارة الخارجية بنفس القواعد التى كانت متبعة فى مصر فيما يتعلق بنسبة تحصيلها على تجارة المسلمين وغير المسلمين . وعلى ذلك كان مقدار المكوس المفروضة على التجارة المتبادلة بين مصر وبلاد المغرب ٢٫٥٪ من قيمة البضائع ويعطى التجار اشعارات تفيد سدادهم لتلك الضريبة .

أما عن العملة المتداولة فى مصر وبلاد المغرب فقد تتبعنا تطور العملة فيهما فبينا أن الدينار الذهبى البيزنطى كان وحدة التعامل فى مصر وبلاد المغرب حتى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦ هـ / ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م حين أمر بسك الدينار العربى •

وظل الدينار الذهبى يضرب بنفس العبارات التى سجلت على الدنانير الدمشقية حتى سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م حين بدأ سك الدينار لاول مره فى مصر فى دار الضرب بالفسطاط فى عهد الخليفة المأمون وان كان الولاة فى مصر قد حصلوا منذ عهد هارون الرشيد على حق كتابة أسمائهم على العملة سواء الدنانير أو الدراهم • وكانت أول دنانير تحمل اسم وا لى مصر وتسك فى الفسطاط تلك التى ضربها على بن سليمان العباسى سنة ١٦٩ هـ ـ ٧٨٥ م • كما قام الأغالبة فى افريقية بسك العملة باسمهم فى القيروان مقرونا باسم الخليفة العباسى •

وبينا أنه فى عهد الخليفة المأمون سكت فى مصر دنانير ذهبية باسم السرى بن الحكم سجل على بعضها لفظى مصر ـ المغرب وأرخت بالفتره مابين عامى ٢٠٠ ـ ٢٠٥ هـ مما يؤكد أن نفوذ مصر كان يمتد فى ذلك الوقت فيما وراء برقة الى افريقية سياسيا واقتصاديا لأن تسجيل اسم المغرب الى جوار مصر يتيح لهذه العملة التداول فى البلدين معا ، وهو أمر تتطلبه العلاقات التجارية المتبادلة بينهما • فلم يذكر اسم المغرب على الدنانير فقط بل سجل على الدراهم ايضا •

وبعد سقوط الدولة الطولونية صارت العملة المصرية مطابقة للعملة العباسية الى ان ضرب محمد بن طغج الاخشيد نقودا باسمه منذ عام ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م وظلت كذلك تحتفظ بتسجيل اسم الخليفة العباسى الى جوار اسمه •

وعثر على دينار ضرب فى مصر سنة ٣٤١ هـ فى عهد ابنه أبى القاسم أنوجور لايحمل اسمه بل اسم المعز لدين الله دون الاشارة الى أحد من أبناء الاخشيد • وبينا أن وجود هذا الدينار الذى يحمل اسم الخليفه الفاطمى المغربى والذى سك فى مصر يبين أن الدعاة الفاطميين قد تمكنوا من أخذ البيعة للمعز لدين الله الفاطمى كما يثبت ولاء الاخشيدين لآل البيت وميلهم الى الاعتراف بالفاطميين •

وحين تم للفاطميين فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ ضرب المعز لدين الله العملة فى مصر على غرار الدينار الفاطمى فى المنصورية فاتحدت العملة فى مصر وبلاد المغرب

وتشابهت فى النصوص والعيار وكانت تعرف باسم الدنانير المعزية ، فغمرت أسواق مصر بعد أن رفع المعز سعرها لتتفوق على غيرها وعم تداولها .

والى جانب النقود كانت هناك وسائل أخرى للمعاملات التجارية هى السفاتج وهى محررات يكتبها التجار أو الصيارفة بقيمة المبالغ التى يأخذونها تكون قابلة للصرف فى أى بلد لأى من عملائهم وكانوا فى هذا يقومون بدور البنوك . وعرفت مصر والمغرب هذا النوع من التعامل ، ذلك أن هذه الطريقة تفيد فى علاقتهما المتبادلة حيث تكون الاموال فى مأمن من اللصوص وقطاع الطرق ، لطول المسافة وبعد الطريق بينهما ، وكذلك كانت تستعمل الصكوك كوسيلة من وسائل دفع المال وهى أمر بدفع مقدار معين من المال الى الشخص الوارد اسمه فيه ، وقد عرفت منذ صدر الاسلام واستخدمت كذلك فى المعاملات التجارية بين التجار فى مصر وبلاد المغرب .

واختمنا البحث بدراسة العلاقات الثقافيه بين مصر وبلاد المغرب ، فوضحنا الصلات والتأثيرات المتبادلة بينهما ، فتحدثنا عن المدرسة المصرية فى الفسطاط وبينا كيف كان لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قدموا الى مصر الفضل فى وضع أساس أول مدرسة اسلامية فى مصر وهى مدرسة الفسطاط ، وتتلمذ على أيديهم كثيرون من المصريين الذين برز منهم علماء وفقهاء ، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص من أشهر الصحابه الذين أخذ عنهم المصريين ، وتتلمذوا على أيديهم . وكان مسجد عمرو بن العاص فى الفسطاط مركز حركة علميه كبيرة .

وكان أهم ما اتسمت به المدرسة المصرية ذلك الطابع الدينى الذى غلب عليها ، فكانت العلوم التى تدرس فى مدرسة الفسطاط خلال القرن الأول الهجرى علوما دينية اذ حظيت علوم القرآن والحديث بنصيب كبير فى مدرسة الفسطاط ، وكان من أبرز محدثى مصر الفقيه يزيد بن أبى حبيب أحد الثلاثة الذين أسند اليهم الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر الافتاء فى مصر . ورحل كثير من علماء مصر لطلب الحديث الى المدينة المنورة والعراق ، وكان أولهم أبو سعيد عثمان بن عتيق وبرز من فقهاء مصر الذين عنوا بالحديث الليث بن سعد الذى تولى مهمة الافتاء فى مصر . وكان عبد الله بن وهب من أوائل جامعى الحديث فى مصر فدونه فى كتابه الجامع الحديث . كما كان لفقهاء مصر دور واضح فى علم القراءات وبرز منهم عثمان بن سعيد المصرى الملقب بورش صاحب القراءة التى لازالت تعرف باسمه الى اليوم وهى تستند الى رواية نافع .

كما انتقلت المذاهب الاسلاميه الى مصر ودرست فى جامع عمرو فى الفسطاط منذ العصر العباسى وكان ابن وهب المصرى أستاذ المالكية فى مدرسة الفسطاط •

وبقدوم الامام الشافعى الى مصر سنه ١٩٨ هـ / سنه ٨١٣ م اشتد التنافس بين المدرسين المالكية والشافعيه وشهد مسجد عمرو كثيرا من المناظرات والمناقشات بين أنصار المذهبين مما أذكى روح المنافسه العلمية بين المصريين •فظهرت المؤلفات فى الدفاع عن كل من المذهبين ، والرد على مخالفيهما •

وكان تمسك اهل مصر الشديد بالسنه سببا فى اعراضهم عن المذهب الحنفى الذى يعتمد كثيرا على الرأى •

وازدهر فى مدرسة الفسطاط كذلك علوم اللغة والادب والتاريخ وبرز بمصر كثير من العلماء والاساتذه الذين ازدهرت على ايديهم الدراسات اللغويه والادبيه والتاريخيه •

كما امتدت حركة الترجمه فى مصر الى مجال الكيمياء والطب على وجه الخصوص كما تأثرت مصر بحركة الترجمة من اليونانية الى العربية التى ازدهرت فى عهد الخليفه المأمون فى علوم الفلسفة والهندسه والطب • وبلغت المدرسة المصرية حدا كبيرا من الازدهار وغدت ، مركزا من أهم المراكز العلمية والثقافية فى العالم الاسلامى •

ولم تكن مدرسة الفسطاط هى المدرسة الوحيدة فى مصر بل كانت هناك مراكز ثقافية فى مختلف مدن مصر وخاصة فى الاسكندريه التى نالت اهتماما كبيرا من المسلمين باعتبارها ثغرا من الثغور الاسلاميه التى حرصوا على المرابطه فيها للجهاد • ونزلها بعض من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولوا تعريف أهلها بأمور الدين ونشر علوم القرآن ورواية الحديث وأقيمت فى الاسكندريه فى القرن الاول الهجرى عدة مساجد كانت بمثابة مدارس لتعليم الناس أصول الدين • اذ تولى الصحابه ، والتابعون مهمة تعليم الناس بها • وازدهر بها الفقه السنى ، ومن أشهر فقهاء المالكية بالاسكندريه على بن عبدالله بن مطر الاسكندرانى المتوفى

سنه ٣٣٠ هـ / سنه ٩٤١ م . ومما يثبت ازدهار الفقه السنى بها أن كان بالمدينة فى العصر الفاطمى مدرستان سنيتان .

كما ازدهرت بالاسكندرية علوم الفلك والطب حيث ترجم الى العربية عديد من كتب الفلك والكيمياء والطب .

وفى صعيد مصر حيث استقرت منذ الفتح قبائل عربية وأسست المساجد الجامعة التى كانت بمثابة مدارس لقنت فيها دروس الفقه ورواية الحديث وعلوم اللغة فظهر بها فقهاء ذاع صيتهم .

وقد اوضحنا أن الطابع الدينى كان السمة الغالبة على المدرسة المصرية كما بينا كيف تمسك المصريون بمذهب اهل السنه فازدهرت وازدهرت المدرسة المالكية بمصر وكذلك ازدهر الفقه الشافعى .

ومن الملاحظ أن المصريين لم يتقبلوا المذاهب الغريبه ذات الطابع الفلسفى المعقد كمذهب المعتزله الذى اهتم بمناقشة مسائل القدر وصفات الله وخلق القرآن . واعرضوا كذلك عن مبادىء الشيعه وأقوالهم فى الامامة والوصاية وتفسيراتهم للايمان والاسلام وقولهم بالباطن والظاهر . وبينا أن تلك الآراء والتأويلات لم تجد ميلا لدى المصريين الذين تمسكوا بسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذلك لم تجد آراء الخوارج قبولا لديهم لما تتضمنه من مغالاة وتشدد ولتشعب فرقهم واختلافها وتكفير بعضها لمخالفيهم فى الرأى . فقد أعرض المصريون عن تلك التيارات والمذاهب التى زخر بها المشرق الاسلامى فى ذلك الوقت.

ثم تحدثنا عن مدرسة القيروان وبينا فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وضع اساسها كما كان الحال فى الفسطاط .

وبينا كذلك كيف كان المسجد الجامع فى القيروان مركزا للحركه الثقافيه ومحورا لها . فقد تولى التدريس فيه أول الأمر الصحابة والتابعون ومن تتلمذ على أيديهم

من الفقهاء المغاربه الذين رحلوا الى مصر وتفقهوا على يد علمائها ونقلوا عنهم قراءة القرآن على رواية نافع ، والمذاهب الاسلاميه وقد مال كثير من فقهاء افريقيه الى مذهب مالك الذى ازدهر فى الفسطاط ولقى قبولا من الفقهاء المغاربه لاعتماده اساسا على نصوص القرآن والحديث دون تأويل او لجوء الى الرأى . اذ كان المسلمون فى بلاد المغرب شديدى التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم معرضين عن اتباع المذاهب الأخرى التى تعتمد على الرأى والتأويل .

وتفوق الفقه المالكى فى القيروان حتى صارت مدرسة القيروان زعيمه الفقه المالكى فى العالم الاسلامى كله . وناصب المالكيون اصحاب المذاهب الأخرى العداء . والتف المغاربه حول فقهاء المالكية وناصروهم ضد الحكام وصاروا فى نظر المغاربه الزعماء المدافعين عنهم ضد ولاة الأمر . وأدى تمسك مدرسة القيروان بالمالكيه الى صمودها امام التيارات الفكرية الأخرى كالمعتزله والخوارج ، فلم يرضوا بغير القرآن وسنة رسول الله (ص) الواضحه بديلا .

وبينما ازدهر فى مدرسة القيروان من علوم اللغة والأدب والدراسات التاريخيه والجغرافيه ، وعلوم الطب والفلك والرياضيات والكيمياء ، وعرضنا لعديد من مظاهرها .

والى جانب مدرسة القيروان قامت ببلاد المغرب مدارس اخرى كان اهمها مدرسة تاهرت التى ازدهرت فى عهد الرستميين على يد مشايخ الاباضيه ، وقامت المناظرات بينهم وبين أنصار المالكية وبينهم وبين الشيعه . وشجع الأمراء الرستميون على استمرار النشاط الثقافى باقامة المجالس العلمية التى قصدها العلماء والطلاب من مختلف الجهات . كما كانت سجلماسة أحد المراكز الثقافية فى المغرب خاصة فى عهد حكامها من بنى مدرار الذين اهتموا بتشجيع العلم والعلماء فكانت تعقد بمساجدها المناظرات بين انصار الصفريه والمذاهب الأخرى مما ادى الى اثراء الحياة الفكريه بها .

كما ازدهرت مدرسة فاس فى عهد الادارسة وتأثرت بمدرسة القيروان تأثرا كبيرا

فالادارسة وهم علويون زيديون حرصوا على محاربة اصحاب المذاهب المتطرفه .

ثم درسنا الصلات بين مدرسة الفسطاط ومدرسة القيروان ، وبينا أن مصر كانت مركزا لحركة علمية دينية كبيرة أفادت منها افريقية والمغرب . فارتحل الى مصر عدد كبير من فقهاء القيروان . من اشهرهم اسد بن الفرات الذى تتلمذ على يد فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم ودون عنه الاجابه على كثير من المسائل التى عرضها عليه وضمنه كتابة المعروف باسم الأسدية الذى كان خلاصة آراء فقيه مصر ابن القاسم وصار أساس الفقه فى القيروان . كما رحل الى مصر فقيه المغرب سحنون بن سعيد وتتلمذ على يد فقهائها ووضع كتابه المدونه الذى اعتمد فيه على الأسدية وأصبح كتابه هذا مرجعا رئيسيا لفقهاء القيروان .

وتعاقب رحيل فقهاء القيروان وعلمائه الى مصر والتقائهم بفقهاء مصر وعلمائها فى مختلف ميادين العلوم كما رحل فقهاء مصر وعلمائها الى المغرب والتقوا بفقهاء القيروان وأدت حركة العلماء بين مصر والمغرب الى الاتصال المستمر بين مدرستى الفسطاط والقيروان ونتج عن ذلك مظاهر متعددة لتأثر كل منهما بالأخرى .

فانتقلت الى القيروان القراءة المعروفة للقرآن الكريم فى مصر كما تأثرت القيروان بآراء فقهاء مصر المالكيين خاصة ابن وهب وابن القاسم . وتأثرت مدرسة القيروان كذلك بما عرف فى مدرسة الفسطاط من تنافس مذهبى فشهدت تنافسا فكريا بين أنصار الشافعية والمالكية كما كان الحال فى مصر .

وتبينا لتاريخ الحركة الفكرية فى مصر والمغرب أن المصريين والمغاربه قد أعرضوا عن مذهب أهل العراق القائم على الرأى ، فتشابه موقف المصريين من المذهب الحنفى مع موقف المغاربه .

وكان لموقف مدرسة الفسطاط من المذاهب المتطرفة ذات الطابع الفلسفى واعراض المصريين عن آراء المعتزله والخوارج والشيعه وتمسكهم بالسنة اثره أيضا فى

مدرسة القيروان فقد اعرض المغاربه عن تلك المذاهب وتمسكوا بالمالكية التى اخذوا اسسها الأول عن فقهاء مصر .

كما تأثرت الفقهاء المغاربه بموقف الفقهاء فى مصر من اعراضهم عن تولى منصب القضاء خشية خضوعهم لنفوذ الحكام . فرفض فقهاء القيروان فى كثير الأحوال تولى هذا المنصب .

ولم يقتصر تأثير مدرسة الفسطاط على الناحية الدينية فحسب بل شمل كثيرا من مختلف العلوم والآداب .

كما تأثرت مصر بما ذاع فى المغرب من ازدهار حركة التصوف به فقد تتلمذ المتصوف المصرى ذى النون الذى وضع اصول التصوف فى مصر على يد أحد أقطاب الصوفيه من المغاربه .

كما تأثرت مصر بقدوم علماء القيروان اليها وما ترتب عليه ذلك من اثراء الحياة الفكريه فى مصر بقيام المناظرات والمناقشات بين العلماء وقد أدت كثرة تردد العلماء بين مصر وبلاد المغرب الى وجود نوع من وحدة الفكر والثقافة ربط بينهما بأوصر وثيقه .

ثم عرضت بعد ذلك لموضوع الدعوة الاسماعيلية فى المغرب وتناولتها كحركة فكرية نشأت فى بلاد المغرب وتتبعت انتقالها الى مصر . فبينا أن الدعوة الاسماعيليه قامت فى بلاد المغرب منذ منتصف القرن الثانى الهجرى حتى مجيء ابو عبد الله الشيعى فى أخريات القرن الثالث الهجرى وكيف تمكن من نشر دعوته بين قبيلة كتامه . والتنظيم الذى اتبعه لاتمام نشر الدعوة حتى انضمت اليه قبائل كثيرة وانتشرت الدعوة بين وزراء وعمال زيادة الله الثالث الاغلبى أمير افريقيه . وتمكن أبو عبد الله الشيعى من اسقاط القيروان واسقاط الحكم الاغلبى . وقامت الدولة الفاطميه فى افريقية والمغرب جميعه .

وبينا كيف جهر شيوخ القيروان وفقهائها بانكارهم لمذهب الاسماعيليه

وعقد الفاطميون مجالس المناظرة يناقشون فيها مشايخ افريقية ويبينون فضائل اهل البيت ويزينون لهم الدخول فى مذهبهم الا ان هذا لم يزد المغاربه الا تمسكا بالمالكية ونفورا من الدعوة الاسماعيلية وقاطعوا من انحاز الى الدعوة وتصدى فقهاء القيروان الرد على دعاة الاسماعيليه ، وقام الفاطميون بالتنكيل بفقهاء المالكيه فى القيروان فقتلوا العديد منهم ومثلوا بهم ، مما ادى الى انضمامهم لثورة ابى يزيد بن مخلد بن كيداد ضد الفاطميين . وكان موقف اهل افريقيه تجاه الدعوة الاسماعيليه ومعارضتهم لها وتمسكهم بالمالكية سببا فى ان يتجه الفاطميون نحو مصر .

وتتبعنا موقف مصر من الدعوة العلوية منذ منتصف القرن الثانى الهجرى فشهدت قدوم دعاة الشيعة واستتارهم بها ثم قدوم دعاة الاسماعيلية فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى فى عهد الداعى ابو القاسم رستم بن الحسين بن فرج حوشب الكوفى مهمة نشر الدعوة فبث الدعاة الى مصر والمغرب .

وحاول الفاطميون غزو مصر فجهزوا عدة حملات لهذا الغرض منيت بهزائم متتالية الا أن دعاتهم فى مصر بذلوا جهدا كبيرا فى محاولة كسب الأنصار ، وكان هؤلاء الاتباع عونا لجيش جوهر القائد فى دخوله مصر سنه ٣٥٨ هـ اذا استطاعوا أن يأخذوا البيعة للمعز من كثير من اهل مصر خاصتهم وعامتهم وكان اضطراب الأحوال فى مصر عقب وفاة كافور قد يسر لهم ذلك فضلا عما منيت به البلاد من أزمات اقتصاديه . الا أن غالبية المصريين قد تمسكوا بالسنة وتبين ذلك من عهد الأمان الذى أبرم بين جوهر القائد وبين المصريين الذين ضمن لهم فيه حرية عقيدتهم .

وعمد الفاطميون الى نشر مذهبهم وانتهجوا سياسة تحويل المصريين السنيين نحو المذهب الاسماعيلى فأسسوا المسجد الجامع فى القاهرة واتخذوا منه مركزا لنشر الدعوة الاسماعيليه كما اتخذوا فى قصورهم مجالس وقاعات لبث اصول الدعوة عرفت باسم مجالس الحكمة التأويلية يعمدون فيها الى تلقين مبادىء الدعوة لتحويل أهل السنة للأخذ بمبادىء الاسماعيليه .

وكان الحاضرون لهذه المجالس يقسمون الى درجات حسب مرتبه كل منهم فى مدارج الدعوة .

الا أن ذلك لم يحل دون استمرار اهل السنه فى مصر فى تدارس مذهبى مالك

والشافعى وبرز من الفقهاء المالكية فى مصر فى عهد الدولة الفاطميه علماء ذاع صيتهم . كما أدى قيام الفاطميين بنشر مذهبهم والدعوة له الى نشاط الحركة العلمية فى مصر فى القرن الرابع الهجرى اذ اهتم العلماء والفقهاء بنقد آراء الاسماعيليه وتنفيذها بينما نشط الفاطميون فى انشاء المكاتب وتأليف الكتب فى الفقه الاسماعيلى . ورغم الجهود التى بذلها الفاطميون فى نشر الدعوة الاسماعيليه فانهم لم يفلحوا فى تحويل غالبية المصريين الى مذهبهم واذا كان بعض السنيين فى مصر قد اعتنقوا عقائد الاسماعيليه فلم يكن ذلك الا لتحقيق مصلحة خاصة أو فرارا من حنق الفاطميين ونقمتهم . فقد تمسك المصريون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرضوا عن المذاهب التى تنطوى على الجدل والاستدلال والتأويل كما كان الحال بالنسبه للمغاربه .

-:-:-:-

المصادر

أولا : المصادر العربية المخطوطة

١ – ابو حنيفة النعمان بن محمد : ابن منصور بن حيون المغربي (ت ٣٦٣هـ) المجالس والمسايرات – مخطوط بجامعة القاهرة •

٢ – ابن حجر : شهاب الدين بن على ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م رفع الاصر عن قضاة مصر – دار الكتب •

٣ – ابو زكريا : يحيى بن أبى بكر (توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) – كتاب السيرة وأخبار الائمه – دار الكتب •

٤ – ابن فضل الله العمرى : شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى توفى ٧٤٩ هـ • مسالك الابصار – مخطوط بدار الكتب •

٥ – الدرجينى : ابو العباس احمد (توفى فى منتصف القرن السابع الهجرى) طبقات الاباضيه – دار الكتب •

٦ – الشماخى : احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٣٨ هـ) السير – دار الكتب •

٧ – القاضى عياض : عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعيان مذهب مالك – مخطوط بدار الكتب •

٨ – قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة – مخطوط بدار الكتب الباب السادس ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه •

٩ – النويرى : شهاب الدين احمد (ت ٧٣٢هـ) نهاية الارب فى فنون الادب جـ٢٢ ، جـ٢٦ مخطوط بدار الكتب •

ثانيا : المصادر العربيه المطبوعه

١٠ ـ ابن الابار : ابوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) : الحلة السيراء ـ القاهرة سنه ١٩٦٣ ، فرانسز سنه ١٨٦٦ م .

١١ ـ ابن أبى دينار : القيروان (ت ١٠٩٢ هـ) المؤنس فى تاريخ افريقيه وتونس . تونس سنه ١٢٨٦ هـ / ١٣٥٠ هـ .

١٢ ـ ابن أبى زرع : أبوالحسن بن عبدالله بن أبى زرع الفاسى (توفى سنه ٧٢٠ هـ) الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينه فاس . المغرب سنه ١٩٣٦ م

١٣ ـ ابن الاثير : محمد بن محمد بن عبد الكريم عبدالواحد الشيبانى :
ـ (ت ٦٣٠ هـ) الكامل فى التاريخ مصر ١٣٥٣ ـ ١٣٥٧ هـ .
ـ اسد الغابه فى معرفة الصحابه القاهره سنه ١٢٨٠ هـ .

١٤ ـ ابن تغرى بردى : جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهره . القاهرة سنه ١٩٣٠ م دار الكتب ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ م .

١٥ ـ ابن جلجل : ابو داود سليمان بن حسان الاندلسى : طبقات الأطباء والحكماء . القاهرة سنه ١٩٥٥م

١٦ ـ ابن حزم : على بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) الفصل فى الملل والنحل . القاهره سنه ١٣١٧ هـ / ١٩٤٨ م .

١٧ ـ ابن حوقل : ابوالقاسم بن حوقل (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) المسالك والممالك . ليدن سنه ١٨٧٢ م .

١٨ ـ ابن حوقل : صورة الأرض ـ ليدن سنه ١٩٣٨ م .

١٩ ـ ابن خرداذبه : عبيد الاه بن عبدالله بن خرداذبه (ت في القرن الثالث الهجري) : المسالك والممالك . ليرن سنه ١٨٧٢ م .

٢٠ ـ ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن الخطيب (ت ٩٤٠ هـ) : ـ اعمال الاعلام . بيروت سنه ١٩٥٦ ، المغرب سنه ١٩٦٤ .

٢١ ـ ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب الاسكندريه سنه ١٩٥٨ .

٢٢ ـ ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت سنه ٨٠٨ هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة سنه ١٢٨٤ ، ١٩٥٧ م .

٢٣ ـ ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد (ت ٦٨١ هـ) وفيات الاعيان ـ القاهرة سنه ١٩١٠ م ، بولاق سنه ١٢٨٣ هـ ـ ١٣١٠ هـ .

٢٤ ـ ابن الدايه : احمد بن يوسف المعروف بابن الدايه (ت نحو عام ٣٩٩ هـ / ٩٥١ م) : سيرة احمد بن طولون ـ القاهرة سنه ١٩٤١ م .

٢٥ ـ ابن دقماق : (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ م) ابراهيم بن محمد المصري الانتصار لواسطة عقد الامصار ـ بولاق ١٣٠٩ هـ ١٤٠٦/١٤٠٧م

٢٦ ـ ابن زولاق : ابو محمد الحسن بن ابراهيم (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) أخبار سيبوية المصري . مصر سنه ١٩٣٣ م .

٢٧ ـ ابن الزيات : شمس الدين ابو عبدالله (ت ٨١٤هـ/١٤١١م) الكواكب السيارة ـ مصر سنه ١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧م

٢٨ ـ ابن رستــه : ابوعلى احمد بن عمــر :
الأعلاق النفيسه ـ ليدن سنه ١٩٦٧م/
١٨٩١م

٢٩ ـ ابن سعــد : (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥م) :
الطبقات الكبير ـ ليدن ١٩٠٥ ، ١٩٢١م

٣٠ ـ ابن سعيــد : على بن موسى بن محمد (ت سنه ٦٧٣ هـ/
١٢٧٥م) المغرب فى حلى المغرب ـ
الجزء الأول طبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣ هـ
نشر دكتور زكى حسن ، ج ٤ ليدن ١٨٩٨م

٣١ ـ ابن ســلام : أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٣ هـ) الأمـوال
القاهـرة .

٣٢ ـ ابن الصابــى : هلال بن الصابى ابو الحسن هلال بن الصابى
ابن أبى اسحق ابراهيم الصابى (ت ٤٨٨ هـ/
١٠٥٦م .
تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء القاهرة ١٩٥٨م

٣٣ ـ ابن الصابــى : رسوم دار الخلافه ـ القاهرة سنه ١٩٦٤ م

٣٤ ـ ابن ابى زرع : ابو الحسن بن عبيد الله بن ابى زرع الفاسى :
الأنيس المطرب بروض القرطاس (ت ٧٢٠ هـ)
فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينه فاس ـ
المغرب ١٩٣٦م / ١٨٤٣ هـ

٣٥ ـ ابن ابى أصيبعه : موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم
الخزرجى (ت ٦٦٧ هـ) :
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١٢٩٩ هـ
المطبعه الوهبيه .

٣٦ ـ ابن الصغير المالكى : سيرة الائمه الرستميين :
الجزائر سنه ١٩٠٥م .

٣٧ ـ ابن طباطبا : محمد بن على بن الطقطقى :
الفخرى فى الآداب السلطانيه والدول
الاسلاميه مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م ،
١٩٣٨ م .

٣٨ ـ ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
(ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) ليدن سنه ١٩٢٠ .

٣٩ ـ ابن عبد ربه : احمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) :
العقد الفريد : القاهرة ١٩٢٨ م

٤٠ ـ ابن عذارى : محمد بن عذارى المراكشى (توفى فى نهاية
القرن السابع الهجرى) : البيان المغرب
فى اخبار المغرب بيروت ١٩٥٠ م .

٤١ ـ ابن فرحون : ابراهيم بن على بن فرحون (ت ٧٩٩ هـ)
الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب .
القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٣٢٩ هـ .

٤٢ ـ ابن فضل الله العمري : شهاب الدين احمد بن فضل الله .
(ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م / مسالك الأبصار
فى ممالك الأمصار ـ دار الكتب مصر ١٣٤٢ هـ
سنه ١٩٢٤ م .

٤٣ ـ ابن الفقيه الهمدانى : ابو بكر احمد بن محمد الهمدانى (توفى
اواخر القرن الثالث الهجرى) مختصر
تاريخ البلدان ـ ليدن سنه ١٨٨٥ م .

٤٤ ـ ابن قتيبه : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
ـ عيون الأخبار ـ القاهرة سنه ١٩٣٠ م

٤٥ ـ ابن قتيبه : الامامة والسياسه القاهرة سنه ١٣٢٥ هـ

٤٦ ـ ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء .
القاهرة سنه ١٣٢٦ هـ .

٤٧ ـ ابن القوطيـــه : محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم (ت ٢٦٧ هـ) : تاريخ افتتاح الاندلس سنه ١٩٥٧ م

٤٨ ـ ابن كثيـــر : عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) : البدايه والنهايـه القاهرة ١٩٣٢ ، مطبعة السعادة.

٤٩ ـ ابن مسكويـــه : (أبوعلى احمد بن محمد بن يعقوب) ت ٤٢١ هـ ١٠٣٠ م ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم ـ ليدن ١٩٠٩ م ، مصر ١٩١٤ ، ١٩١٥ .

٥٠ ـ ابن مماتـــى : ابو المكارم اسعد بن مهذب بن مينا . (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) : قوانين الدواوين مصر سنه ١٩٤٣ م.

٥١ ـ ابن منظـــور : محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) لسان العرب القاهرة سنه ١٣٠٧ هـ .

٥٢ ـ ابن ميســر : محمد بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧ ـ ١٢٧٨ م) أخبار مصر القاهرة سنه ١٩١٩ م .

٥٣ ـ ابن النديـــم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ) الفهرست ـ القاهرة سنه ١٣٤٨ هـ .

٥٤ ـ ابو العرب تميـــم : محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣ هـ) طبقات علماء افريقيه سنه ١٩٦٨ تونس.

٥٥ ـ ابو الفـــداء : عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢ هـ) المختصر فى اخبار البشر ـ مصر ١٣٢٥ هـ .

٥٦ ـ ابو الفرج الأصفهانى : على بن الحسين بن محمد بن احمد (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) كتاب الاغانى القاهرة ١٩٢٧ م ، ١٩٣٦ م .

٥٧ ـ احمد بابا التكروري : نيل الابتهاج بتطريز الديباج نشر ناطق صالح مطلوب ـ رسالة لم تطبع القاهرة ١٩٧٣م

٥٨ ـ الادريسي : الشريف محمد الادريسي (ت ٥٥٨هـ) صفة المغرب وأرض السودان ومصر ـ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ليدن ١٨٦٤ ـ ١٨٦٦م .

٥٩ ـ ادريس عماد الدين : الداعي المطلق ادريس عماد الدين القرشي عيون الأخبار . بيروت سنه ١٩٧٣ م

٦٠ ـ الأزرقي : (ت ٢٠٤ هـ) اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار سنه ١٣٥٧ هـ .

٦١ ـ البكري : عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٦٠هـ) ـ المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب سنه ١٩١١م .

٦٢ ـ البكري : معجم ما استعجم ـ القاهرة سنه ١٩٤٥ م

٦٣ ـ البغدادي : ابو منصور عبد القادر بن طاهر ـ الفرق بين الفرق ـ القاهرة ١٩١٠ م

٦٤ ـ البغدادي : ـ الأمور المشاهده .

٦٥ ـ البغدادي : ـ الافادة والاعتبار .

٦٦ ـ البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (توفى ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م) . ـ فتوح البلدان ـ القاهرة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢ م

٦٧ ـ البلاذري : أنساب الأشراف ـ كتاب النقود

٦٨ ـ البلـــوى : أبو عبد الله بن محمد المديني (توفـــى حول منتصف القرن الرابع الهجرى) سيرة احمد بن طولون سنه ١٣٥٨ هـ

٦٩ ـ البيهقـــى : المحاسن والمساوئ .

٧٠ ـ التجانـــى : عبد الله بن محمد بن احمد (ت ٧١٧ هـ) رحلة التجانى ـ القاهرة سنه ١٩٥٨ م .

٧١ ـ الثعالـــبى : ابو منصور عبد الملك النيسابورى لطائف المعارف . ليدن سنه ١٨٦٧ م

٧٢ ـ الجاحـــظ : ابو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥ / ٨٦٩ م) ـ البيان والتبيين ـ

٧٣ ـ الجاحـــظ : التبصر بالتجارة القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م

٧٤ ـ الجزنائـــى : على الجزنائي (توفى اواخر القرن الثامن الهجرى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس الجزائر ١٩٢٣ م

٧٥ ـ الخوارزمـــى : ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتـــب رسائل الخوارزمى ـ القسطنطينيه سنه ١٢٩٧ هـ

٧٦ ـ الـــرازى : فخر الدين الرازى (توفى سنه ٦٠٦ هـ) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ القاهــره سنه ١٩٣٨ م .

٧٧ ـ الرقيق القيروانى : ابراهيم بن القاسم القيروانـــى تاريخ افريقيه والمغرب تونس ١٩٦٧ م

٧٨ ـ ساويرس بن المقفع : (توفى اواخر القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادي) سير الآباء البطاركه ـ باريس ١٩٠٧ ـ ١٩١١ م

٧٩ ـ سعيد بن بطريق : (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) التاريخ المجمـــوع على التحقيق والتصديق بيروت ١٩٠٥ ـ ١٩٠٩ م

٨٠ ـ السلاوى : احمد بن خالد الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . المغرب سنه ١٩٥٤ م .

٨١ ـ السمعانى : ابو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمى السمعانى (ت ٥٦٢ هـ) أنساب العرب ـ ليدن ١٩١٢ م

٨٢ ـ السيوطى : جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ـ تاريخ الخلفاء ـ القاهرة سنه ١٩٦٤ م .

٨٣ ـ السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه . القاهرة سنه ١٩٦٥ م

٨٤ ـ السيوطى : حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة سنه ١٣٢٧ هـ / ١٢٩٩ م .

٨٥ ـ الشماخى : احمد بن ابى عثمان سعيد عبد الواحد . (ت ٩٢٨ هـ) : سير علماء ومشايخ جبل نفوسه ـ القاهرة ـ المطبعة البارونية ١٣٢٠ هـ .

٨٦ ـ الشهرستانى : محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) الملل والنحل ـ القاهرة سنه ١٩٥٦ م ـ ١٣١٧ هـ

٨٧ ـ قدامة بن جعفر : (ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٩ م) الخراج وصنعة الكتابة ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ليدن سنه ١٨٨٩ .

٨٨ ـ القلقشندى : ابو العباس احمد (ت ٨٢١ هـ) صبح الأعشى فى صناعة الانشا . القاهرة سنه ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م .

٨٩ ـ الكندى : محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ) كتاب الولاه وكتاب القضاة ـ الآباء اليسوعيين بيروت سنه ١٩٠٨ م .

٩٠ ـ المالكي : عبد الله بن ابي عبد الله المالكي (توفي في نهاية القرن الرابع الهجري) :
رياض النفوس ـ القاهرة سنه ١٩٥١ .

٩١ ـ الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري .
(ت ٤٥٠ ـ ١٠٥٧ م) :
الأحكام السلطانيه ـ القاهرة سنه ١٢٩٨ هـ .

٩٢ ـ مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس مدريد ١٨٦٧م

٩٣ ـ مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار الاسكندريه سنه ١٩٥٨ م .

٩٤ ـ المراكشي : عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ)
المعجب في تلخيص اخبار المغرب . القاهرة سنه ١٩٤٩ م .

٩٥ ـ المسعودي : علي بن الحسن بن علي (توفي ٣٤٦ هـ)
ـ المسعودي :
مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ القاهرة ١٩٢٥م
ـ التنبيه والاشراف ليدن سنه ١٨٩٣ م .

٩٦ ـ المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٧٩٩ م) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ليدن ١٩٥٦ / ١٩٦٧ م .

٩٧ ـ المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م .
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
بولاق سنه ١٢٧٠ هـ ، النيل سنه ١٣٢٦ هـ .

٩٨ ـ المقريزي : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب .
ـ القاهرة سنه ١٣٥٦ هـ .

٩٩ ـ المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود . سنة ١٣٥٦ هـ .

١٠٠ ـ المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمه الفاطميين الخلفا سنه ١٩٤٨ م .

١٠١ ـ المقريزى : اغاثة الأمة بكشف الغمه ـ القاهرة ١٩٤٠ م

١٠٢ ـ المقرى : احمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ) : نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ـ القاهرة سنه ١٩٤٦ .

١٠٣ ـ ناصر خسرو : (ت ٧٣٢ هـ / ١٠٨٨ م) سفرنامه ـ القاهرة سنه ١٩٤٥ م

١٠٤ ـ النعمان بن محمد : القاضى النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ) رسالة افتتاح الدعوة ـ رسالة فى ظهور الدعوة العبيدية الفاطميه ـ بيروت سنه ١٩٧٠ م

١٠٥ ـ ياقوت الحموى : شهاب الدين ابو عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) ـ معجم البلدان سنه ١٩٠٦ م .

١٠٦ ـ ياقوت الحموى : معجم الأدباء ـ القاهرة سنه ١٣٥٧ هـ

١٠٧ ـ اليعقوبى : احمد بن أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) البلدان ـ ليدن سنه ١٨٩١ م .

١٠٨ ـ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى سنه ١٣٥٨ هـ

١٠٩ ـ يحيى بن آدم : القرشى (ت ٢٠٣ هـ) كتاب الخراج ـ ليدن سنه ١٨٩٥ م

١١٠ ـ اليمانى : محمد بن محمد اليمانى : سيرة جعفر الحاجب نشر كلية الآداب ـ الجامعة المصريه ١٩٣٦ مجلد ٤ ج ٢

ثالثا :: المراجع الحديثه

١١١ ـ الباروني : سليمان بن عبد الله الباروني النفوسي (ت ١٣٥٩ هـ) ـ الازهار الرياضيه في أئمة وملوك الاباضيه تونس ١٩٠٨ .

١١٢ ـ الأب انستاس ماري الكرملي : النقود العربيه وعلم النميات القاهرة ١٩٣٩ م

١١٣ ـ ارشيلد لويس : القوى البحريه والتجارية في حوض البحر المتوسط ترجمة احمد عيسى القاهرة

١١٤ ـ جروهمان ادولف : اوراق البردى العربيه بدار الكتب المصريه القاهرة سنه ١٩٣٤ م .

١١٥ ـ حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر واعمالهم السياسيه .

١١٦ ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين القاهرة سنه ١٩٥٧ م

١١٧ ـ حسن احمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي القاهرة سنه ١٩٦٦ م .

١١٨ ـ حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربيه في افريقيه القاهرة سنه ١٩٦٣ م .

١١٩ ـ ديماند : الفنون الاسلاميه القاهره سنه ١٩٣٤

١٢٠ ـ زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر القاهرة سنه ١٩٣٥ .

١٢١ ـ زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطيه في الفنون الاسلاميه .

١٢٢ ـ سيده اسماعيل كاشف : مصر في فجر الاسلام القاهرة سنه ١٩٧٠م

١٢٣ ـ سيده اسماعيل كاشف : مصر في عصر الاخشيديين القاهرة ١٩٥٠ م

١٢٤ ـ عبد الرحمن فهمي : موسوعة النقود العربية وعلم النميات .

١٢٥ ـ علي بهجت : حفريات الفسطاط ـ القاهرة سنه ١٩٢٨ .

١٢٦ ـ علي مبارك : الخطط التوفيقيه ـ بولاق سنه ١٣٠٦ هـ .

١٢٧ ـ عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط القاهرة ١٩٦٥م

١٢٨ ـ متز . آدم : الحضارة الاسلاميه في القرن الرابع الهجرى ١٩٤٠م

١٢٩ ـ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلاميه في الشرق القاهره ١٩٦٥م

١٣٠ ـ محمد زيتون : الحياة الفكريه في القيروان . رسالة غير مطبوعة القاهرة سنه ١٩٧٢ م .

رابعا : المراجع الافرنجية

Basset . R: Recherches sur la riligion des Berberes Paris 1910 .

Biquet .F: Histoire de l' Afrique septehtrionale sous la domination Musulmane . Paris .

Butler A.J.:The Ancient coptic churches of Egypt . Oxford , 1984 .

Caudel : L'Afrique du Nord , les Byzantius et les Berberes avant les invasions Arabes , Paris 1900 .

Caudel : Les Premieres invasions Arabes de l'Afrique du Nord . Paris 1900 .

Combe, T.J.Sauvaget et wiet : Repertoire chronologique d'Epigraphie arabe . Le Caire 1934 .

Diehl . ch.: Byzantium, Greatness and decline, Translated . by walford .N.New Jersy 1957 .

Dozy.R.: Ahistory of the Moslems in spain Translated by stokes , London 1913 .

Ency.: Britannica : vol . 17.

Ency of islam: vol 2;3 Rene Basset .

Fournel .H.: Les Berberes , Etude sur la conquete et l' Afrique par les arabes , Paris 1875 .

Grohmann.A.: Arabic Papyri inthe Egyptian library. Cairo, 1934, 1936 .

Gautier .E.F: Les siecles obscurs du Maghreb Paris, 1927.

Heyd.W.: Histoire du comnerce du levant au Moyen Age. Leipzig, 1923 .

Hitti P.K.: History of the Arabs, London 1943.

Julien .Andre: Histoire de l'Afrique du Nord, Paris 1957.

Lane Poole.S.: A histery of Egypt in the Middle Ages, London , 1897.

Lavoix M.H.: Catalogue de Monnaies Musulmanes de la Bibliatheque Nationale, Paris ,1889 , 1896.

Lewis ,Bernard: The Origins of ismailism, Cambridge, 1940.

Marcis.G.: - L'Afrique du Nord ,Paris 1837.
- La Berberie Musulmane et l'orient au Moyenage, Paris 1946.

Marcais.W.: Comment l'Afrique du Nord a ete arabise Paris 1948.

Mercier.E.: Histoire de l'Afrique septentrionale, Paris 1888- 1991 .

Miles: Early arabic glass weights and stamps - New york 1948.

Muir W.: The caliphate its rise decline and Fall, Beirut 1963.

Nicholson, John: An account of the establishment of the Fatemite Dynasty in Africa, Tubingen, 1948 .

Provencal. levi: Histoire de l'Espagne Musulmane leiden, Paris , 1950.

Quatremere. Et: Recherches , sur la langue et la literature d'Egypte , Paris, 1808.

Wiet-G: L' Egypte arabe , le caire , 1932.

Wiet-G: L'Egypte Musulmane ; Precis- de L'histoire d' Egypte , le Caire 1942.

Zaki Mohamed Hasson : Les Tulunides Paris 1935 .

-.-

ملخص الرسالة

انتهينا من دراستنا لموضوع علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية الى أن مصر وبلاد المغرب ربطتهما صلات وثيقة فى ظل الاسلام • فمن مصر خرجت الحملات المتتابعة لفتح المغرب • وأسهمت مصر بأموالها فى تمويل هذه الفتوحات وظلت بلاد المغرب رسميا تتبع مصر من الناحية الادارية حتى أخريات القرن الأول الهجرى• ولم يكن ظهور ولايه افريقية ليحول دون قيام مصر بدورها المؤثر فى ادارة شئون المغرب خلال عصر الولاة •

وظل المغرب على صلة وثيقة بمصر طوال عصر الولاة الأمويين ثم العباسيين من بعدهم • وأول ولاة مصر الذين حكموا مصر والمغرب معا كان مسلمة بن مخلد سنة٤٧هـ/٦٦٧م•

وكان لولاة مصر دورهم فى اقرار الأوضاع السياسية فى بلاد المغرب • والقضاء على ثورات الخوارج التى كانت تهدد الحكم العباسى فى افريقيه والمغرب •وقمع الفتن الناتجة عن اشتداد الصراع بين العرب القيسية واليمنية •

وظلت مصر تجاور ولاة افريقيه حتى فى المرحلة التى أخذت فيها افريقية مظهرا مستقلا بقيام الامارة الأغلبية بهـا •

كما تأثرت مصر بالدعوة الفاطمية التى نمت فى بلاد المغرب وكان للاضطرابات التى سادت افريقيه فى أواخر عصر الأغالبة أثرها فى نجاح تلك الدعوة • وتمكن الفاطميون من الاستيلاء على القيروان • ثم تعاقبت الحملات الفاطمية لفتح مصر ونجح دعاة الفاطميين فى مصر فى أخذ البيعة للخليفة المعز وساعدهم على ذلك اضطراب الأحوال السياسية فى أخريات عهد الاخشيد يين وما منيت به البلاد من أزمات اقتصادية فى عهدهم •

ودخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م وأسس القائد جوهر مدينة القاهرة التى أصبحت عاصمة مصر والمغرب معا •

أما عن العلاقات البشرية التى ربطت بين مصر وبلاد المغرب فتتمثل فى تلك الهجرات المتبادلة بينهما • فقمنا بدراسة استقرار القبائل العربية فى مصر • وأثبتنا أن مصر كانت منطلقا لهجرات القبائل العربية لبلاد المغرب •وأن الفتوح العربية للمغرب لم تكن مجرد حملات عسكرية انما تضمنت هجرات كثير من القبائل العربية • وكانت العرب القحطانية تشكل الغالبية العظمى من القبائل العربية التى استقرت فى بلاد المغرب •

ووجدنا تشابها كبيرا بين مواقف القبائل العربية وتعصبها القبلى فى كل من مصر وبلاد المغرب وتأثيرها على الأحداث السياسية فى البلدين •

وكان لانتشار الاسلام فى بلاد المغرب أثره فى تغيير النظم الاجتماعية الخاصة بالزواج والطلاق والميراث وآداب السلوك والتقاليد الاجتماعية السائدة •

وبينا كذلك كيف اختلط العرب منذ البداية بأهل البلاد فى مصر وبلاد المغرب وأثر ذلك بدينهم ولغتهم فيهم • ونتج عن اختلاط العرب انتشار الاسلام واللغة العربية بين المصريين والمغاربـــة •

كما بينت العلاقات الاقتصادية التى ربطت مصر وبلاد المغرب فتحدثت عن الاسواق فى كل منهما وأساليب التعامل ووحدة الوزن بها ثم بينت طرق التجارة البرية والبحرية التى ربطت بين مصر وبلاد المغرب • وأوضحت أنواع السلع المتبادلة بينهما وتشابه النظم المالية فى كـــل منهما • وبينت كيف كان اقتصاد مصر وبلاد المغرب يكمل أحدهما الآخر •

أما عن العلاقات الثقافية فبينت كيف كانت مصر مركزا لحركة علمية دينية كبيرة أفـــادت منها افريقيه والمغرب فتحدثت عن المدرسة المصرية فى الفسطاط • ودور الصحابة التابعيـــن فى تكوينها وكيف كان مسجد عمرو بن العاص مركز الحركة الثقافيـــة فى مصر وكان الطابع الدينى هو السمة الغالبة على المدرسة المصرية • كما بينت المدارس المصرية الأخرى فى الاسكندريـــة وصعيد مصر • وبينت كيف أن مصر لم تعرف المذاهب الغريبة ذات الطابع الفلسفى المعقـــد كمذهب المعتزلة والخوارج والشيعـــة •

وفى المغرب شهدت مدرسة القيروان نموا فكريا شمل مختلف فروع العلم خاصة علـــوم الدين • وطال أهل افريقيه الى مذهب مالك الذى أخذوا أصوله الأولى عن الفسطاط • وبينـــا الصلات بين المدرسة المصرية فى الفسطاط والمدرسة المغربية فى القيروان وكيف أدت حركـــة العلماء بينهما الى الاتصال المستمر بين المدرستين وتأثر مدرسة القيروان بالمدرسة المصريـــة فانتقلت اليها كثير من العلوم التى ازدهرت بمصر • كما كان لموقف مدرسة الفسطاط مـــن المذاهب المتطرفة واعراض المصريين عنها أثره فى مدرسة القيروان فقد أعرض المغاربة عن تلـــك المذاهب وتمسكوا بالمالكية التى أخذوا أسسها الأولى عن فقهاء مصر •

ولم يقتصر تأثير مدرسة الفسطـــاط على الناحية الدينية بل شمل كثيرا مـــن الآداب والعلوم • كذلك تأثرت مصر بمدرسة القيروان • اذ نقل المتصوف المصرى ذو النون أســـس التصوف الزهد عن أقطابه فى المغرب كما تأثرت مصر بقدوم علماء القيروان اليها • ومـــا نتج عن ذلك من اثراء الحياة الفكرية فى مصر بقيام المناظرات والمناقشـــات •

وتأثرت مصر كذلك بالدعوة الاسماعيلية التى قامت فى بلاد المغرب فحين تم للفاطميين فتح مصر عمدوا الى نشر مذهبهم وانتهجوا سياسة تحويل المصريين السنيين نحو الاسماعيليـــة الا أن هذا لم يحل دون استمرار تمسك المصريين بالسنة وتدارس مذهبى مالك والشافعـــى اذ لم تجد المذاهب التى تنطوى على الجدل والاستدلال والقياس قبولا لدى المصريين •

Summary of the Thesis

My conclosion from the study of the problem of the relation between Egypt and Magreb, begining from the Arab conquest down to the rise of the Fatimd Dynasty is that under the shadow of Islamic civilisation strong relations between Egypt, Magreb were established.

It is from Egypt that successive compaigns against Magreb were launched. Egypt contributed in Financing these compaigns. Magreb officially was part of Egypt from the administrative point of view, and remained so down to the end of the First century A. H. Even when the Emirate of Africa was established the role of Egypt in supervising the affairs of the Magreb never stopped.

All along the Ommyads rulers and the Abbassids after them, such relations conditions continued. The Wallys of Egypt played their role in pacification of the Magreb and extinguishing the revolts of the Khawarig which thrittined the Abbassids Sovrenity in Africa as well as, ending the sectairian discord between the Kaisian Arabs and the Yamenaites - Egypt even supported the Emirate of Africa when it become independant under the dynasty of the Aglabite.

Egypt came under the infleunce of the Fatmite movement, which grew in the land of Maghreb, it became stronger and stronger when the Fatemides laid their hands upon the Kairawan. Later the Fatemids sent one campaigne after another to conquer Egypt. And when the Fatemids Faithfulls in Egypt succeeded in preparing

the country for the Khaliph of Al-Moez under the bad circumostances of Egypt at the end of the Ekhsid reign when the country suffered aterrebole economic crisis, Egypt became a Fatomide state.

At 358 A.H/ 968 A.d the Fatemide army led by Gawhar enter Egypt and Cairo was founded and made the capital for both Egypt and Maghreb.

It is from Egypt that Arab tribes emmigrated to Maghreb. I have enough evidence to prove that the military campaigns sent by Egypt to Maghreb were no more than emigration movements. The Kahtanite Arab were the majority.

The spread of Islam changed the whole face of the Maghreb, particularly the social relations such as marriges, divorces, heritoge and manners and customs of the people.

On the other hand the emigrating Arab tribes intermixed with the natives and arabized them.

I threw light upon the economical relations between Egypt and Maghreb. I spoke of trades and markets, waights and measiors, caravan roads, and maritine lines, etc.

I even tried to uncover the kind of trade and wares. My conclusion was that Egypt and Maghreb were one economical front, each completes the other.

Concerning the culture relations the thesis treated the religious, role of Egypt from which Africa

تصويب

الصفحة	سطر	خطأ	صواب
أ	٦	بالأخرى	بالآخر
أ	١٨	فلم	ولم
ب	٣	شملتها	شملتهما
ب	٦	تبين	بينا
ب	٩	دورا كبيرا	دور كبير
ب	٢١	للمصادر	لمصادر
٥	٢	تمونية	تموينية
٨	١٤	عمر	عمرو
٩	٣ بالحاشية	لنا	لهما
٩	٥	وهو	وهى
٩	٦	عرضه	عرضها
١٣	٧ بالحاشية	وذلك	محذوفة
١٤	٣	للقريبين	المقربين
١٥	١	خير	حيز
١٦	١٨ بالحاشية	العد	العدو
١٨	٧ بالحاشية	ارسم	ارتسم
٢١	٢	للعرب	العرب
٢١	١٤	هذه	محذوفة
٢٢	١٤ بالحاشية	عاحل	عاجل
٢٤	٦	نقل	نقتل
٢٤	٨	قادته	قائده
٢٤	٥ بالحاشية	نقدناه	فقدناه
٢٥	٧ بالحاشية	اسره	اسرة
٢٥	١٨ بالحاشية	فاستتار	فاستعار
٢٥	١٩ بالحاشية	وجيه	دحيه
٣٠	٢٢ بالحاشية	الصدفى	الصوفى
٣١	١٥	الصفرى	الصغرى
٣١	١ بالحاشية	أسيرا	أجيرا
٣١	٣ بالحاشية	أبعث	نبعث
٣١	٣	تفتيش	مفتش
٣٢	٦	بمؤزرتهم	بمؤازرتهم
٣٣	٩	الفارس	الفارسى
٣٣	١٧ بالحاشية	فأنسر	فأفسد
٣٥	٢	اهد	امن
٣٥	١ بالحاشية	انه	أن
٣٦	٥	لقع	لقمع
٣٦	١٢ بالحاشية	الملكى	المكى
٣٧	١٠	وتيسر	وتسير
٣٧	١٨ بالحاشية	قوته	وقوفه
٣٨	١٨ بالحاشية	باليدان	بالميدان
٣٩	٢	انتقطاع	انقطاع

الصفحة	سطر	خطـأ	الصواب
٣٩	١٣ بالحاشية	ما يصل	ما وصل
٤٠	٧ بالحاشية	كان	كـاد
٤١	٥ بالحاشية	مستظما	مستعلما
٤٢	٢	أن	ألا
٤٥	٣ بالحاشية	عصر	عقد
٤٦	٥	الحنقين	الحانقين
٤٨	١٢ بالحاشية	وسائل	رسائل
٤٨	١٥ بالحاشية	تحكم	تكلم
٤٩	١١ بالحاشية	وفرضه	وفرض
٤٩	١١ بالحاشية	منهم واحد	واحد منهم
٥٠	١ بالحاشية	ورقت	وفرقت
٥٣	٢	حدودها	حدودها
٥٧	٥	العباس	العباسي
٥٩	٥	وثب	بث
٥٩	١٩ بالحاشية	يكدره	يذكره
٦٤	١٠ بالحاشية	مار جاء	ماء جار
٦٥	١١ بالحاشية	حول	جمل
٧١	٩	وتصرت	وتصدت
٧٢	٧ بالحاشية	الغدر	العذر
٧٣	١٤ بالحاشية	وسرمجنة	وبوجنة
٧٣	١٧ بالحاشية	كلان	كيلان
٨٤	٩	الى الله	الى عبد الله
٨٨	٤ بالحاشية	المنجنيق	والمنجنيق
٩٠	٤	نهس	نهر
٩٠	١١ بالحاشية	نيانى	فانى
٩٤	٥	قام	فحين قام
٩٤	عبارة " لقد كانت منطقة ... الى نهاية الفقرة .. الى جاء وقتها " حاشية		
٩٤	١٩ بالحاشية	نزلهم	نزولهم
٩٤	٢٣ بالحاشية	الحوترة	الحوثرة
٩٦	٤	حيش	جيش
٩٨	١٣	المغرب	الغرب
١٠١	١١ بالحاشية	صما	حماه
١٠١	١٦ بالحاشية	ركبت	ركب
١٠٤	٨ بالحاشية	راضية	راضية
١٠٦	٤ بالحاشية	اليفى	اليفى
١٠٧	٩	فيا استقرى	فيا نى
١٠٨	١١ بالحاشية	سورة	مسورة
١١٦	٤ بالحاشية	فانفقوا	فأنفقوا
١١٨	٣	المجد	الجمد
١١٨	٩ بالحاشية	العله	لعله
١٢٠	١	حنفى	حفصى
١٢٠	١٢	المكاس	المكاسى

الصفحة	سطر	خطأ	الصواب
١٢٨	٤ بالحاشية	الاحياد	الاجناد
١٣٠	١٣	اللـد	اللـه
١٣٤	٤	يحـد	يعقـد
١٣٤	٦ بالحاشية	مساجد في أنقاتها	مساجد أنقاتها
١٣٧	٩	كان من بناؤه	كان بناؤه
١٣٨	١٢ بالحاشية	نيقل	نقيـل
١٤٣	٢	وهـى	وهـو
١٤٤	٥	وتصورهم وعالم	تصورهم ومجالسهم
١٤٥	١٠ بالحاشية	مجمعتها	مجتمعهـا
١٤٦	٤	الأويسة	الأرديـة
١٤٨	٦	أولا	أول
١٤٨	١٤ بالحاشية	البحر والزورد	البحر وباب الزورد
١٤٩	١٥ بالحاشية	الاختيار	الأخبـار
١٥٧	١٣ بالحاشية	بمساحة	بمسافـة
١٥٧	١٧ بالحاشية	اخيـه	فهيـد
١٥٨	٤	عباس	عباس
١٥٨	١١ بالحاشية	شهر	شهيـد
١٥٩	٢ بالحاشية	الولادة	الولاة
١٥٩	٣ بالحاشية	القنية	القنـاة
١٦٢	٨	التطروق	التطرون
١٦٢	٤ بالحاشية	تهط	تهبـط
١٦٣	٣ بالحاشية	اقق	أنفـق
١٦٣	٤ بالحاشية	النهـا	الزهـا
١٦٣	١٢ بالحاشية	السنين وأخلاق الحرة تغيرت	السنين تغيرت
١٦٣	١٤ بالحاشية	أي	أن
١٦٤	١٠ بالحاشية	شيمن	عرسـون
١٦٥	٣ بالحاشية	الدجل	الدخـل
١٦٦	٤	نظم الاسواق	نظم تلك الاسواق
١٦٦	٨	فتحهـا	عرفتهـا
١٦٧	٨	كان لبعضها	بل كان لبعضها
١٧٢	١٠	الفواكه بهـا	الفواكه
١٧٣	١ بالحاشية	برفق	برنيـق
١٧٤	٨	وشرقين	وبشرقين
١٧٦	٩، ١٠ بالحاشية	ولهم يسمى	ولهم واد يسمى
١٧٦	١٢	لتى	يسنى
١٨٣	١١ بالحاشية	ونقطة	ونقطـه
١٨٧	٨	المحيطة بزنه	المحيطه بها من
١٩٣	١	كما وكانت	كما كانت
١٩٥	٨ بالحاشية	معان	معادن
١٩٨	١	الكتامية	الكتابية

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٢٠١	٤	كبهرها	تبهرها
٢٠٤	١٢	وتنه	وتحد
٢٠٥	٩	المزاج	الخراج
٢٠٦	٢	حينه	حنبة
٢٠٨	٤ بالحاشية	خبراء	بغداد
٢١٢	٨	القيصر	القصير
٢١٢	١٢ بالحاشية	ترصى	قوص
٢١٥	٤ بالحاشية	الوصلة	الوحلة
٢٢٩	٤ بالحاشية	وهجرنا	ونحرنا
٢٢٩	٥ بالحاشية	يضرب	تضرب
٢٣٠	٦	الجائزة	الجائرة
٢٣١	٣ ، ٤	كان أثره	أثرها
٢٣١	٢ بالحاشية	واستبر	واستبد
٢٣٢	٣	ولايته	ولابنه
٢٣٥	٤	نظر اقتصادها القادمين	نظر القادمين
٢٤٨	١١	لم يذكر	لم يتكسر
٢٥٦	٦ بالحاشية	الصورية	الصورة
٢٥٧	٤	الفامض	الفائق
٢٥٧	٤	أسند الخليفة	أسند لهما الخليفة
٢٥٩	٩ بالحاشية	جـ	جـ ٧
٢٦٣	٤ بالحاشية	الجزائي	الجذامي
٢٦٧	١٠ بالحاشية	وهو السجن	وهو في السجن
٢٦٨	٣	من ابيه	من فيه
٢٦٩	١٢	في البلد	في البلاد
٢٧٠	٤	التجيري	التجيبي
٢٧٣	٧	أن بن يزيد	أن خالد بن يزيد
٢٧٣	١١	القبطية اليونانية	القبطية واليونانية
٢٧٦	٣	أسير	أسيد
٢٧٨	٧ بالحاشية	فحزم	قحزم
٢٨١	٢ بالحاشية	للخير والكتاب اليه اكرمه الله بما يكون منه وقد رأيت	للخير وقد رأيت
٢٨٢	٥	الحسلبان	الحسبان
٢٨٧	٤	الهبة	الرغبة
٢٨٨	١٢ بالحاشية	تابع أن	تابع منه أن
٢٩١	٢ ، ٣ بالحاشية	سحنون القاء دروس	سحنون دروس
٢٩٢	١	يتجمعوا	يجتمعوا
٢٩٤	٨	بالمصر	بالقصر
٣٠٣	٨	ليمد	لعهد
٣٠٧	٥ بالحاشية	به أنس	بن أنس
٣٠٨	١ بالحاشية	انه	يذكر انه
٣٠٨	١٣ بالحاشية	٩٧٢ هـ	١٧٢ هـ
٣١١	٥	وفاته	وفادته

الصفحة	سطر	خطأ	الصواب
٣١٨	١ بالحاشية	نسخ	نفخ
٣٢٢	١٣	القيروان	القيرواني
٣٢٣	١٢ بالحاشية	نهجته	نهجته
٣٢٤	٥	مضرت	نصرت
٣٣٠	١٦ بالحاشية	محمود لجا	ولجأ
٣٣٠	١٧ بالحاشية	دعامة	دعاته
٣٣٤	١٥ بالحاشية	أوريس	أو ريس
٣٣٦	X بالحاشية	التعانى	القاضى
٣٤٠	١٤ بالحاشية	النقى	النقس
٣٤١	٦ بالحاشية	كتبوه	كاتبوه
٣٤٢	٩ بالحاشية	جبار	اجبار
٣٤٣	٢	ابنى	ابتنى
٣٤٥	٢ بالحاشية	وراء	وراء
٣٤٦	٣ بالحاشية	ضم	ضم *
٣٤٦	٤ بالحاشية	وطال	وقال
٣٤٦	٦ بالحاشية	دال	وال
٣٤٨	٢ بالحاشية	ولب	يلب
٣٥٠	٢	من	ممن
٣٥١	١٢ بالحاشية	فيه عن التأويل	فيه التأويل
٣٥٦	٦	مصر	فى مصر
٣٥٧	١	تتهدها	تتهددها
٣٥٧	٨	ول	يسل
٣٥٧	١٣	وجبت	وجت
٣٥٧	١٩	أحدا	أحياء
٣٥٨	٢٥	الدعوى	الدعوة
٣٥٩	١٥	الاقلية	الاقالية
٣٦٠	٢٠	من	فى
٣٧٠	٥	المشرق	المغرب
٣٧٠	٦	الوحدة	وحدة
٣٧٢	٤	مدينة	.. التى اشتهرت مدينة